

مسبب الحلو
ماجستير في الآداب

الادب الفرنسي في عصره الذهبي

مجموعة دراسات للبيئة الفرنسية في القرن السابع عشر ، ولنشأة الأدب
الكلاسيكي فيه وتطوره ، ولحياة أدبائه ومناحي تفكيرهم وفنهم ،
مع نماذج مختارة من تمثيلياتهم ونثرهم وشعرهم .

الجزء الثاني



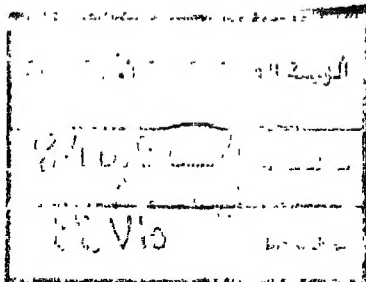
مكتبة (الحاوي)
مكتبة في الآداب

Requiert Collection of the Alexandria Library (BOL)
مكتبة في الآداب

للأدب الفرنسي في عصره الذهبي

مجموعة دراسات للبيئة الفرنسية في القرن السابع عشر ، ولنشأة الأدب
الكلاسيكي فيه وتطوره ، ولحياة أدبائه ومناحي تفكيرهم وفنهم ،
مع نماذج مختارة من تراثهم وشعرهم .

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف



الجزء الثاني

الطبعة الثانية

١٩٥٦

مقدمة الطبعة الثانية

نقدم بين يدي القراء الكرام الطبعة الثانية من كتاب «الادب الفرنسي في عصره الذهبي»؛ وقد استجبنا لرغبة الكثيرين من اصدقائنا لجعلناه في اجزاء ثلاثة ليسهل تداوله في ايديهم واملنا ان تحقق هذه الطبعة الهدف الذي رسمناه والنفع الذي رمينا اليه والله سبحانه ولي التوفيق

المؤلف

الدور الثاني

دور التنفع والازدهار

١٦٦١ - ١٦٩٠

استعرضنا لك في الدور الاول من القرن السابع عشر حالة فرنسا السياسية والاجتماعية ، فرأيها تنعم بالأمن والاستقرار حيناً ، وتعاين الخوف والفوضى حيناً آخر ورأيت امورها تؤول اخيراً الى وزيرين كبيرين قبضا بيد من حديد على شئون الحكم ، وخضدا شوكة العدو في الداخل والخارج ، وكسبا لفرنسا حروباً كثيرة ومكناً لنفوذها في الدول المجاورة . ورأيت الشعب مع هذا كله يشكو ويثن ويصخب ويشور ، فقد اثقلت الحرب كاهله واذوت نضارته ، ثم جاءت سياسة مازاران المالية السيئة واطاعة الكثيرة ، فتلاحمت على الأمة الكروب ، وطبقت البؤس الآفاق ، وشري الشر بين البرلمان والحكومة واندلعت نيران ثورة لاهية ازعجت الملك الصغير لويس الرابع عشر عن قصره وكادت تعصف بعرشه . فلما كبر لويس لم تكن سياسة وزيره خافية عليه ، ولكنه لم يشأ ان يأخذ فوق يده ، فوكل اليه امور الدولة حتى وافته منيته عام ١٦٦١ فمات وهو ريسان القواد من اطاح الدنيا . بعد ان وسع في حدود فرنسا واقام الأمن والسلام في ربوعها (١) .

كان الملك الشاب يفكر في نفسه ويروز قواه لتسلم الحكم . ولكن احداً لم يسبق الى وهمه ان في امكان هذا الفتى اليافع الذي ربي بعيداً عن شئون الدولة ان يحمل على عاتقه اثقالتها ويدير بنفسه امورها . بيد ان لويس ما كاد يحزم امره حتى اعلن وزراءه برغبته في ان يتسلم مقاليد الحكم ، ثم استمر اربعة وخمسين عاماً يأمر وينهى ويدفع دفعه البلاد في ارادة وجد وحزم (٢) ! كان يخشى ان يقلبه على امره وزير فيأفل نجمه كما افل نجم ابيه بجانب ريشليو ؛ وكان نفور الشعب من مازاران يحمله منذ حدوثه على التفكير . يقول

(١) راجع ص ١٤-١٦ من هذا الكتاب ثم مادة Mazarin من L.U.

(٢) مادة Louis XIV من L.U.

في مذكراته : « كان اسم الملوك الكسالى وأمناء القصر وحده يؤلني ان يُذكر في حضرتي وانا ما زلت فتى حداثاً . . . لقد عزمت خصوصاً على الأُدع احداً غيري يقوم بواجبات الملك مادمت أحمل لقبه . غير انني اردت ان يساهم في انجاز اوامري عدة اشخاص حتى اجمع سلطاتهم كلها في يدي . . . منذ ذلك الحين فرضت على نفسي ان اعمل كل يوم مرتين بانتظام ، وفي كل مرة ساعتين او ثلاثاً ، مع مختلف الاشخاص ؛ دع عنك الساعات التي كنت أقضيها وحيداً ، والوقت الذي كنت اوليه الشئون الخاصة اذا عرضت (١) . »

كان رأس ما عني به الملك الجديد تنظيم وزارة المال ؛ وقد كان على علم بسوء الادارة والتبذير اللذين عرف بهما وزير المال « فوكيه » (٢) ، فعزله وأغرمه مالا كثيراً ؛ ونصب مكانه رجلاً مصلحاً هو كولبير ؛ ثم التفت الى مرافق الدولة يشمرها وينميهما : شجع الزراعة والصناعة والتجارة والاعمال الحرة ؛ ونظم البحرية والجيش ، لأنه كان يريد ان يوقع الاحترام والهيبة في قلوب جيرانه كما أوقفها في قلوب رعاياه ؛ فهلل الناس للإصلاح وتباشروا بالعهد الجديد (٣)

وكان لويس الرابع عشر يعتبر نفسه ممثل الله على الارض ، وكان في الحق الدولة كلها . الجميع انحنوا امامه وانقادوا لأرادته : الأشراف ورجال الدين والبرلمان والشعب . لم يبق للأشراف وامراء الاقطاع تلك البسطة في النفوذ ، وتجمع السلطان والاجلال كلها في شخص الملك . فقد كان لويس الرابع عشر يحب ان يستأثر بكل شيء ، ويكون الباعث على كل عمل ؛ ولعلمهم من اجل هذا كانوا يلقبونه « بالملك الشمس » (٤) ، فقد كان مصدر الاشعاع في كل ما يتصل بحياة الفرنسيين العامة وآمالهم . وكانت فكرة الاستبداد مؤتلفة في خاطره مع فكرة التنظيم ؛ فالملك يستبد ليكون مركز الدائرة تنبعث منها الاقطار في تناسق واطراد ، وقد قاده كلفه بالحكم المطلق الى ألا يتسامح مع من لا يرى رأيه في الدين ولا يصدر عن عقيدته ، فرفض عهدة « نانت » واضطر عدداً كبيراً من البروتستانت الى الهجرة ؛ واضطهد الجانسينيين وهدم ديرهم . وخاض لويس الرابع عشر حروباً طوالاً حالف التوفيق معظمها ، وظهره للامم المجاورة ملكاً عظيماً واسع النفوذ (٥) .

(١) Fouquet Le siècle de Louis XIV ; v : I ; P : 24 (٢)

(٣) Le siècle de Louis XIV, v : 2, P : 6 ثم مادة Louis XIV في L.U.

(٤) Le roi Soleil راجع في L.U. (٥) مادة Louis XIV في

L.U. ثم 267—268 Malet

وفي عهده اضافت فرنسا الى مجدها السياسي ايجاد حضارة عزيزة المثال . لقد مثلت ، كما يقول « تين » ، الدور الذي مثلته ايطاليا في القرن السادس عشر ، فكانت موئل الاناقة والظرافة والافكار الدقيقة والذوق السليم (١) . لقد علمنا كيف نشأت هذه الحضارة وكيف آلت اكلها الطيب قبل ١٦٦٠ ، وفي عهد ريشيليو ومازاران ، ورأينا الصالات الأدبية قد اصبحت مباءة الحياة العقلية والفنية حين ذلك . فلما اضطلع لويس الرابع عشر بالحكم تبدلت الامور ، واصبح القصر الملكي هو مركز السيادة الادبية والاشعاع الفكري في البلاد ، واليه يختلف الشعراء والنثرون والفنانون ليزاحموا طبقة النبلاء . واصبح العمل لتدعيم المجد الملكي هو الواجب الاول على كل فرلني شريف . لم يسكتف الملك بتركيز الثقافة والفن في شخصية ، بل كان الدافع الاول لتوحيدها وتنظيمها . كان هو ووزيره كولبير يجبان الوحدة والنظام في كل شي : في الآداب والفنون كما في الادارة والسياسة . ان مبادئ المدرسة الانباعية اصبحت الآن بفضل الملك ووزيره قوانين صارمة يحرص الادباء على مراعاتها ، وتوطد الهيآت العلمية تفوذها : المجمع العلمي الذي اسسه ريشليو ، واكاديمية النحت والتصوير التي اسسها مازاران يعملان على اشاعة الوحدة والنظام الى جانب مجامع العلوم والهندسة والنقش والموسيقا . كل اولئك كان يعمل على توطيد الاحترام للمبادئ الانباعية وتمكين سلطانها في العقول (٢) . وتفتحت اكمام الادب عن نفائس الازهار ، حتى ليعتبر المحققون حكم لويس الرابع عشر الفعلي عصر الآداب الفرلسية الذهبي ، عصر الروائع الانباعية التي كانت موضع اعجاب الناس من فرلسيين واجانب ، والتي اصبحت نماذج لا يحتذي الادباء غيرها خلال قرن كامل (٣) . كانت فرلساء كما يقول المؤرخ الانجليزي الكبير : ماكولي Macaulay ، تصدر قوانينها الادبية الى العالم اجمع . وأخص ما يمتاز به الانتاج الادبي على تنوعه هو تمكن اربابه في الآداب القديمة وشدة احترامهم للقدايم واعتبارهم ما خلفوه من الآثار الادبية روائع لا تجارى . ثم انهم كانوا جميعاً يؤمنون بفضل التنظيم والتنسيق ، كما كانوا يوجهون التفاتاً خاصاً الى وضوح الاسلوب وبساطته . وانك لتجد عندهم جميعاً غريزة السمو والنبيل ، فالكاتب - شاعراً كان ام ناثراً - يحترم نفسه ويحترم قارئه ، فلا يسف ، ولا يتبذل ، بل يحتفظ

(١) Malet 267-268 (٢) مادة Louis XIV

في L.U. 268-270 Malet

بوقاره وجلاله احتفاظاً قلماً وقتت على نظير له في آداب العالم . العظمة والنبيل والجلالة هي
 شارات الملكية التي تركت طابعها على آداب العصر . فقد كان تأثير لويس الرابع عشر
 بليفاً على رجال البيان في ايامه : كان مرهف الذوق ، كلفاً بالمتع العقلية الشريفة ، تأملت
 فيه طباع الكرم فبالغ في تشجيع الادباء وتقريبهم . وكثيراً ما اهدى اليهم والطفهم (١) ،
 بل ان منهم لمن وظف له راتباً وافاض عليه من اكباره . كثيرون منهم استقبلهم في
 قصره على قدم المساواة مع النبلاء ، وآخرون كانوا من خاصة اصحابه . لم يصح انه آكل
 ذات يوم الشاعر العظيم مولير ، ولكن من المؤكد انه وافق على ان يرأس حفلة تعميد لابنه
 وهو شرف اكبر ، وأنه تدخل فأمر بتمثيل مسرحية له حظر اخراجها البرلمان . وقد
 كان الرعاية الملكية الكريمة التي حظي بها العلماء والمفكرون وحركة الشعر نصيب كبير
 في رفع مستواهم المادي والمعنوي ، تلك الرعاية التي غمرهم بها وأشدها الناس في ظروف
 متعددة (٢) . وكانت الروائع الادبية تؤلف بمجموعة كاملة متناغمة ، فما من نوع اغفله ادباء
 هذا الدور تقريباً : وفي طليعتهم نجد اربعة شعراء عظام لا يمكن ان تفصلهم عن بعضهم
 اذ كانت تجمعهم صداقة وثيقة العرى ، وهم : بوالو ، ومولير ، وراسين ، ولافونتين .
 الاولان باريسيان ، والآخران طراً على العاصمة من الاقاليم (٣) ؛ كلهم قـربـه الملك
 واجازه ، عدا لافونتين ، فقد كانت سيرة هذا الشاعر تحول دون تقريبه ، ولكنه لم يخل
 في شيخوخته من رعاية كبير اطاب عطاءه وأجل معونته (٤) . والى جانب هؤلاء الاربعة
 نجد جملة من النوايع ، منهم من تقدم قليلاً ومنهم من تأخر قليلاً ، نذكر منهم : بوسيه ،
 فينيون ، فليشييه في الخطابة ؛ ولا برويار ولا روشفوكو في الادب الاخلاقي ؛ وسان
 سيمون ورتز في التاريخ ؛ وبوسان ولولوران ولوبرون وبرو ومونسار وجيراردون
 ويجه في الفنون (٥) . احتضن لويس الرابع عشر هؤلاء الشعراء والفنانين على غير طريقة
 الملوك الذين انما يفعلون ذلك استدراكاً للمدح وتوطيداً للسلطان ، فقد كانت للرجل حاسة
 فنية رائعة تحفزه الى تقريبهم وتشجيعهم . وقد فاض سيبه حتى شمل عدداً كبيراً من
 الاجانب ، فيهم الاديب والعالم ورجل الفن وأمر فقدمت اليه قائمة تحتوي ستين اسماً
 فاز بعض اصحابها بالجوائز السنوية وفاز الآخرون بالرواتب ، كل حسب منزلته وكفايته (٥)

(١) برهم (٢) المصدر الاخير (٣) P : 47 v 2. Le siècle de Louis XIV
 (٤) راجع L.U. مادة Louis XIV (٥) مقدرته .

واحتياجه ؛ كم كان هؤلاء النوايع الاعلام يدهشون حين تفاجهم رسائل القصر ترجم
ان يتقبلوا يد الملك الخضر الذي لم تشأ المقادير ان يكون آمراً ، وتحفهم بالمال
والالطاف (١) ؛ وعلى الجملة فاذا كان لنا ان نخلص من سيرة هذا الماهل الكبير الى
مغزى ، فانما نخلص الى ان باستطاعة الملوك والرؤساء ان يفعلوا كثيراً في سبيل العلوم
والفنون ، اذا صادفت من قلوبهم هوى ، وما عليهم إلا ان يريدوا ويفعلوا ؛ واذا كانت
لنا ان نعلق برأي على ازدهار الآداب في القرن العظيم فانما نلفت انظار القاريء الى اثر
الرعاية التي يلقاها رجال الفكر في شحذ قرائمهم وحفز هممهم .



بوالو BOILEAU

احد اعلام الادب في فرنسا ، بل في اوروبا كلها . وهو نموذج كامل الأديب الذي
لا يعيش الا لفته ورسالته ، فحياته بسيطة رتيبة ، حياة عزب لازم بيته اكثر وقته ، ولم
يفادر مدينته الا في القليل النادر .

ولد في باريس عام ١٦٣٦ من اسرة بورجوازية يشتغل بعض افرادها بالتجارة
والقضاء ، وقصد امه وهو ابن عامين ؛ وقد اعده ابوه لخدمة الكنيسة ، ثم عدل به الى
دراسة القانون ؛ ولكنه كان يميل الى القريض ، وقد الشأ بعض بواكيره في السابعة
عشرة من عمره ، فلما وافت المنية اباه ١٦٥٧ ورث عنه شيئاً من المال اتاح له ان يتوفر
على هوايته الادبية . فكان هذا الفتى اليافع يعيش من دخله الموروث بعقل وتدبير عجيبين
كان موفراً لا عن بخل ، ولكن ليضمن لنفسه حياة ادبية على النحو الذي يحب ، فيصون
وجهه عن مسألة الاغنياء ومحاسبة الناشرين والكتبيين . وإلا فقد كان الرجل اصفى معدناً
وأرق طبعاً من أن يبخل ، وهو الذي اراد ان يتنازل ذات يوم عن مرتبه للشيخ كورني
ليصلح من سوء حاله ، واشترى مكتبة احد المحامين المشهورين ليقيله من عُسرته ، ورضي
منه ان يتركها في حوزته مدى الحياة ؛

Le siècle de Louis XIV, v 2, P : 11-12 (١)



بوالو

ما لبثت او اصر الصداقة ان توثقت بين شاعرنا ومولير وراسين ولافونتين^(١)،
كوكبة من النوايغ احاطتهم الاجيال المتأخرة بهالة من الاجلال والقداسة ، ولكنهم
كانوا حين ذاك رفقة احراراً مرحين عابثين ، يجتمعون في حانة او غابة او منزل ،
ليشربوا او يطربوا او يتناشدوا القصيد . وفي تلك الاثناء كان بوالو يكتب «هاجيه»^(٢) ،
فتذيع في الآفاق ، فيتطلع الناس لرؤيته ويتجاذب الأعيان زيارته لهم ويتهادونه في حفلاتهم
ومآذبهم ؛ وهو لا يأنس اليهم وكثيراً ما كان يتحاماهم . غير انه لم يستطع ان يتوارى عن
عين الملك الذي عرف بفهمه وسلامة ذوقه . وقد مدح لويس الرابع عشر كما جرت العادة
آنذاك ، ولكنه حافظ على استقلال رأيه وكامل صراحته في موضوع اختصاصه : فلم يتنازل
عن فكرة ولا تزغزع عن رأي في الأدب لكائن من كان ، ولا للملك نفسه . وتنتهي
الفترة الاولى من حياته الأدبية عام ١٦٦٩ ، فرغ فيها من كتابة هاجيه ، وتصدى المتشاعرين
فأخزاهم ، وللشعراء العظام فاشاد بذكورهم وناجح عنهم . وتمتد الفترة الثانية الى عام
١٧٧٧ ، كتب فيها «الرسائل المنظومة»^(٣) ، و«منصة الخطابة»^(٤) ، ومنظومته الجلييلة
«فن الشعر»^(٥) . كان بوالو يقضي ايامه مع اصدقائه الشعراء في منزل جده به الملك ،
وكان يتردد على القصر بين حين وآخر . وقد خصص له راتب حسن ، ثم انتدب ليكون
مع صديقه راسين «مؤرخ الملك» ؛ ولكننا لا نعرف شيئاً عن مذكراتهما التي بادت في
حريق . اما آثاره في الفترة الأخيرة فهي تؤلف بمجموعها دفاعاً عن نظريته التي بسطها
في اشعاره السابقة وتنصر للقدماء في المعركة التي نشبت في الدور الأخير من القرن
السابع عشر بين «انصار القديم وانصار الحديث» .

لم يكن المجمع العلمي ، قد فكر بمد فيه ؛ اذ كان اكثر اعضائه من السخفاء الذين
اعتادوا ان يشغلوا المكان الاول في حياتهم ، فاذا ماتوا انطفأ ذكرهم كأن لم يكونوا ؛
وكان بوالو قد سخف هؤلاء «الخالدين» باهاجيه الخالدة ، فكانوا حرباً عليه كما كانوا
حرباً على كورني ولافونتين واكثر النابيين في ذلك العصر ؛ حتى تدخل الملك وفرضه
عليهم فاصبح احد اعضاء المجمع ، ولكن ذلك لم يتم الا عام ١٦٨٤ ، اي بعد ظهور
«فن الشعر» بأحد عشر عاماً ؛

Le Lutrin (٣)

Les Epitres (٢)

Les satires (١)

L'Art Poétique (٤)

وفي سنة ١٦٩٦ توفي راسين ، فاعتزل الشاعر القصر والناس ، ولازم بيتسه ، يستقبل فيه اصحابه وبعض المعجبين به ، ويدعوهم الى مائدته : كان مولعاً بالشهي من الاطعمة وبالبحر المعقمة والعشراء الاخيار . واصطلحت عليه الالوجاع ، فكنت تراه مقطباً حيناً راضياً حيناً . واتهم بالميل الى الجانسينيين لما كدته الجزويت ؛ ولكنه في الواقع لم تربطه بالاولين الا بعض الصداقات الخصوصية ، ولم يكن يفهم شيئاً من تلك الخصوصية الدينية بين الطرفين ، بل كانت في رأيه معركة كلام باطلة : لم يكن وجود الله عنده حقيقة دينية بقدر ما هو حقيقة عقلية وضرورة منطقية ، فهو الى ديكرت اقرب منه الى الفرق الدينية على كل حال .

وتوفي بوالو عام ١٧١١ آخر الشعراء الذين في طبقتهم ؛ ومشي بجثمانه موكب فخيم جليل « واذن ، فقد كان لهذا الرجل الذي لم يُعَفَّ احداً من لذاته ، كثير من الاصدقاء » ؛ هكذا صاح عابر سبيل لما رأى الموكب يسير (١) ؛

ادبه : — لا شك ان بوالو فنان عظيم ، ولكنه لم يكن شاعراً عظيماً . كل ما اثر عنه لا ينم عن عاطفة فياضة ولا عن خيال وثاب ولا عن الهام . غير انه كان على حظ وافر من حواس الفنان ومقدرته على الأداء : تلفت نظره ظواهر الاشياء ، فستحضرها امامك بنصها وفصها ؛ ولكنه لا يغوص الى ما وراءها ولا يحاول ان يستنطقها ؛ فأثاره صور واقعية لما تقع عليه العين ويدخل في نطاق التجارب من الاشياء . انها احاسيس بورجوازي من باريس ، عرف مدينته معرفة جيدة منذ طراوة عوده ، بشوارعها وقصورها ومعاييدها وازيائها وسكانها ، فلا تفوته منها كبيرة ولا صغيرة . من هذه الانطباعات والملاحظات صاغ الرجل بعض الالهاجي وشطراً كبيراً من « منصة الخطابة » هنا تجد بوالو الحق ، بوالو الفنان المبدع ، الذي يروعك بصدق تصويره وقوة تعبيره ، وحيناً يجافي صراحته . أفشعر هذا ؟ نعم ، اذا قبلنا ان تتسع حدود الشعر للواقعية الخالصة . غير انه لا جدال في ان هذا فن عظيم ، بكل ما فيه من احترام عميق للنموذج ، ومن امانة في الصب والصياغة . كان بوالو ينظم في ثقة ويسر ، ولكنه كان لا يرتضي غير القوافي الغنية الرصينة المعبرة . وقد أوتي سمماً مرهفاً يستز لنبرات الالوزان ونألمات الالفاظ .

(١) رجنا في هذا الموجز عن حياة بوالو الى : مادة : Boileau في L U والى
L.T. 240—242 والى 4 : Le Lutrin et l'Art Poétique P
Des granges 115

وعلى الجملة ، فقد كان بوالو فناً ، بكل ما في هذه الكلمة من معنى ، ولكن مادة شعره قريبة ، وميدان قريحته ضيق . واما كان عظيماً بجمال صياغته وصدق تصويره (١) .

منصة الخطابة Le Lutrin : -- هي قصيدة من « الشعر الحماسي المازل » (٢) تقع في ستة انشيد ، ظهرت الاربع الاولى منها ١٦٧٣ ، وظهرت الاثنان الاخران ١٦٨٣ . وقد استوحى الشاعر موضوعها من معركة حقيقية جرت في احدى الكنائس بين رجلين من رجال الدين ، وهما الخارن والمرتل ، بسبب منصة الخطابة التي كانا يتصب في وجه الحيرة فتشوه منظرها ؛ فلما ترمى نبأ هذا المعركة الى بوالو صم على ان يتخذ منه دعابة فنية سارة ، وان يهيج في دعابته ، نبأ جديداً . فقد كانت طبقة السخرية قبل ذلك ان يعمد الكاتب الى الابطال اعمام فينسب اليهم بعض الصفات والسخائف ، وان يتناول موضوعه هذا بأسلوب مهمل لا يناسب جلال الموضوع . فلما جاء بوالو اراد ان يختار اشخاصه من الصعاليك واوشاب الناس ، وان يهزئ بهم بان يضع على السنتهم عبارات جادة مبيلة بدور على اسما ناطقة مصحكة . هذا الاحلال والتباين بين الاشخاص الخاملين والمعرض المسحوم الذي تبرز فيه خصوصياتهم الخفية ، وقيق الشاعر في التعبير عن كل التوفيق . ففي هذه القصيدة نجد اكثر الاشعار التي خلفها بوالو سهولة وانسجاماً وقوة تعبير (٣) :

في الانشودة الاولى تريد الفتنة ان تعكس صفو الكنيسة ، فيقرر اشياخ الخارن ان يعيدوا ليلاً منصة الخطابة الكبيرة امام منسبة المرتل . وفي الانشودة الثانية يجد ثلاثة محاربين شجعان قد انتدبوا لهذا العمل : احلاك ، وخدام الكنيسة ، ومصطفى الشعر المستعار الذي ابرع نفسه من دراعي روماني يمضي في مهمته . عديد تـسون « الفتنة » قد دوت فرمها فهي رسل صيحات الانتصار والسرور . ولكن « اليل » في الانشودة الثالثة قد عزم على ان يعرض سبيل هؤلاء المدامرس الذين كانوا يـسون الخـو الى ما بذروا انفسهم له . فادخلوا مخزن الامتعة المقدسة وأمسكوا بالمصة ، رأيتهم فريسة الذعر من صيحات يوم يطفئ عليهم النور ويدبرهم في سيرة ويصطبرهم الى الفرار . بيد ان الفتنة نفهم جسم احد رجل الكنيسة وسهم اليهم ويحفزهم على التبات . فيرجعون ادراجهم ويحاولون المنصة ويثبتونها امام منسبة المرتل . فادا كانت

Héroï-comique (٢) L T. 245—246 (١)

Boileau : Préface : P : 1—7 (٣)

الانشودة الرابعة رأيت المرتل يستيقظ من حلم مخيف . فلما اقبل الفجر ، رأته ينهض من فراشه ، ويتجه الى مكانه في الكنيسة ليتحقق من وجود المنصة الضخمة امامه . انه ليميز غيظاً وتحرقاً للانتقام ، ويبادر الى اعضاء المجمع الكنسي فيوقظهم ، ويغريهم بحفلة غداء فخمة بالاجتماع والتشاور ، ثم بالحكم على المنصة بالتحطيم . واذ بلغ الخبر الخازن في الانشودة الخامسة ، جمع حزبه وذهب بهم الى قصر العدالة ليستشيروا « الخصام » الذي يتبأ لهم بالنصر بعد معارك طويلة . اما الكهنة فقد اسرعوا بدورهم الى القصر ؛ فاصطدموا بجاعة الخازن ، فنشبت بين الفريقين معركة ؛ بدأت على الدرج ، وانتقلت الى حانوت كتي ؛ فاصبحت الأسفار (١) الثقيلة قذائف يتراشق بها المتحاربون . وانجبت المعركة عن هزيمة المرتل واشياعه ، فجاء بنفسه يطلب الصفح وهو جاث امام الخازن . بيد ان « الرحمة » جاءت تستكي الى تيميس ؛ آلهة العدالة ، من سيأت « الفتنة » . فاکرمت العدالة وفادتها واحسنت مواساتها وارسلتها الى الفاضل « آريست » الذي تمكن من فض « الخلاف » . ها هو ذا المرتل يحمل بنفسه المنصة ويضعها امام الجوقة ، فيبادر الخازن ، ونفسه تفيض أريجاً وعفواً ، فيرفعها من تلقاء نفسه ويربح المرتل منها .

فن الشعر L'Art poétique : — نشر بوالو منظومته العظيمة هذه عام ١٦٧٤ ، بعد ان أمضى في نظمها خمس سنوات . وهي تقع في الف ومئة وعشرة ابيات . ولكنه بدأ يقرأ على اصحابه بعض مقاطعها قبل ذلك بعامين . وقد رجاه الملك نفسه ان يقرأ عليه بعض فصولها وأبدى بها كل الاعجاب . ولم يكده هذا الاثر القم يذاع خبره حتى اثار احتجاج الخصوص والضحايا ، وراحوا يسمون جاهدين عند الملك لئلا يأذن بطبعه . ولكن الوزير كولبير ألح بدوره على سيده بوجوب نشر الكتاب فأذن . واستمر سلطان بوالو على ادباء الغرب جيلين كاملين ، فلما اعلن الابتداعيون مذهبهم الادبي في القرن التاسع عشر ، اخذ نفوذه يقل يوماً بعد يوم ؛ بيد ان عدداً كبيراً من تعاليمه لا يزال معمولاً به الى يومنا هذا ، والكتاب كله اثر خالد على كل حال (٢)

اما الذين سخر منهم الشاعر النقاد فهم شعراء الصنعة والبهرج ، وشعراء الارتجال المهملون ، وادباء الصالات المتألقون ، وكل الذين يعوزهم في نظمهم الفن والصدق . واما شعراؤه المفضلون فهم الذين اثبت التاريخ فيما بعد علو كعبهم واصالة شعرهم : هم مولير

وراسين ولافونتين ؛ وكل من كان يرمي الى الصدق والفن . وعبثاً حاول خصوم الشاعر ان يكيلوا له بصاعه ، فانه لم يكن يحبهم ابداً ، بل كان يسير في طريقه مطمئن النفس ثابت القدم ، لا يتهاون في نقد ، ولكنه كان ينفذ عن خصوصيات خصومه ، ويكتفي بتجريح آثارهم ؛ وفيما هو يرميهم بحرايه ويدمغهم بسخرياته التي اصبحت فيما بعد ذكريات لا تفارق اشخاصهم ، كان يعرض مبادئ الفن الادبي ، ويلخص نظرات المذهب الاتباعي (١) .

اسلاف بوالو : — عرف القرن السادس عشر بمحوثاً كثيرة في النقد الادبي ، كلها تمخذه وحذو ارسطو وهوراس . غير اننا لا نستطيع ان نجزم ان بوالو قد احاط علماً بها جميعاً . وكل ما نستطيع ان نؤكدده هو ان المبادئ التي تصدق للدفاع عنها قد سبق لغيره ان عرضها (٢) . بيد ان الاقبال العظيم على منظومته « فن الشعر » اظهر صاحبها بظهور السابق المبكر ؛ على حين ان نظرات الشاعر عندما بدأ بتجريح اهاجيه الاولى عام ١٦٦٠ وعندما نشر منظومته بعد ذلك بأربعة عشر عاماً ، كانت قد استوفت حظها من الشرح عند كتاب الدور الاول واصبحت معروفة مكرورة . فالاعداء الذين خالصهم كانوا يلفظون آخر انفاسهم ومازاد هو على ان اجيز عليهم . كذلك كان ادب التهريج والالاقه المصطنعة والبهرج الكاذب قد ولى الادبار . وليس في الآراء العظيمة التي عرضها بوالو الا آراء قليلة لم يسبق اليها (٣) ، حتى لثري اننا نستطيع ان نضرب الصفح عن كثير منها بعد ان أفضنا في عرضها في بحثنا عن مبادئ الاتباعيين ، كما فعل العلامة فان تيجم في كتابه « موجز تاريخ النظريات الادبية الكبرى في فرنسا » ،

فوالو يحمل على الخدلة والفثاة والاغراب ويدعو الى العقل والطبيعة والافلال واختيار الوقت المناسب للكتابة وبذل الجهد والتحلي بالفضيلة الصحيحة والاخلاص الفني الذي لا تسيره غاية نفعية ، ويؤكد اهمية الموهبة الطبيعية قبل كل شيء . وفي اثناء ذلك يسرد تاريخ الشعر الفرنسي من « فيون » الى « ماليرب » ، وبحث في بعض فنون الادب وخصوصاً في « الالهجي » (٤) ، وفي تاريخ المأساة عند اليونان والفرنسيين ، وفي الملحمة واللمهاة ؛ ويتوجه آخر الامر ببناء نحو الملك الذي يقرب اليه الشعراء وبرطام (٥) . واذاً فما هو سر عظمة الرجل بمنظومته هذه ، ولماذا نجاوز بوالو الناقد بوالو

Boileau, Préface : P : 57 (٢) L.T. 246— 247 (١)

Des granges 126 (٥) Les satires (٤) Van Tieghem : 63 (٣)

الشاعر والفنان؟ سر ذلك ان بوالو كان أقدر نقاد عصره على ضبط النفس وتوخي القصد والعزوف عن المهارات والامساك عما سوى انتاج خصومه والترفع عن مس اشخاصهم؛ لقد كان، بموجب القول، اديباً يتذوق لا عدواً يتشفى .

ولبوالو الفضل في لمّ شعث النظرية الانباعية وتنخيلها وصبها في ابيات محكمة واجراء كثير من معانيها مجرى الامثال الرائعة التي يستقر اثرها في النفس؛ فهو لسان الانباعيين المعبر Porte-parole والمنظومة مجلتهم المشرعة .

واروع ما يروعك في « فن الشعر » تلك النظرة السامية الى مكانة الاديب، وقد أرصد لتجليتها الانشودة الرابعة كاملة . اقرأ هذه الانشودة فستجد العقل الراشد الاصيل يعانق الضمير الصافي البيل . انه ليحترم نفسه ومهنته وفنه؛ ويريد الاديب ان يفرض احترامه على الناس عن ثقة وجدارة وخلق متين، فلا غيرة ولا تأمر ولا وضاعة ولا تعبد للعالم، وخير له ان يكتب لوجه الفن من ان ينتظر على ما يكتب الاجر . ثم صفاء الطبع، وحب الجمال حباً خالصاً يدعوك ان تفضل النقد العنيف النافع على الثناء الغبي التافه . واخيراً كن طيباً وأحب الخير وعمل الخير . انه لا يدعي ان ذلك يغرس فيك الموهبة الادبية، ولكنه يؤكد لك ان فقدان الاخلاق الكريمة يذهب بجدة آثارك ويطمس محاسنها . ولعل بوالو في نظريته هذه نسيج وحده عمقاً وقوة . وهو بهذه النظرة يسير بنا صعداً الى ايام افلاطون وكتاب الجمهورية الذي لا يقبل ان يضع حداً فاصلاً بين الموهبة والفضيلة . ولعل اجمل بيت نظمه بوالو هو قوله :

« يفوح الشعر دوماً بحساسة القلب (١) »

منازع من شعره

حقوق الناقد : — في « السخرية » التاسعة يتناول بوالو في وضوح تام حقوق النقد : ينبغي للمؤلف حين يعرض نفسه على الجمهور ان يتوقع اللوم والثناء على حد سواء . وانه ليتساءل، ما بال النظارة يؤذن لهم فيصفرون؛ ولسواد الناس فيثرون احكامهم كما يشاءون، ثم يحظر على الناقد ان يدلي برأيه عن اثر مطبوع؛ بيد أن « الكاتب » وحده هو الذي يجب ان يتعرض للتجريح؛ اما « الرّبيل » فيجب ان يكون بمعزل عن غمزات النقد ولزاتهم؛ وبذلك تكون مهمة الناقد شريفة وضرورية :

(١) فن الشعر، الانشودة الرابعة ١١٠ . رجينا في هذا التحليل الى الفصل الذي كتبه الاستاذ

Faguet عن بوالو

في القصر يستطيع الاحق انبيل اني* شاء
 ان يدلي برأيه الاخرق غير متردد ولا خائف ؛
 فيفضل شويماً هزلاً على شاعر كبير (١) ،
 ويعدل بهرج ذلك نضار هذا .
 يستطيع كويكب في خمسة عشر فلساً ان يستهين بغضب الجمهور ؛
 فينحدر الى ارض المسرح ويهاجم احدي روايات كورني الخائبة (١) .
 بل يهاجم من اجل هذه الرواية ، هائه كد ، ذكلا .
 ما من خادم لسكاتب ، ولا من تـ
 إلا يحمل على يديه ميزاناً يزن به ثمرات القرائح .
 فما تكاد تفتتح المطبعة عن شاعر ،
 حتى يصبح أسيراً لمقتنيه ايأ كان ؛
 لقد اختار عمل ارادته ان يتعرّض لاهواء الناس ،
 ولم يبق للذود عنه الا كتاباته .
 ومها يبحث في « مقدمته » خاضعاً ذليلاً
 بين يدي القاري فيوسعه املاً ،
 فانه لن يفوز بنجح يذكر عند ذاك الحاكم الغضوب ،
 الذي ينظر في دعواه من غير هوادة ولا لين .
 ثم أكون انا وحدي غير قادر على ان اقول شيئاً ؛
 لهم ان يكونوا سخفاء ، وليس لي ان اضحك ؛
 ليت شعري ما الذي اجترحتُه ابياتي من أذى ،
 حتى اقامت علي غضاب المؤلفين وأقعدتهم ؟
 ما كنت لاشير مثالبهم ، بل أنحت لهم ان يظهروا ؛
 ولولا هذه الاشعار التي صرّفت بهم ،
 لرأيت النسيان يُعفي على مواهبهم .
 من اين لرجل لولا انا ان يعلم ان « كوتان » قد وعظ ؟
 فما الانتقاد الا منقبة للغبي ومنبهة عليه .

(١) جرى هنا بعض التصرف في اختصار الاسماء

انه ظلال متضني على اللوحة بهاء .
 هذا الى اتني حين اؤنهم لا اقول الا بما اعلم .
 وما من احدٍ لامني الا وهو يرى فيهم رأني .
 واذا يقول احدهم : د انه لني ضلال ؛ فما باله يذكر الاسماء ؟
 أفيهاجم شابلان ؟ آه ! انه لمن خير الناس ؛
 وبحسبه ان بازالك أفاض عليه حرّ الثناء .
 ما اجدره ان يستمع لنصحي فلا ينظم ابداً .
 لقد سكت عن النظم ؛ فلماذا يسكت عن النثر (١) ؟
 هذا ما يقولون ، فهل قلت انا شيئاً آخر ؟
 أفتراني حين فتدت كتاباته بلاذع اسلوبني
 قد فتت في حياته ممّا زعافا ؟
 ان شيطان شعري حين ينتضي سناناه عليه لطيب رصين ،
 فهو يعلم كيف يميز الشاعر من الرجل الشريف (٢) .
 فليطروا ما عنده من شرف وإيمان ؛
 وليئنوا على كرم عشرته وطيب سريره ؛
 وليكن وديماً ملاطفاً خيراً مخلصاً ؛
 انهم ليريدون هذا ، واتي لارتضيه ؛ وقد رُضت نفسي على السكوت .
 بيد ان تقديم كتاباته نماذج للاحتذاء ،
 وان يفوز بخير المكافآت من بين المتحدثين السخفاء (٣) ،
 وان يُرفع ملكاً على عرش المؤلفين ،
 ان هذا كله ليثغلي مراجل غيظي ، ويحفزني على ان اكتب .
 فاذا لم يُسمح لي أن ابثّ الورق ما في صدري ،
 فلا تحفرن الارض ولا تطلقن شجيرات القصب ،
 بعضو جديد ، كما فعل ذلك الخلاق ، فلتصيحن :

(١) يريد بوالو ان يقصر سخريته على شعر شابلان دون نثره (٢) اي انه يسرف كيف يقصر
 النقد على الشعر (٣) كلف الوزير كولير « شابلان » ان يعدّ له قائمة بالروائب تنج اللادباء
 فودع اسمه في رأس القائمة ، وكان راتبه يرجي على « ٨٥٠٠ » ليرة

« ميداس ، الملك ميداس ، له أذنا حمار (١) » ،
 واخيراً فبأي سوء قصده ؟ أأكون بما كتبت
 قد حجّرت عروقه وجدت خاطره ؟
 حين يباع الكتاب في القصر ويُشدد ،
 فيحكم كل بمينيه عليه ،
 ويختار له الكتي (٢) اشرف مكان عنده ،
 أفستطيع إعراض ناقد ان يهتك حرمة ؟
 عبثاً تأمر وزير ذات يوم على « السيد » :
 فقد كان لباريس كلها عينا رودريك ازاء شيمين .
 وعبثاً اجمعت الاكاديمية رأيا تخفضها :
 فان الجمهور الناثر أبى إلا اعجاباً بها .
 في وسع النقد الغني بجذته وطرافته ،
 ان يزكّي وحده السار بالنافع ،
 وان يصفّي القصيد باشعة الذوق السليم ،
 فيكشف عن العقول دياجير الظلام المقيم .
 هو وحده حين يزدي الظلم والكبرياء ،
 يدم الرذيلة في نخبتها ويُقص مضاجعها ،
 ويا طالما انبرى غير متردد ولا هباب ،
 يثار بكلمة طيبة للعقل من تجنيئات البلداء .
 وقديماً كان ليليس يشد ازر لوسيل (٣) في ايطاليا
 فيوقّي المتشاعرين امثال « كوتان » ما يستحقون ،

(١) في الاساطير ان الملك ميداس فضل صوت بان على صوت ابولون ، فاستقم هذا لنفسه بانمنحه
 اذني حمار . وكان خلاق الملك قد احس بذلك ، على شديد تسكتم سيده ، ولم يستطع ان يلزم الصمت ،
 فحفر الارض واودعها سره ؛ فنبئت في ذلك المكان شجيرات القصب ، وجمت تدبج سر الحلاق ، كلما
 حركتها الريح ،

(٢) كذلك تصرفنا هنا قليلا لنمفي القارئ من اسم الكتي ولنيسر له فهم النص .

(٣) ليليس : قنصل روما ١٤٠ ق م ولوسيل شاعر لاتيني .

وكان هدير اس بشر لدعائه جهد قراه ،
 فينفك بانقر اثني من شعراء الرومان .
 هو المنتدح لي الطريق الذي يجب ان اسير فيه ،
 والحملي وانا ابن خمس عشرة أن أفلر الكتاب البليد ،
 ولقد حسرت فطليته على هذا الجبل الشير ،
 فشدت حطاي وعاني حسن المسير ،
 فاما لاحله ، يجوز القول ، قد نذرت نفسي .

فائدة الإعداء : Sur l'utilité des ennemis : هي إحدى « الرسائل
 المنظومة » ، حاكها يراعة بوالو عام ١٦٧٧ ليواسي بها صديقه راسين في المؤامرة المحكمة
 التي اعددها خصومه وانتهت باخفاق مأساته العظيمة « الفيدر » ولكنها ما لبثت بعد ذلك
 ان هزمت مأساة أخرى بهذا الاسم لشويس اسمه « برادون » شتيجه المتآمرون وقد هوه .
 هذه المنظومة هي رائعة بوالو : عقل ، ونقد وعاطفة والدفاع ، بل ان كل فضائل الشاعر
 المنتثرة هنا وهناك قد لمت شعها وتمثلت في هذه القطعة :

ما أمهرك يا راسين حين يشد أزرارك التمشيل ،
 أن تترك عواطف المتفرج وان تملك اعجاباه ؟
 أبداً لم تستطع إقبيجيني وقد سميت الى المذبح ،
 ان تستدر دموع اليونان مجتمعين ،
 يمثل ما ذرفت العيون للشهد الناجح
 حين قامت « لا شاموسليه » بذلك الدور امامنا (١) .
 ومع ذلك فلا ينبغي لك ان تظن ان آثارك العليمة
 اذا جذبت اليها القلوب كلها ، فقد فازت بالاصوات كلها .
 فما يكاد عبقرى يحظى بوحى أبولون ،
 فيهتدي الى طريق مجهول بعيد عن طريق العامة ،

(١) ايجيني Iphigénie إحدى مآسي راسين العظيمة ، اقربها من مأساة بهذا الاسم
 لاوريبيد اليوناني ، وفيها ان اليونان سافروا الصاة ايجيني الى المذبح ليندموها صبية الى الآلهة ، لترسل
 عليهم الرياح المواتية وعود الاسطول . اما « لا شاموسليه » La Champmeslé فمئلا مشهورة عاشت
 (١٦٤٤ - ١٦٩٨) م

حتى تحاك المؤامرات وتنشب الدسائس عليه في مئة مكان .
 ان منافسيه الموتورين ليتعَبُونَ من حوله ،
 وان انواره الساطعة لتبهر الانظار ،
 فتثير عليه حسد الاصدقاء انفسهم .
 الموت وحده في هذه الحياة الدنيا اذا استردّه ،
 استطاع ان يهدّي عليه الطغيان والحسد :
 فتوزن آثاره كلها بميزان الذوق السليم ،
 وتلك اشعاره نصيبها المقول من التعظيم .
 قبل ان يفلح الرجاء فتعطي قطعة من الارض
 تنضم الى الابد رفات مولير في الحد (١) ،
 كانت آلاف من نقثاته التي اصبحت اليوم حديث المعجبين ،
 تلفظها اذواق الحمقى على مشهد منا اجمعين ،
 وكان الجهل والضلال ، كلما جاد باللاهي ،
 ياتيان في زي مركيز او في ثوب كوثيس ،
 ليعبوا اجمل الروائع ، ويسخرها من انفس المقاطع .
 فارس كان يريد المشهد احكم وارق ،
 وشريف يخرج مغضباً والفصل الثاني يدق .
 هذا مناصر غيور للاتقياء المهنئين ،
 يرى له (١) الحرق جزاء ما سطرت أنامله .
 والآخر مركيز ثائر قد ناصبه العدا ،
 يريد ان يثار للقصر المهان في المسرح .
 ولكن ما كادت المنية بسهم فاجع من يديها ،
 تمحو اسمه من عداد الاحياء وتستردده اليها ،
 حتى بادروا يعترفون بنفاسة الهامه المتواري .
 الملهاء النظرية قد ووريت معه الثرى ،

(١) مولير . هاجم مولير في رواية «طرطوف» المنافقين والمتجربين بالتقوى ، فامتنع رجال الدين عن قبول جثمانه اول الامر في مقابر المسيحيين . «المغرب»

فبعثاً ترجو الحياة بعد هذه الضربة القاضية ،
 ولن يقدر لها يوماً ان تنصب على قدميها .
 هكذا كان مصير المسرح الضاحك بين ظهرائنا .
 فانت الذي ، باعتلائك مسرح المآسي ،
 تحذو مثال صوفوكليس (١) ، وتنفرد دون كثير من العقول ،
 بقدرتك على التماس المزاء لباريس عن شيخوخة كورني (٢) ،
 ما اجدرك ان تنزع عن ذهولك للغيرة الثائرة ،
 فتلحق باسمك صداها المسموم تارة ،
 وتطارذك يهتانها تارة أخرى .
 بهذا وبغيره ، ان السماء التي تسد خطانا
 لتتألق ياراسين بعميق حكمتها .
 ان النبوغ ليغفو في هدأة التواني ،
 بيد ان الحسنة لا يحفزون عبقرياً ،
 الا "صعد الى ذروة فنه وحلق .
 فما ارادوا له الوهن الا "نما وارتفع :
 « فسئنا ، مدينة بوجودها لما رفق « السيد » من جور ؛
 ولعل ريشتك تدين لمفتدي « اندروماك »
 بانبل النفثات التي اودعتها « بريتاينيكوس » (٣) ،
 وانا الذي لم يذع لي هنا من المجد المبين ،
 ما تقدي به عيون الحسنة الكامدين ،
 غير طبع حر وعقل غير منقاد ،
 اجديا علي منذ طراوة عودي اعداء نافعين ،
 اراني مديناً لفضيهم ، والحر من يعترف ،

(١) صوفوكليس ، شاعر يوناني اشتهر . آسبه في القرن الخامس قبل الميلاد . كان راسين يقفو
 أثر «اوريبديدوس» ولكنه بلغ في الكمال مرتبة صوفوكليس . (٢) كان كورني قد اعتزل المسرح
 ثلاث سنين خلت (١٦٧٤) (٣) اندروماك وبريتاينيكوس : «أساتان لراسين

لا لثناء الباهت الباطل تعمري به فرنسا .
 ان سخائم التي تحرق للانصباب علي ،
 لتعني ان اثر الكلم من غير روية ولا تهذيب ،
 لما تخاطر براعي بلفظ الا بعد ان افكر
 بالعين الشائنة تمجدي بها جماعتهم .
 اعرف كيف انهض من كبوتي بارشادهم
 وكيف استغل ما كر اضفانهم .
 فما تكاد تقيصة تشمرم باخالي ،
 حتى اعرف كيف اجيبهم بالابي .
 وكلا فكروا ان يصموني بالاجرام
 فكرت ان ازداد فضيلة لأضمن الانتقام .
 فلتكن لك بي اسوة ، فاذا ما اراد خفضك
 جماعة من طغام (١) الكتاب المأفونين ،
 فانتفع من حقدهم ومن ذوقهم العقيم ،
 واضحك من ضجيجهم العابر ومن صياحهم القاصر .
 فماذا عسى ان تضر اشعارك جهالتهم الباطلة ؟
 ان مهبط الالهام الفرسي قد تشرف بقريحتك ،
 فهو يستطيع ان يثبتيك امام هذه الدسائس
 وان يستثير لساعتك المستقبل المنصف .
 ومن ذا يرى ذلك الألم الفاضل
 تعانيه « فيدر » غادرة داعرة على الرغم منها ،
 فيثير اعجابه هذا العمل الفد النبيل ،
 ثم لا يبارك على الفور عصراً سعيداً
 اصبح ذائع الصيت بسامي رباتك
 وشهد ولادة هذه الاعاجيب الفخمة تحت اناملك ؟

(١) الطغام : اوعاد الناس

ومع ذلك فانك هنا بعض اللوام* يرغون ويزبدون ،
 فلقد طالما أثار حفيظتهم عذوبة* اشعارك .
 ما بهم اشعارنا ان تنال من « بران » اعجابه ؛
 وان يبادر مؤلف « جونا » اليها بقراءته ؛
 وان تسحر شاعر « سافلي » البليد ؛
 او المترجم الجاف للفرنسي « آميو » ؛
 اذا كانت قوافيها تنشد في جلال
 فيستطيعها الشعب ، والعظماء ، والاقاليم ؛
 اذا كان في مسكنها ان تنال استحسان اقوى الملوك ،
 وكان « كورندي » يأذن ان تلقى في حضرته بعض الاحيان ؛
 وكان « انجيان » منها متأثراً ؛ وكان « كولبير » و « فيفون »
 و « لاروشفوكو » و « مارسياك » و « بومبون » ؛
 وألف* آخرون استطاع في هذا المقام ان اعددهم ،
 اذا كانوا جميعاً يرضيهن لطيف معانيها ويحرك شعورهم ؛
 وعسى الله ان يتوج العمل فيضم « مونتزيه » صوته الى صوتهم ؛
 الى مثل هؤلاء القراء انما اقدم اشعاري ؛
 اما تلك الكتلة الجافية من العقول الخياف ،
 ومن المعجبين الغياري بالتأليف المجاف ،
 فعليهم ان يذهبوا غير بعيد من دار التهريج
 من دون ان يبحثوا في الشعر عن ايفاع او تجويد ،
 الى حيث يعجبون بعلم صاحبهم « برادون » (١) .

شذور من كتاب « فن الشعر » : — من النشيد الاول (٢) :

عشاً يفكر الشاعر المهور على جبل القرائح

(١) رجينا في هاتين القصيدتين وشرحهما الى : Des Granges 116 - 124

(٢) نذكر الى جانب كل بيت رقه في الانشودة ،

- ٢ ان يعتلي القمة من فن القريض :
- ٣ فان هو لم يشعر بالهام الساء الخفي
- ٤ وان كان نجمة حين الولادة لم يجيله على الشعر
- ٥ فهو من ضيق موهبته دائماً في أسر
- • •
- ٣٠ القافية عبد رقيق ليس له الا ان يطيع .
- ٣١ فاذا ما جهد المرء بدياً في نشدانها
- ٣٢ صرّ الذهن في يسر على الوصول اليها ؛
- ٣٣ فهي تنحني للعقل من غير ما عناء ،
- ٣٤ وما كانت لتعوقه ، بل تمدّه بالعون والثراء .
- ٣٧ أحبوا العقل اذن : ولتستمد منه من الدوام
- ٣٨ تأليفكم الوضاعة والقوة والانسجام
- • •
- ٤٥ كل شيء يجب ان يعتمد على الذوق السليم :
- ٤٦ بيد ان السبيل اليه كثير المزالق محفوف بالمخاطر .
- ٤٧ ما ان تكاد تنحرف عنه حتى يدهمك الفرق .
- ٤٨ والعقل حين يجري لا ينبغي له ان يمدد الطرق .
- • •
- ٤٩ من المؤلفين احياناً من يطنى غرضه ويتحكم
- ٥٠ فما يغادر موضوعاً الا استنفده فما فيه متنسم .
- ٥١ فان صادف قصراً وصف لي واجهته ،
- ٥٢ ثم سار بي فيه من رصيف الى رصيف ؛
- ٥٣ فهنا يبرز درج ؛ ويطل هناك مر ؛
- ٥٤ والى جانبه شرفة تحيط بها قضبان الذهب .
- ٥٥ انه ليعد من السقوف الدوائر المستديرة والمتطاولة ؛
- ٥٦ « إن هذه إلا اكليل ، وما هي الا نقوش . »
- ٥٧ اني لا غفل عشرين ورقة حتى اصل الى نهايته ،

- وما اكاد انجو بنفسي من وصف حديقته .
 ٥٨
 تجنبوا لكثائر هؤلاء المؤلفين الجديب ،
 ٥٩
 ولا تحمّلوا انفسكم عناء تفصيل غير مصيب .
 ٦٠
 كل حشور او تطويل فهو تافه كرهه ،
 ٦١
 يلفظه في الحال كل عقل شبيح (١) .
 ٦٢
 ان من لا يعرف الايجاز لأجل الناس بالكتابة (٢) .
 ٦٣
 . . .
 يا طالما ساق الخوف من شر الى شر اكبر :
 ٦٤
 هذا بيت لئين تخنيث ، فأنت تردّه الى ييس وصر ؟
 ٦٥
 وقد انجذب الاسهاب ، فأقع في الغموض .
 ٦٦
 . . .
 أنريد ان تحظى بحب الجمهور واكباره ؟
 ٦٩
 ادن فخالف بين المعاني ومشقّي في الاساليب .
 ٧٠
 ان اسلوباً رديئاً متساوي النهج
 ٧١
 لا يجديه البريق في اعيننا ، ولا يد ان ينمنا .
 ٧٢
 . . .
 اياً كان ما تكتب فاحترس من الابتذال :
 ٧٩
 ان اغزر الشعر معنى وابله فكرة
 ١١١
 لن يرضي العقل اذا آلم الاذن .
 ١١٢
 . . .
 واخيراً جاء « ماليرب » ، فكان الاول في فرنسا
 ١٣١
 حين نبه الاحساس في الشعر الى صحة الايقاع ،
 ١٣٢
 وارشد الى سلطان الكلمة نجيء في مكانها المناسب ،
 ١٣٣
 واخضع القريحة لقوانين الواجب .
 ١٣٤
 واذ هذب هذا الكاتب الحكيم حواشي اللغة
 ١٣٥

(١) رجل شبيح العقل : وافره - عن القاموس المحيط ، مادة شع . (٢) يقول فولتير :
 سرّ الاملال ان تقول كل شيء .

- ١٣٦ فقد تخلصت عن كل ما يثقل على الاذن المهذبة ؛
 ١٣٧ وتهيب البيت^١ ان يعاظم (١) الآخر .
 ١٣٨ الكل اعترفوا بتعاليمه ؛ وهذا القائد الأمين ،
 ١٣٩ ما زال الي يومنا نمودجاً للكاتبين .
 ١٤٠ سيروا اذن على آثاره ؛ أحبوا نقاوة لفظه ،
 ١٤١ واقتدوا بمجودة رصفه وجلاء اغراضه .
 ١٤٢ اذا تأخرت معاني شعركم على الافهام ،
 ١٤٣ مشغل فكري عنها في الحال وأمضه الابهام .
 . . .
 ١٤٧ هناك بمض الاذهان ذوات الافكار المظلمة
 نحوم حولها دائماً سحابة ثخينة مُعْتِمَةٌ ؛
 ولا يستطيع نهار العقل ان ينفذ اليها .
 قبل ان تكتب تعلم اذن ان تفكر .
 فحسب ما تكون الفكرة عندنا فامضه او واضحه
 تجري وراءها العبارة طيعة او جامحة .
 ١٥٣ ان ما ينجيد ادراكك ينجيد عنه الابانة
 ١٥٤ وتثال الالفاظ موضحة في يسر واستكانة .
 . . .
 ١٥٧ عبثاً تحاول ان تستميلي بالنعم الشجي^٢ ،
 ١٥٨ ونسجك مهلهل وأسلوبك غير تقي .
 ١٦١ فلو لا اللغة لسكان أكثر المؤلفين إلهاماً ،
 ١٦٢ في كل حين ، ومهما اجتهد ، كاتباً هداماً .
 . . .
 ١٦٣ اعمل في اوقات الفراغ ، اياً كان الداعي والاقتضاء ،
 ١٦٤ ولا تلقِ بالاً قط للسرعة الحقاء ؛
 ١٦٥ فالريشة العجلى اذ تثب من بيت الى بيت

(١) من تماثلت الجرادتان : اذا ركبت احدهما الاخرى .

- أدب على غباء الكاتب منها على ذكائه .
 ١٦٦ افضل ساقية تجري في وناء وقتور
 ١٦٧ فوق رمل ندي في سهل فواح بالمطور ،
 ١٦٨ على سيل جارف يسير صخابا ،
 ١٦٩ فوق ارض حبيثة ، قد امتلأ حصى وترابا .
 ١٧٠ اسرعوا في اناة ، ومن غير ان تفقدوا الشجاعة
 ١٧١ اعيدوا النظر فيما تكتبون مراراً على ضوء الصناعة :
 ١٧٢ اصقلوه بلا انقطاع واعيدوا صيقله
 ١٧٣ اضيفوا حيناً واحذوا احياناً .
 ١٧٤

. . .

- قليل في كتاب تزدحم فيه الأخطاء
 ١٧٥ أن تلتصيح بين حين وآخر بوارق الذكاء .
 ١٧٦ لا بد ان يكون كل شيء في مكان لائق ؛
 ١٧٧ فالأول بجاري الوسط والآخر .
 ١٧٨ لتجهز كل مقطوعة بفن محكم دقيق ،
 ١٧٩ فلا يكون من اجزائها غير كل واحد وثيق .
 ١٨٠ لا ينبغي للحديث ان يبتعد عن الموضوع
 ١٨١ ليلتمس من بعيد كلمة دات بهاء .
 ١٨٢

. . .

- اتحنى على اشعارك ملامسة الجمهور ؟
 ١٨٣ ادن ليكن لك من نفسك ناقد غيور .
 ١٨٤ فالجهالة في كل حين بنفسها جدد فخور .
 ١٨٥ التمس لشعرك اصدقاء في نقدك سراع ؛
 ١٨٦ وليكونوا امناء مخلصين لما يخطئ منك اليراع ،
 ١٨٧ وليكونوا على حقواتك جميعاً خصماء اشداء .
 ١٨٨ لمنزع في حضرتهم عن زهو المؤلفين ،
 ١٨٩ ولكن لا يلبس (١) عليك الاصدقاء بالمداجين (٢) .
 ١٩٠

(١) لا يختطن عليك (٢) المرائين .

- ١٩١ ذلك الذي تظنه بهتف لك لهو ساخر منك مخاتل .
- ١٩٢ أحجب أن يتوجهوا إليك بالقول النصيح ؛ وأقل اللغو والمديح .
- . . .
- ١٩٣ ما اسرع المراتي صياحاً وإعجاباً :
- ١٩٤ لا يسمع بيتاً الا امتلاً ذهولاً واستغراباً .
- ١٩٥ لا يتقل على اذنه لفظ ، فالكل جميل آلهي ،
- ١٩٦ يلطم برجله الارض فرحاً ، ويذرف دمع الحنان ؛
- ١٩٧ ويفمرك حيثما كان بالاماديح الحسان .
- . . .
- ١٩٩ الصديق الحكيم شديد لا يعرف الكلال .
- ٢٠٠ ابدأ على زلاتك لا يتركك هادي البال .
- ٢٠١ لا يفقر لك يوماً مواضع أنت فيها متهاون ،
- ٢٠٢ ويرد الى المسكان الملائم كل شعر غير متوازن ،
- ٢٠٣ يهذب حواشي الالفاظ وينقي عنها التكلف .
- ٢٠٤ العبارة هنا تؤذيه ، والمعنى هناك لا يرضيه .
- ٢٠٥ تركيبك فيما يظهر يرين عليه من القموض غشاء .
- ٢٠٦ فالتعبير هنا متجاذب (١) ينقصه بعض الجلاء .
- ٢٠٧ بمثل هذا يحدثك كل صديق صدوق .
- . . .
- ٢٠٨ غير ان الناظم العريذ في الكثير الغالب ،
- ٢٠٩ يظن انه مستول عن حماية شعره من كل ثالب ،
- ٢١٠ فهو يبري للدفاع عنه اولاً فأولاً .
- ٢١١ فان قلت له ان العبارة في هذا البيت لا تهتدي .
- ٢١٢ اجابك في الحال : على هذا البيت ياسيدي
- ٢١٣ ارجو منك الصنف . فان قلت هذه كلمة باردة ،

(١) اي متردد بين منين ، لا يعرف الفكر ايها يختار

- ٢١٤ أفضلُ حذفها ، ادعى أنها كلمة جميلة شاردة !
 ٢١٥ او قلت هذا التركيب لا يعجبني ، قال انه موضع اعجاب الناس .
 ٢١٩ ومع ذلك فهو يومك انه يحب النقد ويكبره ،
 ٢٢٠ وان لك على شعره سلطاناً قاهراً بأسره .
 ٢٢١ غير ان هذا الكلام الجميل يرطبُ به خاطرك
 ٢٢٢ ما هو الا فخ أريب لتعير السمع شاعرك .
 ٢٢٣ انه تاركك في الحال مرتضياً قريحته ؛
 ٢٢٤ فلتنم في مكان آخر غيباً يكون خدعته (١) ؛
 ٢٢٥ وانه على الأرجح واجده : فمصرنا بيلداء المعجبين
 ٢٢٦ خصيب خصبه باغبياء المؤلفين ،
 ٢٢٧ فالى جانب اولئك الذين تقدمهم المدن والاقاليم
 ٢٢٨ تجمد طائفة في كنف الدوق واخرى في راية الأمير .
 ٢٢٩ كل مؤلف بارد بليد بين رجال القصر الأكرمين (٢)
 ٢٣٠ لا بد ان يصادف بين حين وآخر شيعه مناصرين .
 ٢٣١ ولا يخلص من مقال الى سهم في الهجاء أقول :
 ٢٣٢ لا يعدم الغبي أغبى منه يحظى عنده بحسن القبول .
 وهالك بيتين من الانشودة الثانية :
 بيد انك ان اردت ان تحيد التعبير عن هذه الالهواء
 فقليل ان تكون شاعراً ، ولا بد ان تكون طاشقاً (٣).
 ومن الانشودة الثالثة :
 لم أرَ للواقع احياً من الحق مشابهاً .
 ليس للعجوبة الخرقاء في عيني جمال :
 لا يثير العقل الا ما جرى في الاعتقاد (٤) .
 ومن الانشودة الرابعة
 كان في فلورنسا قديماً يعيش طبيب

(١) الخدعة : من يخدعه الناس كثيراً (٢) لا وجود لهذه الكلمة في الاصل (٣) الانشودة الثانية ، البيتان ٤٣ - ٤٤ وهما بيتان اهمية الصدق في الشور . (٤) الايات : ٤٨ - ٥٠

- ٢ عارفٌ بالهذير ، فيما يقولون ، وقاتل أريب ،
 ٣ استطاع وحده ان يردّ الجمهور طويلاً الى الشقاء :
 ٤ فهناك ابنٌ يقيم يطالب بأبيه ،
 ٥ وهنا اخٌ مسموم أسال دمعَ أخيه .
 ٦ احدهما مات منزوفاً (١) ، والآخر بعقار السنّ (٢) مخطوفا .
 ٧ فالزكام لدى مرآه يتحول الى ذات الجنب .
 ٨ والصداق بفضلّه لا يلبث ان يصير جنوناً .
 ٩ واخيراً ترك المدينة مشيعاً باللعنات .
 ١٠ هلك اصداؤه الكثر ولم يبق غير صديق واحد ،
 ١١ فقادّه الى داره الأنيقة البنيان :
 ١٢ لقد كان راهباً غنياً ، مولهاً بهندسة البناء .
 ١٣ وفي الحال ظهر الطبيب كأنما ولد في احضان هذا الفن ،
 ١٤ وأنشأ يتحدث عن المباني كما يتحدث أشهر المهندسين :
 ١٥ هذه صالة تشاد فلا ترضيه واجبتها ؛
 ١٦ وذلك دهليز مظلم يختار له مكاناً آخر ،
 ١٧ وهو يجبدلو أدير الدرج على غير هذا النحو .
 ١٨ وقد اقتنع الصديق بوجهة نظره ، واستدعى معماره .
 ١٩ فأقبل الرجل ، وأصغى ، واعترف بأخطائه .
 ٢٠ واخيراً فلا نطيل عليك المقال عن تلك الاعجوبة المضحكة ،
 ٢١ ان صاحبنا القاتل قد عدل عن فنه القاسي .
 ٢٢ فمن الآن اذ ترك الطبابة التي تحوم حولها الظنون ،
 ٢٣ تراه والمسطرة والزاوية بين يديه ،
 ٢٤ قد تحول من طبيب شرير الى مهندس مفيد .
 ٢٥ ان أمثلة هذا الرجل لقدوة حسنة لنا .
 ٢٦ اجدر بك ان تكون بناء ، اذا كانت هذه موهبتك ،

(١) فاقداً دمه (٢) السنّ : نات طي .

٢٧ او صائناً محترماً في احدى الحرف النافعة ،
 ٢٨ من ان تكون كاتباً عادياً او شاعراً ردياً .
 ٢٩ ان في الفنون الأخرى لدرجات متفاوتات ،
 ٣٠ ولا يصير المرء أن يكون في الصفوف الثانية ؛
 ٣١ غير انه في فن النظم والكتابة الخطير ،
 ٣٢ ما من درجة بين المتوسط والحقير .
 ٣٣ ان وصفت الكاتب بفتور النفس فقد وصفته بالفثالة .
 ٣٧ المجنون في الأقل يهز اعطافنا ضحكا وسرورا ؛
 ٣٨ والكاتب البارد لا يوسعنا إلا سأمًا وفتورا .

• • •

٤٩ أصغ الى كل انسان ، مستشيراً دائماً ،
 ٥٠ فقد يفتق عليك الاحتمى رأياً صائباً .
 ٥١ ومع ذلك ، أيا كان الشعر الذي يلهمك ابولون ،
 ٥٢ فلا تبادر في الحال الى قراءته في كل مكان .
 ٥٣ احترز ان تقلد ذلك الناظم الصُّرعة ،
 ٥٤ يدنو من كل من يلقاه بالتحية ،
 ٥٥ فيتلو عليه سخائفه بالنفمة الشجية ،
 ٥٦ ويطارد بأشماره كل عابر سبيل .
 ٥٧ ما من معبد مقدس ترعى حرمة الملائك
 ٥٨ بعاصم لك يوماً من بنات افكاره .

• • •

٥٩ لقد سلف عليك أن أحب الانتقاد ،
 ٦٠ وصحح على حكم العقل وكن سهل المقاد .
 ٦١ ولكن اياك ان تدعن حالما يتوجه اليك غبي باللام .
 ٦٩ ان نصحه لخوف ؛ وإن حملت قوله بحمل اليقين ،
 ٧٠ فما نجوت من تهلكة إلا لتصبح في الفارقين .

• • •

- ٧١ انتخب ناصحاً راسخ القدم مأمون النقية ،
 ٧٢ العقل يسدد خطاه والمعرفة تنير سبيله ،
 ٧٣ ينتقب قلبه المكين عن الهفوات في الحال ،
 ٧٤ ويكشف مواضع الوهن في تضاعيف المقال .
 ٧٥ هو وحده يهتك ظلمات شكوك المضحكة ،
 ٧٦ ويزيح الوسوس عن ذهنك الخائف .
 ٧٧ هو الذي يبين لك بأي حساسة ناجحة ،
 ٧٨ حين يسير الفكر الوثاب احياناً في مجراه ،
 ٧٩ "مخرجه ضيق الفن ، فيخرج على مرسوم القواعد ،
 كما يملك ان تتجاوز حدود الفن نفسه .
 بيد أن هذا الناقد الكامل نادر الوجود :
 هذا يجيد حوك القريض وتموزه صحة الاحكام .
 وذاك أقام لنفسه شهرة في نظم الكلام ،
 ٨٢ وهو لا يميز د فرجيل من د لوكان ، (١) .
 ٨٥ ايها المؤلفون ، أعيروا تعاليمي اسماعكم .
 ٨٦ أتريدون ان تحببوا الى الناس ايكار معانيكم ؟
 ٨٧ اذن فلتضف على الدوام قريحتم الولود
 ٨٨ لطيف الفكاهة الى كل درس مفيد .
 ٨٩ القارئ اللبيب يتجنب العبث في تسليه ،
 ٩٠ ويريد ان يعود عليه بالربح كل وقت يمضيه .
 . . .
 ٩١ حين تصورون النفوس والعادات في تأليفكم ،
 ٩٢ عليكم ألا تمرضوا ابداً إلا نبيل تصاوركم .

(١) فرجيل : Virgile هو كبير شعراء اللاتين ، وناظم « الاينادة » ٧٠ - ١٩ ق م -
 ولوكان Lucain شاعر لاتيني ، دخل بلاط نيرون وهو في مقتبل عمره ، وصادقه ؛ ثم تأمر عليه ،
 فاكشف امره ، وأكره على قطع شرايينه : ٣٩ - ٦٥ ق م .

- ٩٣ لا استطيع ان أوقر هؤلاء الكتاب المفسدين ،
 ٩٤ الذين اولو الشرف ظهورهم مقبوحين ،
 ٩٥ واختانوا الفضيلة على اوراق ائمة ،
 ٩٦ فزبنوا لقراهم الرذيلة وحببوا اليهم الجرعة .
 . . .
 ٩٧ بيد اني لست من اولئك العقول الكارئة ،
 ٩٨ قد ابعدت الحب عن كل مؤلف عفيف ،
 ٩٩ وارادت ان تحرم على المسرح كل زينة خصية ،
 ١٠٠ واعتبرت سماً دافعاً امثال رودريك وشيمين (١) .
 ١٠٨ احبوا الفضيلة اذا ، غدوا بها نفوسكم .
 ١٠٩ عبثاً يعتلى الفكر فيبيل الحماسة :
 ١١٠ فالشمر يزخم دوماً بما في القلب من خسارة .
 . . .
 ١١١ تجنبوا مخافة تجنبوا ذلك الحسد الذي ،
 ١١٢ فهو في العقول الجافية جنون ماكر وبئ .
 ١١٣ ما كان للكاتب العظيم أن يصلى بنار الحسد ؛
 ١١٤ فهو شعار النبوة والمهانة الى الأبد .
 ١١٥ هذا المنافس العبوس للكفاية الألمية ،
 ١١٦ يأتمر بها على الدوام عند ذوي الركب السنية (٢) ،
 ١١٧ ويجهد من غير طائل ان ينتصب على قدميه ،
 ١١٨ ويريد ان يضمها كما تكون قريباً اليه .
 ١١٩ لا ينبغي لنا ان نتحدربداً الى هذه المسكائد الوضيعة ؛
 ١٢٠ ولنول ظهورنا شرفاً هذه الصغار الى ذريعة .
 . . .

(١) يمرض بوالهنا بجمعتي الجالسنيين ، وكان على ميله الى لا يجاريهم في وساوسهم الادبية .
 (٢) لعل بواله يمرض هنا بالذين سموا ثلاً ينشر « فن الشعر » .

- ١٢١ لا يـكونن القريض على المدى شاغلـك ،
 ١٢٢ فارـع عهد الاصدقاء ، وكن رجل صدق ووفاء :
 ١٢٣ قليل ان تكون لطيفاً مستظرفاً في كتاب ،
 ١٢٤ فأعلم كيف تعيش وكيف تدير الخطاب .
 . . .
 ١٢٥ اعمل للمثل الأعلى ، فلا ينبغي للريح الزائل
 ١٢٦ ان يكون يوماً هدفاً يسمى اليه الكاتب الكامل (١) .
 ١٢٧ أعلم ان للفكر النبيل ، من غير عار ولا اثم ،
 ١٢٨ أن يفيد من عمله ربحاً حلالاً على الدوام ؛
 ١٢٩ غير اتي لا أجيز لهؤلاء الكتاب النبلاء ،
 ١٣٠ أن يبنذوا المجد ويطمحوا في طلب الثراء (٢) .



(١) يقول لويس بن الشاعر راسين ان بوالو أكد له أن أحداً من الكتّيبين لم يدفع له قط ثمن أي من كتبه . (٢) يعرض هنا بكورني ، وكان يشد الربح ليعول أسرة كبيرة .

راسين RACINE ١٦٣٩ - ١٦٩٩

اعتزل كورني المسرح غضبان أسيفاً لاختراق روايته « برتاريت » (١) ١٦٥٢ ، فخلقه على زعامة المأساة اخوه توماس والشاعر « كينو » (٢) . وكلا الرجلين لم يوفقا الى انتاج سريٍّ بموضع المسرح مما خسره بعد أفول نجم كورني . أما توماس فهو من اولئك الأدهان المتوسطة التي تخوض في كل فن ، ولا تتفوق في فن . انسحب على اذيل اخيه ، فأخذ يردد في تمثيلياته نفمة السياسة والواجب والحب الشريف ، وصاغ الحكيم الكثيرة ، في اسلوب ركّ لفظه ، وتهوشت معانيه ، وظهر اثر التقليد فيه . وأما كينو فقد كان يميل في بداية امره الى التكلف ويسوق الحوادث على غير الطبيعة ، حتى سخر منه بوالو وناصبه العداء . ثم استقام له بعض التمثيليات الغنائية ؛ ولكنه لم يكد يرى تألّق نجم راسين ، حتى ربأ بنفسه ان يضع غطاءه الى جاذب روائع الشاعر العظيم ، وانقطع عن كتابة المآسي (٣) .

. . .

ولد جان راسين في مدينة « فرته ميلون » (٤) قرب باريس ، عام ١٦٣٩ ، من اسرة متوسطة الحال ؛ وفقد أبويه وهو طفل ، فتولته جدته ، ثم ما لبثت ان دخلت الدير ، وعهدت بترتيبه الى جماعة الجانسينيين في « بورويال » ، فلم يذخروا جهداً في تنقيفه وغرس مبادئهم في نفسه ، وُعنوا بخاصة بتعليمه من الآداب اليونانية وأشربوه حبها (٥) . ولما بلغ التاسعة عشرة قصد الى باريس ، وهناك تحرّر من قيوده واتصل بالهيجان ، وتوطدت اواصر الصداقة بينه وبين الشاعر لافونتين ، وفظم بعض الاشعار . وقد أعجب الأديب « شابلان » بقصيدة نظمها راسين بمناسبة زواج الملك ، ثم اتبعها بأخرى يهنئه فيها بابلاله ، وبثلاثة نالت استحسان « بوالو » وكسبت صداقته . ان تشجيع « شابلان » كان يمد امراً ذا بال في ذلك الحين ، لنفوذه الكبير في القصر . ورقى خبر الشاعر الى الملك فأجازه ووالى عليه النعم . بيد أن المنزلة السامية لم يكن

(١) Pertharite (٢) Quinault (٣) Lanson 535 - 537 ثم مادة Mauriac 1-17 (٥) Fertet-Milon (٤) L.U. في Quinault



RACINE راسين

يُتوصَّل إليها آنذاك بعيداً عن المسرح ، فهو الآن يرؤى نفسه على كتابة المساءة ، ويخالط الفنانين والمثليين . . . وتسامع به جماعة بور رويال ، وهم من عرفت بالورع والتشدد فبالهم الامر وتعاونوا مع أسرته على ارساله الى احد اخواله من رجال الدين في مقاطعة « لانقادوك » ، وكان قد وعد ان يلتحق للفتى عملاً ويعنجه بعض المال . هناك عكف الشاعر على المطالعة والنظم والكتابة الى اصدقائه الباريسيين . ولما طال به الانتظار ولم يجد العمل والمال اللذين وعد بهما ، قفل راجعاً الى باريس ، وقد رست قدمه في الأدب وتفتحت شاعريته (١) . انه الآن ولي امره ، إذ لم يبق من أسرته غير عمه ناسك في « بور رويال » كانت لا تتي تناشده ان يهجر مجونه ويؤوب الى الله . عاد الى لافوتتين ، ذلك الشاعر الشارد الذي كان يكبره بتسع عشرة سنة ، ولكنه كان في سذاجة الطفل تقالبت عليه الشهوات فاستسلم لها ورضي بها ؛ وعاد الى بوالو ، ذلك الناقد المعروف بنصاحة الرأي وطيب السرية ، وهو الوحيد الذي رضي راسين ان يجعله منه بمنزلة الاستاذ الموجه ، لانه آنس فيه الصديق المعجب الحاضر الذهن المتشدد في الحق . ثم عرف مولير الذي مثل له اولى مآسيه « لانيائيد » (٢) . لقد حطمت غريزته الحبيسة آخر قيودها . هؤلاء هم اصحابه ؛ معهم كان يغدو الى كبريات الحانات كالخروف الابيض (٣) و صليب اللورين (٤) . انه ليرى الرقصة الاحرار ، ويتذوق اللذات ويسترسل في الأهواء ، وعلى الجلبة فقد كان يحيا الحياة التي سيصورها (٥) . ولما اخرج مسرحية « الاسكندر » انقطع آخر أمل لاساتذته في استصلاحه ، وكتب احدهم أن واضعي القصص والتشليلات ينفثون السم في نفوس المؤمنين ، وانهم كلما حرصوا على ان يغطوا بنقاب من الفضيلة الأهواء الأثيمة التي يصفون ، زادوا في خطورتها وقدرتها على افساد النفوس البريئة . ورأى راسين انه هو المعني بهذا الكلام ، فكتب رسالة لاذعة صب فيها مكنون حقه على هؤلاء السادة الذين أولوه الجليل : « تستطيع يا سيدي ان تستعمل عبارات ارق من قولك اني انفث السم ، واتي من قوم أشرار بين المسيحيين . أفتراك تظن انك واجد من يثق بما تقول ؟ كلا ، كلا ، فالتناس لم يألفوا ان يصدّقوك في سهولة . . . هيه يا سيدي ، بحسبك ان توزع الدرجات في الآخرة ، واياك ان

(١) المصدر السابق 47، 38، 28 ثم 539—538 Lanson (٢) La Thébaïde

مثلت ٢٠ حزيران ١٦٦٤ (٣) Le Mouton Blanc

(٤) La Croix de Lorraine (٥) 52 Mauriac 539—540 Lanson

تقرر المحوبة في هذه الدنيا . ، وكان راسين يريد ان يتابع رسائله اللاذعة ، ولكن بوالو ، بوالو الطيب ، يتدخل ويحول بين الشاعر ورغبته ، ويقول له انك تهاجم اشرف من عرف الناس . سيندم راسين فيما بعد على ما فرط منه أمر الندم ، فقد صرّح في أعقاب ايامه ان رسالته هذه كانت أظهر ما في حياته من عار (١) ؛ لعله ان يكون على بعض الحق في رده ، اذ لم يكن في انتاجه الخطر الذي يتوهمون ، وليس من المعقول ان يسلك الناس كلهم الطريق الذي يسلكون ؛ ولكن في استطاعة الشاعر ان يتأدب مع قوم أسلفوا اليه بدأ وان يجادلهم بالمعروف ، وألا ينسى الدوافع النبيلة التي اثارت شكوكهم وخاوفهم ، بل كان عليه ان يذكر ان عبقريته هي من غرس يدهم ومن محصول جهدهم الى حد كبير .

نستطيع ان تبين الآن صفات شاعرنا البارزة : شعور في منتهى الرهف وفكر لاذع ، وانانية في نزق ، وحمية عارمة ، مازالت في عنفوانها حتى قدر لها ان تعود الى حظيرة الدين ، فطامن من حديثها ، وألزمها جانب الاعتدال (٢) . لعلك تستغرب هذا التناقض بين راسين الوديع في مآسيه ورأسين اللاذع الكاوي في موقفه من خصومه ؛ بيد ان هذه حال الانسان في الغالب ، يكون فيه من الثورة والنزق بقدر ما فيه من الهدوء ولين الجانب (٣) .

اما صداقته لمولير فلم تكن وثيقة ولا طويلة ؛ وذاك ان فرقة مولير لم تكن تجيد تمثيل المآسي ، فما كادت هذه الفرقة تمثل « الاسكندر » حتى أوجس الشاعر خيفة واحس فتور الجمهور . على ان الرواية قرئت قبيل ذلك على طائفة من علنية القوم ، فيهم الاديب الكبير لاروشفوكو والكاتبين اللامعتين : مادام لافايت ومدام دوسيفنيه فأصغوا اليها في حماسة بالغة ؛ ان قصور مسرح مولير في هذا الميدان معروف لا يحتاج الى دليل ، كل الممثلين ، ما عدا الآنسة دي بارك (٤) كانوا لا يحسنون الادوار الجدية التي تدور حولها مآسي راسين . هذا فن حذقته فرقة أخرى كانت تمثل في قصر بورجونني (٥) ، وكان بينها وبين فريق مولير في القصر الملكي (٦) منافسة شديدة . فما كان من الشاعر الناشئ الا ان سحب روايته ووضعها بين يدي الفريق

Mauriac 65—70 (١) L.T. 275 (٢) Mauriac (٣)

Mlle Du Parc (٤) L'hotel de Bourgogne (٥)

Le Palais Royal (٦)

الخصيم ، ضارباً بمولير وصداقته عرض الحائط (١) ؛ مولير الشاعر الزميل الذي فتح له
ذراعيه مرحباً ومثل له أولى رواياته ، مولير الذي غرس فيه اصول الفن الصحيح ولقته
الى مافي البساطة وتصوير المواطن الانسانية من روعة وسداد ، مولير الذي كان
يقضي معه اوقات لهوه وصفائه . لقد يسوغ عمله هذا طبيعة 'الاديب الذي يعتدوه' (٢)
الاخلاص لفته عن كل ما سواه ، ولكنه تجاوز ذلك الى انه اغرى بعدئذ المثلة
دي يارك بترك مولير والانضمام الى الفرقة الاخرى ، وهو لا يجمل مكانها من فرقة
صديقه ومن قلب صديقه (٣) ؛

هل احب راسين هذه المثلة ؟ ينفي ابنه لويس ذلك ، يزعم ان ما يسود مسرح
ابيه من رقة لا سبيل الى رده الى ما كان يضطرب في نفسه من اهواء (٤) . غير ان
الثقة على أن الشاعر احب ، وصور جانباً من حبه في مآسيه . احب دي يارك هذه ،
واكتفى ما لبث ان ماتت ، وهي على فراش الولادة (٥) . واحب بعدها المثلة الشهيرة
« لاشاموسلي » (٦) ، ولعله احب غيرها كثيرات . ويجمع مؤرخو الأدب على ان
« مزاج راسين مفعم بالهوى . » ولا عجب في ذلك ، فقد كان الشاعر في اوج مجده ،
يتمتع بالشباب والوسامة والذكاء ، في بلاط مزدحم بالظرفاء والمحبين (٧) . ومما دار الأمر
فعاطفة الحب بمختلف انواعها ودرجاتها هي أبرز ما في مسرح راسين ؛ فهو شاعر الحب
الاول غير مدافع بين شعراء الاتباعيين .

وفي عام ١٦٦٧ اخرج الشاعر مأساته الخالدة « أندروماك » . يقول الناقد الكبير
جول لوميتير (٨) : « ان اندروماك والسيد هما اكبر حدث في تاريخ المسرح الفرنسي ،
فاندروماك هي المدخل الى مأساة الواقع السيكولوجي والهوى الغلاب (٩) . » ويقول الاستاذان
لانسون وتيفرو : « لاندروماك في تاريخ الادب اهمية « السيد » ، فقد استعاضت عن
كفاح الارادة بدراسة القلق الماطني ، او بتعبير أصح ؛ انها رغبت عن تمثيل الابطال
الذين يتجاوزون باعمالهم حدود المعقول ، الى تمثيل الانسان الذي فيه مشابهة مما فينا من
تناقض وضعف (١٠) . » والحق ان اندروماك هي فتح عظيم في الادب الفرنسي ؛ وقد

(١) Mauriac 55 عداة عن الأمر : صرفه عنه وشغله

(٢) Mauriac 57-58 (٣) Mauriac 75 (٤) مادة Du Parc في

L.U. ثم Mauriac 87 (٦) مادة La Champmeslé في L.U.

(٧) Mauriac 78-79 (٨) Jules Lemaître (٩) L.F.U. v : II, 18

(١٠) L.T. 276

بلغت من الفهم العميق للنفس الانسانية ، ومن التصوير الدقيق لمشاعرها واهوائها ،
 منزعا بعيدا لا يدانيها فيه غير القليل من آثار الفحول . لا نملك حين نشاهد اندروماك
 وما تلاها من مآسي راسين الا ان نعترف بان الشاعر لا يكدر العقل ولا يذهب مع
 الخيال ، وإن هي إلا اهواء النفس وآمالها ومخاوفها ينهل منها الشاعر ويعمل . وهذا
 هو الجانب الأهم في ادب راسين على ما نرى . فقد حول الانظار سلفه العظيم كورني
 الى ميدان النفس الرحيب ، وجعل تصوير العواطف والطباع هم الاديب الاول . فلما
 جاء راسين وجد الطريق قاصدة^(١) فسلكتها وفاق صاحبها في العدو في حليتها ؛ فانك
 ربما وجدت في مسرح كورني شيئا من جدل لا تدعو اليه الحال ، وربما لحت عنده
 بعض المعاني العقلية التي تنساق مع الخيال ، وربما كد الذهن واختلق المعاني . اما
 راسين فمعانيه تعرف من بحر الواقع النفسي وتمزج عن الاستنباط الذهني الزائف . ان
 عظمة الاديب رهينة بما في انتاجه من روح الصدق ، يستوي في ذلك الشاعر
 الفنان والكاتب المسرحي وغيرهما من حَمَلَةِ الاقلام . وليس معنى الصدق ان يتجنب
 الاديب الحديث المفتري والخبر الكذاب ، فهذا مطلب هين وتحصيل حاصل ؛ ولكن
 معناه الجري مع الطبع والأخذ من واقع النفس والحياة . وعلى هذا فاننا لا نطمئن كثيرا
 لذلك الشاعر الذي يلوّح لنا بمقدرته على اختراع المعاني ، لأن كلمة الاختراع تحمل في ثناياها
 معنى الكذب والتلفيق ، ولأن اللعب بالمعاني لا يختلف كثيرا عن اللعب بالألفاظ . انما
 يحوز اعجابنا ذلك الشاعر الذي يفوس في بحر الحياة الزاخر ويعمق في دراسة القلب
 الانساني فيعرضها لنا في أمانة وصدق . وهذا ما نبجده في ادب راسين . كل كلمة ينسب
 بها اشخاصه هي تعبير أمين عما يدور في اذهانهم من خواطر وفي قلوبهم من مشاعر ؛
 وكل خاطرة تسنح وشعور يستجدّها خطوة تسير بالعمل الروائي الى نهايته الطبيعية .
 ما أقل ما ينساق الشاعر وراء معنى يلتمع في خاطره ثم لا يكون له نصيب من تفكير
 البطل ومن احساسه ؛ وما أكثر ما تجدد ، بالمقابل ، ابطال كورني يندفعون في تفنيد
 منطقي وجدل عقلي وحكم براقه هي بتفكير الشاعر اشبه بنفسيته ألصق ؛ ولا سيما
 اولئك الفتيات العاشقات ، فما اغرب ما يبدو لك من خصب تفكيرهن ومن إيهالهن
 بالمناظرة والجدال ؛

نحن الآن في « ايبيريا » ، وهي بلاد يقع اكثرها اليوم في جمهورية البانيا ، وكانت

(١) قرية سهلة

في الماضي البعيد احدى ممالك اليونان المستقلة ، وفي بلاط « يروس » ، وقد انقضت تلك الحرب الضروس التي استمرت عشر سنين بين « طروادة » واليونان . وطروادة هذه مملكة كانت على الشاطئ الشمالي الغربي من آسيا الصغرى وكان يحكمها الملك « پريام » . وقد نشبت الحرب على اثر اختطاف « هيلين » ، امرأة « مينلاس » ، ملك « اسبارطة » ، اختطفها « باريس » ، ثاني ابناء پريام ، فهب اليونان جميعاً غاضبين ، وأصلوا طروادة حرباً شعواء ، كان « آشيل » ، ابو يروس ، بطلها الاول . وفي السنة العاشرة من هذه الحرب استطاع آشيل هذا ان يقتل « هكتور » ، اخا باريس ، وكبير القواد في مدينة طروادة ؛ ثم امر فأوثق من رجله وجرحه وطيف به ثلاثاً حول المدينة . غير ان باريس أنقذ الى آشيل سهماً مسموماً فأرداه ، وانقم يروس لابه ، فقتل پريام ، واخذ « اندروماك » ، زوجة هكتور اسيرة . ولما عاد الى بلاده ، أسس دولة ايديريا واصبح ملكاً عليها . هذه الحوادث خلدها هوميروس في ملحمتيه ، الايالة والاولديسا ، وخلدها فرجيل في الانبادة ، واستمد منها الشاعر اليوناني اوريبيدوس احدى مآسيه (١) ، ومن هؤلاء جميعاً استمد راسين قصته الخالدة (٢) ، بعد ان صرف النظر عما يلابس موضوعه من اساطير ، واحتفظ بالناحية الانسانية من الموضوع فقط .

قلت نحن الآن في بلاط « يروس » الذي كانت اندروماك وابنها « استياناكس » حظه من الفناء . لقد شففته الاسيرة حياً ؛ فجعل يؤخر زواجه من « هرميون » ابنة هيلين ومينلاس ملكي اسبارطة ، وكانت هرميون هذه قدمت الى قصره وهي تنتظر ان تزف الى خطيبها بهارغ الصبر . لم يكن ملوك اليونان يعلمون ان « استياناكس » ما يزال حياً . فلما بلغهم ذلك دبر عليهم الامر وخافوا ان يتركوا هذا الطفل على قيد الحياة فيشب على بغضهم وينقم لابه وقومه منهم ، فاجتمعوا يدرون الرأي ، ثم أوفدوا « اورست » ابن عم هرميون الى يروس ، ليرأوده عن أسيره ، وليبلغه سخط القوم ويحذره مغبة الرفض . فادا كان الفصل الاول رأينا اورست فرحاً بلقاء صديقه الوفي « بيلاد » بعد فرقة طويلة ، آملاً ان يكون ذلك بداية حظ باسم طالما عبس له ،

(١) راجع المواد التالية في موسوعة لاروس للقرن العشرين « La rousse du xxème siècle » :

Paris, Hector, Priam, Pyrius, Achille, Epire, Troie

(٢) مقدمة رواية Enéide, Andromaque, Hermione, Ménélas

15 - 17 Andromaque

ورأيناه يكشف صديقه بان حبه لابنة عمه هرميون هو الذي حمله على ان يسفر بين اليونان والملك ييروس ؛ فاذا لامه « بيلاد » على انه كان يكتمه هذا الحب ويضله عنه ، اجاب انه كان يضل نفسه كذلك ، فقد آلمه ألا تلتفت هرميون لاحزانه وان تبذل نفسها بسخاء الملك ابيريا ؛ فثار ثأره وقرر ان يجازيها على إهوانها أمره بالنسيان ، وخيل اليه ان البنض هو الذي يهيج ويخمد جذوة الحنان في نفسه . فلما قدم الى بلاد اليونان ورأى امراءها في حيرة وقلق ظن ان الحرب والمجد سيشتغلانه عما عداها ، وان الحب مفارقة الى غير عودة ؛ وهكذا قاده الحظ الى الفخ الذي فر منه . رأى القوم ساخطين : أينسى ييروس نبل محبته فيربي في قصره عدواً لليونان خدعهم امه عنه ؟ أيجر خطيئته هرميون ليرتمي على قدمي أسيرته ؟ ان ملك اسبارطة وملكها ليميزان غيظاً لهذا التأخير لموعده الزواج لا يفتأ ييرّوس يمدّ من اسبابه ؛ وانها ليخشيان ان يثول الأمر الى زواجه من اندروماك وردّه ابنتها اليها ؛ ولعلّ هذا هو الذي يثير الفتنة ويحمل على الثورة ، لا حياة الطفل ولا مستقبل اليونان ؛ فلما سمع اورست ما تلاقيه هرميون من فتور واعراض فرح ، وظن انها فرحة الشئمة بالفتاة التي تولّت عنه ؛ بيد انه ما لبث ان تبين مكان الفتاة من نفسه ، وان جذوة حبه ما تبرح تومض تحت الرماد ، وانه عاجز ابدأ عن ان يطفئها ؛ من اجل هذا سعى لدى هؤلاء الامراء لينتخبوه سفيراً لهم في بلاط ييرّوس يبلغه رسالتهم . على انه لا يكتّم صاحبه ان سعادته تقتضيه ان يعود بالاميرة الحبيبة ، وان امر الصبي وامه لا يعنيه في كثير ولا قليل ، مها يكن غضب القوم وحراجة الظروف . فما هو رأي الصديق بيلاد في الأمر ، بعد ان علم علم القوم واطلع على دخلة صاحبه ؟ لا يستطيع بيلاد ان يؤكد امراً أو يشير برأي ، فقد يستبقي الملك خطيئته وقد يسرّها سراحاً غسير جميل . كل شيء يتوقف على مشيئة الارملة الفاتنة وتصرفها . ذلك بان اندروماك وفيه كل الوفاء لزوجها الراحل مقيمة على حبه ، لا تريد ان تستبدل به رجلاً آخر مها يكن من جلالة قدره ، فكيف ترضى ببن قاتله عوضاً منه ؟ عبثاً يحاول ييروس ان يروضها على حبه او ان يحملها على قبوله زوجاً لها ، فما يجدي معها وعد ولا وعيد . فاذا استبأس منها رأيته يعود الى هرميون ليجدد العهد لها وليذرف الدمع في حضرتها ؛ هكذا كان ييروس قد اضاع قياد نفسه واصبح فريسة الألم والتردد الذي هو آية الضعف فينا ، والذي جعله راسين احدى الصفات البارزة في اشخاصه ؛ كما جعل كورني الارادة الماضية اولى صفات ابطاله .

فصم من مرة آلى ييروس على نفسه ليعرض عن الاسيرة النافر ثم عاد اليها وهو اكثر حياءً وأضيق لباً ! اما هرميون لهائة بحب ييروس خطيبها وأمير احلامها العذاب ، والأميرة المدلة التي لم تكن يدري ما الخمية وما الألم ، حتى احبت ومنيت باللهجران ! اما هرميون هذه فما زالت تحتفظ امام ييروس بمزتها وتعالها ، ولكنها تبكى في الخفاء ادبار حظها وضيمه أملها . هذا ما عرفه بيلاد ؟ والرأي عنده ان نجاح اورست في تحقيق رغبته منوط بالشدة التي يعرض فيها قضية اليونان ؟ فكلم الحف في طلب الصبي وهول بغضب القوم ، زاد حرص ييروس على حبيبته الناشزة ، وازداد قدرة على اثارة مخاوفها وردھا من نغارھا . واقتنع السفير الماشق برأي صاحبه ، فلما قابسل الملك بسط له عتب القوم وسخطهم ، وناشده ان ينزل عند رغبته ، وأذنه ان لم يفعل بالحرب ووخامة العاقبة فاذا بالملك يزيد الوعيد حرصاً على اسيره ، واذا بالحب يطغى في نفسه على كل واجب ، فلا يذكر في ساعته هذه روابط الدم وسالف الابداد ، ويعلم استعداده لأن يجعل من مملكته طروادة ثانية اذا ركب القوم رأسهم وأوقفوا في غيرهم .

واقبلت اندروماك على الملك ، بعد ان صرف السفير من حضرته وخلا لنفسه . أكانت تبسح عنه ؟ أمن حقه ان يغذو هذا الامل الجميل في نفسه ؟ كلا ! انما هي قادمة لزيارة ابنها ، فقد أدن لها ان تلقاه مرة في اليوم . انه الذخر الوحيد من هكتور ومن طروادة ، فهي ذاهبة تبكي ساعة معه ، فانها لم تطيع بعد على جبينه قبلة النهار ! يا للزوجة الوفاء وباللام الحنان ! انها لا تلهج الا بذكر هكتور وابن هكتور ! قال الملك وقد آذاه أنه لم يستطع ان يشغل من قلب هذه السيدة مكاناً على كثرة ما بذل ومنى : أخشى يا سيدتي ان يزيدك اليونان بكاءً وتسهداً ، فقد ارسلوا اليّ يطلبون القضاء على صغيرك . فانتفضت الام مذعورة تسأله : أفقدم على فعله شنعاء كهذه ؟ اذن فهي تفقد كل شيء ، ولا تفقد شيئاً إلا بيده ! لقد نجح ييروس في استثارة المرأة وتوجيه اهتمامها اليه . عندئذ جعل يخفف من حديثها ويهدئ من روعها . انه لن ينزل على حكم هذه الرغبة اللجوج . لن يسلمهم الطفل ولو اعدوا له سفينهم وخيلهم ورجلهم . سيدفع عنه الاذى حتى يلفظ نفسه الاخير . هذه خطته التي رسمها لن يحول عنها ولن يزول . ولكن ما تراها صانعة لأجله وهو يخوض لجح الاخطار في سبيلها ؟ اتبخل عليه بنظرة وادعة او كلمة مشجعة . الا يكفيه عداوة اليونان وإظلام الدنيا حتى يكافح كذلك قساوة المرأة التي يجب ؟ اليس من حقه وهو يحارب من اجلها الا تجعله في زمرة اعدائها ؟ فلما أتاها من جميع اقطارها وسد

عليها مسالك الحقيقة ، عمدت الى الخيال العقلي تستعين به على الاجابة كما قد يفعل
ابطال كورني :

مولاي ، ماذا تصنع ، وما عسى ان يقول اليونان ؟
أيجوز لمثل قلبك الكبير ان يتخذ موقف الجبان !
أيطيب لك ان يفسر القوم عزيمتك النبيلة الصادقة
على انها حماسة من نفس مغرصة عاشقة ؟
أيمكن لك ان تأمل من اندرومك ان تطارحك الغرام ،
وهي الاسيرة ، المستثقلة نفسها ، الحزينة على الدوام ؟
اي سحر أنت واجده لمينين شاردين محزوتين
كنت قضيت عليها ألا تبرح دهرها مستعبرتين ؟
كلا ، كلا ، إن احترام يؤس المدو وتبريج همه
واستنقاذ النساء المكدودين ، واعادة الطفل الى امه
وقتل مئة شعب لاجله وقد انتفخت اوداجهم شرا
من دون ان تسألني ان ادفع من قلبي على سلامته أجرا ،
وجعله ، ولو كان ذلك رغماً مني ، في حرز أمين ،
مولاي ، تلك هي الواجبات الجديرة بامثالك الاكرمين .

نحن لا نؤمن بأن النظم هو الاسلوب المفضل في المسرح ، ولكننا مع ذلك لا نرى
بأساً ان تقدم بين يديك نحواً قريباً منه لنطلعك جهد المستطاع على اساليب الشعر الفرنسي
والشعراء المترجمين . ويستمر الحوار بين ييروس واسيرته : يصور لها ما يحديق بابنها من
اخطار ، اذا هي نفرت وتولت ، وما ينظره من امجاد ، اذا الصاعت ولانت ؛ وهي هي ،
لا تلجج الا بذكر هكتور ، حتى ضاق ذرعاً بابائها فتولي عنها مغضبا مهدداً .

ها نحن اولاء في الفصل الثاني . وامامنا هرميون تتحدث الى وصيفتها في امر
اورست . لقد نزلت على رأيها فاذنت له ان يزورها ؛ غير انها لم تكن ترغب كثيراً في
هذه الزيارة . وتعجب الوصيفة من ان سيدتها تكره لقاء الامير العاشق ، وهي التي طالما
تمنت عودته وأكبرت حبه ووفاءه . ولكن هرميون تخشى ان يعلم هذا الامير الذي
استهانت بحبه ما تقاسيه في قصر ييروس من صدود وإهوان ، فيشمت بحالها ويخرج
كبرياءها . وترد الوصيفة بان ييروس اساء معاملتها ، ولكم باحت لها بيفضه ، فما عليها

الا ان توليه هجرأ بهجر . فتعود هرميون لتؤكد بغضها ، ولكن ياله من بغض عجيب .
انه الحب بعينه وبأجلى معانيه :

لقد احببته حباً عظيماً فلا يستطيع الا ان أبغضه .

ان أشد ما تضيق به نفس هذه الأميرة ان صاحبها غريبة عن نفسية العشاق ،
تفهم ظاهر كلامهم وتعجز عن النفاذ الى حقيقته ، فهي تفهم البغض بغضاً والاعراض
اعراضاً ، وهي تنصح باتخاذ موقف حازم ، نصيحة من لم يعرف من امر الحب شيئاً :
هرميون :

لماذا تريدن يا قاسية ان تقلقي بالي ؟

اما اتني لاختي ان اعرف حقيقة حالي . . .

تريدن ان اهرب منه ؟ حسن ! فليس من عائق

هيا ، لنعزف كل العزوف عن غم غير لائق ؟

على أسيرته ان تبسط سلطانها عليه ؟

لنهرب . . ولكن اذ رأى الجاحد واجبه وعاد اليه !

اذا قدر "للوفا ان يجد في قلبه من مكان !

اذا ارتدى على قدمي وجعل يطلب مني الأمان !

اذا استطعت ايها الحب ان تعيده الى الطاعة !

اذا اراد . . غير ان الجاحد لا يوليني غير فظاعة .

فلنبق على كل حال لنعكر ما في حياتها من صفاء ؛

ولنجد لذة في ان نكون عليها نفصاً وبلاء ؛

او لنحمله على ان ينكت عهداً جدياً مريب ،

فنصوره في نظر اليونان كالجاني الكذوب .

لقد سبق ان استثرت على الصبي حفائظهم

واريد كذلك ان يصبوا على الوالدة سخائمهم .

لنعد اليها آلاماً جعلتها توسعنا عذاباً ؛

لنحمل اليه الهلاك ، او ليسقها كأس المنون شراباً .

ارأيت الى هذا الحب الناقم الحائر يملأ جوانح الفتاة ويجعلها نهب القلق والألم
والغيرة والتحامل ؟ ارأيت كيف أننا لم نبعد كثيراً حينما عزونا غضب اليونان الى حرص
ابويها على تحقيق رغبتها عند ييوس ، لا الى مخاوفهم من الصبي الأسير ؟ فهذه هرميون

أصرح بأنها هي التي أثارت الفتنة وستثيرها ما وجدت الى ذلك من سبيل . ان هرميون شخصية بغيضة في مسرح راسين ، ولكنها على كل حال نابضة بالحياة ، وهي نموذج صادق للماشقة الغري المموج .

ثم يدخل اورست فتستقبله هرميون استقبالا حسنا . انها لا تهمل المهمة الخطيرة التي قدم من اجلها ، وتعرف حبه وتريد ان تستغله لفائدتها ؛ فهي لا تخرج ان تقضي اليه بهما ، وهي تمهده السبيل للتحدث عن هواه حين تسأله ألا يزال في نفسه بقية من عطف عليها ام تراه لا يفكر في غير الامانة التي حمله ملوك اليونان . كلا ، انه الحب الاعمى يقود خطاه اليها كلما اقسى ان يهجرها وألا يفكر فيها ؛ وينسددع السفير الماشق في شكوى حزينة يصور فيها وجده وتباريمه ويؤكد ولاءه . واذن فالفتاة ما أخطأ حزرها والرجل هائم بحبها . بل ان هيامه كان ابعد مما تنتظر ؛ ما الى هذا كله قصدت ، وانها لتخشى ان يتهاون بواجبه عند بيروس فلا يستجته على تعجيل زواجهما ؛ فهي تلفته الى هذا الواجب وتحمله على التفكير في اولئك الملوك الذين وضعوا ثقتهم فيه ووكلوا امرهم اليه ، فيجيبها اورست بانه فرغ من ذلك منذ تلقى جواب الملك بالرفض الجازم ؛ فهو لا يرى تهاونا في شيء اذا حدثها الآن عن حبه وقرر معها مصيره . وادن فيروس سادر في غيه ، ماض في عمايته . هذا ما يتسر له وجه الفتاة ويرفض له صبرها . ألا فليعلم اورست انها لم تأت الى هذه البلاد الا نزولا عند رغبة ايها واستجابة لصوت الواجب ، وانها كانت تفتقد اورست وتتمنى رؤيته ؛ لا بل انها تعود الى حديث كرهها للملك الذي جاوز حقوقه وخاس بعبوده . غير ان اورست اقدر على فهم الفتاة من وصيفتها ، فليس أفهم للماشق من الماشق ؛ ولكم كان يتعنى ان يحظى ببعض هذا الكره الذي فاز به كله بيروس ؛ فما بفضاء الماشق الا آية من آيات حبه وجهد يائس لتوطيد سلطانه . فاذا جعلت هرميون تؤكد نغمتها على الملك وتتمنى على اليونان ان ينكلوا به ويفتوضوا دعائهم ملكه ، سألهما اورست عما يحملها اذن على البقاء في هذه البلاد رهينة عند سيدها ، فما كان جوابها الا ان قالت :

ولكن ياسيدي اذا اقترن اثناء ذلك باندروماك ؟

ألم أقل لك انها تحب بيروس حبا لا ينبغي ان يتخذهك عند خونها في حديث الواجب ولا تأكيدها كرهه وتمنيها الاذي له ؟

و تعود بك الى بيروس بعد ان تركناه يتأدر اندروماك مغيضاً مغضباً . لقد رومي في الأمر فوجد انه يبذل معروفه ويتنكر لقومه في سبيل امرأة ناكرة للجميل ، فاستشعر الندامة وقرر العدول عن هذه الخطة الجائرة . فاذا التقى اورست اعتذر اليه عن موقفه الاول الجافي ، واعترف له بغضب قومه العدل ، وأكد له انه لن ينشب بينه وبينهم حرباً مهما كانت الاسباب ، لا بل انه سيتناهى في ارضائهم اذ سيحتفل من غد بزواجه من هرميون ، وسينوب السفير عن أبيها وعن اليونان كلهم في هذا الاحتفال فلما خرج اورست من حضرته توجه اليه استاذ « فونيكس » بالثناء ، واعلن انه اذ ينتصر على هواه انما ينتصر مرة ثانية على طروادة . فيجيب بيروس بانه يرى ان نصره يتبدى منذ اليوم ، منذ أن نضى عنه تردده واخذ يستمتع بمجده . كان يظن ان حنانها على وحيدها يرددها اليه طائفة مستسلمة ؛ حنان من ؟ حنان اندروماك ، اذ يكفي اطلاق الضمير حتى يفهم انها هي المعنية وهي الشاغل . لقد رأيت يا فونيكس كيف نعمت في ذراي (١) ، ولم تقابل حسن صنيعي بغير ترادها . لاسم هكتور . عبثاً اكدت حمايتي لأبنها ، فكانت لا تلتفت الي ولا تنس بكلمة شكر . . . ان في عمله لحزماً وان في لهجته لصرامة . ولكن ما باله لا يشغل نفسه الا بمحدث اندروماك ؟ ان استاذ يريد ان ينحو في غير هذا الحديث ، ولكن بيروس لا يصغي الى استاذ ولا يريد ان يدع ذكر اندروماك ؛ ما الذي يطعمها في ؟ ويجعلها تنتظرني ان ارتمي ابداً على قدميها ؟ لأرينها كيف يكون الخوف والهوان . فلئن كانت ارملة هكتور ، فاتي ابن آشيل . ان بغضاء نامية لتفصل بيروس عن اندروماك . ولكن استاذ غير راض عن تعلقه بذكر هذه السيدة . وهو ينصحه ان يخوض في غير حديثها ؛ عليه ان يعود الى هرميون وان ينسى بين يديها حتى احقادها . فيقول بيروس : أظن انها لن تغار من زواجي من هرميون ؟ فيستغرب الاستاذ ان تشغل اندروماك ابداً فكره ؛ فاذا بالملك يصارحه بان هنالك اشياء كثيرة لا تسر اندروماك لم يفتحها بعد بها ، ويعلن رغبته في الذهاب اليها ليظهرها على كل ما في نفسه من عدا ، ويرغب الى فونيكس ان يرافقه ليشهد بنفسه تلميذه يمتن محاسنها . فيقول فونيكس : بل ستذهب يا سيدي لترتمي على قدميها ، ولتشجعها ، بما تظهر لها من غرام ، على التهادي في احتقارك . انت عاشق وكفى !

(١) في كنفني

لملك اخذت تبين مذهب الشاعر في فهم النفس الانسانية : 'خلق الانسان من ضعف ، ولو لا رحمة الله ما زكا من أحد . هذا بيروس ، وهو من علمت بأساً وشجاعة ، يضعف ويزل قدمه امام سيدة ! أبلى في الحرب خير بلاء فنبه ذكره ووطد ملكه ؛ ولكنه وقف مكتوف اليدين امام اغراء الحسن ونزوات الفؤاد . فاز في الجهاد الأصغر وخاب في الجهاد الأكبر . هذه عقيدة 'الجانسين' الذين ربي الشاعر عندهم في 'بور رويال' وكنا حدثناك عنها في موضوع 'الدعوة الى الإصلاح' (١) ، واذن فقد كان تأثير هذه الطائفة في راسين امكن واوغل مما خيل اليه ؛ بل هؤلاء ابطاله كلهم فريسة الأهواء تعصف بهم في كل مهتب فلا ينجو منهم الا من تداركته العناية . ما اشبههم بابطال الحياة الذين يسرحون حولنا ويمرحون ؛ هذا ما نعتيه بصدق التصوير الذي أربى على الناية في هذه الرواية . ولقد اعجب الناس في القرن السابع عشر بمذهب راسين هذا في تصوير الانسان بما اعجاب . وليس ذلك ان ابطال سلفه كورني خيال لا ظل له من الواقع ، ولكن لأن ابطال راسين هم اكثر عدداً وأقرب الى المألوف ، ولأن 'الاستسلام للعاطفة أشتع' بين الناس من الاعتصام بالارادة (٢) .

وشيء آخر نرجو ان تلفت اليه عند راسين : وهو أنه لا يكتفي بتصوير الطباع على نحو ما يفعل كورني ، بل يريد ان يختار منها على الخصوص الأهواء ، وعلى الأخص 'الازمات النفسية الحادة' ؛ والحق أن النفس لا تيهتك ستارها ، والقصة لا تنفضي الى نهايتها في اربع وعشرين ساعة ، ما لم يكن هناك باعث قوي يهز النفس هزاً ، ويجعلها على ان تتجسس من قيودها (٣) .

• • •

خرج اورست من حضرة الملك مغضباً ثاراً . واذن فقد استجاب بيروس دعوة اليونان وسيبني من غده بهرميون ؛ وسيشرف في السفير بان يجعله شاهد الزفاف وبان يتقبل من يده العروس ؛ كلا ان يمضي اورست في البلاهة الى هذا المقدار . وليختطفن صاحبته ، قبل ان يقضى امر هذا الزواج البغيض ، وليظاهرنه صديقه بيلاد على ذلك . اما هرميون فقد بلغها ما صحت عليه عزيمة الملك فاستبشرت وتهلكت . انها تأبى ان تعزو عمله الى غير الحب . أفيخشى وعيد اليونان الذين ظلوا عاجزين امام طروادة عشر سنين حتى جاء ابوه فأمكنهم منها وجذ دابرها ؛ وأقبلت اندروماك تلمس

(١) ص ٢٩ (٢) L.T. 286 (٣) L.T. 284

وساقتها عند يروس ليحفظ عليها طفلها . ان منظر هذه الارملة لينثـص على الفتاة
افراحها قهـم بالخروج . مهلاً يا سيدتي ، فانا لم آتـك لاستـنـزلك عن قلب تشوقه محاسنك .
ان يدا عاتية قاسية حطمت القلب الذي أحبيته : غير انه بقي لي ابن ، وستعلمين ذات
يوم الى أين يبلغ حبنا لأبنائنا ؛ ولكنك لن تعلمي ، كما آمل ، ذلك الخوف القاتل
الذي يعصف بنا عندما يكون هذا الولد هو الشيء الوحيد الذي نستمتع ببقائه في حوزتنا
والذي يراد ان ينتزع منا . لقد كانت امك ذات يوم اسيرة في وطني (١) ، فلما اشتدت
نقمة الطرواديين عليها كنت أنـدب زوجي ليـبـرّها ويتـمـاـهـدهـا في الحـيـن بعد الحين ،
ويردّ عنها جرائر الدهر الخثون ؛ حتى اذا مات وجيدت به (٢) وجداً عظيماً يشهد
باحسانه اليها . فالت اليوم قادرة يا سيدتي على ان تنوسطي لدى يروس لتسدي اليّ مثل
ذلك الجميل . فتجيب هرميون بجفائها المبهود بانها تؤثر السكوت ما دام ابوها هو الذي
يشكـم ويثير نقمة يروس . ولا تنسى ان تهكم بها ، فتذكر سلطان اندروماك على
يروس وانها اولى منها باستعطافه !

أكانت نصيحة هرميون هذه محض تهكم ؟ كلا ، ففي استطاعة اندروماك حقاً ان
ترضى الملك متى شاءت ؛ نظرة منها قد تبدد احلام الفتاة وتمخـزى اليونان جميعاً ؛ ان
تهكم هرميون ولؤمها لجديران ان يحملا اندروماك على ان تفكر في الالتجاء الى آخر
سهم في كـناـتها ، فتلي نداء الملك ، وتحفظ ابن هكتور . ولكنها مع هذا كله لا تلجأ
الى ذلك ولا تفكر فيه ، فذكرى هكتور ماثلة امامها ابداً تهون عليها من عذابها
البئيس . كذلك يكون الوفاء . انها لترفض تاجاً وتزهد في ملك وتعرض ابنها ونفسها
لهلاك محقق وتنفي عن اهانة هرميون إرعاءً لذكرى الزوج الراحل واكراماً .
ولقد رأت يروس يمثّل امام استاذة دور الفاضب المنتقم وبهم بتسليم وحيدها الى
الاعداء ، فما وهنت ولا استكانت ، ثم رأتـه يصرف استاذة ليظهر بوجهه الحقيقي محباً
مدنفاً ، يمدّها ان يكون جارها من عدوها ، ويمنّيها عودة الملك اليها ، فما رضيت ولا
لانت . ألا ترى في موقف هذه الارملة بطولة رائمة تضاهي بطولة الفرسان في مسرح
كورني ، وإن اختلفت عنهم في النوع والاتجاه ؟ غير ان اندروماك قد وثقت الزوجية
حقها ، وقد تقلب فضيلتها اجراماً اذا بالغت فيها ، بل ان هكتور نفسه ليحملها على

(١) هيلة ، ملكة اسبارطة التي اختطفها احد ابناة پريام ملك طروادة فنشبت من اجلها الحرب

(٢) حزنت عليه



اندروماك : — مولاي ، انظر الحال التي اُصرتي اليها

اللين لو قدر له ان يعيش . هذا ما قالته وصيقتها . وان اندروماك لتذكر الآن وصاة زوجها اليها قبل ان يخرج للقاء حتفه : ايها الزوجة الحبيبة ، انا اجعل مصري في هذه المعركة ؛ غير أنني تركت لك هذا الطفل عربوناً لوفائي ، فان أهلك فرجائي وطيد ان يراني فيك . أفترأها تأذن ان يراق دم هذا الطفل العزيز فيقضى على ما تبقى من دماء السلالة الزكية ؟ كلا ؛ لن تأذن . فلتسّر الملك ولتفرض اليه بقرارها الاخير . ستزوجه . كذلك يقضي واجب الوفاء للزوج الراحل . وهلمي يا سيفيز (اسم الوصيفة) الى لقاء الطفل العزيز . يا فرحة سيفيز بما صحت عليه عزيمة السيدة . ولكن فيم العجل ؟ في ميسور الام ان تلتقي بعد الآن طفلها متى تشاء وان تطبع على جبينه ما تشتهي من قبلات حرار . كلا يا سيفيز ؛ هذا آخر عهد الام بابنها ؛ انها لم ترض الزواج من يروس الا لتضمن بهذا الرباط المقدس حياة طفلها ومستقبله ، ولكنها لن تعيش لحظة بعد ان توقيع وثيقة الزواج . سننتحر . والا فهي مسيئة الى ذكرى هكتور ، مهما كانت الاسباب .

ونمي الخبز الى هرميون فبالها وأطار صوابها ؛ هرميون ، الفتاة النيور ، التي كان ذكر اندروماك وحده يهزها ، والتي كانت لا تحتمل من غير يأس ان يلقي ييروس على اسيرته نظرة عطف واحترام امامها ، ها هي ذي الآن تجد خطيها يتزع منها التناج ليضعه على رأس اندروماك وهو يربط مصيرها بعصيره ؛ واذن فييروس يلتذ عذابها واحتقارها ؛ لقد نزت عبرتها واستسلمت الى وجوم رابع محير . انه الهدوء الذي يسبق العاصفة . فلتوجه في طلب اورست اذن . وجاء المسكين يهندي بحبه ويؤكد إخلاصه . كلا ، لا سبيل الى الثقة به ما لم ينتقم لها . لن ترضى ان يؤخر موعد هذا الانتقام ساعة واحدة . فليقتل الملك ، فليقتله من ساعته وقبل ان ترى في أمره رأياً آخر ، فيفقد فرصة ثمينة للفوز بجها ؛ ولا ينبغي له ان ينظر في عمله هذا الى مركزه كسفير ولا الى ما ينتظره القوم على يديه من عمل خطير . وإلا ، فقد تعفو هرميون عن الملك اذا قدر له ان يعيش وقد تصفيه حباً ، على الرغم من خيائته واهائه . فليبادر اورست فرصته هذه قبل فواتها ، وان صاحبته لتكره ان يجادلها في شيء ، وتسعى عليه وناءه همة ، وتذره ، اذا رفض ، ان تنوب هي عنه في قتل غريمها ثم في قتل نفسها . حين ذاك يبلب اورست على امره ويستجيب لرغبة فتاته : سيقول الملك .

فاذا خلت هرميون الى وصيقتها ساورتها رغبة جديدة : انها تمنى ان تنتقم هي

نفسها من عدوها واذا شئت لمن حبيبها ، وان تبالح في تمذبه فتحرمه النظر الى حبيبته وهو يجود بأخر انفاسه ! فاذا لم تتحقق هذه الرغبة ، فلا اقل من ان ترسل وصيفتها لتسهي الى اورست امرها أن لا يفوتك ان تفهم الملك انه ضحية هرميون الحاقدة ، لا ضحية الدولة الغاضبة . وبدون ذلك ، اذا لم يعرف ان هرميون هي التي تأمرت لقتله ، لا يكون للانتقام معنى ولا فائدة .

وجاء بيروس ، على غير انتظار ، يعرض موقفه على هرميون . هذه اول مرة يلتقيان فيها على المسرح . انه لا ينكر ما في عمله من حنث وتكثؤص ، ولا يريد ان يحتج بان ابويهما اللذان ربطا بينهما من غير ان يرجعا الى رأيها . لا يريد ان يحتج بذلك ، بعد ان اعلن قبوله للأمر الواقع ، وأذن للفناء ان تقدم الى القصر . لقد عمل ما في وسعه واكثر مما في وسعه حينما كبت عاطفة الحب للأسيرة في قلبه ، وصمم على ان يستمسك بعنده ويرفع اميرة اسبارطة على العرش . غير أن سلطان الحب غالب لا يراغم . وهو لا يأذن لنا ان نصغي الى حكمة العقل ولا الى نداء الواجب او تبكيك الضمير . ولكن هرميون تأبى ان ترى في عمل بيروس غير الكيد لها والانتهاز بها ، ولا تعزوه الى غير اللؤم والخيانة . لقد أحبته ، وازدرت في سبيله رغبات الأمراء الذين تباروا في ارضائها وتقاتوا في حبها . جاءت اليه بنفسها ، وما زالت تصبر النفس (١) في قصره ؛ متغاضية عن خياناته ، متجاهلة برم القوم في وطنها وخجائهم من عفوها عنه وبرها له : لقد احببتك على ما فيك من تلون ونكول ، فكيف اذا حملت الود وحفظت العهد ؟ لا بل اني لأشك ، ايها الجاحد ، في أي لا احبك ، حتى في هذه الساعة التي جئت فيها تنذرني بقاء الموت الأكيد . ولكن ياسيدي هذا آخر رجاء مني اليك : آخر موعد الزفاف يوماً واحداً لعلك تملك من غدر قياد نفسك ... ألا تحير جواباً ؟ يا خائن ، اري انك تعد الاحضات التي تضيئها معي . ان قلبك لا يطيق صبراً على غير حديث الطروادية . نفسك تناجيها وعيناك تبحثان عنها . لن استبقيك في حضرتي ، طر إليها ، اذهب واحمل إليها ذلك القلب الذي رغب عني ؛ اذهب ، بدر ، ولكن الحذار الحذار من هرميون !

أرأيت كيف أذهلها اليأس عن امرها ، فباحث او كادت بسرّها ؟ وأعجب من ذلك ان بيروس قدسها عنها ولم يفتن بمقصدها ؟ والأعجب من هذا او داك ان استاذ

نهبه الى ذلك وحذره منه فلم يلق اليه بالاً . انه مشغول باندروماك ، سهوان عن كل ما عداها !

وتنطلق الوصيفة في اثر اورست لتنقل اليه رغبة سيدتها ، فتخلو هرميون الى نفسها وتساءل عما فعلت وعما يجب ان تفعل . ما هذا الألم الذي ينتابها ؟ آه ! أتراها عاجزة عن ان تبين حقيقة حالها ؟ أي عاشقة ام مبغضة ؟ تلك هي المسألة ، كما يقول شيخ الشعراء . بأي نظرة طرفية ملول سرحها ؟ لم يُبدر عليها حسرة اشفاق ولو كانت مصطنعة ! ومع ذلك فهي ما زالت تأسى عليه ؛ مازال قلبها ، قلبها الخوار يعيل اليه ؛ انها لترتجف لمجرد الفكرة في تلك الضربة التي تهدد حياته ؛ انها لترحمه وهي على أهبة ان تنأر منه ؛ كلا ، ليكن قرار السخط حاسماً : فليمت ، لانه لن يعيش من اجلها . ولیمض اورست في انتقامه ، فاذا تردد ، اذا نظر الى ماضي ييوس والى اياديه وايدى ابيه على اليونان ، اذا خاف وخز الضمير أو سوء المنقلب ، كان خوفاً اثماً !

واقبل اورست يرف اليها البشرى : ان الملك يلفظ الآن آخر انقاسه . وكانت هرميون تريد ان تتأكد من عمله فتسأل : هل مات ؟ فيندفع في سرد طويل يفصل فيه تنويج اندروماك ، وغضب اليونان ، ومقتل ييوس ؛ وهرميون لاهية بذهولها عنه ، مطرقة لا تقول شيئاً ، فلما ذكر ما فعله حرسه اليونان انتصاراً لأسيادهم ، سألته : ماذا فعلوا ؟ كأنها لم تع ما قال . فراح يؤكد لها انه هو الذي اثار حماسهم وإن ابتدروا الى فعلتهم ، وانهم لولاه ما كانوا ليضربوا وانه لولاها ما كان ليفعل شيئاً . وهنا يرتفع راسين الى قمة الفن التمثيلي ، ويبلغ من فهم النفس اللسانية المرتبة التي تتخاذل دونها الاقلام ، اذ تنفجر هرميون غيظاً ولعنة على ذلك الذي ظن انه سيملا عنها وسيملاك قلبها بمجليل صنعه :

د هرميون : صه يا خائن ! لا تنسب قتل نسيك الملك الا اليك . اذهب وفاخر اليونان بحنقك ، اذهب ؛ اني لانكره ، انت تثير مقتي . ايها البربري ، ماذا جئت ؟ في اي ثورة جموح وقفت مجرى هذه الحياة الرائعة ! هل استطعت ايها القساة قتله هذا النهار دون ان تمر دماؤكم كلها لأجله ؟ بل تكلم : من جعل مصيره طوع بديك ؟ لماذا يقتل ؟ ما عمل ؟ بأي حق ؟ من قال لك ؟

اورست : يا لآلهة ! كيف ؟ ألم تأمريني ، بنفسك ، هنا ، منذ هنية ؟ ان قتله ؟
 هرميون : آه ! اكان عليك ان تطيح حاشقة بلهاء ؟ اما كان اولى بك ان تقرأ باطن
 افكاري ؟ ألم ترَ في ثورات نفسي ان قلبي يكذب في كل
 اللحظات ؟ . . من جاء بك الى محال "هرينا منك اليها ؟ تلك هي ممة
 حبك البغيضة ... والا لكنت تمتعت عيني بوجوده ، ولكانت قاسمني
 بعض همومه ، ولعله يحبني ؟ او يظهر لي الحب في الاقل . ودائماً . تستطيع
 ان ترحل . سأبقى في "داييريا" ، عدت عن اليونان ، عن اسبارطة ،
 عن ملكها ، عن اسرتي كلها ، ويكفي ، ايها الخائن ، انها أنبتت
 مسخاً على مثالك .

يا للنكبة الدهياء ! واذن فلم أقدم اورست على جريمته النكر هذه ؟ لقد اغتال
 ملكاً يحبه ويقدّره ؟ وهتك عزة الامارة وجاوز حقوق السفارة ، ولم يرع حرمة المعبد
 الذي اقترف جريمته فيه . وكل ذلك في سبيل جاحدة غضوب ، لا يرضيها منه إقدام
 ولا احجام . وجاء "پيلاد" ، الصديق الوفي يحث خطا اورست للهرب ؟ فقد تأهب
 الشعب للانتقام للملكه ؟ بأمر من اندروماك التي اصبحت ملكة مطاعة والتي تأبى الا ان
 توفي زوجها الجديد حقه من الرعاية . غير ان اورست لا يصبر على فراق هرميون وهي
 عليه غاضبة ، ويريد ان يلحق بها ليرضاها . فلما عرف من صاحبه انتحارها ياساً من
 الحياة بعد مهلك حببها الملك ، غامت عيناه ، ثم أغمضتا عن عالم الواقع لثلا تفتنحا على
 غير عالم الخيال ، عالم تجري فيه الدماء وتفتح الافاعي ويزدحم الأبالسة ، ولا يتحجى فيه
 طيف هرميون وبيروس : لقد "جن" ؟ وغادر القصر في رعاية صديقه وتبعه .

هكذا استطاع الشاعر ان يستخلص من الاساطير اليونانية القديمة مأساة عظيمة
 تصور طرفاً من الحياة الانسانية الدارجة . انها قصة ارملة اضطرت الى الزواج من
 عدوها لتضمن حياة وحيدها ؟ وفتاة سخرت عاشقها لينتقم لها من معشوقها وهاجرها .
 أليس هذا شبيهاً بما يجري في الحياة المألوفة في كل زمان (١) ؟ كذلك الحال في كل
 مآسي راسين . فهو يختار مواضيعه من الاساطير والتاريخ ، ولكنه يتجاوز عما فيها
 من خيالات واعاجيب ، ولا يلمح منها الا الجانب المألوف ، مما لا يسمو الى مراتب
 البطولة ، ولا يخرج عن مستوى القدرة الانسانية (٢) .

والرواية ، على ما قد يلوح لك من تعقيدها ، بسيطة ؛ بمعنى انها لا تعتمد الا على عواطف اشخاصها او احوالهم ، من دون ان تلجأ ابدأ الى الحوادث والمؤثرات الخارجية . كل ما تراه من تطور وتدرج في العمل الروائي ينبثق من اضطراع الأهواء وتفاعلها (١) . فهناك اربعة اشخاص يملئون المأساة : اورست ، هرميون ، بيروس ، اندروماك . اورست يحب هرميون وهي لا تبادلها العاطفة ؛ وهرميون يحب بيروس وهو لا يبادلها العاطفة ، وبيروس يحب اندروماك التي لا تبادلها العاطفة . فما هي الحوادث التي تقوم عليها هذه المأساة ؟ انها لا تعدو هذا الاضطراب والتردد في نفوس هؤلاء الأربعة النعماء (٢) . فاندروماك وفية لزوجها ، ولكنها قلقلة على مستقبل طفلها ؛ فهي تارة تعلق بيروس بالأمل واخرى ترده ، وهو يبتعد عن هرميون في حاله الاول ويتقرب منها في حاله الثاني . وهرميون بدورها تعرض عن اورست وتصدده مادام الملك يغذو آمالها ، وتدعو اورست اليها وتحاسنه ، مادام الملك لا يلتفت اليها (٣) ... ليس هناك طوارئ ولا مفاجآت ولا حوادث مادية ، وانما هي النفس ، ولا شيء غير النفس : تلك هي اعجوبة الفن التمثيلي (٤) . هذه البساطة الأخاذة في حبكة القصة هي احدى نواحي التجديد البارزة في ادب راسين : فعقدة القصة اوحبكها ، ليس لها عند راسين اهمية في ذاتها ، وهي امر ثانوي بالاضافة الى تصوير المشاعر والاهواء ، وهذا ما نراه كذلك عند مولير زعيم الملهة . لقد لاحظ ذلك الناقد سانت امرفرن (٥) فقال : « كانوا في الماضي يأخذون موضوعاً هاماً فيدخلون فيه شخصية ما ، اما اليوم فانهم يجعلون هذه الشخصية اساساً يبنون عليه الموضوع . » وحياناً يصرف راسين النظر عن الحبكة تماماً ، ويكتفي بتصوير العواطف والاهواء في موقف من مواقف الحياة ، كما في اندروماك ولا سيما في برنيس . وهذا شبيه جداً بما في ملهة « كاره البشر » لمولير (٦) ؛ وبما في مأساة « هملت » العظيمة لشيكسبير . وادا وجدنا بعض الحوادث في هذه المأساة الخالدة ، فما لا جدال فيه ان صفات بطلها هي ابرز ما فيها وهي التي تحدد مصيره (٧) . مثل هذه البساطة قد تستحيل على شاعر مثل كورني ، يصور الارادة ، التي لا تظهر للعيان ، الا اذا كثرت الحوادث واعترضت المشاكل بلا انقطاع . اما العواطف والاهواء ، فشاكلها كامنة فيها . هنالك قوة خفية تقلب نفوس الابطال في

L.F.U. 18 (٣) P : 82-83 (٢) Andromaque, 8 (١)

L.T. 283-284 (٦) Saint-Evremond (٥) Andromaque 82 (٤)

Literature and Life 107-108 (٧)

مسرح راسين رأساً على عقب ، فهم بين ثورة وقلق دائمين . وكثيراً ما يبلغ بهم الحال انهم لا يفكرون في غير ان يقتلوا او يقتلوا . وهذا ما يجدر ان ينظر اليه بعين الاعتبار اولئك الذين اطنبوا في « رقة » راسين كثيراً : ان دماثة اسلوبه وسلاسته ينبغي ألا تصرفانا عن شدته وعنفوانه اللذين تثبئها جلياً في سيرته وفي مسرحه ، واللذين بهما عُرف بين معاصريه . يقول احد النقاد : « لعل ابرز ما في مسرح راسين هو صفة الاجرام غير ان اشخاصه ايسوا ابطالاً ولا اشراراً : انهم اشقياء تدفع بهم الأهواء الى اعمال شؤم ودناءة . انهم لينساقون في الاجرام كما يمكن للرجل الشريف ان يتورط فيه ، وقد اظهر الشاعر كيف يكون ذلك . . . ولا شك انه عندما صور الاضطراب البالغ لهؤلاء البؤساء ظهر هو نفسه على جانب من القساوة (١) . »

في مثل هذه الحال أنى للقواعد الصارمة التي فرضها الاتباعيون ن تضايق راسين او تحيد به عن الطبيعية ؟ لقد نصبت هذه القواعد في عهده ودُمّت (٢) حتى تمثلت في خاطره على نحو يرضى النقاد ولا يتعد عن مطلب الفن ، لا بل استطاع هذا الشاعر العظيم ان يذلل مبادئ السلف ويكيّفها بحيث اصبحت اداة طيبة لتأيدفنه وتمهيد السبيل امامه ليلبغ ذروته وكلامه : لقد وضع نصب عينيه ان يصور لنا معركة القوى المعنوية في النفس الانسانية لدي اشتدادها وثورتها ، فوجد ان خير طريقة لذلك ان يتناول موضوعه وهو في مرحلته الأخيرة ، فيختار نقطة الابتداء قريباً جداً من نقطة الانتهاء ؛ بحيث يكون طبيعياً جداً ان ينحصر العمل الروائي ومكانه وزمانه في دائرة ضيقة ، لا تتجاوز المدى الذي رسمه نظريو هذه المدرسة . يقول ناقد فكه : « ان العمل في مسرح راسين لا يتطلب اربعة وعشرين يوماً ولا اربعاً وعشرين ساعة ، لانه ليس في الزمان ، بل في قلب الانسان (٣) . » اما كورني فاذا رأيناه برماً ثاراً على قواعد الاتباعين هذه فلانها لا تناسب طبيعة المواضيع التي اختارها ، مواضيع الارادة والبطولة التي تحتاج الى تراحم الحوادث وانفساح الزمان والمكان ، ولأن كورني لم يجد الوقت الكافي ليتبين ما عساه يفيد من هذه القواعد ، وكيف يختار مواضيعه على وفقها .

لعلك ان تسأل الآن : لماذا صادفت اندروماك حفاوة الجمهور البالغة حين ذاك ، ولم

(١) L.T. 284—285 ثم L.F U. 18 (٢) 'سبت ، 'لبت

(٣) Faguet 322

يكن نصيب « كاره البشر » لمولير الانجاحاً فائزاً ، مع ان الروايتين تضحيان من مورد واحد وتعتمدان على عمق التحليل لا على كثرة الحوادث ؛ الجواب على ذلك ان هذه المشاعر المتوقفة والازمات العاطفية المستجدة لا يقف راسين عند تصويرها ، بل انه ليدفع بها دائماً الى العمل ، ولا يعرض منها الا القدر الكافي ليحزم البطل امره على شيء ويخطو بالرواية الى الامام ؛ كل عاطفة او شعور يحتوي طاقة من الفعالية تقترب بالبطل من العمل الحاسم وتؤدي به الى النتيجة المنتظرة . فمآسي راسين تحاذر الاسترسال في المعاني الشعرية وفي التحاليل النفسية لذاتها ، لتتوجه بها الى العمل ، بل الى مفاجآت مسرحية متصلة (١) لا تقوم على الأحداث الخارجية ، ولكن على تفاعل المواطن وتطورها . .

. . .

مثلت اندروماك في السابع عشر من تشرين الثاني « نوفمبر » ١٦٦٧ فليقت حفوة بالغة تذكرنا بذلك النجاح البارع الذي قوبلت به « السيد » منذ ثلاثين عاماً . وتعهد اندروماك الى يومنا هذا من اروج المآسي وأحبها الى الجمهور ، فقد احصي لها ما بين عامي ١٦٨٠ - ١٩٣٢ ألفاً وعشرين مرة عرضت فيها بدار التمثيل الفرنسية الشهيرة « بالكوميدي فرانسيز » (٢) .

لقد بدأ المثقفون يوازنون بين الشاعرين العظيمين . وكان ذلك منذ أن اخرج راسين مأساة « الاسكندر » . ذلك ان كورني اخرج في هذا العام مأساة تدعى « أجيزيلا » (٣) ، لم تلق النجاح المأمول . يقول الاستاذ « جولي » (٤) الذي تولى نشر مؤلفات كورني : « هذه المأساة ظهرت بعد الاسكندر بخمسة اشهر . ان الانقلاب الذي حدث في نفسية الجمهور وعواطفه ، وانحياز المهدد الاكبر الى جانب الشاعر الناشئ ، يبدأ ان عهداً جديداً ظهر فيه نوع من المأساة غير معروف ، نوع يطغى فيه الحب على الأهواء الاخرى (٥) . » لقد انقضى ذلك العهد الذي كان كورني صورة صادقة عنه ، عهد الحروب المتتالية والثورات الرابية ، التي كنا حدثناك عنها في موضوع نشوء الآداب الاجتماعية ، وظهر جيل جديد يكره القتال ولا يفكر في غير الحب والذات (٦) ؛ فليس غريباً ان يحظى انتاج راسين عند الجمهور ويطغى على ادب سلفه

(١) L.T. 284 (٢) Faguet 299 (٣) Andromaque 5-6 (٤) Joly (٥) L.F.U. 17 (٦) L.T. 276

الذي دالت دولته وولث ايامه . لقد لمس بعض شعراء ذلك العصر ما طرأ على عواطف معاصريهم وعلى عقلياتهم من تحوّل ، فحاول بعضهم ، مثل توماس ، اخي كورني ، وكيانو (١) ، ان ينظموا المأساة العاطفية ، ولكنهم لم يكتب لهم التوفيق (٢) . اما كورني فقد نصبت عبقريته مع الشيخوخة ولم ييسر لجديد . لا بل انه اخذ ينحدر عن تلك القمة العالية التي بلغها في الشطر الاول من حياته . ان مؤرخي الادب لا ينكرون فضله العظيم في تصوير تلك النماذج الرومانية الكاملة بنبيلها وشجاعها وقوة ارادتها وانقيادها للواجب ، كلا ، ولا ينكرون عليه روعة تفكيره وجلال تعبيره وشدة اسره ؛ غير أنهم لمسوا ذلك الفارق البعيد بين انتاجه المبكر وانتاجه الاخير ؛ كما لمسوا ما في مذهب منافسه الناشئ من فهم اكبر لأهواء القلوب وطباع البشر ، ومن واقعية اصدق في تصوير الحياة ، الى معان اكثر تساوقاً ، وأسلوباً أرق حوكاً واسلس ديباجة . يقول فولتير « تفوق راسين كثيراً على اليونان وعلى كورني في تفهم الأهواء ، وبلغ من حلاوة الشعر وجمال اللفظ غاية النهايات (٣) » ، على ان كورني لم يخل من محازين أشداء انتصروا له وحملوا على منافسه . فلما اخرج راسين رائحته الجديدة « اندروماك » ولاقت هذا النجاح العظيم في القصر وخارج القصر ، أصبح منافساً خطيراً وخلا الميبدان لارجلين يجولان فيه ويصولان . ثم انقسم انصار كورني الى فريقين : فريق خفف من غيـلوه واعترف لراسين بالشاعرية ورسوخ القدم ، على ان يكون في المرتبة الثانية بمد صاحبه ؛ وفريق آلمهم فوز الشاعر وأوغر صدورهم فأبوا ان يعترفوا له بالفضل ووجهوا اليه لاذع النقد . كان الأسد المكتهل يدير المعركة من وراء الستار ، لأنه لم يرض ان يزاحمه احد ويتبوأ دونه اماراة الشعر ؛ فكان ينظر الى زميله باحتقار ، ولا يرضيه ما في مسرحه من رقة ونعومة ، ويشكر عليه كل موهبة في كتابه المأسوي وينصح له ان يمالج نوعاً آخر . وقد جمع الأديب « سوبليني (٤) » ، طائفة من المأخذ التي أحصيت على راسين وسلكتها في ملهائة ذات ثلاثة فصول دعاها « بالخصومة الحقاء (٥) » ، اكثرها مفترى او سخيـف (٦) . اما راسين ، فالحق انه لم يجب سلفه قط ؛ وكان يتحدث وهو في العشرين من عمره عن

Le Siècle de Louis XIV, 2, P: 44 (٣) L.F.U. 17 (٢) Quinault (١)

La Folle Querelle (٥) Subligny ولد ١٦٣٦ وتوفي ١٦٦٦ (٤)

L F.U. 19, Mauriac 84, 86, Andromaque 5—6 (٦)

معاظلتته وتهويله وتمعقيد (١) ، كما اخذ عليه تلك العصمة التي تخرج احياناً بأبطاله عن انسانياتهم (٢) . ومن الطريف حقاً ان يقارن المرء بين موقف كورني وموقف بوالو من شعراء عصرهما: فسوف نرى كورني حقوداً محاسداً يناصب موير العداء ، وها نحن اولاء نراه يضيق صدره بفوز راسين ويؤلب عليه جمهور الابداء ، ولا ينظر في عمله هذا الا الى الناحية الشخصية الضيقة . وعرفنا بوالو سمحاً كريماً ، يطرب للامر الجميل ويشجعه ، ويقدر التواضع من زملائه ويناصرهم . عرفنا كيف مد يد المعونة الى كورني وبذل وساطته لرد راتبه اليه ، وكيف أيد صديقه موير وكان له في جهاده الفني خير نصير . اما موقفه من راسين فلعله انبل واروع : كان له استناداً واحاً وصديقاً مجرّداً قلته للدفاع عنه بأبلغ الشعر (٣) . لا تظن راسين لم يكن يحفل بهذا النقد الجائر الكثير الذي كان يوجه اليه ، فان مقدماته الاذعة التي نثر بالمرارة والألم لترينا ان هؤلاء الخصوم ما اضاعوا جهدهم في استثارته وايجاعه . على ان نحامل انصار المدرسة القديمة وجورها ما كانوا ليثنيا شاعرنا عن طريقه . ها هو ذا في قمة المجد ، يتمتع بالشباب والنصر والحب ، ويعيش في مريح وفراغ بال . ثم اخرج ملهاة اسمها « المترافعون » عام ١٦٦٨ ، على اثر دعوى عرضت له في القضاء ، وقد حذا فيها حذو اريستوفان ، كبير كتاب الملاهي عند اليونان ، في ملهاة « الزناير (٤) » ، وفي مقدمتها لم ينس ان يعرض بموير ويتمه برداء الاسلوب والتبذل والاسفاف ، فكأنه يريد ان يبذره في ميدانه . والحق ان راسين الذي لم يؤثر عنه غير ملهاته هذه اجاد تسديد التهم فيها وأفاض من روح الفكاهة العذبة ، في اسلوب رشيق يخفف بالحركة والحياة . غير ان هذه الملهاة لم يكتب لها النجاح في باريس بادي الأمر ، ولولا انها صادفت بعدئذ من الملك وحاشيته حسن القبول لمنيت بالاحفاق الذريع : ذلك ان جلالته سرها كثيراً ان تشهد في هـنـه اللوحات الفنية حقيقة ما يجري في محاكم البلاد : من شهود الزور ، وقضاة الغي ، وأحكام الطيش والجور ، فضحكت لهذه الصور المحكمة ملء شديها ، وضحك معها رجال البلاط ، وأنقذت الرواية (٥) والعجيب ان موير نفسه اغضى عن اساءة صديقه الشاعر الناشئ وانحاز الى جانبه وصرح في شهادته الرجل الكريم « بان الذين يسخرون من هذه الملهاة جديرون بسخر الناس (٥) » . كان موير يكبر صاحبه

(١) المصدر الاخير (٢) Lanson : 436 (٣) راجع قصيدته : فائدة الاعاء ص ١٣٠

(٤) Les Guêpes (٥) 19 L.F.U. 90 - 89 Mauriac 299 Faguet

تم مادة Plaideurs في L. U.

ب سبع عشرة سنة ، وكان ينظر اليه نظرة الاستاذ الرفيق تلميذه ، الصفوح عن اسائه .
اجل كان منه بميزة الاستاذ الصديق ، فهو الذي علمه حب الحقيقة ، وزين له تصوير
الطبائع والاخلاق التي لا تختلف كثيراً باختلاف العصور ، ولا سيما الأهواء الخالدة
على الزمان (١) .

غير ان الشاعر كان يتطلع حين ذاك الى نصر اكبر : فقد جعل اعدائه يزعمون
بعد ذلك الدوي العظيم الذي احدثته « اندروماك » أن راسين يجيد في الحقيقة تصوير
الحب ، ولكنه لا يجيد شيئاً سواه . فهو الآن يبحث عن موضوع يأتي فيه الحب بالدرجة
الثانية ، وتطغى فيه الأهواء الجافية : من تأمر وظناً الى السلطان ورغبة في ذنب
اللذات (٢) ... انه يريد ان يتحدث كورني كذلك في منطقة نفوذه ، اذا وقى هذا
التعبير . لقد وجد هذا الموضوع عند « تاسيت » (٣) ، أبس من كتب التاريخ
القديم ، وفي عهد « نيرون » ، أظلم عهد الرومان (٤) ، واليك موضوع مأساته
الجديدة : « بريتانىكوس » (٥) :

احب « بريتانىكوس » ، اخو نيرون لأبيه ، فتاة تدعى : « جيني » ، وأظلمتها
« آجريين » ، ام نيرون ، بحمايتها ، مع ما تعلم من حب ابنها للفتاة ، كيداً له
لأنه اهل امرها ، بعد ان بذلت ما بذلت لتحول دون ان يصل اخوه الى الحكم ،
ورفعته مكانه على العرش ، فأخلف ظنها واستأثر بالسلطة من دونها . غير ان نيرون
لا يتردد في قتل اخيه ومنافسه ليزجحه عن طريقه ، غير عابى بشفاعة استاذة وتحميزه ،
فدعا الى مأدبة قدم اليه فيها طعاماً مسموماً فمات ، ولكن الفتاة هربت ونذرت
نفسها للعبادة .

تعتبر هذه المأساة احدى الروائع العظيمة في المسرح الفرنسي ، قال عنها فولتير
إنها تمثيلية المارفين (٦) ، وقال الاستاذ فاجيه انها احدى خمس رواائع أوست عرفها
تأريخ المأساة ؛ ومع هذا فانها لم تلق ترحيباً يذكر حينما مثلت لأول مرة ، في اواخر
عام ١٦٦٩ . ذلك ان كورني وانصاره كانوا قد أحكموا المؤامرة على الرواية الجديدة .
هام اولاء قد تركوا مكانهم التقليدي من المسرح وانتثروا هنا وهناك ليعكروا جو
الصالة وليوجها عواطف الجمهور الى غير ما يشتهي المثلون . اما انصار الشاعر فلم

« ١ » Faguet 307—308 « ٢ » 300—301 « ٣ » تاسيت Tacite في كتابه :

Annales « ٤ » Faguet 300 - 301 « ٥ » Britannicus

« ٦ » مادة في L.U. Britannicus

يحضر منهم غير بوالو الذي اعجبته هذه المأساة ايما اعجاب ، ولعكته لم يستطع ان يصد عنها تيار المداء الجارف . وزاد الأمر سوءاً ان جمهور المتفرجين قل عددهم كثيراً لأنهم شغلوا ذلك اليوم بمحادث إعدام المركيز دي كوربويه . بيد ان الملك في هذه المرة كذلك لا يلبث ان ينحاز الى جانب الشاعر فترجع كفته ويعود اقبال الجمهور على روايته (١) ، وتنجلي المعركة عن نصر عظيم له . ويريد راسين ان ينتقم من الشاعر المفرض كورني في مقدمة الرواية ؛ ولكن بوالو ، بوالو العظيم يثنيه ، فيكتب مقدمة اخرى يكتبني فيها بالوازنة بين مذهبه ومذهب منافسه ، وفيها يقول : « ماذا يجب ان نفعل لترضي قضاة جدد مصنفين ؟ الأمر سهل اذا رضىنا ان نخل بما يقضي به الذوق السليم . يكفي ان نبتعد عن الطبيعة الى الشذوذ . فعوضاً من عمل روائي بسيط ، غير مثقل بمحادثات كثيرة ، على نحو ما ينبغي لعمل يجري في يوم واحد ، وعوضاً من ان نندرج به الى غاية غير مدعوم الا باهتمام الابطال وعواطفهم واهوائهم ، فلنعملاً هذا العمل بعدد من الحوادث التي قد لا يتسع لها شهر بكاملة ، ومن الألعاب المسرحية الكثيرة التي تدهش الجمهور بقدر ما تحيد عن الامكانية ، وبعدد لا نهاية له من التعابير الفخمة الجوفاء نحمل بها الممثلين على ان يقولوا خلاف ما يجب ان يقولوا (٢) » .

انجبت المعركة عن نصر مبين لراسين اذاً ، لكن الشاعران بقيا في الساحة يتحفظان لمرآك جديد ، وفي اعينها احمرار وفي ملاحظتها شر . لقد اتاحت لها الفرصة مرة اخرى ليتلاقيا ويتناجزا ، ولكن لقاءهما هذه المرة كان المباراة الفاصلة الحلق : ذلك ان السيدة هنريت دانجلوتير ، امرأة اخي لويس الرابع عشر ، الأميرة التي كانت تعضد الحركة الادبية حين ذاك ، والتي سبق ان اهداها راسين رواية « اندروماك » (٣) ، ارادت ان تنزل الرجلين الى الحلبة من غير علمها لترى لمن يكون السبق ، فاختارت لهما موضوعاً واحداً يدور على وداع تيتوس ، امبراطور روما ، لحبيبتة برينيس ، ملكة فلسطين ، ذلك الوداع الذي فرضته عليه واجبات الملك ، فاقاد لها ، على ما في قلبه من بالغ الحب ولوعة الفراق . وكانت هذه الأميرة تبغي من وراء ذلك ، الى جانب التمتع بمنظر الفارسيين يستبقان ؛ ان تخلد ذكرى ذلك الهوى اليأس بينها وبين الملك الشاب . أوشك ذلك الهوى ان يؤدّي الى أسوأ العواقب لولا ان العاشقين أصفيا لصوت الواجب

(١) Mauriac 90 L.F.U. v : II, 19 — 20 Faguet 300—301

(٢) Mauriac 90 - 91 Andromaque : 11 (٣)

كذلك ، فحفظا للأسرة المالكة هيبتها وأمنها. فإن آنت شُبهاً بين قصة هذين الحبيبين وبطلاني قصة راسين فلان الأميرة حين نذبت إلى هذا الموضوع أذنت له ، بل زينت له أن يستوحى علاقتها بالملك ، وعلاقة سيدة أخرى أحبها من قبل وحالت ظروف الملك وواجبات الدولة دون زواجه منها هي : ماري منسني ، بنت أخي الوزير مازاران (١) . وهذا الشبه يظهر لنا حينما نقارن بين عمق العاطفة وصدقها عند الأمير الروماني ، كما في المأساة ، وعند الأمير الفرنسي ، وبين هاتين شعري ونبل شملت حبها ، وبين طريقي لإسلاسهما للواجب ، وأخيراً بين مسحتي كآبة نحيم على قصتها ، كآبة اشاعها في «برينيس» ألم الفراق ، وفي قصر لويس الرابع عشر وفاة تلك الأميرة الجميلة وهي في ربيع الحياة ، قبل أن يفرغ الشاعر من روايته ببضعة أشهر (٢) !

عاد الشاعر في رواية «برينيس» ، إذا إلى موضوعه المحب إليه ، إلى تصوير المشاعر المترفة الرقيقة التي تمكس لنا صوراً من حياته ومن حياة الطبقة العليا في باريس وفرساي آنذاك . أية ريشة صناع هذه التي عرضت لنا أرق العواطف وأسمائها ، وأية شاعرية سمجة بارعة سكبت فيها من أنسها وظرفها ، وأي طبع دافق ولفظ مسلسل عذب !

فرغ الامبراطور تيتوس من اقامة الحداد على أبيه ، فشاع في القصر أن لم يبق الآن ما يمنع من تحقيق رغبته الاثيرة ، وهي الزواج من برينيس ، ملكة فلسطين ، التي بادها الحب خمس سنين ، والتي تعيش في قصره سعيدة متهللة لاقترب موعد الزفاف . بيد أن روما لم تأذن قط لأباطرتها أن يقتربوا بملكات اجنبيات . ذلك أسوأ ما يكيّدونه لها . فتيّتوس يفكر الآن بما آلت إليه الحال بعد ارتفاعه العرش : لقد أصبح ملكاً لوطنه ، فيجب أن يعيش لروما وللإمبراطورية . انه لا يجهل ما سيعانيه لفراق الملكة الحبشية ، ولكنه لن يخلف الوطن وعده ولن يقصر عن عمل الاسلاف . لقد عزم على أن يرد برينيس إلى بلادها . وتلفت برينيس الخبر بدمع سريب وحسره خائفة ؛ ولكنها رضيت آخر الأمر أن تليي رغبة الملك ، فوعدت أن ترحل ، وأن تعيش ، على شرط ألا يفاتحها

(١) L.F.U. v II 20 ثم 118—119 Portraits littéraires 92-93 Mauriac

ثم مادنا Marie Mancini, Henriette d'Angleterre في L.U. ثم

Bérénice 5 (٢) اعطانا فولتير ومدام دولاييت صورة جيدة عن حب لويس

الرابع عشر للسيداتين راجع : 120 - 118 من : Portraits littéraires

بعد اليوم أنتيوگوس ، ملك سورية ، وصديق الطرفين ، يحبه الذي باح لها به بمد
كتبات طويل .

سبق ان علمنا مذهب راسين في البساطة ، وهو في برينيس يبلغ ولا شك ذروته
وكاله . فالعقدة الروائية لا وجود لها هنا على الاطلاق . ليس في هذه المأساة حوادث
ولا مفاجآت ، وانما هي تصوير لحالة نفسية ، تصطرع فيها العواطف بما يملأ خمسة فصول
حتى تبلغ الرواية نهايتها المعقولة . حتى الحوادث الفاجعة نراه يصرف النظر عنها :
« لا ضرورة البتة لان يكون في المأساة موتى ودماء : يكفي ان يكون موضوعها عظيما ،
ومثلوها افذاذاً ، وان تثار فيها الالهواء ، وأن يكون على كل شيء طابع الكتابة الجلييلة
التي عليها تقوم كل لذة في المأساة (١) . » واذ كان مثله الاعلى في التمثيلية اطراح الحكمة
والحوادث فقد وافق هذا الموضوع هواء ، وراح بين في المقدمة مزاي المواضيع البسيطة
اذ يقول : « هنالك من يخيل اليه ان هذه البساطة هي علامة المعجز والصفوحة ، ولا يخطر
لهم أن مرد الابداح كله الى عمل شيء من لا شيء ، وأن هذا العدد الضخم من الحوادث
كان دائماً ملاذ الشعراء الذين لا يجدون في عبقرتهم الغزارة والقوة الكافيتين ليجذبوا
نظارتهم مدى خمسة فصول بعمل بسيط تدعمه شدة الالهواء وجمال العواطف واناقة
التعبير (٢) . » فاذا كانت « برينيس » أحب آثار راسين اليه (٣) ، فلانها اقرب في
موضوعها الى نفسه ، ولأما ادل في طريقها على فته . من اجل ذلك تقللنا اليك كاملة
وحرصنا على المحافظة على اسلوبها جهد المستطاع ، بما فيه من دقة وبساطة وجلال واناقة .
اما نجاح الرواية فقد كان عظيماً جداً ، بل انه كان من القوة بحيث كم افواه الحساد ، على
حد تعبير الاستاذ فاجيه (٤) ، اذ استطاع راسين ، كما يقول الناقد الكبير سانت بوف
أن يستخلص من موضوع في هذه البساطة تمثيلية ذات اهمية دائمة . ويقول فولتير : مامن
مرة اجتمع فيها لهذه المأساة ممثل وممثلة جذيران بدور تيتوس وبرينيس إلا عاود الجمهور
هتافه ودموعه (٥) . وليس الشاعر هذا النجاح الباهر ، فكتب في مقدمته : « لا استطيع
ان اعتقد ان الجمهور يلومني على اخراج مأساة تشرقت بدمعه الغزير ، وكان يتابع عرضها
في المرة الثلاثين بتلك الحماسة التي ابداهها حين عرضت امامه اول مرة (٦) . » على اننا

Portraits littéraire 114 (٣) 8—9 (٢) Bérénice : 8 (١)

Portraits littéraires 116 (٥) Faguet 300—301 (٤)

Bérénice 9 (٦)

لا ندهش لهذا الفوز يكتل جبين الشاعر، فالرواية، الى جانب ما فيها من روعة التحليل وسحر الشعر، تجاري ذوق ذلك العصر الذي كان يؤثر البساطة على كل شيء، كما حدثنا في بحث: «نشوء الآداب الاجتماعية» (١)، ثم إنها كانت صدى لحياة تلك الطبقة الراقية في فرنسا آن ذاك، وعلى رأسها الملك الشاب، الذي كان قصره مسرحاً للظرف والاناقة، والذي اشتهر بعلاقاته الفرامية مع عدد من النساء كهنريت دانجلوتير وماري منسيني، ولافاليار، والسيدة مونتسبان، والسيدة دي مانتونون (٢).

اما كورني فانه لم يفته من مأساته «تيت وبرينيس» (٣)، الا بعد صاحبه بثمانية ايام. لا نجد في هذه التمثيلية ما نجده في تمثيلية راسين من رشاقة وجري مع الطبع ونفاذ الى اغوار النفس؛ بل نجد حبكة بعيدة عن المألوف وحوادث معقدة وعدداً اكثر من الابطال. لذلك كان استقبال الجمهور لها قاتراً وكان نصر راسين على صاحبه حاسماً، وراح احد النقاد يقول (٤): «لقد نسي السيد كورني مهنته، فانا لا اجد مطلقاً في هذه الرواية»، واتيحت الفرصة لراسين ليتشفى من غريمه فكتب في المقدمة يقول غامراً من قناته: «لا شيء في المأساة يؤثر في القلب الا ما وافق الحق. واي حق في ان يجري في نهار واحد عدد من الأحداث قد تضيق عنه بضعة اسابيع» (٥).

• • •

غير أننا بعد ان عبرنا عن كبير اعجابنا بمأساة راسين هذه، وبيننا حفاوة الجماهير بها على مرّ العصور، وعرضنا لاسباب هذه الحفاوة، نحب ان نود فتبين قيمتها من الناحية المسرحية انخالصة. أحق أن المثل الاعلى للتمثيلية يستدعي صرف النظر عن الحركة والحوادث للمحافظة جهد الامكان على وحدتي الزمان والمكان كما يقول راسين؟ إذا استطاعت مأساة راسين هذه ان تنهي القلوب وتسترق الاسماع ساعتين كاملتين على خشبة المسرح بما فيها من معنى سري ولفظ حر وغوص عجيب الى اعماق النفس، أفيكون معنى ذلك خلواً من المآخذ المسرحية قاطبة؟ اليس عمود الفن التمثيلي تلك الحركة التي تشيع الحياة في موضوع الرواية وتمتع النظارة بلذة اخرى الى جانب اللذة

(١) ص ٦٥-٦٧ (٢) راجع L.U. مواد Henriette d'Angleterre

Mme de Montespan, La Vallière, Marie Mancini

Bérénice 5 (٤) Tite et Bérénice (٣) Mme de Maintenon

Bérénice 8 (٥) L.F.U. 21 Mauriac 92-93

الشعرية ، لذة المناظر التمثيلية التي تكاد تكون مفقودة في هذه الرواية ؟ دعنا من اصحاب النقد في القرن السابع عشر ولننظر الى هذه المأساة بعين الناقد الحديث ، أفلا يستوقفنا تلك القيود التي فرضتها وحدنا الزمان والمكان ، وهذا التحرج الشديد للمحافظة على وحدة الموضوع بحيث يفقد الحوار طبيعته وتحكم فيه فكرة واحدة ، فكرة الزواج ؟ ألا ترى معي ان هذه الاحاديث المطولة التي يتبادلها اشخاص « برينيس » ، تكاد تطفئ عليها روح الشعر وتخرج بها عن الحوار التمثيلي بكل ما فيه من حرارة وسرعة وإيجاز ونوع ؟ هذه مأخذ سبق ان ذكرناها على المسرحية الاتباعية على العموم ، وهي في « برينيس » ولا شك أقوى وأوضح . ولقد كانت برينيس وستبقي أثراً فنياً كُتِبَ له الخلود ، ولكن خلودها بما لراسين من شاعريته العالية ، اما النواحي المسرحية فانها لم تأخذ حظها من العناية كما رأيت .

. . .

وفي عام ١٦٧٢ اخرج الشاعر « يازيد »^(١) ، التي اقتبسها من التاريخ العثماني . وفيها نرى الوزير حكمت يمثل الطموح ، والسلطانة روكسان تمثل الحب والغيرة . كان راسين حين ذاك يرقى ذروة المجد بخطا حديثة . ففي عام ١٦٧٣ دخل الاكاديمية ، وفي عام ١٦٧٤ عين أميناً على خزائن مدينة : مولان ، وهو منصب يسلك صاحبه في طبقة النبلاء . اما منزلته عند الملك والامير كوندني الكبير والوزير الاول كولبير وسيدة القصر الاولى مونتسبان فقد كانت وطيدة الاركان^(٢) .

ثم اخرج « متريدات »^(٣) ١٦٧٣ ، و « ايفيجيني »^(٤) ١٦٧٤ التي مثلت امام الملك لدى عودته من احدى حملاته الظافرة ، في احتفال فخيم مهيب . وقد حاول اعداء راسين ان يلفتوا نظر الجمهور عن هذه المأساة العظيمة ، فأوعزوا الى شاعرين مغمورين هما : كورا ، ولوكليرك^(٥) ان ينظما تمثيلية بهذا الموضوع ولكن هذه التمثيلية منيت بفشل ذريع ؛ ولا يذكرها تاريخ الادب الا بتلك المقطوعة الساخرة التي علق بها راسين على فشلها اذ صور الرجلين يتنازعا في الرواية في حماسة بالغة ، فيدعي كل منهما انها من وضعه ، وهما يجعلان ما مستعنى به إخفاق ، حتى اذا ظهرت على المسرح وانفض الناس من حولها وسخروا منها ، جعل كل منهما ينسبها الى صاحبه^(٦) ؛

(١) Bajazet (٢) L.F.U. 21, Mauriac 99 (٣) Mithridate
(٤) Iphigénie (٥) Coras, Leclerc (٦) Mauriac 100
Faguet 304, L.F.U. 21—22

لزم راسين الصمت بعدئذ أكثر من عامين ، نظم خلالها « فيدر » (١) ، أعمق واجمل مأساة عرفها تاريخ الأدب الفرنسي على الإطلاق . انه هو هو ، ذلك الشاعر الذي يعطي المرأة الصدارة ، ويغلب الهوى على العقل ، ويبرز في مسرحه الخوف والحيرة ، ويقيم اركان فنه على القوس الى اسرار النفس ، ويستغني بتفاعل المواطن عن تراكم الحوادث ، ويستخرج الاعمال المنيقة من النفوس الضعيفة ؛ غير انه في هذه المأساة أبعد غوصاً وادقّ عرضاً ، وأعنى باللون التاريخي ، الى شاعرية اسمي ، ودياجة أحكم . ثم انه لا يعتمد هنا عن موضوع الحب المفضل لديه ، ولكنه ، على عادته في كل مرة ، يختار نوعاً من الحب جديداً ، كما نبتة الاستاذ لانسون ، بحيث ترى في مسرحه للحب انواعاً عديدة ، تختلف وفقاً للأمزجة والعقول والظروف والأعمار (٢) . انه يختار لبطلته الجديدة من الصفات ما يجعلها جديرة ان تثير فينا الرحمة والخوف ، كما يقضي مذهب ارسطو (٣) . فالرواية في الأساس تصوير رائع لشخصية امرأة امتزجت فيها عناصر الخير بعناصر الشر ، فأجبت حباً عنيفاً استبدل نفسها وأبطل ارادتها وطفى على غريزة الخجل في نفسها ، ثم جاءتها الغيرة فأكل قلبها وتزيد في آلامها وتدفع بها الى الجريمة ، ولكنها في الوقت نفسه تكره الاثم ، ولا تقترفه إلا مرغمة ، وتحس بتأنيب الضمير ، وتحشى حساب العالم الآخر . انها ترى بلحظ الغيب ما اعد لها من عقاب ، ولا تفسق في طريق الاثم الا لأن ارادتها لا حول لها ولا طول . وما يزال الضمير يوسسها وخزاً حتى تتوب وتأبى الا ان تعترف قبل ان تلفظ النفس الأخير بكل مخازيها (٤) :

أجبت « فيدر » ، امرأة « تيزيه » ، ملك اثينا ، ابن زوجها « هيبوليت » ، وبأحت لمريبتها بحبها الاثم . وكان زوجها قد ابتعد عن عاصمته منذ ستة اشهر وانقطعت اخباره . ثم جاء خبر موته ، فجعلت المربية تؤكد لها ان حبها اصبح مشروعا ؛ فادا هي تسمى الى لقاء معشوقها لتوصيه بصغارها ، ثم اذا هي تهذي امامه بهواها ، فلا تلقى منه غير الصدود والانكار ، ولا يزيدا الا ألماً بما يخرج من كبرياتها بهذا الاعراض . وفي اثناء ذلك يملنون عودة الملك : تلك مفاجأة طبيعية ؛ غير انها لم تكن في الحساب ان العاشقة لتخشى ان يهتك فتاها الستر فتريد ان تمتص بالموت ؛ ولكن مريبتها ارادتها

(١) Phèdre نقلناها كاملة اليك (٢) 548 - 547 Lanson (٣) راجع مقدمة Phèdre

لراسين (٤) Phèdre 9 L.T. 281

على البقاء ، وعزمت عليها ان ترفع الأمر الى زوجها وان تحمل الاتم على « هيبوليت » ، حفاظاً على شرفها . فتغضب « فيدر » وتحتج ، ثم تفقد ارادتها وتستسلم . فاذا جاء زوجها ، قوت المربية مهمة الاتهام ، وزعمت ان الفتى يكن منذ عهد طويل حباً آمناً لامرأة ابيه ، وجعلت تستعدي الملك على ابنه العاق ، وتعزو سعي سيدتها في الماضي لنفيه الى ما كاشفها به من حب . فيغضب الملك ويكفر وجهه ويأمر بولده فينفي . اما فيدر ، فالحق انها كانت حرة ان تضع حداً لوخر الضمير ، وتحول بين صاحبها ومكرها السيء ، لولا انها علمت وهي على وشك ان تفعل ذلك بأن « هيبوليت » انما اولها صدوداً لأنه يجب ابنة عمه « آريسي » ، فجاءتها الغيرة ضغناً على إبالة (١) ، وعجزت عن تحمل هذه المفاجأة الاخرى ، وتركت المربية تفترى ما تشاء . بيد أنها لم تكن تتوقع لغريمها اكثر من نعمة الاب وألم النبي ، فلما جاءها الخبر بمقتله حين جمحت به الخليل في طريقه الى منفاه ، أخذت تنوء باوزارها ، وتعجز عن تبكيك ضميرها ، وضاعت ذرعاً بالحياة ، فتناولت السم ، ووقفت امام زوجها تعترف بالجريمة وتجود بالنفس الأخير !

أرأيت الى ضعف الانسان وقلة حيلته امام ارادة القدر كيف ابرزتها هذه الريشة العبقريّة المبدعة ؟ لقد تفتح قلب المسكينة لحب لم تكن ترغب فيه وعملت جاهدة على تحاميه ، حتى اذا عجزت أعدت نفسها للووت شريفة مرراحة الضمير ، ولكن القدر وضع في طريقها هذه المربية التي مازالت بها حتى استنزلتها عن سرها ، ثم أوهمها بموت زوجها ، وساق اليها المربية مرة ثانية لتدفعها الى اقاء الفتى والافضاء اليه بهواها ، ثم قلب لها ظهر الجبن فأعاد الملك الى وطنه ، ثم جعلها مرة ثالثة تحت تأثير هذه المربية الخفقاء تهوّل عليها الاتم وتحذرهما مغبة الفضيحة ، ثم فاجأها بمنافسة خطيرة لتكتوي بنار الحب والغيرة معاً ، حتى اذا نوت الشر أو اذا شئت اندفعت اليه ورسمت له في ذهنها حداً معيناً ، أبي القدر ان يقف عند هذا الحد ، فتطور النبي الى فاجعة بل الى فواجع ذهبت بارواح رجل وامرأتين ! ! هذه الظروف المخففة هي التي اعتمد عليها الشاعر لاثارة الرحمة في نفوسنا كما يقضي مبدأ ارسطو ، غير ان الى جانبها عوامل اخرى نفسية بلغ راسين في تصويرها كذلك غاية الغايات : فالحب الذي يعلو الجوانح ويقض المضاجع :

(١) بليّة علي بليّة

ذوبت * وجف* عودي على حجر الهوى ودموعه .
 في عينيك الفناء لتتحقق ألمي الدفين ،
 لو انها أستطاعتنا ان تلقيا علي نظرة عابرة ..
 والحيرة والاستسلام لمشية القضاء :
 ماذا اقول ؟ هذا الاعتراف الذي جئت أبوح به اليك ،
 هذا الاعتراف المتين ، أبدو إرادياً لمينيك ؟
 والغيرة السكاوية الالهية التي تذهب بالصواب :
 هيبوليت يحب ، لقد برح عني الخفاء .
 هذا المدو النابي الذي عجزت عن تذليله ،
 والذي كان الاحترام يفيظه والشكوى تضجره ،
 لقد خضع واستأنس واعترف بأسر :
 إذ وَجَدْتُ دَآرِي (١) ، طريقاً إلى قلبه ..
 آه ! يا للآلام الشداد لم أكابد مثلها أبدا !
 فلا شيء عذاب جديد استمهلتي الايام !
 كل ما عانيته من مخاوف وآلام ولذع ضمير ،
 واهانة نالني بها رفضه بشر كبير ،
 لم يكن إلاّ بدءاً واهنة لما يرهقني من عذاب .

والكفاح العنيف لتجنب الآثام ، واخيراً ذلك الندم القاتل والخوف المائل من
 عقاب الآخرة ، كل اولئك يثير فينا شعور الرحمة على هذه المرأة البائسة واهتماماً بامرها
 قد يتجاوزان ، كما لاحظ الناقد لاهارب (٢) ، ما نكته من رحمة وما نظره من اهتمام
 لهيبوليت نفسه ، مع انها هي الجانية وانه هو الضحية .

ويرى النقاد ان هناك نسباً قريباً بين هذه الصورة الحية المؤثرة التي قدمها الشاعر
 لشخصية « الفيدر » ، في مدافعتها الهوى ، ونفارها من الاثم ، ثم في اندحارها امام
 غرائز النفس العاتية وارادة القدر الماضية ، وفي هذا الندم يرمض نفسها بالآلم - وبين
 مذهب الجالسنيين الذين ربي الشاعر في أحضانهم في « بوررويال » ، ثم خرج على
 تعاليمهم ، وها هو ذا عهد السبيل للمودة الى حظيرتهم . فهذا المذهب يقول بان الصالح

(٢) ابنة عم هيبوليت وحييته La Harpe (٢) راجع : 77 : Phèdre :

لن تكتب له النجاة ما لم تتداركه رحمة الله (١) ، وانا لا نشاء إلا أن يشاء الله . نحن احرار ، كذلك نشعر ونحال ، ومع ذلك ، فكثيراً ما نرانا نعمل ما لا نحب ، ونريد مرغمين (٢) ؛ وقد تحدث بوالو عن « الألم الفاضل » عند فيدر ، وقال عنها شاتوبريان انها « زوجة مسيحية » مع ان راسين قد اختار موضوعه من عصور اليونان الموغلة في القدم والوثنية ، ومن اجل ذلك رحب بها نساك بوريال وتعاملوا منها بعودة الشاعر العظيم الى صفوفهم (٣) . على ان راسين قد صرح في المقدمة بما وضع نصب عينيه من هدف اخلاقي للرواية ، وعبر عن امله ان يوفق بذلك بين فن المأساة « وطائفة من الناس امتازوا بتقوam ، » هذا الى ان المسكاتبية لم تقطع ابداً بينه وبين عمته في بوريال : « وهي التي اختارها الله ، على حد تعبير راسين ، لتنتشله من ضلاله . » وهنا كذلك يقوم بوالو بدوره الطيب ، فيحمل المأساة الى « أرنولد » ، استاذ راسين ، فيقرأها الرجل الزاهد ويتهلل وجهه ، ويعلن انه لا يجد فيها ما يعيبه على الشاعر ؛ وعلى اثر ذلك اصطحب بوالو صديقه راسين اليه ؛ وتماثق الاستاذ وتلميذه وعادت المياه الى مجاريها بين الشاعر ورجال بور رويال (٤) .

اما العمل الروائي فقد رأينا راسين يعدل فيه من فكرة البساطة المتطرفة ليسمح عليه الحركة والحياة : اذ جعل في هذه المأساة ارادة المربية الى جانب ارادة البطلة ، تؤثر عليها وتوجهها وتحمل معها كبراً (٥) عملها ؛ وأشاع موت الملك ثم فاجأ بنجر أوبته كما انه فاجأ البطلة بفراق هيبوليت ليثير غيبتها ؛ ثم رسم للفتى هذه النهاية الرهيبة ايدفع بالندم في قلبها الى غايته .

ومن عجب ان الأديب « سوبليني » (٦) ، اخذ على راسين تعقيد حبكة هذه المأساة وذلك ان دل على شيء فانما يدل على مدى تأثير الادباء بآراء راسين في البساطة ، حتى انهم اخذوا عليه خروجه قليلا على احد مبادئه (٧) . ثم هو يدل على اننا لم نركب الشطط حين لاحظنا ضعف الروح المسرحية في برينيس وقصور حبكةها عن ان تملأ

(١) L.T. 281 (٢) من كلام سانت بوف : 77—78 Fèdre :

(٣) Phèdre : 9 (٤) L.F.U. 22 (٥) إنم (٦) Subligny عاش :

١٦٣٦-١٦٩٦ وهو الذي كتب « الخصومة الحقا » في نقد اندروماك . (٧) L.F.U. 21

تمثيلية ذات خمسة فصول ، ولذلك رأينا راسين يعدل شيئاً عن طريقته ، ولا يفترو
بما صادفه من نجاح .

. . .

على اننا نبخس راسين كثيراً من حقه اذا وقفنا في مأبساته هذه ، بل في جميع
آثاره ، عند النواحي التمثيلية ، ولم ننظر الا الى الحقيقة النفسية في تصاويره ، والى ما فيها
من روعة المطابقة لما في الحياة (١) . ان جانباً كبيراً من عبقرية الرجل يعود الى تلك
الشاعرية الملهمة التي تطلعتنا خلال مآسيه . فهو انما يختار اشخاصه في الأغلب من
الاجواء التاريخية البعيدة النامضة ، ليفسح المجال للشعر والخيال (٢) . وقد يبدو لأول
وهلة ان التراجيديا ، كما في مفهوم راسين ، تستطيع ان تستغني عن التاريخ ، وذلك لمزوفها
عن كل شذوذ واقترابها من الحياة الدارجة . غير ان هذا الاعتبار نفسه هو الذي يظهر
ضرورة الاعتماد على التاريخ ؛ وإلا ، فإن هذا التقارب الوثيق بين اشخاصه وبيننا جدير
ان يحرمهم كثيراً من الجمال والسحر اللذين يضيفها عليهم الماضي ، فراسين يشحرم في
التاريخ ان يفمر واقعيته بعفان الشعر . وما كذلك كورني الذي يلجأ الى التاريخ ليبين
امكانية الحوادث فقط . وعلى ذلك فراسين لا يهمه دقة الخبر ووثاقته ؛ ان غرضه الاول
ان يرسم لنا الفرائز والاهواء الخالدة ، فكثيراً ما كان يحوّر الحوادث التاريخية ، اذا وجد
ضرورة ذلك او فائدته ، على ألا يخرج بعمله هذا على متعارف الناس او يناقض الفكرة
العامة التي تكونها عن الموضوع . انما يتناول الرجل مواضيعه من التاريخ لسبب أوجه
من تثبيت الوقائع ، الا وهو الشعر . ذلك بان الموضوع لا يوافق هواء الا اذا كان الى
جانب العمل المسرحي فيه وحي شعري . ان الحقيقة المباشرة قد لا تكون من تلقاء نفسها
شعرية ، ولكنها تكون كذلك اذا تقادمت عليها المصور . كذلك كان اتجاه كتاب
المآسي اليونان قبله ، فقد كانوا يتناولون موضوعاتهم من خرافاتهم الممثلة في
القدم (٣) . ومن الطريف ان نذكر ان راسين كان على وعي تام لما يفعل ، كما تدل على
ذلك مقدمته لبيازيد ؛ واذا كان قد اختار موضوع بيازيد هذا من تاريخ قريب « فلان
بعد البلاد العثمانية يموض من دنو الزمان (٤) » ، هذا البعد لا يقتصر على المكان فعسب

(١) Lanson 550 (٢) Faguet 338 (٣) L.T. 286 -287

(٤) مقسمة بيازيد : Bajazet

بل يتعداه الى الامزجة والتقاليد والمادات ، انه البعد ما بين الامة الفرنسية والامة
 العثمانية في القرن السابع عشر ؛ من اجل هذا كان للاساطير حظ كبير
 من عنايته ، وازداد بها شغفاً كلما اعمت في القدم : فالتاريخ يهيئ له مادة المرحية ، اما
 الاساطير فهي تغمرها بالاصباغ والاجواء الشعرية (١) . ومن اجل هذا رأينا راسين
 يلتبس موضوعاته عند الشعراء ، كـ"أوريبيدوس وهو مير وفرجيل ، ومنهم اقتبس اندروماك
 وإفيجيوني وفيدر ؛ او عند مؤرخين ادباء ، كـتاسيت ، اعظم مصور للمصور القديمة ،
 ومنه اقتبس برتانيكوس ، ثم بلوتارك ، مؤلف السير الروائع الذي كان شيكسبير
 كذلك ينشد عنده شعر العواطف ، ومنه اقتبس راسين روايته ميتريدات ؛ واخيراً التوراة
 ومنها اقتبس رواقيني إستير وأتالي . اما كورني ، فهو على خلاف ذلك قد اختار موضوعاته
 من مؤرخين لا قيمة ادبية لهم ، وذلك لانه لا يريد منهم ان يكونوا اكثر من مؤرخين ،
 اعني اكثر من ضحانات لصحة الاخبار . ومع ان ابطال راسين يخفق قسلبهم بالعواطف
 والاهواء الانسانية الخالدة ، فانهم ليسوا في نظره نماذج عامة من البشر ، بل هم يناجون
 خياله ، فيعكف على استحضارهم كما صورهم التاريخ ، ولذلك كانوا اكثر فردية من ابطال
 كورني الذي لم يكن يعني بغير نحتهم وفاق فكرته . فاندروماك تبدو عند راسين كما صورها
 هوميرو وفرجيل ، واورست (٢) يبدو كما صورته أسخيلوس وأوريبيدوس ؛ وبرتانيكوس هي
 لوحة قوية لروما القيصريّة كما رسمت ظلالمها المتعبة ريشة تاسيت . وميتريدات هو الشيخ
 العاشق والطاغية الاسيوي كما اوحى به قريحة بلوتارك . وحول ايفيجيني تراه يستلذ ان
 يستحضر اليونان كما عاشوا في خيال هوميرو . والشعر في فيدر أروع وأقن . ومن الصعب
 ان نورد هنا كل الايات التي تخلق حول هذه الدراسة القاسية للهوى جواً خرافياً يغمر
 البطلة بموكب من الاعاجيب او الاساطير الراحبة ويوحى ايماء قادراً بتلك المصور
 الجيولوجيه (٣) ، ولكن فيما يلي بعض ذلك (٤) . فاصنع الى فيدر تخاطب الشمس :

أيهذي النبيلة الساطعة التي ابدعت اسرة حزينه ،
 انت التي كالت امي تجتري فتفخر بانها ابنتك ،
 ابنتها الشمس ، لقد جئت اراك للمرة الأخيرة .

(١) Faguet : 336 (٢) احد ابطال رواية اندروماك (٣) الخرافة
 L.T. 287-288 Phédre. 12 (٤)

وحين تعاني آلام الحب وتذكر ماغاته امها واختها قبلها :

بالبغضاء فينوس ! يا لفضبتها النكداء !

في اي حيرة وغم قذف الحب بأمي . . .

أريان ، يا اختاه ، اي حب آذاك

فقضيت نحبك حيث تركت على الساحل . . .

كل ما في الكتاب المقدس من شعر نراه في رجاء « إستير » ، وكل ما فيه من قوة وحدة نراه في رواية أنالي . لنفكر في بطل هذه المأساة ، الكاهن جواد ، ولنتبين تلك الشاعرية الفذة وذلك الفن العجيب اللذين قدما لذلك الجيل من العقليين والجدليين في القرن السابع عشرانياً ، بكل ما في الكلمة من معني ، يستلهم ويرسم المستقبل صوراً أو رؤى ممتعة (١) ! انك لتجد عند راسين شعر العاطفة وشعر الخيال وشعر الاسلوب : فعلى لسان هؤلاء المشاق المدنفين تنطلق العواطف شجية مؤثرة رائحة النبرات ، تسبح في بحر من الاخيلة الجميلة يفترفها الشاعر من التاريخ القديم والخرافة القديمة (٢) . ونوع آخر من الخيال نجده عند راسين : ان المائي لا تمثل لهذا الشاعر الكبير عارية عاطلة ، بل انها تفتتح في خاطره صوراً توسع في حدودها وتذهب بخيال السامع كل مذهب . لقد كان هم كورني ان يولد الافكار وينضد الحجاج فلم يُعن بالخيال ؛ وعني راسين به ، يقرب معانيه ويحملها الى قلب السامع ، من غير تزيد ولا إغراب . اصنع الى كورني يمدد ما أثر احد ابطاله بأسلوبه المجرد :

عندما تغلب على ميناتور في جزيرة كريت

وعندما مستجازي ديماست وباريفات . . .

واصنع الى راسين يمددها بحملة على اجنحة الخيال :

فالكواسر مخنقة ، وقطاع الطرق مجازون . . .

وعملاق لإيدور قد تبعثرت عظامه ،

وكريت جملت تدخن بدم ميناتور ٣ . . .

اما شعر الاسلوب فيتجلى في هذه البساطة الاخاذة في التعبير : ابدأ لا يصوغ راسين معانيه حكماً وامثالاً على نحو ما يصنع كورني ؛ وانما هي الفاظ تؤثر بصدقها

وجريها مع المعاني هبوطاً وصعوداً ، فاللفظ الشريف المعنى الشريف ، واللفظ المعادي المعنى المعادي (١) . وهو في الحالين يحرص على صفاء اللغة وتناغم الألفاظ ومرونة التراكيب . فهناك موسيقا شعبية تلهب الحواس وتوقظ الخيال بصورة نادرة المثال . هذه الموسيقا احاط راسين بجميع اسرارها (٢) ، فما تلمح في الفاظه من نبوءة او لشاز . ليس من فن يبدو اكثر منه بساطة ، ولكنك اذا تأملتة جيداً رأيت وراء هذه البساطة فناً متداخلاً مركباً ، يجمع بين افة موسيقية واضحة ، وتقاضٍ الى اغوار النفس السحيقة ، وشاعرية منقطعة النظير (٣) .

مثلت « الفيدر » لأول مرة في باريس ، على مسرح « بورجونى » (٤) ، في اليوم الاول من عام ١٦٧٧ ، وقامت « لاشاموسلي » ، المثلة الشهيرة ، بدور « فيدر » فيها . وبعد ذلك بيومين ، مثل مسرح « جينيجو » (٥) - وهو الذي ضم فرقة مولير بعد وفاته وفرقة « ماريه » (٦) - مأساة اخرى بعنوان « فيدر » ، نظمتها في ذلك الحين شويمير غغفيل (٧) ، لا يذكره تاريخ الادب الا بهذه المناسبة ، ويدعى « برادون » ، بإعاز من دوق « بويون » واخيها دوق « نيفير » وجماعة من اعداء راسين . لقد اخفق هؤلاء الاعداء في اسقاط « ايفيجيني » ، فهاهم اولاء يعيدون الكرة لاسقاط « الفيدر » . واحس الشاعر انه الآن امام مؤامرة محكمة ، وان حوله قوماً غدرًا يبيتون له الشر ، فسمى لدى الملك ليمنع تمثيل الرواية المنافسة ، ولكنه لم يفلح ، واستأجرت الدوقة واخوها المقاعد الامامية من دارتي التمثيل في الدورات الست الاولى ، وبذلك في ذلك مالا كثيراً ، بحيث استطاع ان يصرفا انتظار الجمهور بضعة ايام عن مأساة راسين ، وان يضمنتا لبرادون بعض النجاح ، اذ عرضت روايته عشرين مرة حينئذ ، ولكنها ما لبثت بعد ذلك ان توارت عن الانظار . اما مأساة راسين ، فان اقبال الجمهور عليها لم يزل ولم يفتُر الى اليوم ، اذ أحصى لها في دار التمثيل الشهيرة بالكوميدي فرانسيز ١٢٣٨ عرضاً ما بين عامي ١٦٨٠ - ١٩٣٢ . وقد تقارض انصار الشاعر وخصومه اهاجي كثيرة ، وهدد الدوق راسين وصديقه بوالو بالصفع ، وكاد الأمر يفتقم لولا تدخل الأمير كوندى الكبير واعلانه « أنه سيجازي على كل اهانة توجه الى الشاعرين

(١) L.T. 289 (٢) Phèdre 9—10 (٣) L.T. 289
(٤) Bourgogne (٥) Guénégaud (٦) Marais (٧) لا يرجى خيره ولا يخفى شره .

كما لو انها كانت موجة اليه . » وبذلك انطلوت صفحة ذلك الخلاف (١). بيد أن راسين رهيقه غم كبير لما قوبل به من جفاء . هذا الى ان ذكريات بور رويال كانت تعاوده منذ اخذ يخط الاسطر الاولى من « فيدر » كما رأيت . ورأيت ان اساتذته لم يضق صدرهم به ولم تنتغل فيهم عليه واستبشروا بروايته . هذه خيراً . ان ايمان الشباب الاول ليستيقظ في نفسه من جديد ؛ لقد ازور عن المسرح اخيراً وانقطع عن كتابة المآسي التي كان انما يعيش لأجلها . صرف وجهه عن الفن وهو املك ما يكون له ، فلم تمل عبقريته يوماً حُبسةً وما أمسك عنه قول : تضحية لم يسمع بمثلا احد في تاريخ الآداب . لقد نَسَكَ ورغب عن المجتمع الصاخب وعاد الى احضان اساتذته الأكرمين ؛ بعد ان تطاول عليهم وبسط لسانه فيهم . وحقي رجال بور رويال بالشاعر العظيم ، ونصحوه بالزواج ؛ فاقترن بفتاة عادية ساذجة يقول المؤرخون انها لم تقرأ مآسيه ، ورزق منها صبيين وخمس بنات ، توقر على تربيتهم بمجد وتقان . ولم يمض كئير على زواجه حتى عينه الملك مع بوالو كاتين لتاريخه . فاعتبر راسين « اختيار صاحب الجلالة له عناية الهية شغلته بعمله هذا تماماً عن القريض . » أما ما كتبه الشاعران من تاريخ الملك فقد علمت — بين قرأت حياة بوالو ان النار ائت عليه ولم تبق منه الا قليلاً ٢ . ان اعتزال راسين للمسرح احدث فتوراً كبيراً في الحياة الأدبية حين ذاك . مات مولير عام ١٦٧٣ ، وقدم كورني آخر تمثيلياته ١٦٧٤ ، وهذا راسين يصادر المسرح ١٦٧٧ ؛ فخيم الصمت وبلغ من فتور الانتاج الادبي ان لويس الرابع عشر رأى ان يجمع في واحد مسرحتي بورجونني وجينيجو (وهذا الاخير كان قد تشكّل بدوره من فريقي مولير وماريه) . ومن اجتماع هذه الفرق الثلاث عام ١٦٨٠ يتكون مسرح الكوميدي فرانسيز الذائع الصيت . وفي عام ١٦٨٤ توفي كورني ، فانتخب اخوه توماس مكانه في المجمع العلمي الفرنسي وكان راسين في طليعة المرشحين به . لقد محّا الزمن والموت والمجد المشتتل ما كان بين راسين والشاعرين من عداوة قديمة — . ووقف راسين في حفلة استقبال توماس يذكر پير كورني العظيم ويثني عليه : « عندما يتخطى اصحاب العقول العظيمة الحدود المشتركة ويمتازون ويخلدون بآثار روائع كآثار اخيك ، فهما تكن غرابة التفاوت الذي يضمه الخط بينهم وبين عظماء الابطال في الحياة ، لا بد ان يزول هذا

L.F.U. 22 Mauriac : 101 L.T. 280 Phèdre 5—6 (١)

Lanson 540 L.T. 274—275 (٢)

التفاوت بعد الموت . ان الاجيال القادمة التي تلتذذ المؤلفات التي يتركونها لها وتتقف بها ، لا تجد من صعوبة لتتعد لهم باعظم الرجال ، لتسوي بين الشاعر الفذ والقائد الكبير ١ .

• • •

امضى الشاعر احد عشر عاماً لا يزور المسرح ولا يؤلف له ابداً . ثم عاد فجأة يكتب له استجابة لرجاء « مدام دي مانتونون » (٢) ، وهي سيدة اديبة تزوجت شاعراً يدعى « سكارون » ، فلما هلك عنها دخلت قصر فرساي مربية لاولاد الملك من محظيته السيدة « دي مونتسبان » ، ثم تزوجها الملك سرراً وكان لها شأن في تسيير دفة الحكم وماتت بعده بضع سنوات . طلبت اليه هذه السيدة ان ينظم مأساة اخلاقية دينية ليقوم باخراجها بعض الفتيات النبيلات اللواتي كانت تشرف على تربيتهم في مدرسة أسستها لهن في « سان سير » (٣) ، فأكتب على نظم مأساة « استير » (٤) ، على الرغم من تحذير بواله من العودة الى المسرح ، واختار موضوعها من الكتاب المقدس (٥) ؛ ثم كتب في مقدمتها : « ان هذه القصة ملائمة بدروس عظيمة تعلم حب الله واعزال العالم ، وقد مثلت الرواية امام الملك والحاشية وحظيت بنجاح عظيم ولم يتوقف مرضها الا بمناسبة وفاة ابنة اخي لويس الرابع عشر ، ملكة اسبانيا ٦ . وقد اثنى الناقد الكبير « سالت بوف » على استير هذه وقال : « انها اروع شكاة وازكى مناجاة من تلك النفس الرقيقة - راسين - التي لم تستطع ذات يوم ان تشهد حفلة دخول احدى الفتيات في الرهبانية الا وعيناها تفيضان بالدمع . » وكان فولتير يعجب بأسلوب هذه الرواية ويردد منها على الخصوص هذه الايات :

الازلي اسمي ، والعالم صنع يديه ؛
يسمع زفرة الضميف تمتد يد الظالم اليه ،
ويقضي بين العباد بقوانين متساوية ،
ويحاسب الملوك من سدته العالمية (٧) .

- (١) L.F.U. 22 (٢) Mme de Maintenon راجع هذه المادة في L.U.
(٣) Saint-Cyr راجع L.T. 275 ثم L.F.U. 22 (٤) Esther
(٥) Mauriac 185-186 (٦) L.T. 281, Mauriac 187-188
(٧) مادة Esther في L.U.

شم بنظم الشاعر رواية « أتالي » عام ١٦٩١ يستجيب بها لرغبة السيدة الكبيرة مرة أخرى ليخرجها تلميذات « سان سير » أيضاً . انه هو هو الشاعر العظيم يعرف من معين المبقرية الصافي النير الذي لم يأسن ولم ينضب على طول ما اعمل . يدان هذا الأثر الخالد لم تبدل في اخراجه العناية الكافية فلم يلق حينئذٍ الترحيب المأمول . ولعل بوالو هو وحده من رجال ذلك العصر ، الذي عرف قدر هذه الرواية ووقاها حقها من الشناءة ولعل مدام دي مانتون وحدها بين النساء يومئذ هي التي لمست ما فيها من شاعرية وجلال قصرحت بان راسين لم يكتب قط ما هو أجمل منها . فلما جاء فولتير في القرن الثامن عشر نادى بصوته المدوي " ان أتالي هذه هي احدى نقائس الفكر الانساني ١ . وكنت احب ان اقف وقفة اطول عند هذا الأثر العظيم ، لولا ضيق المقام وخشية الاطالة . فلما اكثر ما تفتحت عنه اكمام المبقرات في ذلك العصر حتى كاد بمضه يطغى على بعض ، وحتى لئلا نمر " بالأثر الخالد فلا نستطيع ان نقف عنده الا لماماً !

• • •

لم ينظم راسين بعد « أتالي » هذه التي استمد موضوعها من الكتاب المقدس كذلك الا اربعة اناشيد دينية . على ان استجابته لرغبة السيدة الكبيرة واخراجه الروايتين السابقتين ما كانا ليعدا انحرافاً عن الطريق الجديد الذي اختطه لنفسه ، لان المثل الدينية العليا مادتها وغايتها كما رأيت . وما كان راسين ليزيغ بعد اذ تاب توبة نصوحاً واهتدى . ان عفو الله ومرضاة اساتذته الأخيار : انؤله الكبير ونيقولا وهامون ... هما الامل الرطب الذي كان يثلج صدره والمنهل العذب الذي يطغيء أوامه . وعلى شديد حبه للملك ، فانه لم يخف يوماً تردده على بور رويال . ولملك تذكر ان لويس الرابع عشر كان شديد النعمة على سكان ذلك الدير وعلى أتباعهم ومريديهم ٢ . فلئن كان خصوم الشاعر يهمنونه بتملق الملك ، فعليهم ان يذكروا كذلك شجاعته الفائقة في مصادقة جماعة باءوا بغضب الملك فطاردم وجذد دابرهم لإنقاذاً لوصيصة وزيره « مازاران » ، بالألا يسمح بوجود هذا المذهب ولا بمجرّد ذكره ٣ . ومن عجب ان لويس الرابع عشر لم يتغير عليه ولم يحجب عطفه عنه ؛ وبقي راسين مقرباً اليه ، لمسير

(١) L.T. 281, Mauriac 193 (٢) حبه للملك من جهة وتردده على هذا الدير

من جهة ثانية نجد خبرهما في 174, 173, 149 Mauriac (٣) Malet: 203

Les Contemporains 282

في ركابه اثني سار ويؤرخ وقائمه (١). بسـل ان جلالته تفضلت فانعمت على الشاعر عام ١٦٩٠ بلقب «نبيل» (٢). بيد انه من المرجح انها لم تقابل بالارتياح ما وضعه الشاعر بمد ذلك في «أنالي» على لسان السكاهن الكبير مخاطباً الملك الطفل :

انك لتجهل نشوة السلطان المطلق

وسحر صوت الاوغاد من ذوي الملـق .

عما قليل سيحدثونك بأن اقدس القوانين

انما تسود الشعب الحقير لتعنو للحاكمين ؛

فليس للملك من رادع سوى ارادته ؛

وإن عليه ان يضحى بكل شيء في سبيل جلالته ؛

وان الشعب محكوم بالدموع والاجهاد ؛

وان عليك ان تقوده بعضى من حديد لينقاد . . .

هذه الايات كما ترى على جانب كبير من الخطورة ؛ وبحسبك ان تعلم انها كانت تقاطع بالهتاف قبيل الثورة الفرنسية الكبرى ، وانها اضطرت الوزير فوشيه في عهد نابوليون الى وقف الرواية من اجلها . هذا الى ان لويس الرابع عشر لم يكن يرضى عن تدخل الأدباء في السياسة ولا عن تطوعهم لقيادة حملة الاصلاح في وطنهم . وما زاد نعمة الملك علمه بكتاب اتفه الشاعر وسماه « الموجز في تاريخ بور رويال » ، وثلاثة الانافي ما ذكره صغير ابنه راسين من ان اياه وضع مذكرات تلبية لرغبة السيدة دي ماتونون ضمنها آراءه في اصلاح احوال الشعب وتخفيف آلامه ؛ فقد اطلع الملك على هذه المذكرات وانطوى منها على مضض وقال : « أفان كان يحدق صناعة الشعر أفتراه يحسب انه عالم بكل شيء ؟ أم تراه يريد ان يكون وزيراً لأنه شاعر كبير (٣) ؟ » اما سيدة القصر فالحق انها كانت صديقة وفية للشاعر ، ولكنها لم تجد في نفسها الشجاعة الكافية لتدفع عنه فتور الملك (٤) . هكذا ساءت الحال منذ عام ١٦٩٨ بين هذين الصديقين . لم يملن المليك سخطه على راسين ، ولكنه فتر عنه بمدئ وصاحبه على دَخل . واذا اردنا ان نعرف اثر هذه الجعوة البالغ في نفس شاعرنا الرقيقة وكيف زادت اعتلاؤه

Mauriac 206, Athalie 4 (٢) Mauriac 177—180 (١)

Le Siècle de Louis XIV, (٤) L.F.U. 23, Mauriac 207—208 (٣)

v : 2 P : 18

واستعجلت منيته لما علينا الا ان نذكر تلك الخطوة العظيمة التي قددها الشاعر بسبب هذه الجفوة ، بعد اذ بلغت الحال من عطف الملك انه كثيراً ما كان يدعو راسين لينام في غرفته ؛ لشدة ما كانت تعجبه قراءته ، فاذا امتنع النوم على رجل الدولة الكبير كان يتشاغل عنه ببعض صفحات يتلوها عليه شاعره ، حتى يداعب الكرى جفنيه ؛ وكان راسين يشكو داءً عضالاً في كبده ، وقد اخذ المرض يشتد عليه ويقض مضجعه . وفي الثاني والعشرين من نيسان ١٦٩٩ اسلم الشاعر آخر انفسه ، شجاعاً ورعاً ، ومن حوله أسرته وصديقه الوفي بواله ؛ بعد ان اوصى ان يدفن في پور رويال ، عند قدمي السيد « هامون » ، احب اساتذته اليه (١) .

وكانت وفاة راسين مثار حزن بالغ للملك الصديق . فلما التقى بواله لم يتمالك ان صاح : « لقد فقدنا كثيراً ، انا وانت يا صديقي ، بوفاة راسين . » فكان بواله يتحدث عن ذلك بقوله : إن جلالة قد تحدثت عن راسين على نحوٍ يفري رجال البلاط بالتماس الموت ؛ أما « بواله » الطيب فقد كبر عليه ان الخطب ووقع عليه كل موقع ، فاعتزل في داره ، ولم تطلأ قدماء قصر فرساي بعد ذلك ابداً (٢) ؛



برينيس لرايين

اشخاص الرواية

تيتوس (١)	امبراطور روما
برينيس (٢)	ملكة فلسطين
اتيكوكوس	ملك الكوماجين «مقاطعة سورية»
بولان	امين اسرار تيتوس
ارزاس	امين اسرار اتيكوكوس
فينيس	امينة اسرار برينيس
روتيل	روماني
حاشية تيتوس	

«تجري الحوادث في روما ، في حجرة بين شقتي تيتوس وبرينيس»

- «١» تيتوس ابن فيسباسيان ، هو احد اولئك الملوك اللذائل الذين حاولوا تخفيف آلام شعهم بصدق واخلاص . «لقد اضمت يومي» كان هذا الملك الفيلسوف يقول حينما تقرب عليه شمس يوم لا يسرفه الى خير . وقد استولى على القدس في عهد ابيه .
- «٢» لا نعرف كثيراً عن الملكة برينيس على وجه التحقيق . والمعروف انها ابنة أحرى الاول ملك فلسطين ، وقد لاذت بمسكر الرومان فاحبها تيتوس ولم يكن حينئذ امبراطوراً .

❖ الفصل الاول ❖

المنظر الاول

انتيوكوس - ارزاس

انتيوكوس : — لنقف لحظة ، فقد ارى جيداً يا ارزاس أن ابنة هذه الحال جديدة لناظريك . هذه الحجرة البهية المستفردة طالما كانت مستودع اسرار تيتوس . فهو في هذا المكان يحتجب احياناً عن حاشيته ، عندما يأتي الملكة ليثبها حبه . وان هذا الباب لقريب من شقته ، وهذا الآخر الى مقر الملكة يؤدي . اذهب اليها وقل لها : لاني مضطر الى ان ازعجها فأسألها الفرصة لأفضي اليها بحديث .

ارزاس : — انت ، مولاي ، مزعج ؟ انت ، ذاك الصديق الوفي ، الذي اثار التفاتك اليها وعنايتك بها اهتمام خير ؟ نبيل ؟ انت ، انتيوكوس ، ذاك الذي كان فيما سلف لها محباً ؟ انت الذي يمدك الشرق بين اعظم ملوكه ؟ ماذا ؟ أفان أمثلت ان تكون قرينة لتيتوس ؟ فهل لهذه المنزلة ان توسع الفجوة بينكما ؟

انتيوكوس : — اقول اذهب ، وانظر اذا كنت استطيع ان يتحدث اليها على انفراد ، ولا تحمّل نفسك عناء آخر .

المنظر الثاني

انتيوكوس وحده : — واذن ! انت انت يا انتيوكوس على الدوام ؟ استطيع ان اقول لها : « احبك » من غير وجل ؟ ولكن هاأنذا أُرْعِدُ ، وان قلبي الواجف ليخشى هذه اللحظة بقدر ما تمنّاها . لقد سبق ان اقترعت مني بريفيس كل امل حتى فرضت علي صمت الابد . فاخلدت

الى السكوت خمسة اعوام ، وضربت على حي الى هذا اليوم
 نقاباً من الصداقة . فهل لي ان اعتقد انها اذ وضعها يتوس في المقام
 الذي اعدّها له ، أحفلُ بي منها في فلسطين ؟ انه بان عليها (١) ، فهل
 انتظرت اداً هذه الساعة لأجيء وأكاشفها بجلي ؟ هذا وما يجدي علي
 اعتراف طائش متهور ؟ آه ! اذا كان لابد من الرحيل ، فلا رحل من
 غير ان أبوء بغضبها . لأنسحب ، لأخرج ؛ ومن دون ان أميط عن
 نفسي اللثام ، فلا أذهب بعيداً عن عينها فأسلو عنها او اموت . واعجباً (٢) !
 أو كابد الى الأبد ألماً تجهله ؟ أأسكب على الدوام دمعاً علي ان أحبسه ؟
 كيف ؟ الخاف غضبها حتى حين اقصدها ؟ ايها الملكة الجميلة ، ولماذا
 تفضين ؟ هل جئت اسألك ان تتخلي عن المملكة ؟ او انت تطارحيني
 الهوى ؟ والاسقاء ؟ ما جئت الا لأقول لك : اتني بعد اذ عللت النفس
 طويلاً بما قد يعترص اماني منافسي من صعاب ، هأنذا في هذا اليوم
 غداة لا يعجزه شيء ، وحين يقترب زفافكما ، وبعد اعوام خمسة من
 الحب والأمل الفائل (٣) ، هأنذا ارحل ، وانا لا ازال وفياً علي حين
 لا ارجو شيئاً ، كئثال ناعس للثبات الطويل . سبيلها ان ترثي لي ،
 لا ان تنقم علي . ومها يكن من امر ، فلنتكلم : فقد كفانا كبت
 انفسنا . وماذا عسى ان يخاف ، والاسقاء ، عاشق بلا امل في مكنته
 ان يوطن نفسه على الا يراها ابداً ؟

المنظر الثالث

انتيوكوس ، ارزاس

انتيوكوس : — ارزاس ، اندخل ؟

ارزاس : — مولاي ، لقد رأيت الملكة ، على اتني ما شققت اليها الا ببناء امواج
 الخلائق المتجددة الماكفة ، بجذبهم مجدها القريب على آثارها .
 وقد كف يتوس بعد ثمانية ايام من العزلة الصارمة عن بكاء ابيه

(١) بنى الرجل على امله : زفنا (٢) لا حظ تردده (٣) الباطل

فيسباسبان . فهذا العاشق يعود مَعْتِياً بِحَبْنِه ؛ واذا كان لي يا سيدي
ان اثنى بِمُحْدِث البِلاط ، فلعل برينيس السعيدة تبدل لقب
الامبراطورة من لقب الملكة قبل ان يفضي الليل .

انتيوخوس : -- وا اسفاه !

ارزاس : -- ماذا ؟ ايكون لهذا الحديث ان يكدر صفاءك ؟

انتيوخوس : -- واذن فانا لا نستطيع ان اكلمها على انفراد .

ارزاس : -- ستراها يا سيدي : فقد وقفت برينيس على رغبتك في رؤيتها وحيدة
بلا تَبَع . وقد تفضلت جلالتها بنظرة انبأتي أنها ستجيب رغبتك
هذه ؛ ولا شك انها تنتظر اللحظة المواتية لتتواري عن اعين
بطانة تضيق بها ذرعاً .

انتيوخوس : -- حسبك . ولكن لم تغفل شيئاً من الأوامر الخطيرة التي
بها اليك ؟

ارزاس : -- مولاي ، انت تعلم نشاطي في طاعتك . وان في اوسيتيا (١)
سليحت بعناية ، وهي على استعداد لمفارقة الميناء بين
ولا يمسكها عن الرحيل غير انتظار امرك .
ولكن من هم الذين ستمعيدهم الى بلادك (٢) ؟

انتيوخوس : -- يجب ان نرحل ، يا ارزاس ، بعد ان ارى الملكة .

ارزاس : -- من يجب ان يرحل ؟

انتيوخوس : -- انا .

ارزاس : -- انت ؟

انتيوخوس : -- حين اغادر القصر ، اغادر روما ، اي ارزاس ، اغادرها الى الأبد .
ارزاس : -- انا مدهوش ولاريب ؛ ومالي لا أدهش . ماذا ؟ مولاي ، ان الملكة
برينيس قد انتزعتك منذ امد طويل من احضان ممالكك ؛ ولقد وقفت
خطاك في روما منذ ثلاث سنين ؛ فالآن حين وطدت الملكة فوزها
فهي تنتظرك شاهداً على هذا العيد المجيد ، حين يهيم لها تيتوس المحب

(١) ميناء قريب من روما (٢) في الاصل : الى كوماجين ، وهي مقاطعة سورية

انقيوكوس : — ارزاس ، دعها تستمتع بمحظها ، وخل عنك حديثاً لا يطبق الصبر عليه .

ارزاس : — فهمتك يا مولاي : ان هذه الاجساد قد جعلت برينيس جاحدة احسانك وبرك . وان البغضاء لتعقب المحبة اذا اسيء اليها .

انقيوكوس : — كلا يا ارزاس ، لم احبها مثل اليوم قط .

ارزاس : — ماذا اذن ؟ هل تحبكم (١) الامبراطور الجديد وقد شغل من الآن بسلطانه عن كل امر ؟ هل اوجست منه اعراضاً قالت تحاماه بعيداً عن روما ؟

انقيوكوس : — لم يبد من تيتوس تغير ما ، واخطى اذا رحت انقلتم (٢) .

ارزاس : — فيم الذهاب اذا ؟ واي هوى عابر يؤلبك على نفسك ؟ لقد رفعت الهاء على العرش اميراً بحبك ، اميراً سبق ان شهد حروبك وراك تشدد الجند والموت في أثره ، وقد كنت لشجاعته عضداً فاحضع بلاد اليهود العاصية . وانا ليدكر اليوم الخطير المعصيب الذي بت في امر حصار طويل مرعب : كان الاعداء يتأملون مطمئنين على سورهم السلائي هجماتنا الفاشلة ؛ عبثاً كانت المجاثق (٣) تهددهم . انت وحدك ، يا مولاي ، انت وحدك ، والسلم في يدك ، سحلت الهلاك حتى بلغت به اسوارهم . لقد كاد هذا النهار يضيء على ماتمك ؛ ولقد عانقك تيتوس واثت تجود بدمائك بين ذراعيه ، وفاضت دموع كل من في المعسكر الظافر لموتك . ها هو اليوم يا سيدي الذي يجب ان تنتظر فيه ثمرة دماء كثيرة رأوك تريقها . انك نعل الحياة بعيداً عن ملكك ، حين يلج بك الشوق لرؤيته . فهل يراك الفرات تمود اليه بلا مجد ؟ الا فانتظر للرحيل ان يميدك القيصر مقلداً بالآلقاب السنية التي

(١) تحبهم او تحبهم له : استقله بوجه عايس (٢) اشكو الظالم .

(٣) جمع منجنيق (مربية)

لنصفها صداقة الرومان على الملوك . اما من شيء يردك يا مولاي عن
مسماك ؟ اراك لا تمحير جواباً .

انتيوخوس : — ماذا تريدني ان اقول ! انتظر من برينيس رهة لاتحدث اليها .
ارزاس : — قلذن ، مولاي ؟

انتيوخوس : — نصبي رهن بنصيبها .
ارزاس : — كيف ؟

انتيوخوس : — أنتظر منها بياناً عن زواجها ، قلذا وافق قولها ما يتحدث به الناس ،
قلذا صح انهم يرفعونها على عرش القياصرة ، اذا تكلم تيتوس ، وكان
مقترناً بها ، فاني راحل .

ارزاس : — ولكن اي شيء يحملك على التشاؤم من هذا الزواج ؟
انتيوخوس : — سأقول لك الباقي عندما نذهب .

ارزاس : — في اي اضطراب تلقى بنفسك يا مولاي ؟
انتيوخوس : — الملكة قادمة . وداعاً . اعمل كل ماقلت لك .

المنظر الرابع

برينيس ، انتيوخوس ، فينيس

برينيس — واخيراً تواريت عن افراح الاصدقاء ، الكاربة ، اولئك الاصدقاء الكثر
الذين قسمهم لي الحظ ؛ هربت من طول اجلهم الباطل ، لأبحث عن
صديق يطارحني حديث القلب . ولا اكذبك القول : ان نقاد صبري
المادل ليتمك الآن ببعض الامل . وكنت اقول : يا عجباً ! انتيوخوس
هذا الذي يشهد الشرق كافة وتشهد روما على مودته وهو الذي رأته
ثابتاً على الدوام فيما اعتراني من فكبات ، يتبع على حد سواء حظي
المتبدل ؛ الآن وقد ظهر ان السماء تبشرني بمجد أوكد اتني سأشركه
فيه ، انتيوخوس هذا نفسه يستخفي عن عيني فيتركني لرحمة
جمهور لا اعرفه ؟

انتيو كوس — فالأمر صحيح إذا يا سيدي ؟ وعلى هذا فان الزواج سيرد (١)
غرامكما الطويل ؟

برينيس — احب ان أسرّ اليك مخاوفي يا سيدي . هذه الايام رأيت عينيّ مبللتين
ببعض الدموع : ان هذا الحزن الطويل الذي فرضه تيتوس على قصره
قد حمل التردد الى حبسه ولو بالخفاء . لم يبق له ذلك الشوق الملتهم
حينما كان يمضي الايام بقربي . فهو أبكم ، مثقل بالهموم ، تتحير عيناه
بالدمع ، فلا يترك لي سوى الوداع الحزين ، تصور المي ، انا التي
لا احب في شخصه غير ذاته ، كما حدثتكم مئة مرة ، انا التي كان بودي
لو اختار قلبه وأنشد نبله ، بعيدة عما يلقه من اجماد .

انتيو كوس — هل عاوده حنانه الاول اليك ؟ .

برينيس — لقد شاهدت هذه الليلة الأخيرة ، حينما اقام مجلس الشيوخ اياه بين
الآلهة ، ليمرز مساعيه الدينية . وقد اطمأن ورعه بهذه الفريضة
فأفسح يا مولاي ، محلا للحب ؟ وهو هناك في هذه اللحظة نفسها ، من
دون ان يخاطبني في الأمر ، في ذلك المجلس المنعقد بأمره . هناك يوسع
من حدود فلسطين ، فيلحق بها بلاد العرب وسوريا كلها ، واذا ركنت
الى ما يقول اسدقاؤه ، اذا وثقت بأيمانه التي جددتها الف مرة ، فانه
انما يتوج برينيس على كثير من الدول لتضيف الى القاب اكثر لقب
الامبراطورة . وسيأتي بنفسه ليؤكد لي ذلك في هذا المكان .

انتيو كوس — وقد جئت اذن لأودعك الوداع الأخير .

برينيس — ماذا تقول ؟ يا للسماء ! ايّ وداع ! ايّ قول ! ايها الأمير ، تضطرب
ويحول لونك ؟

انتيو كوس — سيدي ، يجب ان ارحل .

برينيس — ماذا ؟ الا يمكن ان اعرف لذلك سبباً . . .

انتيو كوس — جانباً ، — كان يجب ان ارحل من دون ان اراها .

برينيس — ماذا تخشى ؟ تكلم : لقد طال سكوتك . ماهو اذن سر هذا الرحيل يا سيدي ؟

(١) ردّة ، كسمه واصره : تبعه .

اثيو كوس - تذكرني على الأقل أنني استجيب لأمرك (١) ، وانك تسمعين لي المرة الأخيرة . وإذا كنت تذكرين في هذه المرتبة العليا من الجلاء والسلطان مغاني ولدت فيها ، فانك تذكرين ياسيدي أن قلبي في هذه المغاني تلقى أول سهم انطلق من عينيك . لقد احببت ، وفزت بقبول اخيك أجريبا ، وخاطبك هو في امري . ولعلك كفت على وشك ان تلقي ، من غير غضب جزية قلبي . فجاء تيتوس ، لسوء طالمي ، وراك ، وحاز اعجابك . لقد بدا امامك في كل ما لرجل يحمل بين يديه النار لروما من بهاء . فامتضت بلاد العدو ، وعد اثيو كوس الشقي نفسه اول المخدولين . وبعد قليل اتاني من فلك الذي اعلن شقاوتي بقساوة اشعار بالسكوت . لقد جادلت طويلاً وأثبتت عيني للكلام ، كانت ادمعي وحسراتي تتبعك اني سرت . واخيراً كانت الغلبة لقسوتك : اذ عرفت ان تازميني النفي او الصمت ، ووجب ان أعد به بل ان اقسم عليه . على اني اذ تجاسرت فأثبتت عن نفسي في هذه اللحظة ، فاعلمي أنه حين كنت تنزعين مني هذا الوعد الجائر ، كان قلبي يقسم على الا بالوك حياً .

بريفيس - آه ! ماذا تقول لي ؟

اثيو كوس - لزمت السكوت خمسة اعوام ، ياسيدي ، وسألزمه امداً اطول . ولقد رافقت منافسي السعيد في حروبه ، وامثلت ان اريق دمي بمدموعي ، او ان يتكلم اسمي في الاقل مكان لساني يحمله اليك الف مفخرة . وكان الساء قد وعدت بنهاية لعذابي ؛ فبكيت لهلاك الذي لم يتحقق وبالاأسف . ابتها المخاطر التي لا غناء فيها ؛ يا بعد ما كان ضلالي ! لقد كانت بطولة تيتوس تفوق جنوني واندفاعي . يجب ان يناسب اكباري فضيلته : فمع انه كان مُنتظراً ياسيدي لحكم العالم ، ومع انه موضع اعزاز الدنيا واحترامها ؛ ومع انه اخيراً يتمتع بحبك ، فقد كان يظهر للملأ انه وحده عرضة للتحوف ؛ ومنافسه

(١) يقصد أنها كانت خيرة بين مفارقتها او السكوت

الشي القنوط لم يكن يبدو في يأسه من الحياة وتقرر الناس منه
الا تاباً له يسير في ركابه .

ارى قلبك يهتف لي في الخفاء (١) ، وارى أنك تصنعين الي وقد
تطامن اسفك ، وأنتك على انتباهك العظيم لسوء ما اروي به تصفحين
عن كل ما تبقى رعاية لتيوس .

واخيراً ، بعد حصار ممض (٢) ، بطيء ، دان حبيبك العصاة ،
وم فلول شاحبة دامية خلفها الجوع والحرائق والثورات ، وغادر
اسوارهم وقد حجبتهم الاطلاع . فرأنتك روما ياسيدتي قادمة بصعجته .
فكم كان عذابي في الشرق الجديب ! لبثت اسداً طويلاً أتبه في
قيسارية (٣) ، تلك الربوع الجميلة التي احبك القلب فيها . كنت
اسائل عنك مملكته الحزينة ؛ وكنت اتجرى باكياً رسوم خطاك .
واخيراً غلبني الوجد وحول اليأس خطامي نحو ايهاليا ، كان القدر
يدخلني فيها آخر سهامه . فقد عانقني تيتوس وقادني اليك . وخذعك
نقاب من الصداقة ضربته على حبي فاصبحت مناسك . على ان
بعض الأمل كان يداعب احزائي على الدوام : كانت روما وكان
فيسباسيان يمتاقان تهديتكما ؛ فعسى تيتوس ان يدعن بعد كفاح طويل .
بيد ان فيسباسيان قد مات واصبح تيتوس هو السيد ، فقيم البقاء
حين ذاك ؛ تمهل بضعة ايام لا تكون على بينة من مجرى الأمور في
مملكته المتيدة . ان نصيبي قد اكتمل . لقد تهياً لكم المجد . كثيرون
غيري سيشهدون افراحكم وسيشاركونكم في ابتهاجكم السعيد ؛ اما انا
الذي لا استطيع ان امزج هذا الفرح بغير الدموع ، انا الاضحية
الدائمة لحب باطل فاشل ، فاتي ارحل اكثر حباً من اي وقت اخر ،
سعيداً في آلامي لأنني استطعت بلا حرج ان اروي خسرانها للمينين
اللتين احداثها .

برينيس — سيدي ، ما كنت اظن ان الساننا يمكن ان يحىء امام عيني ، يوم

(١) اي على ما اصنف به حبيبك من الشجاعة (٢) هو حصار القدس ، بدأه فيسباسيان وآتاه
ابنه تيتوس سنة (٧٠) م (٣) في فلسطين ، عاصمة مملكة برينيس

يرتبط مصيري بقيصر ، ليثني هواء من دون ان يناله العقاب الاليم .
ولكن سكوتي برهان صداقتي : ومن اجلها انسى خطايا يسوءني .
انا لم اشوش مجراء الممين . وافعل اكثر من هذا : بالأسف اتلقى
وداعك . والساء تعلم اني لا انتظر غيرك ، بين هذه الابعاد التي
اولتي اياها ، شاهداً على سروري . لقد كنت اكبر فضائك انا
والعالم اجمع . وكان تيتوس يمزك وكنت انت بقتوس ممجبا .
وما اكثر ما وجدت المتعة الشائقة في التحدث الى تيتوس في ذاته
الأخرى .

انتيتوكوس — وهذا ما افر منه . اني انجذب ، ولكن بمدفوات الأوان ، هذه
الأحداث الممضة التي ليس لي فيها نصيب . افر من تيتوس ، افر من
هذا الاسم الذي يحمل الى نفسي الهم والرجفان . هذا الاسم الذي
يردده فمك في كل اللحظات . ماذا اقول لك في الأخير ؟ اني انجو
بنفسي من عيين سهو بين اذ تريايتي على الدوام لا تريايتي ابدأ . الوداع :
سأنتظر الموت نصيباً لي وانا مدقف بمحبك مغمم القلب بصورتك .
لا تخافي ابدأ ان يعلأ الالم التائه هذا العالم بضوضاء احزائي . سيدتي ،
لن يذكرني غير ضجة الموت الذي به استغيت . الوداع

النظر الخامس

برينيس ، فينيس

فينيس — كم ارثي له ! مثل هذا الأخلاص ، يا سيدتي ، جدير بنصيب اوف-ر-موت
السعادة ، الا ترين له ؟
برينيس — اعترف ان هذا الرحيل الفاجي يحز في نفسي .
فينيس — لو كنت في مكانك لاستبقيته .
برينيس — من ؟ أنا ؟ استبقيه ؟ اولي بي الا احتفظ ولو بذكراه . تريد ان اذن ان
احابي رغبة حمقاء ؟
فينيس — ان تيتوس لم يفصح بعد عن خاطره . وروما تنتظر اليك يا سيدتي بعين
الشاني الحاسد ؛ واني لاخشي عليك عنف قوانينها ، فالرومانيون

لا برتضوت ان يتزوج اخدم غير رومانية ؛ ذلك وروما تبغض الملوك
جميعاً ، وانت ملكة .

برينيس — لات حين مخافة يا قنيس . تيتوس يحبني ؛ بإمكانه ان يفعل ما يريد ؛ وما
عليه الا ان يتكلم . فسيري مجلس الشيوخ يحمل الي " احترامه واكرامه ،
والشعب يكلل بالأزهار تصاويره .

الم ترني يا فينيس الي بهاء هذا الليل (١) ؛ ألم تمتلي عيناك ببجلاله ؛ هذه
المشاعل والمواعد ، هذه الليلة الالهية ، هذه النور وطاقت الرياحين ،
هذا الشعب ، هذا الجيش ، هذا الملا من الملوك ، وهؤلاء القضاة ،
ومجلس الشيوخ هذا ؛ كلهم من حبيبي يستعير البهاء ؛ هذا الارجوان ،
هذا الذهب الذي رفعه بمجده وأعلاه ، ثم هذه الأكاليل التي ما زالت
شاهدة على انتصاره ؛ والعيون التي جاءت من كل حذب وصوب لتجتمع
عليه وحده نظراتها الوامقة ؛ وهذا الميناء المهيّب وهذا المنظر الوديع .
يا للسماء ؛ بأي اجلال واي هشاشة تؤكده تلك القلوب في السر
اخلاصها . الاخبريني : هل لأنسان ان ينظر اليه من دون ان يحجري في
خاطره مثلي ، أن العالم اذ يراه يتعرف سيده ، كائننا ما كان
الظلام الذي كتبت له الاقدار ان يولده فيه ؛ ولكن الى اين تذهب
بي هذه الذكرى الجميلة يا فينيس ؟

ان روما بأجمعها الآن ، في هذه اللحظة نفسها ، تنذر النذور
لتيتوس ، وتحتفل بإبتداء عهدها بحكمه الوليد بما تقدم من الأضاحي .
فيمّ الا بطاء ؟ هيا تقدم نحن كذلك نذورنا من اجل مملكته السعيدة
للسماء التي تحميه . وسأعود في الحال لأبحث عنه ، من دوف ان
انتظره ومن غير ان يتوقع بجيئي ، وسنبدي في هذه المقابلة كل
ما توحيه الى قلوبنا الراضين تلك الافراح المحتبسة منذ طويل .

(١) ستصف برينيس الاحتفال بانضمام فيباسبان ابي تيتوس الى الآلهة حين وفاته .

الفصل الثاني

المنظر الاول

تيتوس — بولان — اتباع

تيتوس — هل رأيتم لي ملك الكوماجين (١)؟ هل يعلم أنني بانتظاره؟
بولان — لقد بادرت الى الملكة ، فرأيت هذا الامير في مشقتها ، وكان قد غادرها
وأنا اسرع اليها ، فقلت لهم يا مولاي ان يبلغوه او امرك .
تيتوس — يكفي . وماذا تفعل الملكة برينيس ؟
بولان — لقد تأثرت كثيراً من رعايتك وحسن التفاتك ، فهي الآن توقر السماء
بالندور لسعادتك . كانت خارجة . يا مولاي .
تيتوس — يا لأميرة الحبيبة ! وا اسفاه !
بولان — انشئ هذه الكتابة من اجلها ؟ يكاد الشرق باجمعه يدين لسلطانها : فهل
ترثي لها ؟
تيتوس — ليتركوك معي ولينصرفوا ، يا بولان .

المنظر الثاني

تيتوس — بولان

تيتوس — حسن ، ان روما التي ما تزال في ريب من نيأتي لتنتظر نصيب الملكة ما
سيكون ؟ وان اسرار قلبينا أصبحت حديث العالم اجمع . لقد آن ان أفصح عن
نفسي في الاخير . ماذا يقول الشعب عن الملكة وعني ؟ تكلم ، ماذا تسمع ؟
بولان — انهم يذيعون بشائلك ويهتفون بحاسنها ، يا مولاي .
تيتوس — ماذا يقولون عن الزفرات التي اصعدها من اجلها ؟ وأي مال ينتظرون
لهذا الحب الوثيق ؟

(١) اتيوكوس

بولان — لك ان تفعل ما تشاء : احب ، لا تحب ، البلاط في جانب رغباتك على الدوام .

تيتوس — لقد رأيته ، هذا البلاط المداجي ، لاهم له غير مرضاة اسياده ، رأيته يجذب فظائع ما اقترف نيرون من موبقات ، ويمجد جاثياً رَعْنَه واهواءه . وما كنت لاحتمك الى بلاط عابد متليق ، واني لا رغب ببولان في ميدان أبتّر من هذا وابل . اريد ان اسمع من لسانك ما يضطرب في كل القلوب ، من دون ان أروي سمعي هذر المناقطين . بذلك وعدتي . ان الاجلال والخوف يغلطان طريق الشكوى من حولي ؛ وقد نشدت سمعك وبصرك ، يا عزيزي بولان ، لأرى جيداً واسمع جيداً ؛ بل اني وضعت لقاء هذا مكنون صداقتي ، فاردت ان تكون ترجمان القلوب وان ينهي اليّ اخلاصك الحقيقة على الدوام من بين هؤلاء المتعلقين . تكلم اذن . ماذا يجب لبريفيس ان تأمل ؟ اتأخذها روما بالساحة ام بالقسوة ؟ وهل يجب ان يسبق الى فكري ان مثل هذه الملكة الفاتنة قد تطرف انظارهم حين تقف عرش القياصرة ؟

بولان — لا يخالك في ذلك شك : أرشد هوام هوى ، ان روما لا ترى فيها الامبراطورة المنتظرة ؛ فهم يعلمون انها جميلة رائعة ، وَلَكَّانْ هاتين اليدين الرائعتين تسألانك سلطان الوري ؛ بل انه ليقال ان لها قلب الرومانية ، فيها الف فضيلة ؛ ولكنها يا مولاي ملكة على كل حال . ان لروما قانوناً لا يتبدل ، فهي لا تقبل ان يختلط بدنها اي دم دخيل ، وهي لا تعترف ابداً بشمرات غير شرعية تلد من زواج يخالف حكمتها . ثم ان روما كما تعلم ، حين طردت ملوكها ، وكلت بهذا الاسم الذي كان في غاية النبل والقداسة بفضاء نامية الى الابد ؛ ومع انها وفية منقاد لقياصرتها ، فان هذه البفضاء التي اعقبها اياها الكبرياء ، لتستمر في جميع القلوب بعد تحررها . ان يوليوس ، وهو اول من اخضعها لقوته ، وهو الذي اسكت الشرائع في جلبة حروبه ، كان يتحرق حباً لكليوباترا ، وقد تركها وحيدة في الشرق تنفث زفرات الألم من دون ان يكشف عن امره . وقد أحبها انطونيو وتعبدها ، ونسي في احضانها مجده ووطنه ، ولكنه لم يجرؤ على الاقتران بها ، فسعت اليه روما تطلبه وهو على ركبتي حبيبته ، ولم تهدأ ثأرتها الناقصة حتى

انزال الشر الويل بالماشق وحيثه . منذ ذلك الحين يا مولاي نهب كايجولا (١)
ونبرون (٢) ، المسيخان اللذان أورد اسمهما هنا على مفض والسذان لم يحتفظا من
الانسان بغير صورته فوطنا باقدامها كل ما لروما من قوانين - تهيبا هذا القانون
وحده ، ولم يوقدا قط امامنا مشعل زواج بفيض .

امرتي على الخصوص ان اكون صادقاً . لقد رأينا يا مولاي اخا العتيق بالاس (٣)
يصبح زوج الملكين (٤) واغلا لئسا ما تزال تنويه ؛ - فاذا وجب يا مولاي ان
اطيعك الى النهاية ، فلا ذكر ان هاتين الملكتين انما كانتا من دم برينيس . فهل
تظن ان باستطاعتك ان تدخل ملكة الى سرير قياصرتنا من دون ان تقذي نظارنا ،
على حين يرى الشرق في اسرة ملكاته عبداً قد فككتنا من اساره ؛ هذا ما يجوز
في خواطر الرومانيين عن حبك ؛ ولست اضمن الا بعيد عليك المجلس (٥) هنا قبل
ان ينتهي النهار ماقلته اذ هو الذي يحمل اماني الامبراطورية ، ولا ألا "تخر" رومامه
على ركبتك وتسألك ان تختار ما يليق بها وبك . ولك يا سيدي
ان تمد جوابك .

تيتوس - أواه ! عن اي غرام يشوقني !

بولان - انه لغرام مضطركم ، يجب ان اعترف .

تيتوس - اقوى ضراماً الف مرة عما يذهب اليه وهمك يا بولان . فقد اصبح من
ضرورات سروري ان اراها كل يوم ، وان اطارحها الغرام ، وان انال اعجابها .
بل فعلت اكثر من ذلك - ولا اكتمك شيئاً - لقد حمدت الآلهة مئة مرة من
اجلها على انها قد اختارت ابني في جنوبي فلسطين ، وعلى انها قد جعلت الشرق
والجيش تحت لوائه ، وعلى انها اذ انارت كذلك من بقي من الناس قد اودعت روما
الدامية بين يديه الوديعتين . بل لقد تمنيت ان يكون لي مقام والدي ، انا الذي

(١) امبراطور روما (٣٧ - ٤١ م) كان هذا الطاغية يتعنى الا يكون لشبه غير رأس واحد
ليتمكن من قطعه بفرقة واحدة ، وقد بلت حماقة ان اقام من حصانه قصلاً ؛ وكان يقول : لينفضني
الشعب على ان يخافني (٢) امبراطور روما (٥٤ - ٦٨ م) اشتهر بظلمة فساده ، وقد خاطبه
راسين على لسان آجربين بقوله : « سيبدو اسمك للجيل المقبل عاراً قظماً لاقى الطغاة » .
(٣) بالاس : عبد سرّحه الامبراطور كلوديوس ولعله فيلكس وقد حذفنا اسمه تخفيفاً على
القارئ (٤) احدهما حفيدة كليوباترا التي منها انحدرت برينيس كذلك ، والاخرى اخت اجريسا
الثاني وبرينيس (٥) مجلس الشيوخ

كنت أمدُّ أياها من أيامي مئة مرة يا بولان لو ان قدراً ارحم اراد ان يعد من اسبابها:
كل هذا - وكل يجهل العاشق ما يرغبه ! - كل هذا بأمل ان ارفع برينيس على عرش
الامبراطورية وان اشكر لها حبها ووفاءها وان اراني والناس على قدميها . فعلى حي
كله يا بولان ، وكل ما لها من جمال وسحر ، وبعد الف قسم مشفوع بدموعي ، الآن
اذ استطيع ان اتوج كثيراً من المحاسن ، الآن اذ احبها اكثر من اي وقت آخر ،
وحين استطيع الحب السعيد وهو يربط حياتنا ان يوفي في يوم واحد
نذور خمس سنوات ، فهأنذا يا بولان ... يا للساء ! هل لي ان
اصرح بذلك ؟

بولان - ماذا يا مولاي ؟

تيتوس - سأفارقها الى الأبد . ان قلبي الآن لم يكذب يمتثل . فادا كنت قد حملتك على
الكلام ، اذا كنت اردت ان اسمع لك ، فاما انما اردت من همته ان تجهز في
الخفاء على حب يسكت على كره .

لقد طالما ذبذبت برينيس الفوز . فاذا اناملت اخيراً الى جالب المجد فتق بان كبح هذا
الهموى الغلاب قد كلفني كفاحاً سيدى القلب منه طويلاً . كنت احب ، وكنت
اتأوه في سلام عميق : غيري كان يحمل اعباء الملكة . كنت سيد أمري ، حراً
في آلامي ، ليس لي من غير نفسي رقيب . ولكن السماء ما كادت تدعو ابي اليها ،
منذ اطبقت يدي الحزينة جفنيه ، حتى برح الخفاء عن وهمي الحبيب : فأحسست
بالحمل الذي فرض علي ، وعرفت اني عما قليل افارق من احب فأفارق نفسي
يا عزيزي بولان ، وأن ارادة الآلهة حين تناهض حي في سلم الى العالم ما بقي من
أيامي . إن روما لترقب اليوم نهجي الجديد . فأني عار علي ، واية طيرة لها ، اذا
رحت منذ الخطوة الأولى أهدر حقوقها وابني سمادتي على انقاض نظمها ! لقد
وطنت النفس على هذه التضحية الوجيمة واريد ان امهد برينيس المسكينة لها ؛ ولكن
من اين ابدأ ؟ لقد هممت عشرين مرة منذ ثمانية ايام ان افاتحها الكلام ؛ ومن اول
كلمة جمد لساني المرتبك عشرين مرة في في . وكنت ارجو ان يشعروا اضطرابي
والمي على الاقل بشقائنا المشترك ؛ ولكنها كانت تكفكف بيدها دموعي وهي واثقة
بي أيلة لهمومي ، وما اوجست من امر خيفة لما خافت ان تمنني زوال حب هي جديرة
به . واخيراً استعدت هذا الصباح حزمي : يجب ان اراها ، اي بولان ، وان أفض

السكوت . واني لمنتظر انتيوكوس لا فوسر اليه هذه الامانة الثمالية التي لا اقدر على الاحتفاظ بها . اريد ان يعود بها الى الشرق . وسترى روما الملكة غداً راحلة معه ؛ وعن قريب يأتيها النبا بلساني ، واني لمكلمها للمرة الأخيرة .

بولان — لم اكن لانتظر اقل مما تبديه من هذا الحب للمجد الذي يسير النصر في ركابك حيثما سرت . وان بلاد اليهود المستعبدة واسوارها الداخنة ، تلك الآثار الخالدة لهذا النشاط النبيل ، لتكفيني جواباً بأن بطولتك العظيمة يا مولاي ، ما كانت لترضى ان تهدم بنيانها ؛ وأن بطلاً قاهرًا لكثير من الامم لقادر ولا شك على ان يقهر عاجلاً او آجلاً ما في نفسه من أهواء .

تيتوس — آه ! ما اقسى هذا المجد وراء الأسماء الجميلة ؛ وكما كانت عيناى الحزينتان زريانه اروع بهاء ان هو لم يكلفني غير خوض المتون ؛ ماذا اقول ؛ ان ما في من شوق لسحره (١) انما اشعلت ناره برينيس في صدري . انك لا تنجى الامر ؛ فالأقدار ما اداعت اسمي عاطراً زكياً على الدوام . ان ايام حداثتي التي كان بلاط نيرون ينفذوها . كانت تصل ، يا عزيزي بولان ، وتفرر بها الاسوة السيئة ، وتبيع حدود اللذة المبسور . ولكن برينيس اعجبني ؛ فاي امر يتكل عنه قلب يريد ان ينال اعجاب من يحب ويفوز بأسره ؛ لقد بدلت دمي بسجاء ، فخلا المجال لسلاحي وعدت منصوراً . غير ان الدم والدمع لم يكونا كافيين لأنال حبها وولاءها ؛ فتكلمت ان احمل السعادة الى الف بالأس معتز ؛ ورأى الناس من كل صوب عوارفي واحساني ؛ سعيد ؛ بل اسعد مما يرقى اليه فهمك ، حينما كنت استطيع ان ابدو لعينها الراصيتين حملاً بالف قلب ملدتها بحساني ؛ انا مدين لها بكل شيء يا بولان . يالعداحة اجزاء ؛ كل ما انا مدين به سيمود عليها بالريال . وسأقول لها ، مقابل مآثرها العديدة وفضائلها الجمه ؛ ارحلي ، ولا تريني ابداً .

بولان — ماذا ؛ مولاي ، ماذا ؛ هذه العظمة التي مدت سلطان برينيس الى حدود الفرات ، وهذه الامجاد التي بهرت بفخامتها مجلس الشيوخ ، اما زال رهيب بمدىها وصمة الكفران ؛ على مئة شعب جديد جعلت برينيس تامر ونهى .

تيتوس — علالة واهية لألم عظيم ؛ انا اعرف برينيس واعلم جيداً ان قلبها لم يطلب غير

(١) الضمير على المجد

قلبي . لقد احببتها ، واعجبيتها . منذ هذا النهار - اصفه بالشؤم ، والاسقاء !
 ام بالسعادة ؟ - من دون ان يكون لها اذ تحب من غرض سوى الحب ، كانت
 تمضي ايامها مَرَوِيَةً في روما ، نكرة في البلاط ، لا تطالب يا پولان . بغير ساعة
 تراني بها وما بقي تقضيه في انتظاري . واذا كنت ذات مرة اقل منابرة فتجاوزت
 وقتاً هي فيه بانتظاري ، كنت اعود بمد قليل فأراها قد اُخضلت بالدموع .
 ويا طالما شغلت يدي بتجفيفها . واخيراً فكل ما للحب من عرى وثيقة ، ومن تأنيب
 لطيف ، وافراح تتوالد بلا فتور ، وعناية بنيل الاعجاب من غير كلفة ، وخشية
 ما تفتأ تتجدد ، وجمال ، ومجد ، وفضيلة ، كل اولئك اجده فيها . اراها كل
 يوم منذ خمسة اعوام سويّاً فيخيل اليّ أنّي انما اراها لأول مرة . لا ينبغي لنا ان
 نكرر بهذا ابدأ . هيّا بنا يا عزيزي پولان ؛ كلما افكر في ذلك احس بخور
 عزيزي القاسية . اي نبأ يا للسماء ! سافضي به اليها ! مرة اخرى كذلك ، هيّا ،
 لننكتب^(١) عن ذكر ذلك . اعرف واجبي ، وان امر اتباعه لعليّ : وما انما
 بملتفت ابدأ الى امكان البقاء حياً بعدها .

المنظر الثالث

تيتوس ، پولان ، روتيل

روتيل — برينيس يامولاي تطلب التحدث اليك .
 تيتوس — آه ! پولان .
 پولان — أمن الآن تبدي نكوصاً ؟ الا فلتذكر يامولاي نبيل عزمك . هذا وقته .
 تيتوس — لا بأس ، نراها ؛ لتأت .

المنظر الرابع

برينيس ، تيتوس ، پولان ، فينيس

برينيس — لا تنضب اذا ما قطعت عليك همتي الهوجاء سر عزلتك . أمن الحق
 يامولاي ان يدوي من حولي بلاطك الجميع بما غمرتي به من نعم على حين اكون

(١) لنعدل عن ذكر ذلك

وحدي غير رافعة صوتاً ولا شاكرة فضلاً ؟ ولكن يا مولاي (وذاك اني اعلم ان هذا الصديق الوفي^(١) على علم بخفايا اسرار قلوبنا) قد انتهى حدادك ولا شيء يعوق خطاك ، انت وحيد اخيراً ولا تبحث عني . لقد نجي اليّ أن ستتحفي بتاج جديد مع اتني لا استطع ان اسمحك انت . والاسفاه ! راحة أكثر ، مولاي ، وأبهة أقل . الا يمكن لحبك ان يظهر الا في مجلس الشيوخ ؟ آه ! تيتوس ، فالحب يفر من قيود هذه الاسماء التي تورث الحرمة والرهبة ، بأي مسمى ينسب^(٢) غراؤمك ؟ الا يملك غير دول يهبها ؟ منذ كم قام في وهمك أني أحفيل عظمتي . زفرة ، نظرة ، كلمة من شفقتك ، هذا ما يطعم به مثل قلبي . أكثر من رؤيتي ولا تعطيني شيئاً . أكل اوقاتك وقف على المملكة ؟ اما لهذا القلب ، بعد ثمانية ايام ، ما يقوله لي ؟ ما أكثر ما تؤمن الببال كلمة منك ! ولكن هل كنت تتكلم عني حين باغثك ؟ هل كان لي نصيب من احاديثك المكتمة يا مولاي ؟ هل كنت في الاقل حاضرة في الخاطر ؟

تيتوس — لا ترتابي في ذلك ابداً يا سيدي ، واني لاشهد الآلهة على ان برينيس مائلة نضب عيني على الدوام . ما الغياب ولا الزمان — حلقة ثانية — بقاديرين على ان يفسباك هذا القلب الذي شغفته حباً .

برينيس — واعجبا ، اتقسم على هيامك الخالد وانت على هذا البرود ؟ بل فيم تشهد قدرة السماء ؟ أمن الحتم ان تهزم بالإيمان حذري وارتياحي ؟ ان قلبي لم يقصد يوماً الى مناقضتك وأنا اصدقك بزفرة عابرة .

تيتوس — سيدي ...
برينيس — ماذا يا سيدي ؟ ماذا ؟ تصرف عينيك عني من دون ان ترجع قولاً ، وتبدو ربكة على محياك . ان تهدي اليّ غـ ير وجه حائر ؟ اما ينفك موت ابيك يشغل فكرك ؟ اما من شيء يخفف عنك العذاب الذي يضنيك ؟

تيتوس — ليت ابي ، والاسفاه ، ما يزال حياً ! فكم كنت اعيش سعيداً !
برينيس — سيدي ، ان هذا الأسف كله لمن توابع برّك الفاضلة . ولكن يكفي ما ذرفت من دمع اكراماً لذكراه : ان عليك لشواغل اخرى لروما وللهجد . اما عن برينيس فلا اجرؤ على مخاطبتك . لقد كان بمقدورها فيا سلف ان تحمل

(١) بولان (٢) نصب : تمب

الغراء اليك ؟ وكنت تصغي اليها بقدر اوفر من الارياح . كم عانيت من ألم
 لاجلك وسكبت دموعي في كلمة منك ! تأسف على اب : اوآه ! آلام واهنة !
 وانا (وهذه الذكرى لا ازال ارعش منها) لقد كانوا يريدون ان يفتزعوني
 عن كل ما أهتم به ؛ انا التي مُستطار فؤادي حيناً لا تفارقي غير بعض الوقت ؛ انا
 التي اجرع المنون يوم يريدون ان يمنعوني عن ان ...
 تيتوس — سيدتي ، واسفاه ! ماذا جئت تقولين لي ؟ اي ساعة تختارين ؟ آه !
 اتوسل اليك ، أمسكي . كثير أن تفرطي باحسانك على جاحد عاق .
 برينيس — على جاحد عاق ، يا سيدي ! وهل تستطيع ان تكونه ؟ وعلى هذا فلربما
 يُمدحك احساني ؟
 تيتوس — كلا ، يا سيدتي . واذا يجب ان اصارحك ، ابدأ لم يشعر قلبي بحرقه
 اوجع . ولكن ...
 برينيس — أكل .
 تيتوس — واحرق قلباه !
 برينيس — تكلم .
 تيتوس — روما ... الامبراطورية ...
 برينيس — ماذا ؟
 تيتوس — لتخرج ، يولان : لا استطيع ان اقول لها شيئاً .

المنظر الخاص

برينيس ، فينيس

برينيس — كيف ؟ ايتركني بهذه السرعة ، ولا يقول لي شيئاً ابداً ؟ عزيزتي فينيس ،
 اوآه ! يا للحديث البغيض ! ماذا فعلت ؟ ماذا يريد ؟ وما يعني هذا السكوت ؟
 فينيس — أحرار مثلك كلما فكرت فيه . ولكن الا تذكرين شيئاً يا سيدي قد يمكن
 ان يؤلّبه عليك ؟ انظري ، تبيني .
 برينيس — واسفاه ! بامكانك ان تصدقيني : كلما اردت ان أخطر على بالي ذكرى
 الماضي ، من يوم رأيته الى هذا اليوم الكئيب يخيل اليّ اني ملومة على هذا
 الفيض من الحب . ولكنك كنت تصنعين الينا . لا ينبغي ان تطوي عني شيئاً

ابداً : تكلمي . ألم أفه شيء قد يسوءه ؟ وما يدريني ؟ لملي اسرفت في الاستغفاف
بهدياه ، او في تبكيت ألمه . اليس ذلك انه يخشى كره روما ؟ لعله يخشى ، يخشى
ان تزوج ملكة . واحسرتاه ! ان صح هذا ... ولكن لا ، لقد طمأن حي مئة
مرة من شرائعهم العاتية : مئة مرة ... آه ! فليوضح لي هذا السكوت الممض :
لا التقط انفاسي في هذا الارتباب . انا ، قد اعيش ، فينيس ، واستطيع ان
افكر انه يهمني ، وانه وسعني ان اسيء اليه ؟ لنعد في اثره . على اني اظن حين
انعم النظر اتني اثنين مصدر هذا الاضطراب ؛ فينيس : لعله على علم بكل ما جرى ؛
لحل حب انتيوكوس قد آذاه . بلقي انه ينتظر ملك الكوماجين (١) . لا تنحرف في
غير هذا علة عنائي ابداً . ولا شك ان هذا النعم الذي اثار مخاوفي ما هو الا ريب
طفيف لا يصعب تهديته . لا اطري لك ابداً هذا النصر الواهن (٢) ، يا تيتوس .
آه ! ليت منافساً اقوى منك يحاول مودتي واخلاصي من غير ان ينتقض من مجدك ،
ويستطيع ان يضع على قدمي اكثر مما تضع من الممالك ، ويكافئ شغفي وتهيبي بعدد
لا يحصى من التيجان (٣) ، ويا ليت حبك لا يملك غير نفس يجود بها . حين ذاك ،
ايها الحبيب تيتوس ، ترى وانت محبوب مظفر ، مكانة قلبك مني . هيا ، فينيس ،
كلمة قد ترضاه . لتطعن يا قلب ، فمازلت قادرة على نيل رضاه . لقد عجلت في
اعتبار نفسي في عداد الاشقياء . ان يكن تيتوس غيوراً ، فتيتوس عاشق .



(١) انتيوكس (٢) اي انتصارها على حب انتيوكوس (٣) الاصل : من الصوالحة

الفصل الثالث

المنظر الاول

تيتوس ، انتيوكوس ، ارزاس

تيتوس — ماذا ؟ ايها الأمير ، أكنت ترحل ؟ اي سبب فاجىء اعجل رحيلك ، وبالأحرى فرارك ؟ ا كنت تريد ان تخفي علي حتى وداعك ؟ اترك هذه البلاد عدوآ ؟ ماذا سيقول معي القصر ، وروما ، والامبراطورية ؟ ولكن ، علي اعتبار اني صديقك ، اي شيء ليس لي ان اقله ؟ ماذا تأخذ علي ؟ ألم اجعل لك الى الآن ميزة بين الملوك ؟ لقد فتحت لك قلبي ما عاش ابي : كان ذلك الهبة الوحيدة التي في مكنتي ان اسديها اليك . فحين تستطيع بيدي ما يستطيعه قلبي اراك تتجنب ما يسمى اليك من احساني ؟ فهل يتبادر الى ذهنك أني اقف تفكيري علي المجد والرفعة غير ملتفت الى الماضي ، وأن اصدقائي جميعاً يلوحون لي من بعيد ككثير من الغرباء الذين لا حاجة لي اليهم ؟ انت نفسك ، ايها الأمير الذي يريد ان يهرب من وجهي ، فانا بحاجة اليك اكثر من اي وقت آخر .

انتيوكوس — انا ، مولاي ؟

تيتوس — الت .

انتيوكوس — وا اسفاه ! ما تنتظر من امير تاعس غير التمنيات يا مولاي ؟

تيتوس — لم ألس ، ايها الأمير ، أني مدين بنصف انتصاري لاعمالك الباهرة ، وأن روما استعرضت بسين المغلوبين كثيراً من الأسرى الراحين في اغلال انتيوكوس ، وانها رأت في السكايتول (١) اسلاب اليهود التي اقترعتها بيدك . لا انتظر منك احدى هذه المفاخر الدامية ، ولا اريد الآن الا ان استعير صوتك . أعلم ان بريئيس مدينة لك وتعتقد انها تملك فيك صديقاً صدوقاً . فهي لا ترى في روما ولا تسمع احداً غيرك . فلما الت ونحس الا قلب واحد ونفس واحدة . فابذل مالك عندها باسم الصداقة الوثيقة الرائعة من نفوذ . قابلهما عني .

(١) قلعة علي احدى هضاب روما كانوا يتوجون فيها النزاة المنصورين

انتيو كوس - انا ؟ اظهر لمينها ؟ ان الملكة تلقت الى الأبد وداعي .
 تيتوس - يجب ان تكلمها كذلك من اجلي ، ايها الأمير .
 انتيو كوس - آه ! كلمتها انت يا مولاي : فالملكة تمبذك . لماذا تحرم نفسك الآن لذة
 اعتراف يأسر القلوب ؟ انها ترتقبه ، يا مولاي ، بفارغ الصبر . اني لأضمن وانا
 راحل ، طاعتها . بل انها ذكرت لي انك لن تراها وانت على وشك الاقتران بها
 الا لاعدادها للزواج .

تيتوس - آه ! اي اعتراف عذب كان يمكن ان يثلج صدري ! ما اسمعني لو ان
 علي ادائه ! ان افراحي هذا اليوم كانت رجو ان تنطلق ؛ ومع هذا فيجب ان
 افارقها اليوم ايها الأمير .

انتيو كوس - تفارقها ! انت ، مولاي ؟
 تيتوس - تلك هي قسمتي . لا زواج لها ولتيتوس . لقد سكنت اعلى النفس
 عبثاً بأمل سائح جميل : يجب ان ترحل غداً معك ، ايها الأمير .
 انتيو كوس - ماذا اسمع ؟ يا للسماء !

تيتوس - ارث لمظمتي المرهقة . سيد العالم ، ادبير شثونه ، في يدي اقامة
 الملوك وخلمهم ؛ ومع ذلك فانا لا استطيع ان انصرف بقلبي . ان روما الثائرة في
 كل زمان على ملوكها لتكره جمالاً ناشئاً في جلالة الملك وترف القصور . وانت
 يريق التاج والاحدادر من مئة ملك لثميان حيي وتفتران الميون جميعاً . ان قلبي فيها
 خلا هذا حرط طليق ، فله ان يهيم كما يشاء في ظلمات الهوى لا يبالي همس المذال ؛
 وان روما لتتقبل مسرورة من يدي اوضع ما تخفيه في احضانها من جمال . لقد
 اذعن يوليوس نفسه للتيار الذي يجرفني . فاذا لم ير الشعب الملكة راحلة من
 غد ، فانها ستسمع هـذا الشعب الغضوب يأتيني غداً ويطلب مني رحيلها امامه .
 لننقذ من هذا المار اعلمي وذكرها . فان كان ولا بد من الامثال ، فلنمثل لمجدنا .
 وان بسكتم لسانني وفراغ نظراتي منذ ثمانية ايام قد يهدانها لهذا الحديث الشجي .
 فهي حتى في هذا الوقت ، وعلى قلقها وهيجانها ، تريد ان اشرح لها قصدي .
 فخفيف من غمها عاشق مشدود : أعفني من هذا البيان . اذهب ، واشرح لها
 صمتي واضطرابي ؛ واجنبي بخاصة ان اقابلها . لتشهد وحدك دموعها ودموعي ؛
 احمل اليها وداعي وتقبل وداعها . لنجتنب كلانا ، لنجتنب مشهداً بفيضاً قد يهبط

ما بقي لنا من ثبات وصبر . فاذا كان للامل في تملك قلبي والحياة فيه ان يلطف من شقاها ، آه ! فأقسم لها ايها الأمير اني مقيم على الوفاء ، منتحب في بلاطي ، أكثر منها تشردا ، ولن يفارقي حبها حتى اوسط الثرى ، ولن يكون حكمي غير نفي طويل ، اذا لم تستف السماء بما خطفتها مني فكتبت علي ان اشقى كذلك بطويل الحياة . انت الذي لا يدفعك وراءها غير المودة ، لا ينبغي لك ان تنطلي عنها ساعة محبتها . فلتنقل الى الشرق في اثرها ؛ وليكن ذلك نصراً لا هزيمة ؛ لتكن مثل هذه الصداقة الرائعة روابط خالدة ؛ ولأكن من بالسما ، ولتذكراني دوماً . سيكون الفرات حداً لملكيتكما لتصبحا أكثر تقارباً . واني لاعلم ان المجلس الذي ملائمه ذكرتك سيؤيد بالاجماع هذه العطية : اني اضم كليتيك الى بلادك . وداعاً : لا تفارق ابداً اميرتي ، ملكتي ، منية قلبي الوحيدة ، تلك التي أحبها الى النفس الأخير .

النظر الثاني

اقتيوكوس ، ارزاس

ارزاس — هكذا تأهب السماء لانصافك . سترحل يا مولاي ، ولكن صعبة برينيس . لن يغصوها منك ، بل سيُسلمونها اليك .
اقتيوكوس — ارزاس ، دعني اتفس . ان هذا التنيير لعظيم ، ان مفاجأتي لبالفة . تيتوس يودع بين يدي كل ما يجب ؟ أأتق ايها الآلهة العظام بما قد سمعت ؟ واذا وثقت فهل لي ان اغتبط ؟

ارزاس — ولعلكن ، انا نفسي . يا مولاي ، ما ينبغي لي ان اصدق ؟ اي عثرة جديدة تعترض سرورك ؟ هل كنت تخادعني منذ قليل لدى خروجنا من هذه الاماكن ، حين كنت لا تزال متأثراً بدواعك الأخير ، فكان قلبك يروي لي ما جد من جرائك ، وهو راجف من اقدامه على التعبير امامها عما في نفسك ؟ لقد كنت تهر من زواج شرعد له اوصالك . لقد فض هذا الزواج : فأني شاغل بكدرك ؟ اتبع لطيف الافراح حيث الحب يدعوك .

اقتيوكوس — ارزاس ، اراني مكلفاً بمراقبتها ؛ سأمتنع طويلاً بأحدثها الغالية ، بل ان عينيها قد تألفت عيني ؛ ولعل قلبها يلمس الفارق بين برود تيتوس

وأوري . اتي انوء هنا بمظمة تيتوس : كل شي* في روما يستخفي بجانب بهائه ؛
ولكن الشرق وان زخـر بذكراه ، فبرينيس لابد واجدة فيه شيئاً من
أبهتي ومجدي .

ارزاس — لا ريب في ذلك ، مولاي . فكل ما تتمناه يتحقق .

انتيوكوس — آه ! كم نسر فيما نغالظ به انفسنا !

ارزاس — ولماذا نغالظ ؟

انتيوكوس — ماذا ؟ ايمكن ان احظى منها بحسن القبول ؟ ألتن تناسب رغباتي العداوة ؟
اتسكن بربينيس بكلمة برحائي ؟ ايتبادر الى فكرك ان الجاحدة تسمح لي وسط
احزانها حين يصد العالم اجمع عن محاسنها ان اذرف لأجلها الدموع ، او انها تتضع
فتتقبل عناية يلوح انها مدينة لحي بها ؟ .

ارزاس — ومن يستطيع ان يخفف من بلائها خيراً منك ؟ سيأخذ حظها وجهة
اخرى ، يا مولاي . لقد تركها تيتوس .

انتيوكوس — والاسفاه ! لن يعود علي هذا التغير الا بألم جديد حين تكشف دموعها
مدى حبها اياه . سأراها تنتحب ، وسأرثي لها بنفسي ، وستكون ثمرة كثير من
الحب ان يعهد الي باجتناء دموع ليست من اجلي .

ارزاس — واعجبا ! الا تراح لغير المهموم يتبع بمضها بمضاً ؟ هل شوهـد قط في
قلب كبير اكثر من هذا الوهن ؟ افتح عينيك ، مولاي ، ولنفكر فيما بيننا في
الاسباب الكثيرة التي تجعل بربينيس لك . فاذ ليست لتيتوس اليوم رغبة في استمالتها
فلا يفين عن بالك ان اقترافك بها اصبح ضرورياً لها .

انتيوكوس — ضرورياً !

ارزاس — امنح دموعها بضعة ايام ، دع زفراتها الاولى تسير في مجراها : كل شي*
سيكون في جانبك : النيط ، النقمة ، غياب تيتوس ، الزمن ، حضورك ، ثلاثة
صوالجة (١) لا تقوى وحدها على صيانها ، تجاور مملكتيكما اللتين تسميان الى الاتحاد ،
المصلحة ، العقل ، الصداقة ، كل شي* يربط بينكما .

انتيوكوس — نعم ، لقد سرّني عني ، يا ارزاس ، وأعدت الي الحياة : ارتضي وانا

(١) جيج صولجان : عما الملك .

مسرور فالأ سيائفاً جيلا . فيم تشهل ؟ لنقم بما ينتظر منا . لندخل على برينيس ،
ولنبين لها كما أمرنا ان تيتوس قد هجرها . ولكن أجيل بنا ان نبقي (١) . ماذا
كنت فاعلا ؟ ارزاس ، هل من شأني ان آخذ على عاتقي هذه المهمة القاسية ؟ اعن
فضيلة ام عن حب ، ان قلبي منها لينفر . من في تسمع برينيس الحبيبة بخبر
هجرها ! آه ! ابنتها الملكة ، ومن كان يخطر في باله ان هذه الكلمة
ستتلقى يوماً عليك !

ارزاس — ستقع الضغينة بكاملها على تيتوس : مولاي ، انما انت تتكلم برجاء منه .
انتيوكوس — كلا ، لن نراها . لنحترم أباها : كثيرون غيري سيأتون ليرووا لها
سوء حالها . الا يكفينا شقاء ان تمرق اي احتقار اراده لها تيتوس ، فلا يبلغها هذا
الاحتقار الا بلسان منافسه ؟ مرة أخرى : انهرب : ولا نتحمل بهذا
الخبر بنضاء باقية .

ارزاس — أوه ! ها هي ذي ، مولاي : تشجع .
انتيوكوس — يا للسماء !

المنظر الثالث

برينيس ، انتيوكوس ، ارزاس ، فينيس

برينيس — ماذا ؟ مولاي ! ألتا تذهب ؟
انتيوكوس — سيدتي ، ارى خبيثتك جيداً ، فأنت انما تبحين عن القيصر . ولكن
لا تلومي غيره اذا كنت على وداعي ما ازال أولم عينيك . اعلي اكون الآن في
أستيا (٢) لولم يعني من الخروج من بلاطه .

برينيس — انه لا يشد سواك ، وهو يتحامنا جميعاً .

انتيوكوس — انه لم يستبقني الا ليخاطبني فيك .

برينيس — في ، ايها الأمير !

انتيوكوس — نعم ، سيدتي .

برينيس — وماذا قال لك ؟

(١) لاحظ تردده . (٢) أستيا ميناء روما الذي سيبحر منه انتيوكوس .

انتيو كوس — آلاف غيري يستطيعون ان يخبروك خيراً مني .

برينيس — كيف ؟ مولاي . . .

انتيو كوس — أمسكي عن غيظك . سواي اذ ينبد عليه السكوت في مثل هذه الحال ربما زها واستجاب واثقاً جذلاً لما تبدين من جزع . اما انا الذي لا يفارقي الوجه ، انا الذي استحب راحتك ، كما تملين ، على راحتي ، فاتي افضل لثلا عكر صفوها ان اسوءك ، وأخشي أملك أكثر مما أخشي غضبك . وداعاً سيدتي .

برينيس — يا للساء ! يا له من حديث ! لا تذهب . ايها الأمير ، كثير ان اكنحك قلقي واضطرابي . امامك ترى ملكة والمأ تأسألك كلتين والموت في صدرها . تقول انك تهيب ان تمكّر صفوي ، مع ان رفضك القاسي لا يألوني عذاباً ، بل يهيسج ما بي من آلام وسخط وبغضاء . مولاي ، اذا كانت راحتي عزيزة عليك ، اذا كنت في يوم من الأيام اثيرة لديك ، فخفف ما ترى فيه روحي من عناء . ماذا

قال لك تيتوس ؟

انتيو كوس — ألتشدك الآلهة يا سيدتي . . .

برينيس — واعجباً ! إلى هذا الحد تصغر معصيتي ؟

انتيو كوس — ما علي الا ان اكلك لأبوء بعفتك .

برينيس — لتكلمين .

انتيو كوس — يا للآلهة ! يا لها شدة ! سيدتي مرة أخرى ، ستعجدين سكوئي . . .

برينيس — ايها الأمير ، أرض من الآن رغباتي ، او تأكد من كرهني الى الأبد .

انتيو كوس — سيدتي ، اما اذ امرت فلا بد من الكلام . حسن ، تلك ارادتك ، يجب

ارضائك ؛ ولكن لا تملئي النفس بالأمال : سأنبئك بفواجع لملك لا تجرئين على

التفكير فيها . اعرف قلبك : يجب ان تتوقعي الصفع على ارق جوانبه . لقد

تقدم الي تيتوس . . .

برينيس — فيم ؟

انتيو كوس — في ان اين لك انه يجب ان يفرق احدينا عن الآخر الى الأبد .

برينيس — تفرق ؟ من ؟ انا ؟ تيتوس عن برينيس ؟

انتيو كوس — يجب ان انصفه امامك . كل ما يمكن للحب اليأس ان يجمع من فظاعة

وهول في قلب شقوق خيّر ، لقد رأيت في قلبه . انه ليكي . انه ليهم فيك هجاناً ،

ولكن ماذا يجدي عليه أخيراً ألا يزال يجبك ؟ الملكة موضع ظمّة في الملكة الرومانية . يجب ان تفرقا ، وان ترحلي غداً .

بريفيس — أن تفرق ! اواه ، فينيس !

فينيس — سيدتي ، يجب ان تكشفني هنا عن عظمة نفسك . لا شك انها ضربة قاسية ، من شأنها ان تطير صوابك .

بريفيس — بعد كثير من الأيمان ، تيتوس بهجرني ! تيتوس الذي كان يحلف لي... كلا ، لا استطيع ان اصدق هذا : ما هو بتاركي فالأمر بمس شرفه . يريدون ان يخبروني بما ينتقص براءته . لم تنصب هذه الحسالة الا لتفسد بيننا . ان تيتوس ليحبنى . تيتوس ان يريد هلاكي . هيا بنا نره . اريد ان اكلمه لساعتي . هيا .

انتويكوس — كيف ؟ هل يمكن ان ننظري اليّ هنا . . .

بريفيس — انك تمنى هذا الأمر تمنياً لا سبيل معه لاقتاعي . كلا ، لا اصدقك ابداً ولكن مها يمكن من امر ، احترز الى الأبد من الظهور امامي . « تخاطب فينيس ، لا تتخلني عني في حالي هذه . ياويح قلبي ! اعمل ما بوسعي لأغالط نفسي .

المنظر الرابع

انتويكوس ، ارزاس

انتويكوس — الا يفضل بي الفكر ابداً ؟ هل اصفيت جيداً اليها ؟ يجب ان أحذر ، انا ، أن اظهر امامها ! سأحذر جيداً . اما كنت ارحل لولم يؤخرني تيتوس بالرغم مني ؟ لا شك ، يجب ان ارحل . لنستمر ، ارزاس . تخال انها تمنّي وتؤلني : ان بغضاءها لتسدي اليّ احساناً . كنت تراني منذ هنيهة قلقاً شارد اللب : كنت ارحل صباً متبهاً ، غيبوراً ، يثوساً ؛ والآن ، ارزاس ، بعد هذا الصدود ، لعلني ارحل خالي البال .

ارزاس — ما وجب ان تبقى كما وجب اليوم .

انتويكوس — انا ، ابقى لأحتقر ؟ اكون مسئولاً عن فتور تيتوس ؟ أوجازي في اجرامه ؟ بأي جور واي فظاعة تشكّ امامي بصديق وواقي ! تقول ان تيتوس يحبها واتي اغرر بها . بالنكرة الجميل ! تهمني بهذا الخلداع ! وفي اي وقت كذلك ؟ في

الوقت النكد وانا ابسط امام عينها ادمع منافسي ، وانا ابرزه لها ، تقرباً لكرها ،
عاشقاً مقبلاً على حبها ، ولربما اكثر مما هو عليه حباً .
ارزاس — بأي م ، مولاي ، تشغل بالك ؛ دع لهذا السيل وقتاً يقبده ، في ثمانية
ايام ، بمد شهر ، لا ضير ، يجب ان يمر . ولكن ابق .
اتيوكوس — كلا ، اتي تاركها يا ارزاس ؛ والا فانا اشعر بالتوجع لألمها : مجدي ،
راحتي ، كل شيء يحثني على الرحيل . هيّا ؛ ولننجنب القاسية من بعيد . ينبغي الا
نحدث عنها زمناً طويلاً . ومع هذا (١) ، لا يزال عندنا فسحة من النهار : سانتظر
عودتك في قصري . اذهب وانظر لعل الأم لم يستبد بها . بادر ؛ ولنرحل مشبهين
من حياتها على الأقل .



(١) لاحظ تقلبه السرج

الفصل الرابع

المنظر الاول

برينيس « وحدها ،

ألن تأتي فينيس ؟ ايها اللحظات العصيبة ، كم تبدين مستأنية لرغباتي العاجلة ؛
اتقي لأرتعد ، وابادر ذابلةً مكدةً ؛ القوة تمخذي ، والسكينة تردني . لن تأتي
فينيس ؟ آه ! كم يروع القلب طول هذه الطيرة الناحسة . اما من جواب تأتيني
به فينيس ؟ تيتوس ، تيتوس الجاحد لا يريد ان يستمع لها ابداً ؛ انه ليفر ، انه
ليتواري من غيظي الحق .

المنظر الثاني

برينيس ، فينيس

برينيس — عززتي فينيس ، خيراً ! هل رأيت الامبراطور ؟ ماذا قال ؟ هل سيأتي ؟
فينيس — نعم ، رأيته يا مولاتي ، وقد صوّرت له اضطراب نفسك . رأيت دموعه
تسيل وكان يريد لو يحبسها .

برينيس — هل يأتي ؟

فينيس — لا يخامرني في ذلك شك ، سيأتي . ولكن اتريدن ان تظهرني في هذا
الاضطراب البالغ ؟ اسكنني يا مولاتي وأبصري رشداً . دعيني أقم هذه الحُرّة
المسترخية ، وأكفّ هذا الشعر المتشعث الذي يحجب عينيك . ائذني لي ان
اصلح ما افسده منك البكاء .

برينيس — خليّ عنك ، خليّ عنك ، فينيس ، سيرى ما صنعت يداه . وما أفيد ،
واسفاه ، من باطل هذه الزينات ؟ اذا كان اخلاصي ، اذا كانت عبراتي ، اذا
كانت حسراتي ، ولكن ماذا اقول ؟ عبراتي ؟ بل اذا كان هلاكي الأكيد ، اذا

كان موتي الذي بالمرصاد أخيراً لا يميد ؟ الا خبريني ما هي ثمرة كلامك الباطل ، وكل هذا السناء الطفيف الذي لا يمس منه الشعور ؟
 فينيس - لم توجبهين اليه جائر اللوم ؟ أسمع ضجة ياسيديتي ، الامبراطور يقترب .
 تمالي ، اهربي من الحفل ، ولنعد على عجل . ستحدثينه وحيداً في شقتك .

المنظر الثالث

تيتوس ، بولان ، تيتوس

تيتوس - بولان ، فرج من كرب الملكة . سأراها . اريد بعض العزلة . فليتركوني .
 بولان - ايها الساء ! لكم اخشى هذا العراك ! ايها الآلهة العظام ، أنقذوا مجده وشرف الدولة . لنتر الملكة .

المنظر الرابع

تيتوس وحده

خيراً ! تيتوس ، ماذا جئت تصنع ؟ برينيس تنتظرك . اين تأتي ، ايها المهور ؟
 هل اعددت وداعك ؟ أترويت جيداً ؟ هل وعدك القلب بقساوة كافية ؟ وذلك انه في هذه المعركة التي تهيباً لك ، قليل ان تكون ثابتاً عازماً ، ولا بد لك ان تكون بربرياً قاسياً . الاحتمل هاتين العينين الماهرتين ، بعلمها من فتور عذب ، في اكتشاف ما لقلبي من سبل ؟ حين اري هاتين العينين المسلحتين بالجمال والسحر ترمقاني لتضنياني بعبرائتها ، ترى هل اذكر حين ذاك واجبي الناصب ؟ هل اقوى على ان اقول اخيراً : لا اريد ان اراك ابدأ ، جئت اطمئن فؤاداً يحبني واعبده ؟ ولماذا اطمئه ؟ بأمر من ؟ بأمر من . اذ هل عبرت روما عن مرادها ؟ هل نسمعا تصيح حول هذا القصر ؟ هل اشقت الدولة على الهاوية ؟ الا استطيع ان انقذها بغير هذه التضحية ؟ الكل صامت ؟ انا وحدي اذ أحت الخطا الى ما يكدر حياتي ، أعجل بلايا بمقدوري ان اؤجلها . ومن يدري اذا كانت روما وقد نزلت فضائل الملكة منها منزلاً حسناً ، لا تريد ان تضمها بين ابنائها ؟ ان روما باختيارها هذا لتزكي اختياري . لا ، لا ، مرة اخرى ، لا نستعجل شيئاً . لنضع روما في كفة الميزان شرائها ، وفي الأخرى

دعماً غزيراً ، وجباً خطيراً ، ووفاءً كبيراً . روما ستكون في جانبنا ... تيتوس ،
افتح عينيك ! اي هواء تنسم (١) ؟ ألسنت في هذه الحال ، حيث لا يمكن ان تمسحي ،
رغباً او رهباً ، بغضاء الملوك المرتشفة مع الابن ؟ لقد لفظت روما حكمها في ملكيتك حين
حكمت على ملوكها . ألم تسمع هذا الصوت منذ نعومة اظفارك ؟ ألم تصغ الى اسكه الشهرة
يملك واجبك حتى وانت في جيشك ؟ وحين قدمت برينيس وراك ، ألم تسمع حكم
روما فيها ؟ هل يجب اذاً ان يعاد هذا مرات كثيرة على مسمعتك ؟ آه ! ايها النيكس
الجبان ، اتبع هوائك وتخل عن المملكة : اذهب الى اقصى العالم اذهب ، بادر الى
الابتعاد ، وأفسح المجال لقلوب اجدر منك بالسلطان . اهذه هي خطط المعظمة والمجد
التي من شأنها ان تخلد ذكرى في القلوب ؟ لقد تقلدت الملك منذ ايام ثمانية ، فماذا
فعلت ، الى اليوم ، في شيل المجد ؟ كل ما فعلت فللحب . اي حساب أقدم عن
وقت جد ثمين ؟ اين هي تلك الايام الرخية التي منيتهم بها ؟ اي دموع كفكفتها ؟ في
اي عيون مسرورة ذقت ثمرة احساني ؟ هل رأى العالم تيراً في أنصباؤه (٢) ؟ هل اعلم
حظي المقسوم من الايام ، ومن هذه الايام القليلة التي طال انتظارها ، آه ! ايها الشقي ،
كم اضمت الى الآن (٣) . ما يكون لنا ان نتأخر : لنفعل ما يقتضيه الشرف ؛ لننقض
الرابط الوحيد ...

المنظر الخامس

برينيس^٤ ، تيتوس

برينيس « وهي خارجة » - كلا ، اقول لكم دعوني . عبثاً تمسكني هنا نصائحكم
جميعاً : يجب ان اراه . وا ، مولاي ! هأنذا . احق اداً ان تيتوس هاجري ؟
يجب ان نفترق ؟ وهو الذي امر بذلك .

تيتوس - لا تعبتني (٤) يا سيدتي اميراً بالأسا . لا ينبغي لنا نحن الاثنين ان نتأخر هنا .
يكفي ما يعصف بي ويفترسني من عذاب ، فلا تمزقني كذلك عبرات عزيزة جداً .
واولى بك ان تستردّي هذا القلب الذي طالما علمني صوت واجبي . هذا وقته .
أكرمي الحب على السكوت ؛ وانظري الى كل ما في واجبي من عنف بعين ينيرها

(١) تنفس . لا حظ تردده . (٢) جمع نصيب (٣) ينظر الشاعر الى كلام تيتوس : كان
اذاً مرّ عليه يوم لم يفعل فيه معروفاً ، يقول : « لقد اضمت يومي » (٤) ترهقي تديلاً .

المجد والرشد . بُبَّتِي انتِ نفسُك قَلبي اِمامك ، اعينيني ، اذا امكن على قهرضعي ،
على ضبط دموع لا تتي ثقلتُ مني ؛ واذا عجزنا عن ان نسيطر على دموعنا ،
فليكن حب المجد في الاقل عونا لنا في آلامنا ، ولينبئين العالم بلا جهد عبرات
امباطور وعبرات ملكة . وذاك انه ، يا اميرتي ، يجب اخيراً ان نفترق .

برينيس — أوه ! يا قاسي ، هل آن ان تصرّح لي به ؟ ماذا فعلت ؟ والاسفاه ! لقد
خُيِّل الي انني أحب . ان نفسي التي اقلت نعيم رؤيتك لم تكن لتجيا الا من اجلك .
هل كنت تجهل شرائعكم عندما بحثتُ لك بهذا لأول مرة ؟ الى اي حب بالغ
قدنتي ! لماذا لم تقل لي : « ايها الأميرة المتكودة الحظ ، اين ترتبطين ، وما هو
املك ؟ حذار ان تهبي قلبا لا يمكن تقبله . » ألم تتسله ، يا قاسي ، الا لتعيده
وهو لا يريد ان يمثل لسواك ؟ لقد تأمرت علينا الملكة بأجمعها عشرين مرة ؛
وكان الفراق لا يزال ممكناً : فلم لم تتركني حين ذاك ؟ الف عزاء كانت فيه
ساوان احزاني : اذا كنت اباك على موتي ، اذا كنت الشعب ، المجلس ،
الامباطورية الرومانية جمعاء ، ولم أُلْمُ يدك عزيزة حبيبة . فقد كانت بفضاؤم
التي صرّحوا بها منذ امد طويل قد هبأتني لتجمل شقائي منذ ذلك الحين . اذا
لما تلقيتُ يا مولاي هذه الطلعة النجلاء ، غداة ارجو أن نكون اسعد السعداء ،
حين يستطيع حبك الميمون ان يفعل ما يشاء ، حين لزمتم وروما الصمت ، حين
قضى ابوك نجه ، حين ينحني العالم اجمع على ركبتيك ، واخيراً حين ليس لي
ما اخشاه سواك .

تيتوس — وانا وحدي كذلك كنت مالك امري . كان بإمكانني ان اعيش حين ذاك
وأدع نفسي تعمه في الضلال . كان قلبي يحاذر التطلع الى المستقبل وتبين ما قد
يفرق بيننا يوماً ما . وكنت اريد الا يواجه رغباتي شيء لا يظلب ؛ لم اكن
لا تبصر في شيء ، كنت ارجو المستحيل . وما يدريني ؟ كنت آمل ان اقضي
امام عينيك قبل ان انجرّ مع مرّ هذا الوداع . ولكأن المصاعب قد اجدت جذوة
حيي . لقد تكلمت الملكة جميعها ؛ غير ان المجد يا سيدتي لم يكن بمد قدرن في
قلبي بالنعمة التي يكلم بها قلب امباطور . اعرف جميع الآلام التي يسلمني اليها هذا
العزم ، واشعر جيداً بأنني لن استطيع من دونك حياة ، وان قلبي على وشك
ان يفر من اضالمي ؛ على ان الأمر ليس امر حياة ، بل امر دولة وملك .

برينيس — حسنًا ! املك ايها القاسي ؛ أرضِ مجدك : لن اجادل . وانما كنت انتظر لتصديقك ، هذا الفم نفسه يفرض عليّ غياب الأبد ، وهو يعترف امامي بحشته وغدره ، بعد الف قسم علي حب كان يجب ان يجمع حياتنا . أردت ان اسمحك بنفسي في هذا المكان . لن اصغي الى شيء ؛ وداعاً الى الأبد .

الى الأبد ! آه ! مولاي ، هل فكرت في نفسك كم ان هذه الكلمة الجافية كبيرة علي المحبين ؟ بعد شهر ، بعد عام ، كيف نرضى يا مولاي ان تباعد بيننا بحار وبحار ؟ وأن يعود النهار وينقضي النهار من دون ان يرى تيتوس برينيس ابداً ، ومن دون ان ارى طول يومي تيتوس ؟ ولكن يا لضلالي ، ويا اضيعة آمالي ! ايتفضل الجاحد فيعد ايام غيابي وقد سلا قلبه سلفاً عن رحيلي ؟ هذه الايام التي تبدو لي جد طويلة ستبدوله جد قصيرة .

تيتوس — لن تطول حياتي كثيراً يا سيدتي . وآمل ان تحملك الاقدار عن قريب علي الاعتراف بانثك كنت حبيبة القلب ومالكته ، سترين تيتوس لم يستطع من دون ان يلاقي حتفه ان . . .

برينيس — واهاً ! مولاي ، ان صحّ هذا ، ففيم نفترق ؟ لن اسألك زواجاً سعيداً : هل حكمت روما علي الاراك ابداً ؟ لماذا تأبى علي الهواء الذي تنسم ؟ تيتوس — واسفاه ! انت وما شئت ، يا سيدتي . أقيمي : لن اعرض ؛ بيد أنني أشعر بضغني : سيكون علي ان اجاهد هواك وان اخشاه بلا فتور ، وان أعننى علي الدوام بوقف خطاي التي تجربها محاسنك اليك في كل آن . ماذا اقول ؟ ان قلبي ههذه اللحظة ينسى نفسه ويخطئ رشده ولا يذكر من امر سوى انه يحبك .

برينيس — واذن ، مولاي ، واذن ! وما عسى ان يكون من هذا ؟ هل ترى الرومانيين علي وشك ان يتمردوا ؟

تيتوس — ومن يدري بأي عين سينظرون الي هذه الالهانة ؟ اذا تكلموا ، اذا أعقب التذمر صياحٌ ، فهل الجأ الى الدماء اجوز بها ما اخترت لنفسي ؟ اذا ركنوا الي السكوت ياسيدي وباعوني فنظّمهم ، فلائي امر تعريضيني ؟ اي مرضاة سيتوجب علي ذات يوم ان اؤدي بها ثمن حلمهم وصبرهم ؟ اي شيء لا يجسرون حين ذاك علي ان يطلبوه مني ؟ هل لي ان احافظ علي فنظّم اضيق صدرًا بصونها ؟ برينيس — انت لا تقيم لعبرات برينيس وزناً .

تيتوس — لا اقيم لها وزناً ؟ يا لسهاء ! يا لضیعة الانصاف !
برينيس — كيف ؟ أمن اجل قوانين جائرة في يدك ان تغيرها تنمر نفسك في كرب
لا ينقضي ؟ لروما حقوقها ، يامولاي : اليس لك حقوقك ايضاً ؟ هل تكون مصالحها
اقدر من مصالحنا ؟ قل ، تكلم .
تيتوس — اواه ! كم تمزقيني ألماً !
برينيس — مولاي ، امبراطور ، وببكي ؟

تيتوس — نعم ، سيدتي ، هو كذلك ، ابني ، اتأوه ، ارتعد . غير ان روما على كل حال
اخذت علي موقفاً حين قبلت المملكة ان اصون حقوقها : يجب ان اصونها . لقد
سبق ان عجبت روما اكثر من مرة نبعات (١) امشالي . وان انت ارتفعت الى
زمان انشائها رأيتهم ممثلين على الدوام اوامرهم . فأحدم دفعه البر في يمينه الى ان
يذهب الى الاعداء ساعياً الى ما أعد له من عذاب وموت (٢) . والآخر ضرب عنق
ابنه الظافر (٣) ؛ والثالث رأى ولديه يموتان بأمر منه وعيناه لا تعبيران بل تسكادان
لا تعباً ان (٤) . تمساء ! ولكن الوطن والمجد يكسبان النصر بين الرومانيين على
الدوام . أعلم ان الشقي تيتوس يجاوز بفراقك قساوة فضائلهم كلها . وانها لا تدنو
ابداً من هذا الجهد الكبير . ولكن ، هل تظنينني يا سيدتي على كل حال غير جدير
ان أذكر الاجيال الآتية أسوة حسنة صعبة المنال ؟

برينيس — كلا ، اعتقد ان كل امر سهل على بربريتك ؛ اعتقد انك اهل ، ايها الجاحد
لان تنزع مني الحياة . لقد بات القلب على علم بكل عواطفك . لن اكلمك في

(١) عجبت نبعاتهم : جربتهم

(٢) هو ريجولوس ، اتصل عام ٢٦٧ وعام ٢٥٦ ق م ؛ وهو احد هؤلاء الشيوخ الكرماء
المروفين في روما بفضلهم والذين يمكن ان نوجز عواطفهم بكلمتين : حب الوطن ، مثل الشيخ هوراس
احد ابطال الرواية المروفة باسمه . وقد وقع ريجولوس اسيراً في قرطاجنة ، ثم ارسلته الى روما بعد ان
وعده بالرجوع ، حالما تنتهي مهمته في اقتناع امته بترك الحرب وتبادل الاسرى مع الاعداء ، وقد عاد الى
قرطاجنة ليفي بهده رغم تضرع زوجته واولاده وتوسل اصحابه ، حيث كان التعذيب والموت في انتظاره
لانه لم ينصح قومه الا بالاستمرار في حرب قرطاج

(٣) هو مانليوس توركاتيوس ، امر بقتل ابنه الذي انتصر في معركة لم يستأذن رؤسائه عليها !

(٤) هو زعيم الثورة التي ازاحت التركيين Les Tarquins عن الملك ، وكانوا مشهورين
بقساوتهم ، واعلنت الجمهورية ، وقد امر بقتل ولديه لانها تأمر لا إعادة الملك الى تاركان الجليل ،
الملك المخلوع عام ٥١٠ ق م

استبقائي . من ؟ انا ؟ الرضى احتمال الاهانة والهزم من شعب يكن في البغضاء ؟
وانما اردت ان ادفعك حتى الى هذا الرفض . قضي الأمر ، وعمما قليل لن
تخافني ابداً . لا تنتظر هنا ان انفجر لمتة وسباباً ، ولا ان أشهد السماء عدوة الحائنين
لا ، اذا كانت السماء لاتزال قرني لعبراتي فرجائي حين النزاع ان تنسى آلامي . اذا
كان لي امنية انتقم بها من جورك ، اذا ارادت برئيس الحزونة ان تترك قبل ان
تفارق الحياة من يثار موتها منك ، فأنا لا التمس ، ايها العاق ، الا في خبايا قلبك .
لاريب عندي أن هذا الحب العظيم لا يمكن ان يحصى منه ، وإن المي العتيد ورفقي
القديم ، ودمي الذي اريد في هذا القصر ان اريقه ، كل أولئك بمثابة اعداء
سأخلفها لك ؟ سأأكل عليها لتقتص لي منك ، غير نادمة على حيي
ووفائي . الوداع .

المنظر السادس

بولان — تيتوس

بولان — في اي نية خرجت يا مولاي ؟ هل تأهبت اخيراً للرحيل ؟
تيتوس — بولان ، انني هالك ، لن اقوى على الحياة بمدها . تريد الملكة ان تموت .
هيا ، يجب ان نلحق بها . بدار الى اغاثها .

بولان — كيف ؟ الم تأمر منذ هنية ان تراقب خطاها ؟ ان وصافها بلازمها في كل
آن ويستطعن ان يصرفها عن هذه الافكار القاعمة . لا . لا ، لا تخش شيئاً . تلك
هي اعظم الصدمات يا مولاي : استمر ، فالنصر لك . لا يخفى علي انك لم تستطع
ان تصني اليها من دون ان تأخذك الرأفة . انا نفسي لم أخل من ذلك لدى رؤيتها .
ولكن انظر الى ابعد من هذا : فكر وانت في هذا الشقاء : اي مجد سيتبع ههنا
الأم ، اي هتاف يُعده لك العالم ، واي مقام في المستقبل .

تيتوس — كلا ، أنا بربري عات . وانني لأبغض نفسي . نبرون المقيت نفسه لم يبلغ
في الفظاظه هذا المقدار . لن اسمح ان تموت برئيس . هلم ، لنقل روما ما يبدو لها .
بولان — ماذا مولاي ؟

تيتوس — لا اعرف يا بولان ما اقول : فالأم يفدح روحي .

بولان — لا ينبغي ان تعكّر ذكرك الطيب . لقد سبق ان ذاع خبر توديعك ،
فزهت روما بحق بعد ان ألت وتحسرت ؛ ما من معبد مفتوح الا وهو يتضوع
بذكرك ؛ وليرفن الشعب فضائلك الى السحاب واكملن تمائلك بالغار في كل
مكان .

تيتوس — آه ، روما ! آه ، برينيس ! آه ، ايها الامير الشقي ! لم انا امبراطور ! لم
انا عاشق ؟

المنظر السابع

تيتوس ، انتيوكوس ، بولان ، ارزاس

انتيوكوس — ماذا فعلت ، مولاي ؟ ربما لفظت برينيس العزيزة انفاسها على ذراعي
فينيس . انها لا تستمع للبكاء ولا للنصح ولا للعقل ؛ فهي تتوسل طالباً
الحديد والسّم الدّعاف . انت وحدك تستطيع ان تصرفها عن رغبتها هذه . انهم
يذكرونك ، فيميدها ذكرك الى الحياة ؛ ولكن عينها اللتين لا تحولان عن
شقتك تطلبانك من حين لآخر ، هذا المنظر يقتلني فلا استطيع له احتمالاً . فيم
التعمل ؟ اذهب واظهر امامها . انقذ ما لا يحصى من الفضائل والظرف والجمال ،
أولاً ، فاعدل يا مولاي عن كل ما في الانسان من رحمة ورفق . قل كلمة .
تيتوس — وا اسفاه ! اي كلمة اقول لها ؟ اشعر انا نفسي في هذه اللحظة بترداد
انفاسي ؟

المنظر الثامن

تيتوس ، انتيوكوس ، بولان ، ارزاس ، روتيل

روتيل — مولاي ، جاء القضاة والقناصل والشيوخ باجمعهم يطلبونك باسم الدولة
كلها . ومن ورائهم شعب كبير ينتظر حضورك في شقتك بفارغ الصبر .
تيتوس — لقد فهمت ما ترومون ايها الآلهة العظام . تريدون ان تبتئوا هذا
القلب الذي يوشك ان يضل .
بولان — تفضل مولاي لندخل الغرفة المجاورة : هلم نرا الشيوخ .

اثيوكوس — وبها! بادروا الى الملكة .
بولان — واعجبا! اقطاً بقديمك يا مولاي عن الملكة بمثل هذه الاستهانة؟
روما . . .

تيتوس — مه . يا بولان ، سنستمع اليهم . لا استطيع ، ايها الأمير (١) ، ان
ادفع نفسي عن هذا الواجب . انظر الملكة . اذهب . أمثل في رجعتي الا يبقني
لديها شك في حيي .



(١) يخاطب اثيوكوس

الفصل الخامس

المنظر الاول

ارزاس « وحده »

اين عسى ان ارى هذا الامير الوفي المخلص ؟ ايها السماء ، سددي خطاي ، واعضدي عزمي . يسري لي ان ازف اليه سعادة لعله لم يجرؤ على التفكير فيها .

المنظر الثاني

اقتيوكوس ، ارزاس

ارزاس — اوه ! اي حظ سعيد اعادك الي هذه المحال يا مولاي ؟
اقتيوكوس — اذا كان في عودتي ما يسرك ، فلا تشكر على ذلك غير ما في نفسي من يأس .

ارزاس — الملكة راحلة ، يا مولاي .

اقتيوكوس — راحلة ؟

ارزاس — ليلتها هذه . لقد اعطت اوامرها . وانما اغضبها ان تيتوس قد تركها رهينة العبرات طويلاً . وقد اعقبها هذا السخط غيظاً مستمراً : لقد رغبت برئيس عن روما ، وعن الامبراطور ، بل انها لتريد ان ترحل قبل ان تشعر روما باضطرابها وتمتع بفرارها . لقد كتبت الى القيصر .

اقتيوكوس — يا لاساء ! من كان يفكر في هذا ؟ وتيتوس ؟

ارزاس — لم يظهر تيتوس امامها قط . لقد وقفت جماهير الشعب الهائجة في طريقه واحاطت به هاتفة له بالألقاب التي انعم بها المجلس عليه ؛ هذه الألقاب ، وهذا الاجلال ، وهذه المهنات ، كل اولئك اصبح من اجل تيتوس بمثابة عهود تربطه يا مولاي بسلسلة مشرفة وتثبتت رغباته الحائرة على الواجب ، على الرغم من عبرات الملكة وزفراته . لقد قضي الأمر ؛ ولعله لا يراها ابداً .

اقتيوكوس — ما أكثر دواعي الأمل ، يا ارزاس ، أعترف ! على ان القدر يخالفني
بشغل لا يرحم . ما زلت ارى آمالي تخيب حتى ما تراني اصفي الى ما تقول الا
واجفاً . وان قلبي ليوجس الخيفة ويخيل اليه انه يحقيد القدر حين يأمل .
ولكن ما ارى ؟ تيتوس يسير نحونا . ما خطبه ؟

المنظر الثالث

تيتوس ، اقتيوكوس ، ارزاس

تيتوس « وهو داخل » — امكثوا : لا تلاحقوا بي (١) . جئت اخيراً ايها الأمير
اتحمل من وعدي . برينيس ما تفتأ تشغلني وتحزنني . جئت موجع القلب
بمبراتك وعبراتها لأخفف من أحزان اقل ايلاماً من احزاني . تعال ، ايها
الأمير ، تعال . اريد ان أشهدك المرة الاخيرة حيي لها .

المنظر الرابع

اقتيوكوس ، ارزاس

اقتيوكوس — جميل ! هذا هو الأمل الذي أعدته الي ؟ وهانذا ترى النصر الذي
كان ينتظرنني . برينيس ترحل غاضبة بحق ! لقد تركها تيتوس الى غير رجعة !
ترى ماذني ، ايها الآلهة المظالم ؟ اي حياة شقية كتبتم علي ؟ ليست اوقاتني كلها
غير تردد ابدني من الخوف الى الرجاء ، ومن الرجاء الى السخط . افلا ازال
اتنفس ؟ برينيس ! تيتوس (٢) ! ايها الآلهة الجفاة ! لن تهزوا بدموعي ابداً .

المنظر الخامس

تيتوس ، برينيس ، فينيس

برينيس — كلا ، لن اصفي الى شيء . لقد صحت عزيمتي : سأرحل . لماذا تظهر
امامي ؟ لم تأتني وسهيج أحزاني ! الست براص ! لا اريد ان اراك ابداً .

(١) تيتوس يخاطب حاشيته (٢) هنا يرى تيتوس وبرينيس قادمين

تيتوس — ولكن ، من فضلك ، اسمعي .

برينيس — لقد فات الوقت .

تيتوس — سيدتي ، كلمة .

برينيس — لا .

تيتوس — في اي هموم تلقين بي يا سيدتي ، أثنى هذا

برينيس — لقد قضي الأمر . اردت ان ارحل من غد

وسأرحل .

تيتوس — أقيمي .

برينيس — ايها الجاحد ، أقيم ! ولم ؟ لاسمع الشعب يرفع عقيرته باهاتي ويقسم هذا

الاماكن دويًا بشقاوتي ؟ الايملاء اذنيك هذا السرور الناشم ، على حين اغرق

وحدي في الدموع ؟ اي لثم ، اية اساءة حرصتهم ؟ ويح نفسي ! هل تقموا مني الا

ان غلوت في حبك ؟

تيتوس — هل تلقين ممحك ، يا سيدتي ، الى جمهور محقق مجنون ؟

برينيس — ما من شيء هنا الا ينال مني وينتقصني . هذه الشقة التي هيأتها بمنائك ،

هذه المحال التي طالما شهدت حبي وكأنها تؤكد لي ابد الدهر حبك ، هذه الأكاليل

حيث يحبك اسماءنا والتي تمثل لصب عيني الكئيبتين اينما يمت ، كل اولئك خداع

لا اقوي على احتماله . هيا ، فينيس .

تيتوس — يا للسماء ! ما اظلمك !

برينيس — ارجع ، ارجع الى هذا المجلس المبجل الذي جاء يهتف لك على قساوتك .

الاخبرني ! هل اصفيت اليه مسرورًا ؟ هل انت مرتاح جهد الارتياح من مجدك ؟

هل تاهدتهم على ان تنسى ذكراي ؟ على انه لا يكفي ان تكفر عن غرامك : فهل

وعدتهم ان تكن لي على المدى البغضاء ؟

تيتوس — كلا ، لم أعد شيئًا . انا ، ان اكن لك البغضاء ! ان انسى يوماً ما برينيس !

يا لالهة ! في اية لحظة يثير جفاؤها الظالم اشجاني بهذا الانهام الوجيع ! اعرفني

حقيقي يا سيدتي ، وأحصي الاوقات والأيام التي اعربت لك فيها عن رغبات قلبي

منذ خمس سنوات بالهيام الوصيل والزفرات الحرشي : فهذا النهار يفوق الجميع . ابدأ

لم يحبك القلب بمثل هذا الحنان ، اعترف بذلك ؟ ابدأ . . .

برينيس — تحبني ، تؤسّد لي هذا ، ومع ذلك فانا ارحل ، وبأمر منك ! واعجباً !
هل تجد فيما ينتابني من بأس بهجة وارتياحاً ؟ هل تخشى الا تذرف عينايا الا قليل
المبرات ؟ ماذا تفيدني عودة هذا القلب التي لا غناء فيها ؟ آه ، يا قاسي ! حنانيك ،
لا تظهر كثير الحب ، لا "تذكّرني ذكرى حبيبة غالية ، ودعني في الاقل ارحل
موقنة اني اذ تطردني ووحك في الخفاء ، انما اهجر جاحداً لا بأسف على فقدي .

((هنا يقرأ تيتوس رسالةً اقترعها من برينيس وكانت

قد كتبها لتخبره بانها ستموت وتبدي رغبتها في ان

"تضم" رفاتها يوماً ما الى رفات تيتوس))

لقد اقترعت مني ما كتبت ، هذا هو كل ما اتمناه من حبك . اقرأ ، ايها الجاحد ،
ودعني اذهب .

تيتوس — لن تذهبي : لا استطيع ان اوافق على هذا . كيف ؟ ليس هذا الرحيل
اذن غير خديعة مروعة ؟ اسمعين الى الموت ؟ ومن "كل ما احب ، لن يبقى غير ذكرى
حزينة ؟ ! علي" بأنثيو كوس ، أحضروه .
» برينيس ترتمي على اريكة »

المنظر السادس

تيتوس ، برينيس

تيتوس — سيدتي ، يجب ان ادلي اليك باعتراف صادق . حين نظرت في الساعة
الخفيفة تلاحقني فيها لمقارنتك الفراق الأبدي قوانين واجب غاشم ، وعندما شعرت
باقتراب هذا الوداع الأليم ، وعرفت مخاوفي وكفاحي ودموعك وتمنيك ،
فقد اعددت نفسي لكل ما قد يدعمني من الآلام والمصائب ؛ على اني مهما أخش
فانني لم اكشف الا "عن اقل ما في الأمر ، فمن الواجب ان اذكر هذا : كنت
احسب فضيلتي اقل" استعداداً لأن تزل" ويخجلني ما اراها فيه من قلق . لقد
رأيت روما بكاملها مجتمعة امامي ، وكلني المجلس ؛ ولكن نفسي المتعبة كانت
تصغي ولا تسمع ولم تقابل هياجهم بغير صمت واجم . لا تزال روما في ريب من
مصيرك . انا نفسي في كل اللحظات ما اكاد اذكر اني "عاهل ولا أني روماني .



بريفيس : — لقد اقترعت مني ما كنت

اقبلت شطرك غير عارف قصدي : حيي كان يدفعني ؛ ولعلي اتيت لالتمس نفسي ولكي افيق من غشيتي . ماذا وجدت ؟ وجدت الموت مكتوباً على عينيك ؛ وارى انك انما تغادرين هذه الربوع في طلبه . هذا كثير . ان عذابي لدى هذا المنظر المؤلم قد بلغ اخيراً غايته واني لأشعر بجماع الآلام التي يمكن ان اشعر بها ؛ بيد أنني لا اخطئ سبيل الخلاص .

لا تنتظري ابداً ان اكفكف بقران سعيد دموعك بعد اذ ملئت بواعث الهم والخوف . ومهما تطوحتين بي ، فان مجدي الذي يأبى اللئيم ان يحوطني ويرعاني في كل آن : انه لا يبرح يمثل بين يدي نفسي الحيري مملكة لا تتفق وزواجك ويقول لي انه ما وجب علي ان اعدل عن الاقتران بك مثلما وجب بعد المفاخر التي نلتها والخطا التي خطوتها .

اجل يا سيدتي ؛ ولا حاجة لأن اقول لك انني على استعداد لأن اتجلى عن المملكة لأجلك ، ولأن اجري وراءك فأعجم قواصي المعمور انقت الزفرات معك مرتاحاً سعيداً بأساري . اذن لأخزتك سيرتي الجبان ، ولرايت آسفة عاهلاً وضيقاً لا بمملكة له ولا بلاط يتبعك ، ولطالع الآدميون مشهداً زريعاً عن عزومات الحب الواهنة . هناك ، كما تعلمين طريق أبر لا تحجب بنفسني مما يحيق بها من عذاب ؛ لقد هداني هذا السبيل السوي ابطال ورومانيون كثير : كانوا اذا حزن بهم نوائب الزمان وغممت عليهم الامور يقبلون جور الاقدار واعتسافها ويستسلمون لخفي حكامها . اذا عادت دموعك فآلمت نظري ورايتك لا تفتئين عازمة على ان تموتي ، اذا وجب ان أرعد في كل آن خوفاً على حياياتك وأبيت ان تقسمي لي على الحفاظ عليها ، فانه يجب عليك يا سيدتي ان تتوقمي دموعاً اخرى : في حالي هذه لا اربأ بنفسني ان افعل كل شيء ، وما انا بضامن ألا تدمي يداي في حضرتك وداعنا المشثوم .

برينيس — يا ويلاه !

تينوس — كلا ، ما من شيء أخرج عن فعله . فهأت الآن مسئولة عن حياتي . فتدبري الأمر يا سيدتي ؛ واذا كنت عزيزاً عليك . . .

المنظر السابع

تيتوس — برينيس — انتيوكوس

تيتوس — ^١إلينا إلينا أيها الأمير ، لقد وجهتُ في طلبك . نعال اشهد كل ما ابدية
من وهن وتخاذل ؛ انظر هل آلو الحب حناؤا . احكم بيننا .
انتيوكوس — اصدق كل شيء : فانا اعرفكما جميعا . ولكن هلا عرفت انت حقيقة
امير شقي . انت شرقتني يا مولاي باكرامك واعظامك ؛ وانا — يمينا برة لا حرج (١)
فيها — لقد نازعت هذه المنزلة او في احبائك ، بل نازعتهم بئذ دمي . لقد
استودعتني حبكا على كره مني . للملكة وهي تسمعي ان ترد قولي اذا تشاء :
فانها رأني اقبال ثقتك على الدوام بمناتي واهتامي ، غير فاطر عن اللهج بذكرك
والثناء عليك .

ربما يلوح لك انه ينبغي ان لشكري ذلك ، ولكن هل يدور في خلدك في هذه
اللحظة السوء ان هذا الصديق الوفي انما كان منافسك ؟

تيتوس — منافسي !

انتيوكوس — لقد آن ان اوضح لك . اجل يا مولاي ، احبت دائما برينيس ، وجهدت
ألا احبها مئة مرة فأعياي مسوانها ؛ واكتفيت بالسكوت . ان ظواهر تقلبك
الخلافة قد احيت لي ميت الأمل : ولكن عبرات الملكة مالبت أن اخمدته . كانت
عينها الفياضتان بالدمع تطلبان رؤيتك . فرحت اناديك يا مولاي بنفسي ؛ فأتيت .
انت تحبها وهي تحبك ، ورجع كل منكما الى صاحبه : هذا ما لم اشك فيه بحال .
لقد شاورت نفسي للمرة الأخيرة ، ورزت (٢) لآخر مرة شجاعتي ، وناديت
حلمي ان يثوب : لم اشعر قط انني اكثر حبا مني اليوم . فلا بد من جهود آخر
لأفصم هذه العرى الكثيرة : وان هذا لن يتم بغير ان اتقى حثي . واني لمبادر
اليه . وهذا ما اردت ان اكشفكم به .

اجل يا سيدتي ، اعدت خطاء اليك ؛ وافلحت جهودي وما انا بنادم عليها .
فلتغمر السماء ايامكم بفيض السعادة الدائم ؛ واذا كانت لا تزال تذخر لكم

(١) لا اثم فيها (٢) راز : جرب

أثارة (١) من حنق فأنا أبتهل الى الآلهة ان تفرغ كل ما قد يهدد حياة جميلة كهذه من البلايا على ايامي التاسعة التي ابذلها في سبيلكما .

برينيس « وهي قائمة » — كفى كفى . ايها الأمير ان الخير ان ، في اي عنا وخرج تلقينان بي ؟ سواء أنظرت اليك ام اليه فاني اصادف خيال اليأس رانياً في كل مكان . لا اري غير دموع ولا اسمع الا حديث الهموم والأهـوال والدماء تريد ان تسيل .

« تخاطب تيتوس »

انت عارف قلبي يا مولاي ؟ ولي ان اقول ان احداً لم يره يهفو الى الملك . وانت خير بان عظمة الرومان ، وابهة الفياصرة لم يفتننا قط انظارني . كنت احب يا مولاي ، فكنت أنشد من يبادلني الحب ، أعترف اني ملثت هذا اليوم جزءاً اذ خيل الي ان هواءك موشك على الزوال . بيد اني عرفت خطئي ، فأنت مقيم على حيي . لقد وجب (٢) قلبك ودّمت عيناك . وما برينيس يا مولاي أهل لهذا الجزع العظيم ، ولا العالم الشقي يستوجب ان يحرمه حبك في لحظة جميع لذائذاته حين تتناول رغباته اليك ، وبعد ان ذاق بواكير احسانك وراح رائحة فضلك . واطن اني منذ خمسة اعوام الى هذا النهار الاخير قد أثبت لك حباً صادقاً اكيداً . ليس هذا كل شيء : اريد في هذه اللحظة الفجوع ان اتوجج بمجد اخير كل ما بقي : سأعيش ، سأتابع اوامرك المطلقة، وداعاً يا مولاي ، املك : لن اراك ابداً.

« تخاطب انتيوكوس »

ايها الأمير ، بعد هذا الوداع ، ترى بنفسك اني لم اقبل فراق من احب لأصني الى رغبات اخرى بعيدة عن روما . عش وابذل جهداً كبيراً ، ولتأس بي (٣) وتيتوس . أحبه وافراً منه ، وتيتوس يحبني ويتركني . لحمل زفرائك واغلاك الى مكان بعيد عني . الوداع : لنضرب نحن الثلاثة للعالم مثلاً لأشقى ما يحتفظ به التاريخ الأليم من الحب وانضره .

(١) بقية (٢) اضطرب (٣) انتهى به : انتهى به

كل شيء حاضر . هم بانتظاري . لا يشيعمني احد .
« لتيتوس »
المرّة الأخيرة ، وداعاً يا مولاي .
انتويكوس — وا اسفاه !



فيدر

لرايين

استخلاص الرواية

تيزيه	:	—	ملك أثينا
فيدر	:	—	زوجة تيزيه ، وابنة مينوس وباسيفاي
هيوليت	:	—	ابن تيزيه وانتوب ، ملكة الأمازون
آريسي	:	—	اميرة من الاسرة المالكة في أثينا .
تيرامين	:	—	مربي هيوليت .
اونون	:	—	مربية فيدر وصديقتها « أمينة سرها »
ايمان	:	—	صفيحة آريسي
بانوب	:	—	امرأة من حاشية فيدر .

كحرس

• • •

تجري الحوادث في تيزين ؛ احدى مدن البيلوبونيز

الفصل الاول

النظر الاول

هيوليت - تيراميج

هيوليت : - لقد حزمت أمري، فانا راحل ياتيرامين، ومغادر هذا البلد الحبيب «تيرزين»، ان جيبني ليندى من بطالتي مع ما بمصف بي من شكوك قاتلة . منذ أكثر من ستة اشهر باعد الزمان فيها بيني وبين ابي كنت اجهل ما حل بشخصه العزيز، بل اني لاجهل حتى الحال التي قد تخفيه .

تيرامين : - أين عساك اذن يا مولاي ان تبحث عنه ؟ لقد جئدت في الاستجابة لخوفك المدل، فجعلت اطوف البحرين اللذين بفصلان «كورينث»؛ وسألت عن «تيريه» (١)، شعوب هذه السواحل، حيث نرى «الاشيرون» (٢)، يغيب بين الموتى؛ قصدت «إليدا» وغادرت «تينيرا» ومضيت حتى وصلت البحر الذي شهد سقوط «إيكار» (٣) . اي امل جديد يحدوك، في اي اقليم سعيدة يتجمل اليك انك واجد أثر خطاه ؟ من يعلم كذلك، من يعلم اذا كان ابوك الملك يريد أن يعرف الناس سر غيبته ؟ وحين تتحيف قلوبنا معك خوفاً على حياته، أترى هذا البطل لا يكون ناعم البال، كاتماً مغامرات حب جديدة، مترقباً على الدوام عشقة واهمة ...

هيوليت : - على رسلك، ايها العزيز تيرامين، واحترم «تيريه» . ما كان لمائق دئي، كهذا ان يؤخره، بعد اذ ابصر رشده ورغب عن ضلالات صباه ؟ لقد وضعت «فيدر» حداً لطيشه الوبي، فهي لا تخشى من منافسة منذ طويل . هذا

(١) ملك أثينا، ابو هيوليت (٢) نهر ينهي مجراه في العالم الآخر، حسب الميثولوجيا اليونانية التي يريد الشاعر ان يحياها في هذه المأساة . (٣) هو ابن «ديدال»، فرمه من سجنها في جزيرة كريت بعد أن اتخذ اجنحة من ريش وشمع . غير ان «إيكار» مازال يطير صعداً نحو الشمس حتى ذاب الشمع وتفتك الجناحان، وهوى ذلك الطامع التردد في البحر .

الى ائي حين اشتد في طلبه انما اقوم بواجبي ، وأنجو بنفسي من هذه الاماكن التي أصبحت لا أطيق رؤيتها .

تيرامين : — واعجبا ! منذ كم ، يا مولاي ، أصبحت تخشى منظر هذه الربوع الآمنة التي تمسكتها في طفولتك ورأيتك تستحب الإقامة فيها على جلبه الحياة وزوها في أئينا وفي البلاط ؟ أية مخاطر بل أية مخاوف تصدك عنها ؟

هيبوليت : — لقد ولت تلك الاوقات الهنيئة . ما من شيء إلا غير وجهه ، منذ بعثت الآلهة الى هذه الشواطىء بآنة مينوس وباسيفاي (١) .

تيرامين : — افهم ما تقول : ان سبب آلامك معروف لدي . ههنا الفيدر تؤذيك وتطرف عينيك . هذه الحالة الخطرة ما كادت تراك حتى اقامت الدليل على سلطتها ونفوذها باستبعادك . بيد أن بعضاءها التي انصبت فيما مضى عليك قد امتحت وفترت ،

فماذا عسى امرأة محتضرة تنشد المسوت أن تخيىق بك من اذى او تعرضك لمكروه ؟ أستطيع فيدر ، بعد ما مسها من ضرر نصرت على كتمانها ، وقد سئمت أخيراً نفسها وهذا النهار الذي ينير سبيلها ، أستطيع ان تفكر في شر تبيته لك ؟

هيبوليت : — ليست بعضاؤها ما اخشاه . انا حين ارحل افر من عدو آخرى : أفر من هذه الصبية « آريسي » ، بقية ذلك الدم الخميم الذي تهتد لحربنا .

تيرامين : — ماذا ! ألأت نفسك يا سيدي تضطهدها ؟ هل ساهمت قط هذه الفتاة اللطيفة ، اخت البالاتين الفساة ، في دسائس اخوتها الفدر ؟ وهل ينبغي لك

ان تحفو جمالها البري ؟

هيبوليت : — لو أبغضتها لما تحاميتها .

تيرامين : — أياذن لي سيدي ان اذكر لهروبه تفسيراً ؟ أفي استطاعتك ألا تكون بعد اليوم ذلك الامير المزهو الذي يناسب الحب عداوة رابية وبأى نيتير الذي طالما

تمبداً (٢) من قبله اباه « تيزيه » ؟ أتريد فينوس (٣) التي اكثرت إهانتها بتعظمك ان تزكسي آخر الأمر اعمال « تيزيه » ؟ أتراها حين تسوي بينك وبين سائر الأحياء

تضطرك الى ان تحرق البخور في مذابحها ؟ هل أحبت يا سيدي ؟

هيبوليت : — اي صديقي ، ماذا تجسر أن تقول ؟ انت الذي تعرف قلبي منذ اخذت

(١) يريد « فيدر » امرأة ابيه ، وإنما ذكرها بأبوابا ليين اثر الوراثة فيها . (٢) صيره عبداً

(٣) آلهة الجمال .

انفاسي تردد ، أستطيع ان تسألني انكاراً شائناً لمواطف قلب قال في ترفه —
 وكبريائه ؟ وما ذاك لأن أما بأسلة أروضعتي مع لبنها هذا الاستكبار الذي يدهشك
 فحسب ، بل انا نفسي كذلك لما كبرت* ولنضجت جملت أثني على ما عرفت من كريم
 صفاتي . عندئذ اخذت تروي لي تاريخ ابي ، بعد اذ ربطت بيننا الصداقة البريئة .
 وانت خير* كم أصنت نفسي اليك ، وكل نشاط* لاحاديث مفاخره الزكية ، حينما
 وصفت لي هذا البطل المغوار يحمل العزاء للناس على غياب « السيد » (١) ، فالكواسر
 مخنقة وقطاع الطرق مجازون . . . (٢) وعملاق إبيدور قد تبعثرت عظامه ،
 وكريت جعلت تدخن بدم ميناتور . على انه حينما اخذت تنحو في احاديث عنه اقل
 حظاً من المجد ، اذ يمرض وفاءه ويصني الى احاديث الوفاء أنى سار ، واذا يختطف
 « هيلين » في اسبارطة من ايوبها ، واذا تشهد بلاد « سالامين » دموع محظيته
 المهجورة « پاربييه » ، وغيرها كثيرات يغيب عنه مجرد اسمائهن ، تلك القلوب
 الساذجة التي غرر بها حبه ، من امثال « أريان » التي تشهر بعقله عند الصخور
 وفيدر التي اترعها اخيراً في حظ ورعاية اكبر (٣) ، فألت عليم كيف انني كنت
 أصني لآخبارك أسفاً ، وكيف كنت أحتك في الثالب على اختصارها ، سميداً ان
 استطعت ان اطوي عن الاجيال الآتية شطراً وضيعاً من سيرة كريمة ! فهل يكون
 انا بدوري من أسرى ذلك القرام ؟ أفيبلغ بالآلهة ان ينزلوا بي هذم المانة ، فآسى
 للحب ، وأمن في الحقارة ؟ اذ ليس لي ما كان يشفع لأبي من مفاخر ، فانا لم اقبل
 بعد كاسراً ولم أخضع عاصياً فيكون لي الحق ان أزل مثله . وهب ان امتناعي على
 الحب قد فتر ، أينبغي لي ان اتخذ من « آريسي » حبيباً آسراً ؟ ألن تذكر مشاعري
 النائمة ذلك العائق الدائم الذي فرق ما بيننا ؟ ان ابي لي طردها ، وينهى ابناءه ، بما
 فرض من قوانين صارمة ، ان يصبروا الى اخوته (٤) : انه يخشى أفرار ذلك الفرع
 الأثيم ؛ يريد ان يحو بهذه الفتاة آثارهم ، فيخضعها حتى الماة لوصايتهم ، ولا يأذن
 لنار الزواج ان تشتعل من اجلها أبداً . هل ينبغي لي ان ارعى حقوقها امام اب
 غضوب ؟ اكون مثالا للهور ؟ واذا يرتبط شباي بحب احق . . .

(١) هو هر كول ، اعظم ابطال الميثولوجيا اليونانية . (٢) تجاوزنا هنا عن بعض الاسماء
 الغريبة . (٣) لانه رضي ان يتزوجها . (٤) اشارة الى العداوة المستحكمة بين آبيه وعمه ، ابي
 « آريسي » .

تيرامين : — واهأ ! مولاي ، إصنع ما تشاء ، فلن تتدخل السماء في امرك . لقد فتح
« تيزيه » عينيك من حيث اراد ان يلقها ؟ وان بفضاءه اذ تبعك فيسك هوى
« سريدا » (١) فهي تغير غريمتها جالاً جديداً . وأخيراً فما بالك تفرق من حب شريف ؟
اذا لم يخل من حلاوة افلا تجرؤ على اختبارها ؟ أثق على الدوام بوم نافر قاس ؟
أم تخشى ان تضل اذا سرت على آثار هر كول (٢) ؟ اي قلب لم تأسره فينوس (٣)
ولم تملك قياده ؟ انت نفسك ، انت الذي تجاهد سلطانها ، اين تراك تكون ، لو أن
« اتيوب » (٤) ، تأبث على نوااميسها ولم تكتو بنار حب طاهر لأبيك ؟ على انه ماذا
يجدي عليك ان تصطنع هذا الكلام المتعال ؟ لقد تغير كل شيء ، وعليك ان تعترف ؛
انت المتعاطف المستوحش ، رايناك ، لبضعة ايام خلون ، اقل ركضاً لعربتك على
الشاطئ ورأيناك ، وانت العارف بالفن الذي اخترعه « نيتون » (٥) ، تروض جواداً
نافرًا وتحمله على الوداعة . الثابتات اصبحت اقل دويًا بأصواتنا . لا ينبغي ان يساورنا
الشك ابداً : انت تحب وتتحرق وتهلك من ضر تكتمه . تزي ، هل عرفت الجميلة
« آريدي » ان تنال اعجابك ؟

هيوليت : — انا راحل يا تيرامين ، سابحت عن ابي .
تيرامين : — ألن ترى « الفيدر » قبل رحيلك يا مولاي .
هيوليت : — هذا ما اقصد اليه ؛ في استطاعتك ان تخبرها . ينبغي ان نراها ،
فبذلك يقضي الواجب . ولكن اي بؤس جديد يثير سفيها « أونون » ؟

. . .

المنظر الثاني

هيوليت — أونون — تيرامين

اونون : — واسفا ! مولاي ، اي غم يعل غمي ؟ توشك الملكة ان تحتضر .
عشاً عكفت الليل والنهار على رعايتها : فهي تجود بذمائها بين ذراعي من مرض

(١) مترددا . (٢) الذي لم يفر ، على جبروته ، من الحب . (٣) آلهة الحسن .

(٤) ام هيوليت (٥) إله الفروسية ، Phèdre : 36

تحفيه علي . قلق دائم يسود فكرها . لقد انتزعها الهم والألم من فراشها . تريد ان ترى النور ؛ ومع ذلك فان ألما العميق يوجب علي ان ابعد الناس . . . قدمت . هيبوليت : — يكفي : سأتركها هنا ، ولن اريها وجهاً بغيضاً .

المنظر الثالث

فيدر — اونون

فيدر : — لا ينبغي لنا ان نتقدم . لنبق ، ايها المزيّة اونون . لا اقوى علي النهوض : قوتي تخلّت عني . عيناى مهورتان بهذا النهار الذي ارى ، دركيتاي المرتجفتان تفسقان تحي . واسنى ! « تجلس »

اونون : — ايها الآلهة القادرة علي كل شيء ، لتطفئ دموعنا غضبك .
فيدر : — ما اقل هذه الزينة الباطلة وهذه الحُرّ علي ! أية يد مزعجة اوثقت هذه الرُّبَط وعنت بجمع هذا الشعر علي جبينى ؟ كل شيء يُضنيّني ويُضويني (١) ، ويأتمر بي ليردني .

اونون : — ما اشد ما نرى أمانها ينقض بعضها بعضاً ! انت نفسك تستنكرين مقاصدك الجائرة ، فتعجلين ايدينا (٢) أحياناً لتجميلك ؛ وانت انت تذكرين ماضى قوئك فتريدين ان تظهرى وان ترى نور النهار . ها هو النور ياسيدي ؛ أفستعدين للتواري وتكرهين الضياء الذي كنت تنشدين ؟

فيدر : — أيتها النبيلة الساطعة التي ابدعت أسرةً حزينة ، انت التي كالت امي تجترى فتفخر بأنها ابنتك ، والتي قد تستحي لما انا فيه من قلق ، ايها الشمس ، لقد جئت أراك للمرة الأخيرة .

اونون : — واعجبا ! ألن تتخلّني قط عن هذه الرغبة القاسية ؟ أراك على المدى واعدة عن الحياة ، على اهبة الموت الفجوع ؟

فيدر : ايها الآلهة ! لماذا لا اكون جالسة في ظل الغابات ! متى يقسم لي ان أنبمع نظري ، خلال غبار كريم ، عربيةً فارّةً من الميدان ؟

اونون : — ماذا ، سيدتي ؟

(١) يصفني (٢) تحثنيها .

فيدر : — اين انا ، يا حقا ؟ وماذا قلت ؟ اين تركت امانتي ؟ شررد وعقلي يضل ؟ لقد سلبتني الآلهة القدرة على الانتفاع به . الحرة تغشى وجهي يا أونون : كاشفتك اكثر مما يجب بآلامي المهينة ؛ وعيناي تفيضان على الرغم مني بالدموع .
 أونون : — اذا وجب ان تخجلي فمن سكوت يزيد آلامك هولاً . اتأين عنايتنا ، وتقصائين عن اقوالنا ، وتريدان ان تنهي بغير رفيق ايامك ؟ أي جنون يعترض سبيلها الدافق ؟ اي سحر او اي سم افضب معينا ؟ لقد ضرب الليل روقه ثلاثاً لم يغمض لك فيها جفن ، وطرده النهار كتائب الليل ثلاثاً كان جسمك فيها يذوي من غير غذاء . الى اية نية مخوفة تستسلمين ؟ باي حق تحملين نفسك مالا تطيق ؟ أما إنك لتفضبين الآلهة الذين وهبوا لك الحياة ؛ وتعقنين زوجك الذي تربطك به — عين مقدسة ؛ وتقدرين اخيراً باطفا لك الناعسين الذين ترمين بهم تحت نير العبودية الرعناء . فكري في ان نهاراً واحداً سيسلبهم امهم وسيحجي الامل لابن الاجنبية ، عدوك اللدود ، عدو آباءك وابنائك ، ذلك الولد الذي حملته أمازونية في احشائها ، ذلك الفتى هيبوليت . . .

فيدر : — آه ، يا آلهة !
 أونون : — هذا التعنيف اثر فيك .
 فيدر : — باي اسم هتفت يا شقية !
 أونون : — حسن ! بحق ما يثور غضبك : احب ان اراك ترعدين لهذا الاسم النكد . عيشي اذن . فليمد اليك الحب والواجب الحياة . عيشي ، لا تأذني لابن الرعناء ان يثقل ابناءك بمقوت سلطانه ، فيأمر وينهى على اكرم ما تستل الاغريق والآلهة (١) . لكن لا تؤخري امرأ : فكل لحظة تسير بك الى حتفك . بادري الى ترميم قواك المتداعية ، حين تستمر شعلة ايامك المشفية على الخطر ويكون في مكنتها ان تتوقد من جديد .

فيدر : — شد ما اطلت مدتها الآثمة .
 أونون : — ماذا ؟ أيقض مضجعم وخز الضمير ؟ أي ذنب أثمر هذا الاضطراب البالغ ؟ لعل يديك لم تبتلا بدم بري ؟

(١) زيرد ابنا فيدر ، لان اباهم البطل تيزيه ، واهم ابنة الشمس .

فيدر : — ما كان ليدي ، بفضل الآلهة ، ان تأثما . فليستوا علي كذلك بقلب بريء مثلها !

اونون : — فأني عزم رهيب أنشأت حتى تُرعب له قلبك ورُعدت اوصالك ؟
فيدر : — يكفي ما حدثتكَ عنه . أعفني من الباقي . اني لاختر الموت علي اعتراف أليم كهذا .

اونون : — موتني اذن ، والزمني صمتاً لا رحمة فيه . علي انه ينبغي لك ان تبخني عن يد أخرى تغمض جفنيك . فمع انه لم يبق لك الا انقاس ضيقة ، فاني سابقتك الي لقاء الموت . الف طريق مكشوفة تقود اليه علي الدوام ، وسبختار ألي الحق اقصرها . يا قاسية ، متى خدعتك بحبي واخلاصي ؟ هل تفكرين في اني تلقيتك بين ذراعي حين ولدت ؟ وطني ، اولادي ، كل شيء تركته في سبيلك . فهل أعددت هذا الجزاء لاخلاصي ؟

فيدر : — اي ثمرة ترجين من كل هذا العنف ؟ سترتمدين لهول ما اقول إن انا قطعت السكوت .

اونون : — يا لآلهة ! وما عساك ان تقولي لي وهو لا يصغر فظاعة موتك امام عيني ؟

فيدر : — لن يعصمني من الموت أن تعرفني إيمي والحظ الذي يرهقني ، بل سأموت لذلك وانا اكبر اثماً .

اونون : — سيدتي ، باسم الدموع التي ذرقها لأجلك ، وهاتين الركبنتين اللتين اصحبهما الي صدري إلا ما اطلقت فكري من هذا الشك المميت .

فيدر : — تريدن ذلك . فانهضي .

اونون : — تكلمي ، انا اصغي اليك .

فيدر : — ايها السماء ! ماذا اقول لها ، ومن أين أبدأ ؟

اونون : — كفي عن الاساءة الي بمخاوفك الباطلة .

فيدر : — يا بلقياء فينوس ! يا لفضيها التحس ! في اي مناهة قذف الحب بأمي (١) !

اونون : — لننس ذلك يا سيدتي ، وليطوّر خبره عن الاجيال الآتية سكوت دائم .

(١) يريد الشاعر ان يظهر أثر السلالة في الفيدر .

فيدر : — أريان، يا اختاه، أي حب آذاك، ققضيت نحبك حيث طرحت على الساحل (١) !

اونون : — ماذا تصنعين يا سيدتي ؟ أي عذاب محبت يؤثبك اليوم على اسرتك ؟
فيدر : — ساموت ، ما دامت فينوس تريد ، آخر هذه الأسرة المنكودة الحظ وأكثرها بؤساً^٢.

اونون : — آتبعين !

فيدر : — عندي من الحب هوله وسماره (٢).

اونون : — لمن ؟

فيدر : — ستسمين ما يحزنك ويهولك . احب . . . ارتجف لدى ذكر هذا الاسم الشؤم ويقشعر جلدي ، احب . . .

اونون : — من ؟

فيدر : — انت تعرفين ابن الامازونية ، ذلك الأمير الذي طالما جفوته وبغيت عليه ؟

اونون : — هيوليت ؟ ايها الآلهة العظام !

فيدر : — انت التي سميت .

اونون : — يا عدل السماء ! تجمد كل مافي عروقي من دم . يا لباس ! يا للجنابة ! ايها الذرية المنكودة الحظ ! ما اشأما رحلة (٣) ! ايها الشاطئ^٤ الناعس ، أكان يسوغ ان تقرب من حفافيك الخطرة ؟

فيدر : — من أبعد من هذا يتحدث عذابي : ماكدت أرف^٥ الى ابن « إيجيه » (٤) ، ويبدو قراري وسعادتي موطئدين ، حتى اظهرت لي « أثينا » عدوئي الفخور . رأيت فاحمر وجهي ثم اصفر لمرآه ؛ تولاني اضطراب بالغ ، وذبلت عينا ، وعجزت عن الكلام ؛ احسست بجوارحي ترتعد وتلهب . تعرفت فينوس ونيرانها الخوفة والآلام التي تطارد بها ذرية لا عاصم لها من امرها . ولقد خيل الي اني اصرفها عني بنذور لا تنقطع : فبنيت لها معبداً وعنيت بتجميله . كنت احيط نفسي بالأضاحي كل ساعة ، ملتزمة في جنباتها عقلي التائه . ياللا شافي (٥) العاجزة عن حب عاصف معضل !

(١) يريد الشاعر ان يظهر أثر البسالة في الفيدر . (٢) جنوه (٣) لان فيدر التقت هيوليت في رحلتها هذه فاذاكي نار حباها من جديد . (٤) تيزيه (٥) جمع : شفاء ، وهو الدواء .

عشنا كانت يداي تحرقان البخور فوق المذابح : فعندما كان في ينهل الى الالهة
كنت اعبد هيبوليت ؛ واذ كنت اراه على الدوام ، حتى امام المذبح الداخن
ببطوري ، كنت ارفع كل شيء في الواقع الى هذا الاله الذي لم اكن أجروء على
ذكر اسمه . كنت انجبه اينما سرت . يا للبلاء الشامل ! كانت عيناى تستردانه في
ملاح ابيه . واتمى بي الأمر الى اني ثرت على نفسي : اذ شحذت شجاعتي للتشكل
به . وانما تصنعت ظلم الخالة الحقود لأروغ من (١) هذا العدو الذي شغفني جبا .
استعجلت نفيه ، وانزعته بصيحات لا آخر لها من ذراعي ابيه ، فسكنت نفسي
وتنفس الصعداء يا اونون ؛ وسارت ايامي منذ تقييه في مجراها البريء . خضعت
لزوجي وكنمت المي وجملت اعنى شمعات زواجي البغيض (٢) . يا للحذر الباطل !
يا للقدر الظالم ! فقد رأيت ثانية العدو الذي ابعده ، حين قادني الى « تريزين »
زوجي نفسه . فما اسرع مانكا ذلك جرحي العميق . ليس ذلك بحميا مستخفية في
العروق : بل تلك فينوس تقشبت بفريستها بكل ما اوتيت من قوة . لقد شعرت بفزع
حقيقي من جريعتي ؛ ونظرت الى حياتي كارهة والى حيي ساخطة . وكنت اريد
ان احافظ حين اموت على شرفي وأترك طي الخفاء جبا آثم : بيد اني لم اقو على
تحمل عبراتك وعراكلك ؛ فكاشفتك بكل شيء ؛ وما انا على ذلك بنادمة ، شريطة
ان توقري مذكر الموت الذي يدنو مني ، فلا تثقلني بلامك الظالم ، ولا تستمر معونتك
الباطلة في التثبث ببقية انفاس لن تلبث ان تضع .

المنظر الرابع

فيدر ، اونون ، يانوب

يانوب : — كنت احب ان اكتمك خبر سوء يا سيدتي ؛ غير أنه يجب ان أظهر
عليه . لقد اختلقت يد المنية زوجك الباسل ؛ وان هذه الكارثة
لا يجعلها سواك .

اونون : — يانوب ، ماذا تقولين ؟

(١) لاشيد عن (٢) ثمرات زواجا : اطفالها

ياتوب : — إن الملكة السارحة في اوهامها عبثاً تسأل الآلهة عودة تيزيه ؟ وإن ابنه هيبوليت عرف بموته من سفائن قدمت الميناء .

فيدر : — يا لسماء !

ياتوب : — ان اثينا انقسمت على نفسها لاختيار سيدها . ففريق منهم انحاز الى ابنك الأمير يامولاتي ؟ وفريق غفل عن قوانين الدولة فانحاز الى ابن الاجنبية . بل انه يقال ان هناك مؤامرة على العرش ترمي الى تفصيب آريسي واعادة ذرية بالاثين . لقد خلننت ان من واجبي ان انبهك الى هذا الخطر . ان هيبوليت قد فرغ من اعداد الرحيل ؟ ويخشى اذا ظهر في هذا الخطب المفاجئ ان يشتد سواده ويأمر امره (١) .

اونون : — كفى ياتوب . لقد سمعتك الملكة ولن تهاون بمخطير تحذرك .

المنظر الخامس

فيدر ، أونون

اونون : — كنت غدلت يامولاتي عن الالحاح عليك لتتشيئي باذبال البقاء ؟ بل فكرت كذلك ان اتبعك الى القبر ؟ اذ قدت كل صوت يصعدك عنه . بيد ان هذا البلاء المتيد يفرض عليك واجبات اخرى . انت الآن في موقف جديد : لقد مات زوجك ياسيدي وعليك ان تعطي مكانه . ان موته يترك لك ابناً عليك ان تعني به ، فسيكون عبداً اذا مات وملكا اذا حييت . على اي المسان تريد بين ان يعتمد في شقائه ؟ لن يكون ثمة يد تكفكف عبراته ؟ وسترفع اصواته البريئة الى السماء فتثير على امه سخط اجداده . عيشي ، فلم يبق شيء تلومين به نفسك : اذ اصبح غرامك امرأ عادياً . ان تيزيه لينقص بموته ذلك الرباط الذي يرد حبك الى الفطاعة والاثم . وقد اصبح هيبوليت اقل خطراً عليك ؟ فلك ان تريه من غير ان تأمني . لعله بعد ان اقتنع بكراهيتك له سوف ينتدب قائداً للمعيان . فاكشفي له ضلاله واتي من عزيمته . ان

(١) أمر امره : اشتد وتم

بلاد تزيين لمن نصيبه مآدام هو ملك هذه الشيطان السعيدة . لكنه على علم
من ان الشرائع قد منحت ابنك هذه الاسوار التي شيدتها « مينرفا » (١) . هذا الى
ان لكما عدواً مشتركاً بحق : فوحداً قوا كما للوقوف في وجه « آريسي » .
فيدر : — حسن ! اني عاملة وفق نبله تحك . لأعش ، إن استطعتم ان
تعيدوني الى الحياة ، وان استطاع حب الولد في هذه اللحظة الفاجعة ان
ينمش خامل انقاسي .



الفصل الثاني

المنظر الاول

آريسي — ايسمان

آريسي : — هل وجهه هيبوليت في طلبي الى هذا المكان ؟ أبحث غني هيبوليت ويريد ان يقول لي : الوداع ؟ هل تقولين الحقيقة يا ايسمان ؟ ألسنت واهمة ؟
ايسمان : — هذه اولى نتائج موت تيزيه . تهينني يا سيدتي لرؤية القلوب التي ابعدها تيزيه تطهير اليك من كل جانب . ان آريسي سيدة حظيها آخر الأمر ، وعما قليل ستجد بلاد اليونان جميعها على قدميها .
آريسي : — فليس ذلك يا ايسمان خبراً واهي الداعائم ؟ افارقت عبودي ولم يبق لي من عدو ؟

ايسمان : — كلا يا سيدتي ، لن يكون الآلهة اعداء لك بعد اليوم ؛ وقد لحق تيزيه بأرواح اخوتك .

آريسي : — هل ذكروا اي حادث قضى عليه ؟

ايسمان : — لقد بشوا عن موته روايات لا تصدق . قالوا ان اليم ابتلع هذا الزوج الخثون بعد ان اختطف معشوقة جديدة . بل قالوا ، وقد استفاض هذا الخبر وشاع في كل مكان ، انه نزل صحبة صديقه «ديربتوس» الى العالم الآخر ، ورأى نهر الكوسيت والشواطئ المظلمة ، وبدا حياً في ظلال جهنم ؛ غير انه لم يستطع ان يخرج من تلك الاقلمسة المخرقة ، ولا ان يجتاز ثمانية السواحل التي يجتازها الناس الى غير عودة .

آريسي : — ايكون لي ان اعتقد ان في طوق الحمي ان يلج ، قبل ساعته الأخيرة ، مساكن الموتى السحيقة ؟ اي سحر يجذبه الى هذه الشواطئ المخوفة ؟

ايسمان : — أما ان تيزيه لميت ؟ انت وحدك ترتابين في ذلك . فإينا تبكيه ، وترزين احييت علماً به ، واعترفت بهيبوليت ملكاً عليها . اما فيدر فقد تولاه القلق على ولدها ، وهي في هذا القصر تمرق آراء اصدقائها الحيارى .

أريسي : = وهل تظنين أن هينوليت سيكون أرقى من أبيه ، وأنه سيخفف من قيودي وسيرثي لشقائي ؟

إيسان : = سيدتي اظن ذلك .

أريسي : = أتعرفين ما لهينوليت من طبع نافر عصبى ؟ اي اهل باطلد يحملك على التفكير في انه يرثي لحالي ويخصني بالحرمة وهو الذي يحقر النساء جميعاً ؟ لقد رأيت من اي وقت جعل يروغ عن طريقنا ويسعى الى الاماكن التي لا نكون فيها . ايسان : = انت تعلمين كل ما يحكى عن فتور عاطفته ؟ على اتي وجدت هذا المزهر هينوليت بالقرب منك ؟ وقد ضاعف تطلعي اليه عندما قابلته اخبار كبريائه . ان مظهره لا ينطبق ابدأ على هذه الاخبار : رأيتُه يضطرب منذ ضوِّبت اليه نظراتك الاولى . ان عينيه اللتين جهدتا من غير طائل في تجاميك كانتا ذابلتين عاجزتين عن التحول عنك . اهل اسم العاشق يجرح كبريائه ؟ غير ان له عينيه ، ان لم يكن له لسانه .

أريسي : = لكم يصني القلب بهم ايها العزيرة ايسان ، الى حديث قد لا يكون وطيد الاساس ! انت التي تعرفيني ، هل يبدو لك ممكناً ان تعرف الحب وآلامه الحقاء تلك الالوية الحزينة للقدر الفاسم ، ذلك القلب الذي طالما غذي بالحسرة والدموع ؟ لقد انفلت وحدي من اهل الحرب ، انا بقية ابناء ملك كان ابن الارض ، البار . فقدت ستة اخوة في زهرة العمر . وآمال بيت ماجد عظيم ! حصنهم السيف جميعاً ؟ وشربت الارض كارهة دماءهم . تعلمين اي امر صار منذ وفاتهم حظر على اليونان جميعاً ان يأسوا عليهم : ذلك بانهم يخشون ان تحمي الاخت بحميها المتهورة رماذ اخوتها ذات يوم . ولكنك تعلمين جيداً كذلك بأي عين زارية كنت انظر الى هذا الذي يشغل الظافر المرتاب . تعلمين اني ، وانا التي تقاوم الحب في كل آن ، كثيراً ما كنت اشكر تيزيه الظالم الذي كانت قساوته المواتية عضداً لي في مقاومتي . لم تكن عيناى حينئذ قد رأنا ابنة . وليس ذلك اني انحططت الى ان أؤخذ بمجرد النظر ، فاحب فيه جماله وظرفه الممدوح ، هتين المنحيتين اللتين شرفته بهما الطبيعة ، واللتين هو نفسه يحقرهما ويبدو جاهلاً لهما ؛ انما احببت فيه خلافاً انبل واكبرتها ، احببت فيه محاسن ابيه منزهة عن مطالعته .

انى اعترف بحبي لهذا النور الكريم (١) الذي لم يمنحني ابداً لنير الحب ، عيشاً
تعتزّ فيدر بزفات تزيه : فانا أكثر اعتزازاً منها ؛ وانا اقرر من ذلك الجسد
الميسور باقتراع احترام سبق ان مبذل لألف امرأة ، وبال دخول في قلب مفتوح من
كل جانب . أما أن أعطف قلباً صعباً ايّاً ، وان اقيد بالأغلال اسيراً لم يألف القيد
وامتنع من غير جدوى على نير يعجبه : فذاك هو الذي اريده ، وذاك هو الذي
يعزيني . ان هر كول لأكثر لياناً من هيبوليت ؛ وهو بما يسهل ويسرّع من
اخضاعه يفتح حظاً أصال من الجدل للعينين اللتين تغلبانه . ولكن يا عزيزتي ايمان
ما كان اكبر غفلي ، والسفاه ! فاتي لن اقاتل إلا بكثير من الالباء . لا يبعد
ان تريني خزاناً في عذابى ، منتحبة شاكية هذا النور نفسه الذي أعجب به
اليوم . ترى ، أيمكن لهيبوليت ان يحب ؟ باي سعادة بالغة قد استطيع ان اعطف ...
ايمانك : — مستسميته بنفسه . لقد جاءك .

المنظر الثاني

هيبوليت ، آريسي ، ايمان

هيبوليت : — سيدتي ، أعتقد أنه لزام عليّ وقد أفدّ رحيلي ان احيطك علماً بما انت
مشرقة عليه . لقد اخترمت المنون ابى . كان ارتبائي المعقول يحسّس بأسباب غيبته
الطويلة . الموت وحده اذ يقف اعماله الباهرة يستطيع ان يحجبه هذا الزمن
الاحول عن العالم . لقد اسلمت الآلهة أخيراً الموت صديق هر كول ورفيقه
وخليفه . اعتقد ان بمضاءك لا تتناول فضائله ، وانك لا تضيقين عن سماع هذه
الخلال التي كان لها اهلاً . ثمة أمل يخفف من حزني القاتل : وهو أنني استطيع
ان أميط عنك ثقل وصايته . لقد أبطلت أوامر كنت آسفٌ لشدها . لتستطيعين
ان تنصرتي الآن بنفسك وقلبك . وفي تيريزين ، وهي اليوم نصيبي وارثي من
جدي وبنتي ، وقد اعترفت بي ملكاً غير مدافع عليها ، اتركك حرة كذلك ،
بل أكثر حرية مني .

آريسي : — أقبل من اللطاف (٢) الذي يربكني الافراط فيه . انك بتفضلك بكشف
هذه الغمرة عني في حذب وحسن رعاية لتطوّقني يا مولاي أكثر مما تفكر بهذه

(١) غرور هيبوليت التبت من نبيل طبعه (٢) اللطاف : البر .

القيود الصارمة التي تريد ان تضعها عني .

هيوليت : — ما تزال أئينا مترددة بين من تستطيع ان تختارم ليخلفوا الملك الراحل على عرشها ؟ فهي تتحدث عنك وعني وعن ولد الملكة .

آريسي : — عني ، ياسيدي ؟

هيوليت : — لا اريد ان اعلل النفس بالأمان ، فانا اعلم ان ثمة قانوناً أخرق يعتبر طريق . ان اليونان يعيرونني أمناً أجنبية . على انه إن لم يكن لي من منافس غير اخي ، فان لي عليه ياسيدي حقوقاً غير منكورة يستطيع ان اصونها من عبث القوانين . لكن مانماً شرعياً بحد من جراتي : ذلك باقني سأترك او بالحري سأعيد اليك مقاماً وصولجناً سبق ان تسلمها ذلك الفتى الذي ولدته « الارض » ثم قدّر لها ان يثول الى المتنبئ « ايحيه »^(١) . بذلك اعترفت أئينا راضية مسرورة بملكية ابي الذي دافع عنها وتماهدا بأقصى ما يتماهد به ملك رعيته من نبل وحسن رعاية ، والقت في زوايا النسيان اخوتك النساء . ان أئينا لتناديك الآن من وراء أسوارها . لقد عانت فيه الكفاية تلك الحصومة الطويلة الذميمة ؛ بحسب الحقول ما شربت من دمائك التي ابتتها وبحسبها ما دّخت بها . ان « تريزين » اقلت الي عصا الطاعة . وان حقول كريت وأريافها لتتقدم لابن فيدر معتزلاً خصيباً . اما أئينا وما حولها فهي من نصيبك . سأرحل ، سأجمع لاجلك امانى الشعب الموزعة بيننا .

آريسي : — اني لأدّ هس ويهزكياني لما اسمع ، وانا اخشى ان أكون خدعة حلم جميل . آتاني أحلم ؟ أفي مقدوري ان أصدق عزماً مثل هذا ؟ اي آله ياسيدي ، أي آله القاه في صدرك ؟ ما أحق ما انتشر مجدك في كل مكان ؛ وكم « تجاوز » الحقيقة شهرتك ؛ تريد أن تضحي بمنافك من اجلي ؟ ألا يكفيك انك لم تحمل لي بين جوانحك من بفضاء ، وانك استطلعت ان تصدّ النفس طويلاً عن عداوة ...

هيوليت : — ان أبغضك ، انا ، ياسيدي ؟ مهما يصفون على نفور طبعي من نفوت ، آتارام يظنون اني انحدرت من صلب اب مسيخ ؟ أي « خلق » نافر ، اي بفضاء قاسية ، يستطعمان ان يراك ثم لا يستأنسا ؟ هل استطعت ان اقاوم السحر الفاتن ...

(١) هو ابو تيزه وجد هيوليت . اما ابو آريسي فهو سليل الملك الحقيقي ، لا المتنبئ .

آريسي : — ماذا ؟ مولاي .

هيوليت : — اراني استرسلت في قولي وتجاوزت الحد ؛ وارى العقل يذعن لسلطان الحب . اما واني بدأت أفصّ السكوت فيجب ان اتابع ياسيديتي : يجب ان اكشفك بسر لن يطبق القلب طيئه بعد الآن . امامك ترين اميراً جديراً بالرئاء ، وكان قبل مثلاً لا ينسى للخيلاء . انا الذي كنت اتمرد على الحب في إباء ، وانظر في زراية الى قيود أسراه ؛ وكنت ارثي لفرق الانسانية الضعيفة في لجاته ، ظاناً اني ارقب العواصف دوماً من الساحل ؛ فالآن وانا ارزح تحت قانونه المسم ، بأي عين مؤرقة اراني أجرف بعيداً عني ؟ لحظة واحدة ذهبت بتلك المرأة السقي لم تكن تحسب لشيء حساباً : هذه النفس المزهوة اصبحت آخر الأمر خاضعة . عبثاً امتنعت عليك وعلى نفسي ، وانا يائس ، خجلاً ، حامل منذ زهاء ستة اشهر اينما يمت ذلك النبل الذي يمزق احشائي : فانا اتحملك ما حضرت ، وأنشدك ما تنيت ؛ وان صورتك لتتبعني وسط الغابات ؛ اضواء النهار ، ظلمات الليل ، كل شيء يرسم لناظري الجمال الذي احذر ؛ كلها تتنافس في تسليمك العاصي هيوليت . انا نفسي لم تشمر جهودي الضائعة شيئاً ، فاراني ابحت الآن عن رشدي بغير جدوى . قوسي ، حربي ، عجلتي ، كل يشغل علي ويؤذني ؛ ما من شيء من دروس «نبتون» (١) ، اصبحت اذكره . بنحبي وزفرائي وحدها تدوي الغابة ، وقد لست خيلي العاطلة صوتي . لعل عرض حب بهذه الغرابة يحملك على الخجل بما احدثت وانت تصغين الي . يا لجفاء هذا الكلام من قلب يتقدم اليك ؛ يا لغرابة اسير في قيد نفيس رائع ؛ على ان هذه التقدمة جدية ان تحظى باكرامك . فكري في اني احدثك بلسان جد غريب ؛ ولا ترمي جانباً باماني لم احسن التعبير عنها ، وما كانت لولا انت لتعجز في صدري ابداً .

المنظر الثالث

هيوليت ، آريسي ، تيرامين ، ايسمان

تيرامين : — الملكة قادمة ، يا مولاي ؛ انها تبحث عنك .

هيوليت : — انا ؟

(١) آله الفروسية .

ثيرامين : — اجعل ما يضطرب في ذهنها . بيد أنها وجهت في طلبك . تريد
« فيدر » ان تتحدث اليك قبل براحك .
هيوليت : — فيدر ؟ ما ينبغي لي ان اقول لها ؟ وما عساها ان تنتظر ...
آريسي : — لا يسعك ياسيدي ان ترفض الاصفاء اليها . فعلى اقتناعك ببغضها فان
من حقها عليك ان تمير دموعها ظلاً من رحمتك .
هيوليت : — في اثناء ذلك ستخرجين . انا راحل . اخشى ان اكون اسأت الى
الجمال الذي أعبد ! أجهل ما اذا كان هذا القلب الذي أودعه يديك ...
آريسي : — اذهب ايها الأمير واتبع مقاصدك الكريمة . خذ لي الطاعة من أثينا .
قبلت الهبات التي تريد ان تمنحني جميعاً . بيد أن هذه المملكة على اتساعها وعظمتها
ليست في نظري أئمن هباتك .

المنظر الرابع

هيوليت - ثيرامين

هيوليت : — أكل شيء حاضر ايها الصديق ؟ لكن الملكة تتقدم . اذهب . على الجميع
ان يبادروا الى اسلحتهم فيقتلوهما المرحيل . أوعز اليهم ان يعطوا الاشارة ،
أمرع ، ممر ، وعد لتنفذني بعد هنية من حديث ثقيل .

المنظر الخامس

فيدر ، هيوليت اونون

فيدر « تخاطب اونون في آخر المسرح » : — هذا هو . دمي كله يعود الى قلبي .
نسيت اذ رأيته ما جئت اقول له .
اونون : — تذكرني طفلاً لا امل له غيرك .
فيدر : — يقولون ان رحيلاً عاجلاً ينأى بك عنا ياسيدي . جئت اضم دموعي
الى آلامك . ثم جئت اشرح لك مخاوفي على طفلي . لم يبق لابني اب ؟ ولن
يكون بعيداً ذلك اليوم الذي سيُشهده كذلك موتي . من الآن بات يهدد طفولته
الف عدو . بيدك وحدك امر الدفاع عنه . لكن روحي مضطربة بوخز ضمير

خفي . اخشى ان اكون قد أوصدت اذنيك عن صيحاته . يخيفني ان يطارده فيه غضبك العدل اما له بنيسة .

هيبوليت : — لا ينطوي صدري يا سيدتي على شعور وضع كهذا .
 فيدر : — اذا أبغضتني فلن ارفع صوتي بالشكوى يا سيدي . لقد رأيتني جاهدة في اذاك ؛ ولم تكن قادراً على ان تقرأ مكنون قلبي . كنت احرص على ان اتعرض لكرهك . على الشواطيء حيث أسكن لم أطق ان أراك . واذ شدت عليك النكير سرّاً وعلانية ، اردت ان تحول بيننا البحار . بل اني نهيت بأمر صريح عن ذكر اسمك في حضرتي . ومع ذلك فاذا كانت الجزاء يقاس بالاساءة ، اذا كانت البغضاء وحدها تستطيع ان تثير بغضاءك ، فما من امرأة ادعى لرحمتك واجدر ألا تكرهها مني يا سيدي .

هيبوليت : — قلما تتحمل أم غيور على حقوق ابنائها احداً بناء زوجها . اعرف ذلك يا سيدتي . الشكوك المزعجة هي أظهر ثمار الزواج الثاني . أيما امرأة اخرى مكانك ستساورها الخواف نفسها ، ولعلني كنت اعاني منها سوءاً اكبر .
 فيدر : — آه ! يا سيدي ، لقد ارادت السماء ان تستثني من هذه السنّة الشاملة وانا أشهدا على ذلك . هنالك شاغل مختلف جداً يؤرقني ويضنيني .

هيبوليت : — لم يأن لك بعد يا سيدتي ان تخافي . ربما كان زوجك لا يزال حياً . فقد تستجيب السماء لدموعنا فتمن عليه بالرجوع . « نبتون » يحبه ؛ وهذا الآله الحافظ لن يضع عنده ابتهاج ابني .

فيدر : — ليس لخلق ان يرى ساحل الموتى مرتين يا سيدي . عبثاً ترجو ان يعيده اليك آله ، بعدما رأى الشواطيء المظلمة ؛ وما كان لذلك النهر البهيميل « آشرون » ان يفلت فريسته قط . ماذا اقول ؛ بل ما هو بميت ابدأ ، وذلك لأنه يعيش بك . ما ابرح اظن اني أري زوجي مائلاً امامي . اراه ، احده ؛ وقلبي .. اراني أضل يا سيدي ، ومجنون أشواق يستبين على رغمي .

هيبوليت : — ارى تأثير حبك المعجيب . ان تزيه ، على موته ، حاضر امام عينيك . روحك تتحرّق ابدأ بسمير هواه .

فيدر : — اجل ايها الأمير ؛ اذبل واحترق من اجل تزيه . أحبه لا كما استقبله

العالم الآخر ، عاشقاً طائشاً لألف محبوبة ، ينامر ليلوث فراش آله الموت (١) ؛ ولكن احبه وفيماً انوفاً ، بل على شيء من الجفاء ، جيلاً ، يرفل في الشباب ، ويجر وراءه القلوب كلها ، على نحو ما يصفون لنا الآلهة ، وعلى نحو ما اراك . كانت له هيئتك ، وعيناك ، ولسانك ؛ وكان هذا الطهر النبيل يزين طلعتك ، عندما اجتاز امواج « كريت » وسار تشييعه امانى ابنتي « مينوس » (٢) . ماذا كنت تصنع حين ذاك ؟ لم جمع نقاية (٣) ابطال اليونان من دونك ؟ لم لم تركب معه السفينة التي انطلقت به الى شواطئنا ، على فتاتك (٤) وقوة أسرك ؟ لقد كان في مستطاعك ان تقضي على مسيخ اليونان (٥) ، على بمسد معتزك والتوائه . اذن لبادت اخي قتلذك الصارم البتار تكشف به هذه القماء . لا بل لكنت مبيتها الى هذه الغاية ، يلهمني الحب قبلها ويحفزني . انا التي كنت اهديك السبيل في محاني تلك المتناهة وأحسن مجذتك . ما اكبر العناية التي كان بودي ان اوليها شخصك اللطيف ! ما كان للسيف وحده تقتضيه ليؤمن من خوف عليك قلباً يحبك . بل كنت اود ان اسمى معك بين يدي تلك الحاطر وان اتقدمك اليه واذا أوغلت معك في ظلمات « اللابيرات » (٦) ، وملاويه ، فسواء علي ان اعود مع او أضيع معك .

هيوليت : — ايها الآلهة ! ماذا اسمع ؟ أنسيت ياسيدي ان تزيه هو ابي وزوجك ؟
 فيدر : — وفيه تحكم باني لسيته ايها الأمير ؟ أم تراني لا احسب لشرفي حساباً ؟
 هيوليت : — معذرة ياسيدي . اعترف خجلان اني اتهمت ظلاماً حديثك البريء .
 ان خجلي ليجعلني اعجز عن مداومة النظر اليك ؛ وقد كنت ...
 فيدر : — آه ! يا قاسي ، بل فهمتني كل الفهم . لقد حدثت بك بما يكفي لاجراذك من عمايتك . حسن ! اعرف اذن فيدر وسعار حبها . أحب . لا يقومون في وهمك اني حين احبك أجيز عملي واستحسنه ، ولا اني أقوي بتسامح وذل سم هذا الغرام الشرود الذي يعصف بعقلي . اني لأمقت نفسي ، بعد اذ جعلتني

(١) اجتاز تزيه شواطئ العالم الآخر ليختطف « بروسيرن » ، زوجة آله الموت (٢) هما فيدر وأريان . (٣) نقاية كل شيء : خياره (٤) شبابك (٥) مسيخ اليونان ، ويدعى في عرف الحرافة اليونانية بالينوتور ، هو حيوان له جسم رجل ورأس ثور ، تولى قتله تزيه .
 (٦) قصر عظيم الحجرات متشابه للمرات ، تزعم الحرافة انه بني ليكون محبساً للينوتور .

السبأ هذفاً تاعساً لنقمها أضعاف ما تمتعتي انت . وانا أشهد الآلهة على ما قلت ، هؤلاء الآلهة الذين ألهبوا بين جوانحي جذوةً كانت قبل وبالأعلى ذوي قرايتي ، هؤلاء الآلهة الذين قسوا فتفأخروا بما أزاغوا قلب امرأة ضعيفة . ألا فلترجع بذاكركك الى الماضي : قليلٌ أني تحاميتك ، ايها القاسي ، بل إنني طردتك . اردتُ ان اظهر لمينيك كريمة جافية الطباع . كنت أنشد كرهك لأحسن مقاومة . ماذا أجدت علي هذه الجهود الباطلة ؟ لقد زدني كرهاً ، من حيث لم آتلك حباً . بل ان آلامك كانت تضني عليك جمالاً جديداً . ذويتُ وجفٌ عودي على جمر الهوى ودموعه . في عيذك النناء لتتحقق ألمي الدفين ، لو انها استطاعت ان تلقيا الي بنظرة عائرة . ماذا اقول ؟ هذا الاعتراف الذي جئتُ أبوح به اليك ، هذا الاعتراف المتهين أبدو ارادياً لعينيك ؟ لقد ساورني الخوف على ولدي ولم اجرؤ على التهاون بحقوقه ، فجئتُ ارجوك ألا تجعل في صدرك غلاً لاختيك . يالوهن (١) المزيعة لقلب هو في شغل شاغل بمن يحب ! لم احداثك ، والاسفاء ، إلا عن نفسك ! انتقم لنفسك ، جازني على حيي البغيض . ايها النجل الجدير ببطل نجلتك ، أرح العالم من امرأة شماء تغيظك . ارملة تزيه تجرؤ على حب هيبوليت ! صدقني ، لا ينبغي لهذه المسيخة الكريمة ان تفلت من يدك . هذا قلبي ، ونحوه فلتسدد ضربتك . أمّا انه ليضيق بانتظار العقوبة يكفر بها عن سيئته ، فأحسن به بتقديم صوب يدك . اضرب . واذا كنت تظنه غير خليك بضربك ، اذا كانت بغضاؤك تضن علي بعقاب جد لطيف ، او اذا كنت تخشى ان تلوث يدك بدم جد خسيس ، الا فلتعزني سيفك بدلاً من ذراعك . أعطني . تمد يدها الى السيف ،

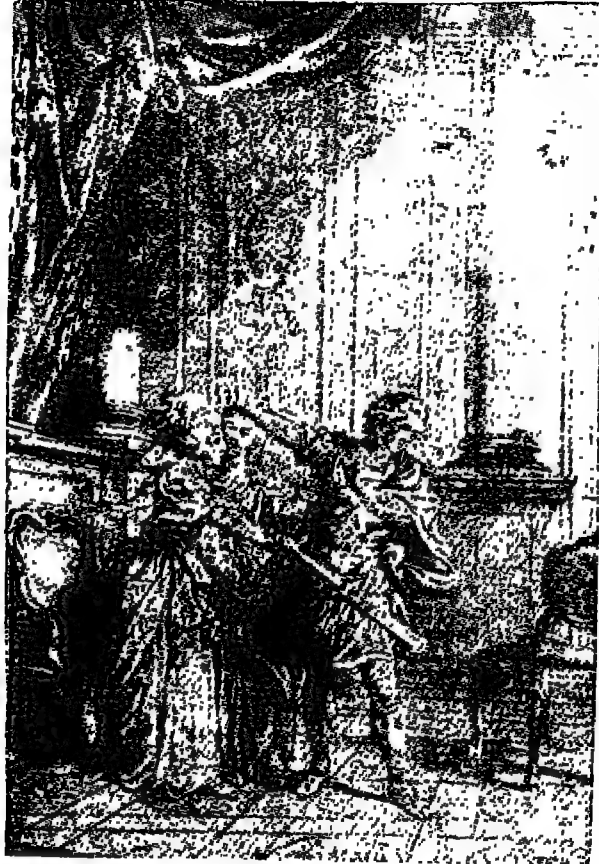
اونون : — ماذا تصنعين ياسيديتي . ايها الآلهة ! على ان هنالك قائماً . احذري مستكره الشهود ؛ تعالي ، تجيئي عاراً أكيداً .

المنظر السادس

هيبوليت — تيرامين

تيرامين : — أهذه فيدر هاربة ، او بالحري جمرّة ؟ لماذا ، مولاي ، لماذا امارات

(١) الوهن او الوهن : الضعف



فيدر : — ألا فلتُعرني سيفك بدلاً من ذراعيك .

الأم هذه ؟ اراك من دون سيف ، شاردا لب ، حائل اللون .
هيوليت : — لنهرب يا تيرامين . ان دهشتي لبالفة . لا استطيع ان انظر الى نفسي
الا منقبضاً واجفأ . ان فيدر ... أيتها الآلهة المظالم ! لا بل فليغيث هذا السر
المقبت في يم النسيان .
تيرامين : — إن شئت الرحيل فقد أعد الشراع . بيد ان أثينا قد حددت يا مولاي
موقفها . " لقد اخذ رؤساؤها اصوات الشعب جميعاً . اخوك هو الظافر ، وكانت
كلمة فيدر هي المليا .
هيوليت : — فيدر ؟
تيرامين : — لقد اوفدت أثينا اليها من يمبر لها عن ارادتها و يضع بين يديها مقاليد
الحكم . أصبح ابنها ملكاً يا مولاي .
هيوليت : — أيتها الآلهة الذين تعرفونها ، أعلى فضيلتها تكافئونها ؟
تيرامين : — ومع ذلك ، قسمة إشاعة ضعيفة بان الملك لا يزال حياً . انهم يزعمون
بان تيزيه قد ظهر في دايريا . غير اني وقد بحثت عنه هناك امرف جيداً يا مولاي...
هيوليت : — لا يهم لنصنع الي كل قول ولا نهمل شيئاً . لتتحر هذه الاشاعة
ولترفع الى مصدرها . اذا لم تستوجب ان أعدل عن رحيلي فلا رحل . ومهما
كلف الأمر فلنضع الصولجان في يد جديدة بحمله .



الفصل الثالث

المنظر الاول

فيدر ، اونون

فيدر : — آه ! فليذهبوا بعيداً عني بما غدوا علي به من أجداد (١) . ايها الثقيلة ،
أتمنين ان يروني . بأي شيء جئت تخدعين عقلي الحزين ؟ أجدر بك أن تحجبيني :
فقد أسرفت في القول . عواطفى المائجة تجرأت فاعتلنت . قلت ما لم يكن ينبغي
ان اقلوه اهدأ . يا للساء ! كيف كان يصني الي ! بأي دهاء تجنب القاسي طويلاً
أقوالي ! ما أكثر ما كان يتعنى الانصراف عني ! وكم ضاعف خجله خزيي ! لماذا
ثبتت عزيمتي عن سعيها الى الموت ؟ ولاء ! عندما صوبت سيفه الى صدري هل
حال لونه خوفاً علي ؟ هل اقترعه مني ؟ يكفي ان يدي لمست مرة هذا السيف ،
فقد جعلته بذلك بغيضاً على عينيه الجافيتين ؟ وكأن هذا السلاح النكد يدس
يديه .

اونون : — على هذا قالت في شقائقك لا تفكرين إلا في الشكوى ، وتذكين ناراً
كان عليك ان تخمدتها . أليس أجسدى عليك ، وانت من ذرية « مينوس » ،
الاكرمين ، ان تفشدي الراحة في امور أنبل ، وان تلوذى بالفرار من وجه جاحد
معجيب ، وان تملكي وتحرصي على تدبير شئون الدولة ؟

فيدر : — انا ، أملك ! انا ، اجعل الدولة تحت حكمي ، على حين يعجز عقلي
الضعيف عن السيطرة على نفسي ! على حين لا استطيع ضبط حواسي ! وعندما
اكاد لا أقوى تحت ذلك النير الخزي على ترداد انقاسي ! عندما اموت !

اونون : — اهربي . .

فيدر : — لا استطيع فراقه .

اونون : — استطعت ذات يوم طرده ، وانت الآن تعجزين عن اجتنابه .

فيدر : — لقد فات الوقت . اضحى عارفاً بمجنون حيي . تجاوزت حدود العفة

(١) - على اعتبارها أم الملك الجديد .

الصارمة . سبق إن أبت عن خزني لمينتي آسري ، وتسلسل الامل على الرغم مني الى قلبي . انت نفسك جعلت مهيبين بقوتي الخائرة ان تعود ، وأمسكت عليّ روعي وهي تنيه على شفقي ، وعرفت بما صكر نصحك كيف تعيدني الي الحياة . لقد أريتني ان في امكاني ان أحبه .

اونون : — اواه ! سواء اكنت مسئولة عن شقائق أم بريئة منه ، فأني شيء لا اقوى على صنعه لأنقاذك ؟ ولكن اذا قدر لك ان تغضي يوماً للساءة ، فهل تستطيعين ان تنسي اهانة فتى متكبر مختال ؟ بأي عينين جافيتين استطاع هذا القاسي العنيد ان يغادرك ساجدة على رجله او تكادين ؟ ما كان ابغضه في كبريائه العاتية ! لماذا لم يكن لفيدر عندئذ عيناى ؟

فيدر : — في يده ان ينتهي عن هذه الكبرياء التي تمسكك . ربّي في الآجام فرمحه بجفائها . ان هيبوليت بعداذ رده المبادى المستوحشة الي القساوة ليصني الى حديث الحب لأول مرة . لعل دهشته قد حالت دون كلامه ، ولعلنا قد أسرفنا في شكوانا .

اونون : — تذكرني انه ربي في احضان امرأة متوحشة .

فيدر : — ولكنها قد احبت ، على جفائها وتوحشها .

اونون : — انه يكره النساء كل الكراهة .

فيدر : — على هذا فلن تفضلني عنده امرأة اخرى . واخيراً فكل نصائحك في غير وقتها . أعيني هواي ودعك من عقلي . انه ليصد عن الحب بقلب نفور ، فلنلتمس لنزوه جانباً أطوع ؛ يظهر ان سحر الملكة يغريه . لقد جذبتة أيتها فاس استطاع ان يكتم ذلك ؛ ها هي ذي سفنه قد ولت الوجوه شطرها وأشرعتها في قبضة الرياح . اذهبي واطلي عني هذا الشاب الطمّيع يا اونون ؛ لوحي لمينيه يريق التساج . فليضع على جبينه الاكليل المقدس ؛ لا اريد غير شرف عتقه بيدي . لأنزل له عن هذا السلطان الذي أعجز عن حفظه . سيكون قدوة لابني في فن الحكم ؛ ولعله يريد ان يكون منه في مكان الأب . اني اضع قيد تصرفه الولد وأمه . ومهما دار الأمر فحاولي كل السبل لتلين عريكته . ستحظى كلمائك بتوفيق اكبر . الحثي ، اخرفي الدمع ، نوحى ، إرث بين يديه لفيدر تجود بانفساسها ؛ لا تحترجي قط من اتخاذ صوت ضارع متوسل . سأقر كل ما تعللين ؛

ليس لي امل سواك ، اذهبي . أنتظري عودتك لاقري مصيري .

المنظر الثاني

فيدر « وحدها ،

ايها الحقود فينوس ، ، انت التي ترين ما تردتي فيه من عار ، ألا خبريني هل
يكفي ما نزل في ساحتي منه ؟ اما انك لا تستطيعين ان تذهبي في المساواة الى ابعد مما
وصلت . اكتمل نصرتي ، وما فوقت من سهم إلا كان صائباً . ايها القاسية ، اذا
كنت ترغبين في مجد جديد فسدي الضرب الى عدو اكثر تمرداً . ان هيبوليت ليفلت
منك ؟ وهو يستهين بسخطك ويأبى ان يركع على مذبحك . ولكن اسمك يجرح اذنيه
المزهوتين . ايها الالهة هلا انتقمتم لنفسك : اشتبهت قضيتانا . فليحب . . . ولكن
مالي اراك يا اونون عائدة من حيث ذهبت ؟ انه يبغضني ويأبى ان يصفي اليك .

المنظر الثالث

فيدر ، اونون

اونون : — عليك يا سيدتي ان تخنقي فكرة حب باطل في نفسك ، اذكري فضيلتك
الماضية . الملك الذي ظن انه ميت سيظهر امامك . لقد وصل تيزيه ؛ انه لي هذه
الاماكن . اما الشعب فبادر لرؤيته وتهافت . كنت خارجة أبحث وفق أمرك
عن هيبوليت واذا آلاف الأصوات المنطلقة الى السماء . . .

فيدر : — زوجي حي ، يكفي هذا يا اونون . لقد اعترفت بحب يحس كرامته اعترافاً
قبيحاً . انه يعيش : لا اريد ان اعلم اكثر من ذلك .

اونون : — ماذا ؟

فيدر : — لقد ثبات لك بذلك ، ولكنك ابيت ان تمضي (١) نبوءتي . تغلبت
دموعك على وخزات ضميري العادلة . كنت ساموت هذا الصباح جديدة ان
بيكنيني الناس ؛ ثم اتبعت نصائحك فاذا انا اموت غير شريفة .

اونون : — تموتين ؟

(١) أمضي الشيء : اجازه وقبله

فيدر : — يا عدل السماء ! ماذا صنعتُ هذا اليوم ؟ سيظهر زوجي وابنه معه . سأرى الرجل الذي شهد غرامي الأثيم يلاحظ بأي وجه أجرؤ على الاقتراب من ابيه بقلب مورم بالزفرات التي لم يصنع اليها ، وعين رطبة بالدموع التي لم يطف عليها . اتعتقدين انه سيطوي عن تزيه خبير غرامي ، وهو الحريص على شرفه وحسن سمته ؟ ياأذن لانسان ان يخدع اياه ومليكة ؟ أيستطيع ان يكبح ما في نفسه من كراهة لي ؟ سيكون صمته من غير جدوى . أعرف حتي وخياقي يا اونون ، ولست من هؤلاء النساء الوقحات اللواتي يتذوقن في الجريمة سلاماً هادئاً ويتندين على الناس بوجوه لا يعرف الخجل اليها سيلاً . أعرف جنون هواي وانه لمائل نصب عيني بأجمه . يتخيل الي الآن ان هذه الجدران والقباب ستتكم ، وانها مستعدة لتعنيقي ، فهي تنتظر زوجي لتكاشفه بحقيقتي . لأمت . لينقذني الموت من احوال واهوال . أليكون انقطاع الحياة بلاء كبيراً ؟ ما كان الاشقياء ليُرعبوا من الموت ابداً . انما اخشى الذكر الذي اترك ورائي . فانه ما كان اقبحه ميراثاً لابنائي النساء ! انهم ليزهتو بدم جويبتير ، ابني الآلهة ، يجري في عروقهم ويثبت قلوبهم ؛ ولكن مهما يكن ذلك المُنْجَب الذي يلهمهم اياه سمو اعراقهم صائباً ، فان جريمة الأم حمل باهظ لا يطاق . اني لأرتعد خوفاً من ان يرق ذات يوم الى اسماعهم احاديثٌ تَصِيْمُ بالحق ، واسفاه ، امثم . يهولني ان ينوء بهم ذلك الحمل الكريه ، فلا يجسر احدهم على رفع بصره .

اونون . — لا مجال للشك في ذلك ؛ اني لأرثي لهم جميعاً . ابداً لم يكن خوف في محله كخوفك . ولكن لماذا تعرّضتهم لعار كهذا ؟ لماذا تشهدين انت على نفسك ؟ تُقضي الامر ؛ ليقولن "إن فيدر قد أهدت" في الجريمة فهي تتجنب ان ترى زوجها بعد اذ نكثت عهده وتخشاه . وليتهجنن هيبوليت بانتهاء ايامك لأنك تدعين بذلك اقوالهم . ماذا عسائي اقول لمن يشي بك ؟ لن يكون في يدي غير ان اخنس امامه واسكت . سأراه يستمتع بنصره الرهيب ويتحدث بعارك الى من يريد . آه ! احري بي ان تلتهمني نيران السماء ! لكن اصدقيني ، الا يزال حبیباً اليك ؟ بأي عين ترين هذا الأمير الجريء ؟

فيدر ؛ — اراه مسيخاً يهول العين ويؤلها .
اونون ؛ — لماذا تتيحين له اذاً كامل النصر ؟ انت تخشينه . الا فلتجربي على اتهامه

بالجرم قبل ان يسبقك اليوم الى ذلك . اي شيء قد يكذبك ؟ كل شيء ينطق
ضده : تركته السيف لحسن الحظ بين يديك ، اضطرابك الحاضر وسخطك
الماضي ، تقو رايه منه منذ طويل لما سبق من احتجاجك ، ثم سميك لتفيه
وفوزك به .

فيدر : — انا ، ان اجسر على ظلم البريء وتسويد صفحته ؟
اونون : — سأغنيك عن ذلك ، ولا اريد منك غير السكوت . انتي ارتعد مثلك
لذلك ولا اعدم وخز ضمير . كنت خليقة ان اخار الموت الف مرة على هذا
العمل . ولكني لا بد فاقدتك بغير هذا الملاج البقيض ، وحياتك عندي يهون
في سبيلها كل شيء . سأتكلم . سيفضب تيزيه ويشور بما سأنهي اليه من خبر ،
ولكنه لن يجاوز في انتقامه ان ينفي ابنه . الأب حين يجازي يا سيدتي لا يخرج
عن ابوته ؛ عقوبة خفيفة تهدئ غضبه . على انه اذا وجب اوراق الدم البريء ،
فأي شيء نشكل عن بذله لقاء شرفك المهدد ؟ انه لكنز ائمن من ان نعرضه للخطر .
مهما يفرض عليك من امر فعليك ان تدعني له ؛ واذا اردنا استنقاذ الشرف المهدد
فعلينا ان نضحي بكل شيء ، حتى بالفضيلة . جاءوا ؛ ارى تيزيه .

فيدر : — آه ! ارى هيبولت ؛ ارى في عينيه العائيتين ما كُتِب لي من هلاك . انت
وما شئت ، اسلمت امرى اليك . في هذا الاضطراب الذي يغمرنى لا املك
لنفسي خيراً .

المنظر الرابع

تيزيه ، هيبوليت ، فيدر ، اونون ، تيرامين

تيزيه : — لن يكون الحظ بعد اليوم حرباً على امانتي ، وبين ذراعيك يا سيدتي...
فيدر : — قف يا تيزيه ، لا تدنس جميل الأفراح . اصبحت غيير اهل لرقيق
عاطفتك . لقد اسىء اليك . لم يرع القدر المحاسد حرمة زوجك في غيابك .
لست جديرة بان احظى باعجابك ولا بقربك ، وعليّ الا افكر بعد الآن إلا في
الاحتجاب .

المنظر الخامس

تيزيه ، هيبوليت ، تيرامين

تيزيه : — ما هذا الاستقبال الغريب الذي تلقتُ به أباك يا بني ؟
هيبوليت : — فيدر وحدها تستطيع ان تميط اللثام عن هذا السر . على انه اذا كان
لرغباتي الحارة ان تلقى منك استجابة ، فأذن لي يا سيدي ألا اراها ابداً . ائذن
لهيبوليت المرتجف ان يتوارى الى الأبد عن هذه الاماكن التي تميش زوجك فيها .
تيزيه : — انت يا ولدي ، تفارقني ؟

هيبوليت : — لم اكن اسمي اليها : انت الذي قدت خطاها الى هذه السواحل ،
تنازلات يا مولاي ، فأودعت غداة رحيلك شواطئ « تريزين » الملكة وآرسي .
بل انك وكنت الي امرها . ولكن اي واجب قد يضطرني الى البقاء بعد اليوم ؟
بحسب شبابي العاقل ما اظهر من مهارة بين الثابتات في مطاردة اعداء لا شأن لهم .
الا استطيع حين اغادر هذه السكينة الزرئية ان اخضب حراي بدم اجد ؟ لقد احس
بوطأة مساعدك اكثر من ظلم عات ، وكنت بعد لم تدرك السن التي انا فيها .
قبل ذلك كسرت شوكة البغاة وأعدت الطمأنينة الى شواطئ البحرين ؛ فأصبح
السائح حراً لا يخشى اذاعة ، وانتشى هر كول على صليل سيوفك ، واتشكّل في عمله
عليك (١) . وانا ، هذا النجل المغمور لاب ماجد عظيم ، لا ازال بعيداً حتى
عن آثار والدتي . اصمح لي ان اشغل آخر الأمر شجاعتي بأمر . واذا كان
قد فاتك احد الأشقياء فادن لي ان اتشرف فأغدو بجثمانه على قدميك ، او ان تخد
ذكرى موت مجيد ايلماً قضيتها بشرف ، فأبرهن للعالمين اني ابنك .

تيزيه : — ماذا اري ؟ اي فظاعة انبثت في هذه الاماكن فطفق ابناء اسرتي
يلوذون بالفرار ؟ ان كنت اعود مخوفاً غير مرغوب في ، فلماذا استنقذني ايتها
السماء من سجنني ؟ لم يكن لي غير صديق واحد ساقه الهوى الجروح الى اختطاف
زوجة الطاغية في « ايبيريا » ؛ كنت اعيته وانا آسف على تحقيق رغبته ؛ غير ان
الحظ الناقم اعمانا نحن الاثنين ، اتاني الطاغية على حين غرة لا املك سلاحاً ولا
اقوى على دفاع . رأيت « بيرثوس » ، ذلك الصديق التاعس الذي طالما انهلت

(١) يقول بلونارك ان تيزيه بدأ يحارب عصابات الاشقياء عندما أوى هر كول الى « ليديا » .

عبراتي عليه ، يلقي به ذلك المتوحش الجافي الى سباعه الضارية التي كان يبغيها
بدماء البائسين . اما انا فقد رمى بي في غيابة كهف سحيق على مقربة من مملكة
الظلام . واخيراً ، بعد ستة اشهر ، التفتت الآلهة الي " ورحمتي ؟ اذ عرفت كيف
اخاتل ساجني وأطهر الارض منه . لقد عاقبت هذا العدو الخثون أنكأ عقوبة ،
فتركته هو نفسه جزر سباعه (١) . فعندما طربت وتهللت لفكرة الاقتراب من
أولئك الذين جعلتهم الآلهة احب الناس الي ، ماذا اقول ؟ بل عندما طدت روحي
الى نفسها وجاءت تملشى وجوهاً عزيزة حبيبة ، فاني لم احظ من كل لقاء إلا
بالرجفان والهروب والامتناع من ضمي وتقبيلي . انا نقبي اصبحت اشعر بالخوف
الذي اوحيه اليهم واتمنى لو كنت لا ازال في سجون « ايبريا » . ألاخبرني ، ان
فيدر تشكي من انني أهينت ، فمن ذا الذي غدر بي ؟ لم لم يفض احد لكرامتي ؟
هل آوت اليونان الجاني اليها ، على اخلاصي لها وحسن بلائي في الذود عنها ؟ أراك
لا تحير جواباً . أيواطي* ولدي الأعداء على ابيه ؟ لندخل . كثير ان اكتم هذا
الشك الذي ينوء بي . لنعرف الجناية والجاني معاً . على فيدر ان توضح آخر الأمر
القلق الذي يغمرها .

المنظر السادس

هيوليت ، تيرامين

هيوليت : — إلامَ يرمي حديثها (٢) الذي جئتني رعباً ؟ أتريد فيدر ، وهي دوماً
فريسة غضبها البالغ ، ان تعترف فتورد نفسها مورد الهلاك ؟ يا لآلهه ! ماذا سيقول
الملك ؟ أي سم زعاف صبه الحب على ابناء بيتها جميعاً ؟ انا نفسي ماذا كنت يوم رأيته
مودعاً وماذا صرت هذا اليوم ، بعدما خفق قلبي بحب يبغضه ولا يقره* (٣) . اني
لأطيش من المستقبل وأفرق . على انه ليس للبريء ان يخشى شيئاً . هلم . لنبحث في
مكان آخر عن طريقة لتيقة نثير بها حنان ابي ونكاشفه بحب قد يرغب في تنكيده ،
ولكنه لن يستطيع ، على قوته وسلطانه ، ان يصف من شأنه .

(١) اي تركته قوئاً لها تأكله (٢) حديث فيدر (٣) يريد ان اياه يفض « آريسي » ولا يقر
ابنه على الزواج منها ،

الفصل الرابع

المنظر الاول

تيزيه ، اونون

تيزيه : — آه ! ماذا اسمع ؟ أيتها الخائن المتهور هذه الاساءة لشرف ابى — ؟ بأي قساوة تطاردني ايها القدر ! لا اعرف اين اسير ولا اين انا . ايها الخائن ، ايها العليب الذي لم يقابل بغير السوء . يا للخطاة الجريئة ! يا للفكرة البغيضة ! كان الوقح يطلب العون بالقوة ليحقق رغبات حبه الداعر . لقد عرفت السيف الذي انتضاه في غضبة هواه ، هذا السيف الذي قلده اياه لمطلب اسمي (١) . ألم تستطع روابط الدم جميعاً ان تصده عن فعلته ؟ ثم تريد فيدر أن تؤخر جزاءه ! تريد بسكوتها ان ترفق بالجاني ؟

اونون : — احري ان تقول انها ترفق بالأب المسكين . لقد آلمها وأخزاهافصدا لماشق الضال وما تبرق به عيناه من لواعج حب أثير ؟ فهي تجود بذمائها (٢) يا مولاي ، وان اليد القاتلة لتطفي النور الطهور في عينها . وأيتها تشير به — سبادرت لا تقاها . انا وحدي عرفت ان احفظها لحبك ؟ واذا ريت لاضطرابها ولخافك معاً جعلت من نفسي وانا كارهة ترجئاً للموعها .

تيزيه : — يا للخائن ! لم يستطع ان يتجلد عن الاضرار . رأيت يرتجف خوفاً وهو يقترب مني . عجبت من ضلالة ابتهاجه ؟ حتى لقد جمد عناقه الفاتر حناني . لكن هل ذاع في ائينا ما يعصف به من حب اثير ؟

اونون : — تذكر يا مولاي شكاوى الملكة . ان هذا الحب الآثم اثار جماع ما في نفسها من بغضاء .

(١) يريد السيف الذي اختطته منه فيدر ثم زعمت مريتها انه كان يبدد به امرأة ابيه .

(٢) تجود بذمائها : تحوت

تزيه : — هذا الغرام قد عاد اذاً في ترزين ؟
 اونون : — لقد حدثت يا سيدي بكل ما جرى . كبير أن نترك الملكة وعذابها
 القاتل ؛ اسمح لي ان اغادر لك لا تكون الى جانبها .

المنظر الثاني

تزيه ، هيبوليت

تزيه : — آه ! هاهذا . ايها الآلهة العظام ، اي عين لا تتخضع كعيني بهذه الهيئة
 الوقور ؟ أيجوز ان يتمتع سني الفضيلة على وجهٍ حائل غادر ؟ اليس ينبغي ان تكون
 ثمة شارات تعرف بها قلوب الخونة القدر ؟
 هيبوليت : — استطيع ان اسأل يا مولاي اية غمامة كاربة عكثت بحياك الجليل ؟
 الا تبحرؤ فتأتممني على سرك هذا ؟

تزيه : — يا لك من خائن ! أتبحرؤ على المثل أمامي ؟ ايها الشقي الذي رفقت به
 الصاعقة وابتقت عليه اكثر مما ينبغي ، ايها النشاية الباقية من اللصوص الذين طهرت
 من رجسهم الأرض . بمدحيا حب مغمم بالفضاعة تبحرؤ فتبدي لي وجهاً عدواً ،
 وتخطر في محال مملوءة بمارك ، ثم لا تضرب في الأرض لتبحث تحت سماء مجهولة
 عن بلاد لم يصلها اسمي بمد . ألتج بنفسك ايها الوغد . لا تستهن بمقتي ابدأ ، ولا
 تترض لحمة غضب لا اكاد اطبق لها كظما . حسبي من العار الذي لا يحصى أنني
 تسكت ولداً ينجب في الأثم ، فلا يزدي موتك عاراً بما يدلس به نيبيل مجدي .
 اهرب ؛ وان كنت راغباً عن ان يضيفك عقاب مفاجيء الى الاشقياء الذين
 نكثت بهم يدي هذه فحذار ان يراك الكوكب الذي يشرق علينا تضع قدماً منهورة
 في هذه الاماكن ابدأ . اقول اهرب ؛ حث الخطا بغير رجعة وطهر بلاد من كربه
 مرآك . وانت يا نبتون (١) ، اذا صح انه سبق لشجاعتي ان طهرت شاطئك من قتلة
 قبح ، فلتذكر وعدك لي بالاستجابة لأول امنية ، مكافأة لي على جهودي الموقفة .
 لقد عانيت ما عانيت في ظلمات سجن رهيب من دون ان ابهل الى قدرتك الخالدة .
 واذ كنت حريصاً على المعونة التي انتظرها منك فقد ادخرتك لحاجات اعظم . اليوم

(١) آله البحر

ادعوك . انتقم لاب تمس . اني اكل هذا الخائن لغضبك . اخنق بالقضاء عليه
رغباته الداعرة : ان تزيه ليتعرف احسانك في بطشك .

هيبوليت : -- فيدر تهم هيبوليت بحب ائيم ! ان هول هذه الفظاعة ليهمني ويغني فما
استطيع الى قول سبيلا . فاجأتني الصدمات دراكا فخنقت صوتي والزمتني
السكوت .

تزيه : -- كنت ترجو يا خائن ان تدع فيدر طي كتمان جبان سفاهتك ووحشيتك .
كان عليك لدي هروبك ألا تترك السيف في يدها ليؤكد جرمك . لا بل كان
عليك ان تسير في خيانتك الى آخر الشوط فتجرمها بضربة واحدة الكلام
والحياة معا .

هيبوليت : -- كان علي بما استفزتني به هذه الفرية (١) السوداء ان اتبع للحقيقة ان
تشكلم يا سيدي ؛ على انني لا احب ان ازيح النقاب عن سر يمسك . تقبل الاحترام
الذي يحملني على الكتمان قبولاً حسناً ؛ دعك من الرغبة في زيادة آلامك ، واستعرض
امامك ماضي حياتي وما تعرفه عني . لا بد ان يسبق الجريمة العظمى بعض الجرائم ؛
فالذي يتخطى الحدود المشروعة يستطيع في النهاية ان ينتهك حرمة اقدس الحقوق ؛
للمجريمة ذر كاتها (٢) ، كما ان للفضيلة درجاتها ؛ ابدأ ما ربيت البراءة الحية (٣)
تثب بقتة الى الدعارة المتطرفة . وما كان ليوم واحد ان يرد الفتى الفاضل خائناً قاتلاً
او فاجراً جباناً . لقد ربيت في احضان بطلة عفتة ، ولم اخرج يوماً على طبيعة
اصلها . ان ديتني ، وهو الحكيم المعروف بين الناس ، تواضع فتولى تهذيبي كذلك
بعد ما تخرجت على يديها . لا اريد ان اغالي في تزكية نفسي ؛ يسد انه اذا كان لي
من الفضيلة نصيب يا سيدي ، فأنا اعتقداني اظهرت للملا على الخصوص شديد كرمي
للفواحش التي يجسرون على نسبها الي . بهذا عرف هيبوليت في بلاد اليونان . لقد
دفعت الفضيلة الى المساواة ؛ وعرف الناس صراحتي التي لا تثنني . ليس النهار باطهر
من سريرتي . ومع ذلك فهم يدعون ان هيبوليت قد تيمه هوي داعر . . .

تزيه : -- اجل ، ان هذا الغرور نفسه هو الذي يظاهر عليك ايها الوغد . اني
لاري مبدأ فتورك البنبض : فيدر وحدها هي التي فتنت عينيك الماهرتين ؛

(١) الفرية : الكذبة (٢) الدركة : الدرجة الى أسفل . (٣) مؤث حيي : ذو حياء

واذ كنت زاهداً في كل ما سواها فقد كرهت أن تتعرق بنار حب برى .
 هيوليت : — كلا يا ابت ، كثير ان اكتمك ما في قلبي : انه لم يأنف قط من الاكتواء
 بنار حب عفيف . اعترف على قدميك بذنبي الحقيقي : انني احب ؛ احب ، حقيقة ،
 رغم نهيك . لقد استعبدتني « آريسي » ، في هواها . ابنة البالاتيين تغلبت على ابنك .
 اهواها ، وقد عصيت امرك ، فما استطعت ان احب ولا ان انحرق
 الا لاجلها .

تزييه : — تهواها ؟ يا للساء ! كلا ، تلك حيلة جافية . تظاهر بالاجرام لتبرئ
 نفسك .

هيوليت : — مولاي ، منذ ستة اشهر احبها واتحاماها . كنت آتياً وانا مرتجف
 لاذكر لك ذلك . واعجبها ! اما من شيء يخرجك من خطئك ؟ بأي آفة من الآفات
 ينبغي ان ادخل الطائفة الى قلبك ؟ فلتكن الارض والسماء والطبيعة . . .
 تزييه : — دأب الفسقة دوماً ان يلجؤوا الى الآيات . أقصر ، أقصر ، أجنبني هذا
 الحديث الثقيل ، اذا لم يكن لفضيلتك الزائفة غوث آخر .

هيوليت : — اذا كانت تلوح لك زائفة مخادعة فان فيدر لتصفني في اعماق قلبها .

تزييه : — آه لكم تشير بوقاحتك سخطي !

هيوليت : — أي موعد لضرب لنفي ، واي مكان ترسم ؟

تزييه : — لو انك اتبذت ما وراء اعمدة « السيد » لكنت ما ازالا احسبني
 قريباً من خيانتك .

هيوليت : — أي الاصدقاء سيرثون لحالي ، بعد ما حملت علي هذا الائم المقيت
 وهجرتني ؟

تزييه : — اذهب والتمس اصداقاً يكرمون الزور باحترامهم النحس ويهتفون
 للفجور ، من كل خائن جاحد لا خلاق (١) له من شرف ولا رادع له من قانون ،
 جدير ان يحمي كل شرير مثلك .

هيوليت : — اما تنفك تحدثني عن الزور والفجور ؟ الإزم الصمت . ومع ذلك فان فيدر
 انحدرت من أم تعرفها يا سيدي ، ومن ذرية ألبق بهذه الفظائع مني .

(١) الخلاق : النصيب

تيزيه : — ماذا ؟ أليس لحقك امامي رادع ؟ للمرة الاخيرة : انهر بدمع عن وجهي :
اخرج يا نذل . لا تنظر ابا غضوبا ان يأمر بك قهانا وتجر من هذا المكان .

المنظر الثالث

تيزيه « وحده »

ايها الشقي ، لأنت تبادر الى هلاكك المحقق . لقد اعطاني نبتون وعدا بلسان
النهر الذي تخافه الآلهة انفسهم ، وانه لمنجز وعده . آله منتقم يطاردك ، فما
تستطيع منه فرارا . كنت احبك ؟ واني ، على اساءتك ، لأحس باحشائي تنفطر (١)
من الآن حزنا عليك . غير أنك دفعتي للتشكيل بك دفعا . هل أسيء الى اب حقا
كما أسيء الي ؟ أيتها الآلهة الذين يرون ما يهبطني من ألم كيف استطعت ان ألد ولدا
في هذا الاجرام ؟

المنظر الرابع

فيدر ، تيزيه

فيدر : — مولاي ، انبعتك والخوف يملأ جوانحي . لقد نفذ صوتك الرهيب الى قلبي
فأنا اخشى ان يتحقق بالمجل وعيدك . اذا لم يفت الوقت بعد فاستبق دمعك ،
وارجوك ان تحترمه . أتقضي من هول ان اسمع في صوته بالمياح ؟ لا تعتد لي
الما باقيا بما جعلت يد أبيه تريقه .

تيزيه ، — كلا ياسيدتي ، أبدا ما ابتلت يدي بدمي . بيد أن هذا الولد الصاق لم ينح
مني على كل حال . ستتولى قتله يد أزيلية . لقد اخذت عهدا على « نبتون » بذلك ،
فلتأرون لنفسك .

فيدر ، — بذلك تهدد نبتون ! ماذا ؟ ان سورة غضبك . . .
تيزيه ، — عجباً ! أتخشى ان تستجاب رغباتي الحق ؟ أخرى بك ان تضمي صوتك
اليها . اعيدي تصوير جرائمه على مسمي بكل ما فيها فظاعة وفحش ؟ هييجي ثورتي

(١) تنشق

البطيئة الراقدة.. لا يزال بعض جرائمه مجهولاً لديك : فقد انتشرت نعمته شتائمك ؛
فك ، على حد قوله ينطق بالبهتان ؛ وهو يزعم ان آريسي قد استأثرت بقلبه واخذت
عهده ، وانه لها عاشق .

فيدر ، — ماذا ! مولاي ؟
تيزبه ، — قال ذلك امامي : على اني عرفت كيف افند (١) حيلته واحضض مكره .
لنرج من نبتون عدلاً وشيكاً . سأذهب بنفسى . كذلك الى مذابحه فاستعجله ان يبر
بوعوده الوثقى .

المنظر الخامس فيدر « وحدها »

لقد خرج . اى خبر طرق اذنى ! اى نار لم تحب في قلبي جيسدا عادت الى
ضرامها ؛ يا لها ضربة صاعقة ايها السماء ! ويا له من خبر تكند ! كنت اظير لنجدة
ابنه ؛ وقد انتزعت نفسى من ذراعى اونون المروعة واذعنت لوخز الضمير الذي
كان ينهكي . من ذا الذي يعرف الى اين كنت سأبلغ بالندامة ؟ لملي كنت ارتضي
ان اعترف باثمي ؛ لملي لولم أقطع لكنت بمحت بالحقيقة الرابعة . ان لميوليت شعوراً
وهو لا يشعر بحوي شيء ؛ لقد ملكك آريسي قلبه ؛ واخذت آريسي عهده ؛
يا للآلهة ! لما امتنع الجاحد على رغبتى ، وترفع بشظرة شامخة وجبين مزهو ، خيّل
الى ان قلبه الأغلف (٢) ممتنع كذلك على سائر النساء . ومع ذلك فقد استطاعت
امراة غيري ان تفلّ غربه (٣) . امراة غيري استطاعت ان تروق عينيه القاسيتين .
لعل له قلباً رقيقاً عطوفاً . انا الخالقة الوحيدة التي لا يطيق احتمالها ؛ انتدب مع
ذلك للدفاع عنه .

المنظر السادس فيدر ، اونون

فيدر : — ايها العزيزة اونون ، أتملين اى خبر بلغنى ؟

(١) فنده : كذبه ونسبه الى خطأ الرأي والعجز (٢) قلب أغلف : كأنما أعطني غلاًفاً فهو لا يمي .
(٣) فلّ غربه : كسر حده

اونون : — كلا، ولكن لا اكذبك فقد جئت خائفة راجفة . تولاني الاصفرار مما خرجت له من قصد . خشيت ان يمود عليك الاضطراب بالشر والوبال .

فيدر : — ان لي منافسة يا اونون ، من كان يظن ذلك ؟

اونون : — كيف ؟

فيدر : — هيبوليت يحب ، لقد برح عني الخفاء . هذا المدو الثاني الذي عجزت عن تذليله ، والذي كان الاحترام يفيظه والشكوى تضجره ، هذا النمر الذي لم اقترب منه يوماً إلا على خشية ، لقد خضع واستأنس واعترف بأسر : اذ وجدت آريسي طريقاً الى قلبه .

اونون : — آريسي ؟

فيدر : — آه ؟ يا للألام الشداد لم أكابد مثلها ابداً ! فلائي عذاب جديد استعملتني الايام ! كل ما عانيت من مخاوف وآلام ولذع صمير ، واهانة نالي به — رفضه بشر كبير ، لم يكن الا " بداءة واهنة لا يرهقني من عذاب . سيتحaban ! بأية رقية خدعاً عيني ؟ كيف التقيا ؟ منذ كم ؟ في اي مكان ؟ كنت على علم بذلك ، فلماذا تركتني وضالتي ؟ ألم يكن في ميسورك ان تخبريني بمكتوم غرامها ؟ هل وُجدا كثيراً يسميان الى بعضها ويتحدثان ؟ أتراهما كانا يستخفيان في بطون الغاب ؟ وا اسفا ! كانا يلتقيان بملء حريتها . كانت السماء ترضي برى زفراتها ؛ كانا يجريان مع الهوى بضمير مرتاح ؛ وكانت الايام تشرق عليها وضاحة صافية . وانا ، تلك الهزونة التي طردتها الطبيعة كلها ، فاني اتواري عن النهار وابتمد عن الضياء : الموت هو الاله الوحيد الذي اجرؤ على التوصل اليه . اتي انتظر ساعة هلاكي ، الحسرة تفذوني والدموع ترويبي ؛ ولكنني جد مراقبة في محنتي ، فلما اجرؤ على اغراق نفسي بدموعي في هدوء . كنت استمتع وانا خائفة بهذه اللذة الكاربة ؛ كان على ان أواري مخاوفي وجهاً هادئاً وان امتنع في الغالب عن البكاء .

اونون : — ماذا يجدي عليها حبها الباطل ؟ لن يتقابلا بعد اليوم .

فيدر : — سيتحaban الى الأبد . ساعة احذئك ، آه ! يا للفكرة القاتلة ! انها لا يعبأان باشقة حمقاء . وعلى هذا النفي نفسه الذي سيفرق بينهما يوثقان بالآيمان اتحادهما كلا ، لا اطيع سعادة تهيتني يا اونون . الا فلترحمني غيرتي وغیظي . يجب ان تزول آريسي . يجب ان أوقف حقد زوجي على دمها البغيض . فيبني له ألا يقتصر على

عقوبات خفيفة : فإن ائمتها يفوق إثم اخوتها . اريد ان استفيته وانا في حموة غيرتي . ولكن ماذا أراي فاعلة ؟ في اية مَصْلة يتيه عقلي (١) ؟ انا غيري ! وتيزيه هو الذي استفيته ! زوجي حي* وانا لا ازال اتلظى ! لاجل من ؟ من هـنو ذلك القلب الذي اطمح ببصري اليه ؛ كل كلمة ينصب لها شعر رأسي . خطايي قد طُفح كيلها . اتني أَرْخَم بالفجور والخذاع . يداي القائلتان تستجعلان الثأري وتوقان الى الانتقام في الدم البريء . يالي من شقية ! ومع ذلك اعيش ؟ واستطيع النظر الى هذه الشمس المقدسة التي انحدت منها ؛ جدي ابو الآلهة وسيدهم ؛ السماء والعالم اجمع يزخران باجداي . أين استخفي ؟ لتهرب الى ظلمات جهنم . ولكن ماذا اقول ؟ هنالك ابي وفي يده الحرة المشثومة . يقولون ان القدر وضعا في يديه القاسيتين : مِينوس (٢) يقضي في العالم الآخر بين الجرمين . آه ! لكم سيئذمر ظله ويزعزعندما يرى ابنته ماثلة بين يديه ، مضطرة ان تعترف بكبار مختلفه كثيرة ويجرائم لعل جهنم لم تعرف لها نظيراً ؛ ماذا عساك ان تقول يا أبت تلقاء هذا المنظر الرهيب ؛ لكائي ارى الجرة الرهية تقع من يدك ؛ لكائي اراك تبحث عن عقاب جديد وتريد ان تجازي ابنتك بيدك . اسألك الصفع . لقد شاء إله قاس لاسرتك الهلاك ؛ تحققي انتقامه من هيجان ابنتك . واسفاه ! ابدأ لم يقطف قلبي الناعس ثمار الجرمية البشعة التي يطاردي عارها . الرزايا تطاردني وانا اردد آخر انقاسي ، فأسلم الى الآلام حياتي الشاقة .

اونون : — مه مه ! انبذي ياسيدي خوفاً لا دعامة له . انظري بعين أخرى الى ضلال لا يخلو من عذر . تجبين . ليس في يد الانسان ان يقهر حظه . أهي اذن اعجوبة لم نسمع بها من قبل ؟ ألم ينتصر الحب الى اليوم الاعليك ؛ الضعف طبيعة شائعة في الانسان . انما انت مخلوقة فانية فتحمل مصير الخلق الفان . أما انك لتشتكين من نير كُتِب عليك منذ عهد بعيد . الآلهة انفسهم ، وهم ساكنو الاولب الذين يرهبون الآمين بهائل صوتههم ، فانهم قد اكنوا احياناً بنيران حب غير مشروع .

فيدر : — ماذا اسمع ؟ اي نصيحة تجريئين على الادلاء بها الي ؟ قالت اذن تريدن ان تسمعي افكاري الى النهاية ايها الشقية ؛ انظري كيف أرديتي . انت التي أعدتني

(١) لاحظ تردددها (٢) ابوها

يوم هربتُ . إلخافك هو الذي انساني الواجب . تحاميتُ هيبوليت فأظهرته لي . ماذا تريدن ان تصنعي ؟ لماذا تجرُّ أفك الكافر على اتهامه وتسويد صفحته ؟ ربما كان في ذلك القضاء على حياته ، وربما استجيب دماء ابيه الاحق . لن اصفي اليك بعد الآن . اذهبي ايتها المسيخة الكريمة . اذهبي . أتركيني وحظي العائر . فلتسجرك السماء الجزاء الأوفى . وليكن عذابك عبرة دائمة يخوف بها امثالك الذين يفتنون الأمراء التمساء بحيلهم الوضيعة ، ويدفعون بهم الى المنحدر الذي تميل اليه قلوبهم ، ويمهدون لهم طريق الفواية ، اولئك المداهنون المقبوحون ، اولئك الهدايا المشثومة التي لا يستطيع الآلهة الغضاب ان يدمعوا بالوك بشرٌ منها .
 اوفون د وحدها ، : — آه ! ايتها الآلهة ! كل شيء فملت من اجلها ، كل شيء تركت في سبيلها ؛ ثم اعود بهذا الجزاء ؟ الحق اتي اهل لهذا .



الفصل الخامس

المنظر الاول

هيوليت ، آريسي

آريسي : — عجباً لك ! أتطلق السكوت في هذا الخطر الماحق ؟ أتترك أباً محباً يعمه في الضلال ؟ يا قاسي ، ان كنت لا تمباً بسلطان دموعي ، وتوافق من غير ألم على ألا تراني ابدًا ، فارحل ، فارق الحزونة آريسي . على انه ينبغي لك حين ترحل ان تطمئن الى سلامتك . ادفع عن شرفك وصمة مخزينة واقسر اباك على ترك رغبته . لا يزال في الوقت متسع . ماذا ، لامي عبث ترك المجال حراً لمن اتهمتك ؟ أوضح الأمر لتيزيه .

هيوليت : — يا ويحي ! اي شيء قصصت عن قوله ؟ أكان علي ان اذيع عار سريره ؟ أكان علي ان اخبره بكل شيء فأغضبني بالخزي وجهه ؟ انت وحدك تغدث الى هذا السر البغيض . قلبي لا يبيع سره إلا لك وللآلهة . انظري مبلغ حيي : فاني لم استطع ان اكتحك كل ما كنت أود الا اعرفه انا نفسي . ولكن فكري بطابع الكتمان الذي طبعته به حين اظهرتك عليه . تناسي اذا قدرت انني حدثتك يا سيدتي ؛ على تلك الطهور ألا يدنس قط بحكاية هذا الحادث الكريه . لنجسر على التسليم لعدالة الآلهة والاطمئنان اليها : انهم جد حُرّاء على تبرئتي ؛ اما فيدر فلتجازين إن عاجلاً او آجلاً ولنعجزن عن ان نتجنب ما نستحق من فضيحة . هذا هو الشيء الوحيد الذي أصر عليك ان ترعي حرمة . وانا اسمح لحقدي ان يطلق في كل ما عداه . أخرجني مما تفرض عليك من عبودية ؛ لا تخرجني من اتباعي ومن مرافقتي في هروبي ؛ انتزعي نفسك من مكان شؤم ودنس ، حيث تقسم الفضيلة هواءً موبوءاً . اغتنمي لاختفاء رحيلك الوشيك فرصة البلبلة التي تحملها محتي هنا . في مكنتي ان أوطد لك سبل الفرار ؛ فانه ليس لك حق الآن إلا من انهم حولك من حرس ؛ سيؤيدنا مناصرون اقوياء ؛ وآرغوس^(١) ، تبسط لنا ذراعيها ، واسبارطة تناديننا : لنعمل صيحاتنا العادلة الى اصدقائنا

(١) مدينة يونانية قديمة .

جميعاً ؟ لا ينبغي لنا ان نسمح لفيدر ان تطردنا من عرش آبائنا ، وان تبني مجددا
على حطامنا ، وان تمنني ابناً بجثاني وجثمانك . الفرصة سانحة ، علينا ان نفتنمها .
أي خوف يمنعك ؟ كأنني بك ترددتين ؟ صلاح امرك وحده هو الذي الهمني
هذه المرأة . ما بالك باردة جامدة على حين اضطررنا اننا حماسة ؟ انخشين ان
تقبلي خطأ رجل طريد ؟

آريسي : — ويح نفسي ! ما كان أحب مثل هذا النفي الى القلب ياسيدي ! ما كان
اسعدني لو انني وقد ربطت مصيري بمصيرك استطعت ان اعيش منسية بعيدة عن
الناس ! ولكن انا واننا لم نرتبط بعد برباط سعيدة استطيع ان افر بشرف معك ؟
انا اعلم انني استطيع ان اتحرر من ربة ابيك من دون ان اخرج على حدود
الشرف والكرامة : فانا بذلك لا انتزع نفسي من احضان اهلي ؟ وقد ابيع الفراء
لن يفر من ظالميه . ولكنك تمنني ياسيدي ؟ وشرفي المهدي . . .

هيوليت : — كلا ، كلا ، لشد ما تهمني سميتك . هنالك نية انبل فادتي اليك :
اهربي من اعدائك ، والحي بزوجهك . واذا كنا حزينين في شقائنا كما قضت
السما ، فان امر زواجنا هو في ايدينا . ليست المشاعر شرطاً اساسياً في الزواج .
على ابواب « تيزين » ، وبين قبورها التي يرقد فيها امراء من ذوي قرابتي ، يقوم
معبد مقدس يخيب كل من يخيس بعهده فيه . هناك لا يجرؤ حي على عيب فاجرة ،
اذ فاجأ الحائث بسريع العقاب ؟ ليس للافك (١) من رادع اخطر ، اذ لا طعم
لصاحبه من الموت . هنالك اذا ركنت الي سنوئتي اليمين البسة على حبنا الخالد ؟
سيكون اله ذلك المكان المعبود شاهداً . سنسأله جميعاً ان يكون لنا اباً .
سأشهد الآلهة الاكثر قدسية على ما فعل . ان ديانا الطاهرة وجونون الجليل
وسائر الآلهة سيشهدون حناني وبضمتون برسي بمقدس وعودي .

آريسي : — جاء الملك . لنهرب ايها الأمير ، وانرحل على عجل . سألبث لحظة
لأخفي رحيلي . اذهب ؟ واترك لي دليلاً يحدد خطاي الوجهة اليك .

المنظر الثاني

تيزيه ، آريسي ، ايسان

تيزيه : — ايها الآلهة ! اكشفوا لي حيرتي وأظهروا ليني الحقيقة التي انشد هبنا .

(١) ألافك : الكذب

أريسي : — تدبري الامور يا عزيز

الله

تيزيه ، أريسي

تيزيه : — لقد حال لونه وكأنك أخذت على غرسة يا سيدتي ، ماذا كان هيبوليت هنا ؟

أريسي : — كان يلقي اليه وداعه الأبدي يا مولاي .

تيزيه : — لقد عرفت عينك كيف تروضان هذا الفؤاد المعوي ، وإن أول لمن ناجح عملك .

أريسي : — مولاي ، يشق علي أن أنكر امامك الحقيقة : انه لم يرث عنك بغضائك الظالمة ؛ ابدأ لم يعاملني بما يعامل به المجرمون .

تيزيه : — أفهم : كان يقسم لك يميناً خالدة . على انه لا يفني لك ان تركني الى هذا الرجل القثيب ؛ فقد كان يفعل مثل ذلك لعيرك .

أريسي : — هو يا سيدي ؟

تيزيه : — كان عليك ان تجعليه اقل طيشاً . كيف تتحملين هذه القسمة الكريهة ؟ أريسي : — بل كيف تسمح انت لمرذول القول ان يلوث مجرى حياة نبيلة فآخرة ؟ هل ضلّ علمك به الى هذا الحد ؟ أتمجّز عن تمييز الطهر من الاجرام ؟ أكون انعاماً بغيضة ان تمسّني فضيلته عن عينيك فقط على حين انها تلالاً لسكل عين ؟ آه ؛ كثير أن تسلمه الى افواه مخادعة . أقصر ، استشعر الندامة على رغباتك الفائلة ؛ حذار يا مولاي حذار ان يبلغ كره السوء القاسية لك ان تستجيب دعواتك . فانها كثيراً ما تتلقى في غضبها ضحاياها ؛ وكثيراً ما تكون أظلمات عقوبات لنا على آثامنا .

تيزيه : — كلا ، عبثاً تريدن ان تستري جنايته : ان حباك يعني بصيرتك لأجله . على انني ائسك في ذلك على شهود ثقات لا شائبة فيهم : فقد رأيت دموعاً صادقة تسيل .

أريسي : — خذ حذر يا سيدي . يداك اللتان لا تقهران اراحاً الناس من عدد لا يحصى من الاشقياء ؛ بيد أنك لم تقض عليهم جميعاً ، وقد تركت على قيد الحياة

... مولاي ان ابنك بمنعني من ان استمر . واذ علمت بالاحترام الذي يريد ان يبقيه عليك ، فاتني قد أحزنه كثيراً اذا تجرأت وأكملت . اني لأحذو في الرصانة حذوه . وابتعد عن حضرتك لئلا أضطر الى قطع السكوت .

المنظر الرابع

تيزيه « وحده »

ماذا يحول في رأسها اذن ؟ وماذا يخفي خطاب بدأته مرّات وقطعته مرّات ؟ يريدان أن يموتا علي الأمر باختلاق باطل ؟ أترأها على اتفاق ليؤمننا في عذابنا ؟ ولكن انا نفسي ، على شدتي الشديدة ، ابي صوت منتحب يصرخ من اعماق قلبي ؟ احس برحمة خفية تطيف بي فتغمّي وتثيرني . لنسأل اونون مرة اخرى . اريد المزيد من الايضاح عن الجرم كله . ايها الحراس ، فلتخرج أونون ولتقدّم وحدها الى هنا .

المنظر الخامس

تيزيه ، يانوب

يانوب : — مولاي ، انا اجهل الخطة التي تفكر الملكة فيها ، غير اني اوجس كل خيفة مما ينتابها من قلق . ياس قاتل ارسوم على محياها ؛ بل لقد بدأ شحوب الموت يرهقه . واذ أهانت اونون وطردتها من حضرتها ، فان هذه ألقت بنفسها في البحر العميق . لا نعلم مردّ هذا العزم الرهيب ؛ ولقد غيبتها الموج عن أعيننا الى الأبد .

تيزيه : — ماذا اسمع ؟

يانوب : — بيد أن موتها لم يهدم الملكة ، بل خيّل الينا ان الاضطراب قد ازداد في نفسها الحائرة . فحينما تريد ان تخفف مكتوم آلامها ، فتناول ابناءها وتبكيهم بعبراتها ثم يبدو لها فتزور عنهم . وتدفعهم في مقت بعيداً عنها . انها تسير حائرة على غسير هدى ؛ وعيناها الشاردتان لا تنمرّ قائنا أبداً . لقد كتبت ثلاث مرّات ، ثم عادت فزقت ما كتبت ثلاثاً . تفضل برؤيتها يا مولاي ؛ تفضل بنجبتها .

تيزيه : — يا للسماء ! أماتت اونون ، وتريد فيدر أن تموت ؟ لينادوا ابني ، فليات

ليدافع عن نفسه ! ليحدثني ، فأنا مستعد للاصغاء اليه . نبتون ، لا تعجل لي معروفك
الوحي . أحب اليّ ألا أستجاب ابداً . لملي صدقت أكثر مما ينبغي شهوداً زوراً
وعجلت في رفع يديّ القاسيتين بالشكوي اليك . آه ! بأي خيبة سامني !

المنظر السادس

تيزيه ، تيرامين

تيزيه : — أهذا انت يا تيرامين ؟ ماذا فعلت بأبي ؟ لقد اسلمتلك اياه منذ طراوة
عوده . ولكن فيم هذه الدموع التي أراك تذرف ؟ ماذا يصنع ولدي ؟
تيرامين : — يا للعناية المتأخره التي لا تجدي نفعا ! يا للحنان الذي لا يفيد ! لقد
هلك هيوليت .

تيزيه : — يا لآلهة !
تيرامين : — رأيت أحب الناس يموت ، وأجرؤ فأقول يا سيدي انه اقلهم إثماً .
تيزيه : — أمات ولدي ؟ ماذا ؟ أعندما بسطت له ذراعيّ يضيق صدر الآلهة
فيمسجلون له الموت ؟ اية ضربة قاضية سلبتني ؟ اية صاعقة فاجئة ؟

تيرامين : — ماكدنا نخرج من ابواب تريزين حتى كان ممطياً عربته ؟ وكان حراسه
المذعورين صافين حوله مخلصين الى السكوت مثله . كان يتابع طريق « ميسان »
وهو مستغرق في التفكير ؟ وقد تركت يدها على الخيل اعنتها . اما جناده المختالة التي
كننا فيما مضى نراها تطاوع امره في حماسة ونيل فقد كانت خاشعة الطرف منكسة
الرأس ، كأنها تتجاوب مع فكرته الحزينة . ثم نشب صوت هائل من اعماق الموج
فمكّر صفاء الجو في ذلك الحين ؟ واجابه من جوف الثرى صوت مجلجل معول .
فتجمدت الدماء في اعماق قلوبنا ، وانتفضت أعراف الخيل المتنبهة . وفي اثناء ذلك
ارتفع على ظهر البحر جبل رطب يمور من حوله الزبد ؟ ثم اقتربت المسوجة ،
وتحطمت ، وقادت امام اعيننا وحشاً هائلاً بين امواج الزبد . كان جبينه العريض
مسلحاً بقرنين خيفين ، وكان جسمه محاطاً بفلوس ضاربة الى الصفرة ، أما عجزه

(١) جمع : عرف ، وهو شعر عنق الترس

هذا الثور الذي لا يُقهر ، هذا الوحش المنجبر ، فينحني ويتدرج في تجاعيد ،
 وكان يهزّ بخواره أرجاء الشاطئ . فالسما تنظر اليه في سخط ، والأرض تضطرب
 له ، والجو يفسد به ؛ واللجة التي حملته تتراجع في فزع . كل يلوذ بالفرار ؛ كل
 انسان لم يجد نفعاً بالتشبث بأذيال الشجاعة ، فهو يلتمس معصماً في المعبد المجاور .
 هيبوليت وحده ، وهو ابن البطل بحق ، وقف جياذه وأمسك بحرا به ، ثم اندفع
 شطر البهيمة وأوجرها سهماً بيد راسخة ترك في خالصتها جرحاً بليناً . جعل
 الوحش يقفز من غيظ ومن ألم ، وارتمى على اقدام الخيل يعوي وبجأ ، ثم تدرج
 نحوها واوسمها من فم المتلطي ناراً ودماً ودخاناً . عندئذ بلغ منها الخوف ، واعتراها
 الصمم ، فما تعرف رادعاً ولا تصغي الى صوت . عثاً ذهبت جهود صاحبها . لقد
 احمر خطامها برقاوة دائمة . حتى لقد دكر أنهم رأوا خلال هذا الاضطراب
 الرهيب لها يضط بالهاميز جنوبها المعفرة بالتراب . لقد أهوى بها الخوف بين
 الصخور ، فدوى صوت المحور وتحطم ، ورأى هيبوليت المقدام عريته المشمة
 تطير إرباً إرباً ؛ وتهاوت هو بنفسه بين الاعنة لا يملك لنفسه خلاصاً . اعذرألمي .
 ستكون هذه الصورة الفاجعة مصدراً لا ينضب لعبراتي . رأيت يا مولاي ابنك
 الناعس تجرّره الخيل التي كان يطعمها بيديه . يريد أن يناديها فتجفل بنداؤه
 وتجري . ولم يلبث جسمه ان ارتضى وتقرّح . باصواتنا الأليمة دوى السهل .
 واخيراً خفت ثورة الخيل العاتية : فوقفت قريباً من تلك المدافن القديمة ، حيث
 رُمّ اجداده الباردة . كان دمه الكريم هو الذي يقودنا : فقد كانت الصخور به
 مخضبة ؛ وكانت اشجار الموسج الكريمة تحمل بقايا شعره الدامي ؛ وصلت فنادته
 فبسط الي يده وفتح عيناً محتضرة ما لبث ان اغمضها وجعل يقول : « لقد انزعجت
 السماء مني حياة بريئة . إعتن بعد وفاتي بآريسي المسكينة . ايها الصديق العزيز ، إن
 تبين ابي ذات يوم خطأ فرئي لشقاء ابن متهم بغير الحق ، فقل له : اذا شئت ان
 تهدأ دمائي ويطمئن خيالي الشاكي فلتتلطف في معاملة أسيرتك ولتعيد اليها . . . »
 عند هذه الكلمة لم يترك البطل المحتضر بين ذراعي " غير جسم شأنه انصرف فيه
 غضب الآلهة ، حتى لتكاد تنكره عين ابيه نفسها .

تزيه : — بني ، يا أملاً عزيزاً أضعتُ ؛ ايها الآلهة الجفاة الذين بالغوا في
 الاستجابة لي ؛ أية حسرة قاتلة اعدتها لي الأيام !

تيرامين : — حينئذ ذاك قدمت آريسي محزونة كسيراً . قدمت يا مولاي هاربة من غضبك لتتقبل هيبوليت امام الآلهة زوجاً . اقتربت ، فرأت العشب الأحمر الداخن ؛ يا لهول ما وقعت عليه عينا هذه الماشقة ! رأت هيبوليت بمدداً بلا شكل ولا لون . لقد بدا لها ان ترتاب بمض الوقت في شقائها . فلما لم تعرف هذا البطل الذي تهواه جمعت تنظر الى هيبوليت وهي تسائل عنه . حتى اذا تحققت آخر الامر انه امامها وجهت اللوم بنظرة حزينة الى الآلهة ؛ ثم بردت اوصالها وعلا نحيبها وكادت ممالم الحياة تغارقها وارتمت على قدمي حبيبها منمياً عليها . كانت ايسهان الي جانبها ؛ انها اثبتي وتناديها ان تمود الى الحياة او بالاحرى الى العذاب . اما انا فقد كرهته الي ذلك الحياة ؛ وانما اريد ان أنهي اليك رغبة البطل الأخيرة ، وان اقوم بما علي من مهمة محزنة كان عول في اداها يا مولاي علي وهو يوجد بانفاسه الأخيرة . لكي اري عدوته اللدود قادمة .

المنظر السابع

تيزيه ، فيدر ، تيرامين ، بانوب ، حرّاس

تيزيه : — حسناً ! لقد انتصرت وقضى ولدي نجه . آه ! ما كان احري بي ان اخاف ! لكم يذمرني بحق ذلك الارتياب القاسي حين يبرّته في اعماق قلبي ! لكنه يا سيدتي قد مات ، فاليك ضحيتك : استمتعي بمنهلكه ، على هدى كنت ام على ضلال . اوافق على ان تخدع عيناى على الدوام . اعتقد انه مجرم وذلك لأنك اتهمته . ان وفاته لدافع كاف لمبراتي ، فلا حاجة لي الى البحث عن ايضاح مقيت عاجز عن ان يخفف برده الي احزائي ، ولمله لا يستطيع الا ان يزيد شقائي . دعيني بعيداً عنك ، بعيداً عن هذا الشاطئ ، لاهرب من صورة ابني الدامية . اريد ان أجلو عن هذا العالم كله ، بعد إذ استبدت بي الاحزان وأقضت مضجعي الذكرى الفجوع . كل شيء يبدو مستنكراً ظلمي . حتى صيتي الذائع ، فانه يزيدني تسكالا : فلو اتني اقل شهرة لكنت أحسن توارياً . ان بغضي ليمتد حتى يتناول ما يشرّني به الآلهة من حسن التفات ؛ سأبكي بما فلت عندهم من حظوة قاتلة ، ولن اضيقهم بعد اليوم برجاء لا جدوى فيه . ألا إن معروفهم النكد ، مهما يحسنوا الي ، يقصر عن ان يموّضني ما انتزعوا مني .

فيدر : — كلا يا تيزيه ، يجب ان اضع حداً لقصص الخاثر ؛ يجب ان نرد على ابنك براءته : فانه ابدًا لم يكن آثماً .

تيزيه : — آه ! ايها الأب الثاغر ! ما قضيت فيه قضائي إلا مستمداً عليك ! ام حسبت يا ظالمة انك تمذرين . . .

فيدر : — لحظاتي ثمينة ، فأصغ الي يا تيزيه . انا التي تجرأت ان أأتي على هذا الولد الغفّ الوقور نظرة فاجرة دامرة . لقد وضعت انباء في صدري غراماً شؤماً . ثم تولت اونون البغيضة سائر الأمر . وانما خشيت ان يفضح هيوليت غراماً لم يزل عنده حسن القبول ، بعد اذ عرف تقمي عليه . لقد استغلت الخائنة عظيم ضمني فبادرت اليك تهمة بنفسها . ثم جازت نفسها على ما فلت ، وتجنبت تقمي اذ سمت الى حفتها هاتئة في ثنايا الموج . كان على السيف ان يقضي علي ، لولا اني بذلك اترك الفضيلة تحوم حولها الريب . اردت ان اكشف امامك عن وخز ضميري فلم اتجمل الموت . على اني تناولت سماً جاءت به « ميدبه » الى اثينا فهو يسري في عروقي المتهبة . الآن قد وصل السم الى قلبي المالك وأشاع فيه برداً لا عهد لي به ، الآن لا ارى إلا « من خلال سحابة تلك السماء وهذا الزوج الذي يشبه حضوره . ان المسوت اذ يسلب عيني القدرة على تبيين الاشياء يعيد الى النهار الذي كانتا نلوانه جلاعه ورواه .

يانوب : — انها تموت ، مولاي !

تيزيه : — لثمت معها ذكرى عمل بغيض ! اما وقد ادركت خطئي في وضّح النهار ، واسفاه ! فلا مزج دم — وعي بلم ابني الثاغر . لنذهب فنضم الى صدورنا بقايا هذا الولد العزيز ، ونكفّر عن جنون نذر كربه . لترد عليه شرفه واجاده التي نالها بحق ؛ ثم لا ندّخر وسعاً في تسكين روحه الثائرة ، فلتكن مني حبيبته منذ اليوم بمكان الابنة ، على الرغم مما حاكت اسرتها الباغية حولي من دسائس .



مولير

١٦٢٢ - ١٦٧٣ م

لعله كبير كتاب الملاهي في العالم ، وهو بلا جدال اعظم من كتبها في فرنسا .
كان ممثلاً ورئيس فرقة وشاعراً ينظم الملاهي وينثرها ، فحياته شبيهة بحياة شيكسبير من
وجوه كثيرة ، وهو في فرنسا عدل زميله في إنجلترا في نظر كثير من النقاد (١) .
ولد « جان باتيست بوكلان » الذي اختار لنفسه فيما بعد اسم « مولير » في باريس ،
عام ١٦٢٢ من اب يشتغل بالتجارة ويقوم بوظيفة متمهد لبعض حاجات القصر الملكي (٢) .
وقد اتمه وهو في العاشرة (٣) . وقد اراد له ابوه ثقافة حسنة فأدخله كلية « كليرمون »
الشهيرة . ويقال انه اتصل بالفيلسوف « جاساندي » واخذ عنه كثيراً من آرائه
الحرية (٤) ، ولكن البحث العلمي الحديث اثبت ان مولير لم يتلق عنه شيئاً (٥) . وقد
حرص ابوه على ان يخلفه في عمله في القصر ، فنجحت مساعيه . ولكن الولد تابع دراسته
في كلية الآباء اليسوعيين هذه ، في رفقة التلاميذ النبلاء والأمراء ، ولم يكن يفصلهم عن
ابناء الطبقة المتوسطة غير سياج من حديد مذهب ! وقد بالغ بعض الباحثين في الثناء على
ابيه ، وبالغ آخرون في ذمّه ، وحاولوا ان يكتشفوا فيه الخطوط الاساسية للبخيل
« هارپاجون » كما رسمته راحة مولير ، ولكنه كان في الواقع ابا يقوم بواجبه باعتدال ،
ويبدو ناشف الطبع ، من غير ان ينطوي على قساوة .
اصاب مولير ثقافة واسعة في كليته . كانت الدراسة فيها تمتد خمسة اعوام يتلوها
عام لعلوم البلاغة وآخران للفلسفة . وكان الآباء يمنون كثيراً باللغة اللاتينية وقليلًا
باليونانية ، على النقيض من منافسهم الجالسينيين ، في « بوريال » (٦) . وقد اخذ الشاب
ينعم بالحرية وهو يتابع دروس الفلسفة ، فكان يتردد على دور التمثيل كلما سنحت له

(١) قصة الادب ٣٢١ - ٣٢٢ (٢) Des Granges : 93 (٣) Molière 13

(٤) L.T. : 254 (٥) Molière 17 (٦) Molière 15-17



مواہر

الفرصة ، فيشهد بعض الهزليات الشعبية ، وخصوصاً تلك التي تقوم بها فرقة المهرج الذائع الصيت « تورليان »^(١) . لم يفكر باحتراف التمثيل بعد ، ولكن جو المسرح استهواه وحرك فكره . ثم درس الحقوق في مدينة اورليان ونال اجازتها التي لم تكن تعني في نظره شيئاً . وفي الوقت نفسه اقسام اليمين التي يوجبها عليه عمله في القصر . الى أين تراه يسير ؟ أتولى منصباً في القضاء كما تؤهله ثقافته الواسعة ، ام يستجيب لنداء المال والجا الذين تغريه بهما وظيفته ؟ وانفق ان خرج لويس الثالث عشر في رحلة الى الجنور (١٦٤٢ م) فانابه ابوه عنه ارافقة الموكب . ها هو ذا قد بدأ العمل الرسمي لأول مرة امتدت الرحلة بضعة اشهر ، فكان مولير يحس بالبون الشاسع بين ما هو فيه وما خلق له . والا فلماذا قرأ اذن لو كريس وتيرانس وسبينيك وسيثرون وهوراس . . ؟ أليكون تابلاً في ركاب الملك يزاحم الحجاب والخدم ؟ اما المال ومظاهر الجاه فلم يجد فيها عوضاً كافياً عن آماله وميوله . ولكن ما هي على التحقيق هذه الآمال والميول ؟ انه لم يكتشفها بعد ، وانه لني حاجة الى ظروف مساعدة تجلو صداه وتهز طبيعته المتألمة الحاملة . واخيراً شاءت الاقدار ان تعرف على اسرة « بيجار » Béjart ، التي كانت تحترف التمثيل ، وقرر ان يربط مصيره بمصيرها^(٢) . كان مولير في الحادية والعشرين من عمره حين بعث الى ابيه بكتاب ينبئه فيه بتخليه عن منصبه في القصر ويسأله ان يرد عليه حقه من ارث امه « ليدعم به العمل المذكور » ، اي عمل ؟ الشركة التي ألتفها مع السيدة « بيجار » واسرتها وبعض الالسياء والاصدقاء ، لانشاء « المسرح العظيم »^(٣) . لم تصادف هذه الغزيرة قبولاً حسناً من الوالد ، فأرغى وأزبد ، ولكنسه لم يذهب في السخط الى آخر الشوط ، بل صاح بانه « اذهب الى حيث تشق » واعطاء شيئاً من المال ؛ فوقع الشاعر العقد واتخذ لنفسه اسم مولير ، وكان ذلك إيذاناً ببدء حياته الفنية^(٤) .

كانت الخطوات الاولى شاقة جداً . كان مولير يطارد النجاح جاهداً فيعود بالخيبة . وقد صور الاستاذ : بيير بريسون^(٥) في كتابه عن هذا الشاعر الظروف الحرجة التي احاطت بالفرقة والطريق الوعر الذي كان عليها ان تسير فيه ، تصويراً يشهد بانه لا بد من هذا العمل العظيم من رعاية سامية تظله بجناحها وتدفع عنه الاخطار . فكم من مرة تراكت فيها الديون وخدلت المحبون وتألّب الاعداء واصحاب الحقوق ، حتى لقد بلغ به

L'Ulustre Théâtre L.T. 254 (٣) Molière 21 (٢) Turlupin (١)

Pierre Brisson (٥) Molière : 23 (٤)

سوء الحال ان اودع السجن . غير ان هذا كله لم يفت في عضده ولا في عضد السيدة بيجار شيئاً . فقد عزم على ان يتابع سيرها ويستمتعاً حظها الناشئ في المدن الأخرى (١).

لم يكد عام ١٦٤٥ يتقضي ، حتى اعدت الفرقة عدتها وجمعت متاعها وتحملت عن باريس ، لتحط رحلها بين حين وآخر في بوردو ، وطولوز ، وألي ، ونانت ، وآجين ، وبيروناس ، وقيان ، وليون ، وغيرها من المدن (٢) . واستمرت الفرقة في اغترابها اثنتي عشرة سنة ، تطوف في البلاد مشياً او على ظهور الخيل ، تحت العجاج في هجير الصيف ، وتحت الامطار في زمهرير الشتاء ، حول العجلة التي تحمل الحقايب والاثاث (٣) . كانت هذه المشاق عاملاً فعالاً على تقوية شخصية مولير وتوسيع تجاربه وفهمه للحياة . لقد لفحت الريح وجهه ، ولوحته الاسفار ، فكسبته بشرة سمراء ، وذراعين مفتولين ، وحرارة ولشاطاً . وما أظن عام ١٦٥٥ حتى كان مولير ، وهو في الثالثة والثلاثين ، رئيس فرقة ناجحة ، قد أثقت ازمات الحياة بين افرادها وجمعهم على المحبة والتعاون والاعجاب بالقائد الباسل . وحظيت الفرقة برعاية الأمير كوتي Conti وتوطدت عرى صداقة متينة بينه وبين رئيسها . وانضم اليها ثلاث ممثلات ، بينهن ابنة لشريكته السيدة بيجار ، تدعى أرماند ، وقد اصبحت فيما بعد زوجه (٤) .

كان مولير كبير الأمل في اتقان الادوار الجديدة من مآسي كورني وغيره ، بيد انه تبين يوماً بعد يوم انه لا يصلح لغير الادوار الهزلية المضحكة . وقد قنع الى ذلك الحين من عمله بالاجرا والتمثيل ، ولم تكن تراود ذهنه فكرة التأليف ابداً . ومع ذلك فلم يكن عمله خالياً من الابداع ، فكثيراً ما كان يزيد وينقص ويجوهر ويهذب فيما بين يديه من فصول قبل ان يعدها للظهور . ثم بدا له فأخذ يضع بعض التمثيلات القصيرة ، لا يتوخى فيها ألا تسلية الجمهور وتفكيكه بالاعاجيب والاضاحيك ؛ فهي اقرب الى التهريج منها الى الملهي الراقية ؛ ولكنك تلمح فيها مقدرة على الاضحاك وكثيراً من تبشير الذكاء . انه يقيم الآن في « ليون » حبث وجد اقبالاً وربحاً وافرين جملاء يتخذ منها محوراً لتطوافه . وقد أخذ يفكر في نظم ملهات ذات خمسة فصول يروى فيها قواء الفنية ويعلو

(١) L.T. 254 ر 24—27 Molière (٢) Albi, Toulouse, Bordeaux
Lyon, Vienne, Pézenas, Agen, Nantes عن : 93 Des Granges
(٣) L.T. 254 (٤) Molière 28—30

بها عن المستوى العام الذي اعتاده ، على ألا يعتمد عن روح الجمهور كثيراً ؛ فوجد في شخصية « مسكاريل » - وهي نموذج للخادم المرح المحتال راج سوقها في القرن السابع عشر (١) - مادة صالحة لعمله : اراد « مسكاريل » ان يمين سيدة على اختطاف فتاة اسيرة من الشيخ « تريفالدان » فهو يبتدع سلسلة من الحيل يدور فيها هذا الشيخ ويخاتله ، حتى اذا اوشكت مساعيه ان تنجح في كل مرة احبطها في الوقت المناسب ، طيش السيد وبلادته . هذا هو موضوع ملهات « المشدوه » (٢) ، اولى آثار مولير الادبية وقد مثلها في « ليون » ١٦٥٥ م . لا تحدثنا كتب الادب عن مدى النجاح الذي احرزته هذه الملهاة ، ولكن نجاحها الكبير عند تمثيلها في باريس بعد اعوام ثلثة قد يميننا على تصور الموقف الى حد ما (٣) . اي مرح واية حرارة وحياة ؛ واذن في استطاعة هذا الممثل ان يكتب للادب وان يسخر ثقافته الواسعة وتجاربه العملية الكثيرة للانتاج الفني اذا شاء ؛ فلا يقف عند عمله على خشبة المسرح لا يتعداه ، وإن جاء انتاجه هذا متأخراً على كل حال .

هناك ناحية هامة يجب ان نفرغ منها قبل التعرض للماهي مواير الأخرى ، وقد برزت للعيان منذ ان كتب رواية « المشدوه » ، الا وهي : ناحية الأسلوب . فقد أخذ عليه « لابرويتار » أنه يستعمل على لسان ابطاله اللهجات المحلية والالفاظ الدخيلة (٤) ، وأخذ عليه آخرون استغلاق معانيه وتراكم استعاراته وكثرة حشوه ومغالطه (٥) . ولا شك في ان مرده هذا الى كثرة شواغل الرجل واضطراره الى الاسراع في كثير من الاحيان بما يشبه الارتجال . غير ان الاستاذ لا لسون مع اعترافه بهذه الاسباب ونتائجها لم يسهه الا ان يبدي عظيم الاعجاب بأسلوب الكوميدي الكبير ، وان يعد غمازه هذه نواحي قوة فائقة في الادب التمثيلي . هؤلاء الفلاحون والخدم والسويسريون وسكان المقاطعات وطبقات الشعب المتفاوتة الدرجات ، كلهم قد استطاع مولير ان يقلد اساليبهم بلهجاتها ولكنتاتها ولحونها ؛ فادان الاسلوب جانباً من الحقيقة ، فان تخطي الكاتب هذا يعني لومه على اختياره المواضيع التي تتطلب هذه الطريقة في الاداء ، الأمر الذي لا يوافق الصواب . لقد اخذوا على مولير إعراضه عن اللغة المهدبة ، لغة الطبقة الراقية كما ارادها ادباء الصالات واعضاء المجمع ، ولكنه كان في الواقع يسخر من متحدثي

(١) راجع L.U. مادة : Mascarille (٢) L'Etourdi (٣) 34 Molière :

(٤) 6 P, v. 1, Les Caractères , (٥) 516 Lanson

الصلالات ولا يعني من سخريته علماء الاكاديمية انفسهم . لقد ولد في احضان الشعب ، وتغيّب عن باريس اثنتي عشرة سنة ، كان فيها بعيداً عن تأثير الطبقة الارستقراطية في اللغة ، فلما عاد الى مسقط رأسه كانت طبيعة المواضيع التي عالجها تستدعي الاحتفاظ بأسلوبه الشعبي الصريح ، أسلوب اقرب الى الحرارة منه الى الدقة ، والى التنوع وصدق التمثيل منه الى الصفاء ، وكان معنياً باحكام الصورة وقوة المطابقة حتى في حديث اشخاصه (١) ؛ ومن الحق انه لم يعجز عن الارتفاع بلفته الى مستوى جيد حيثما اقتضى ارتفاع الموضوع ذلك ، كما في « كاره البشر » وفي « طرطوف » ؛ كلا لم يعجزه ذلك وهو ربيب اليسوعيين وخرّيج الجامعة والممثل الذي لا تفارق شفتيه رواثع كورني ورأسين وغيرهما من اعلام البيان . بل ان الاستاذ « جوتمان » قد كشف عن كثير من مواضيع الروعة في أسلوب مولير ؛ وهو يرى ويرى معه بعض جهابذة النقد ان هناك نسباً قريباً بين طريقته وطريقة كورني في نسج العبارة وقوة الأداء . فكثيراً ما تسموا انقاس الممثل العظيم ويفخّم رصفه حتى يذكرنا بمجادة الألفاظ وحزونة التراكيب عند ابي التراجيديا الفرنسية ؛ ونستطيع ان نستزح مقاطع كثيرة من « طرطوف » وننسبها الى كورني من دون تغيير او بشي من التفسير ، فلن يجادل في صحة نسبتها اليه احد . ثم انها يتشابهان في سرعة الانتاج وقلة العناية بالصقل والتهذيب ، فيزلاّ من بين حين وآخر في خطيآت عروضية وبلاغية ولغوية (٢) ؛ ويبقى ان لمولير ما يبرّر موقفه ، من وفرة اعماله وملاءمة اهماله لطبيعة المواضيع التي عالجها . يقول الاستاذ « بريسون » ان مولير ينزع في أسلوبه الى لغة « محكيّة » جاءت من مختلف طبقات الشعب والسجعت في دماغه المثقف الخلاق (٣) . ومعنى بقوله « محكيّة » انها انما تكتسب جمالها حين تجري بها ألسنة أبطاله على المسرح ، فهي بحاجة الى رثة الممثل ونفسيه ، وبها استطاعت ان تحتفظ بحيوية غريبة خلال العصور . لا يخيلن اليك اذن ان وراء هذا الاسلوب الطبيعي عيباً او جهلاً ، فهو أسلوب رجل ناضج ، غزّي ذهنه بآلاف التجارب وتدققت من اعماق طفولته ينابيع المعرفة القديمة . كلا ، ولا يخيلن اليك ان مولير كان اسير الفكرة التاريخية التي تعنى بتسجيل اللهجات المحلية والعامية تسجيلاً يطنى على الفكرة الفنية في الرواية ، وكل ما في الأمر انه لم يردأ من تطعيم لفته بالفصحى ببعض الالفاظ الدخيلة المحرفة التي ينطق بها الاجانب وسكان الاقاليم ، ولم يردأ في اعفاء

(١) 517 (٢) 144—146 Gutmann (٣) 33—34 Molière

نفسه من تكرير النظر والمعاودة بالتهذيب ، لينث في آثاره روحاً شعبية ، وليستحضر
المواقف والأجواء . ان مهمة الادب هي تصوير الحياة الانسانية بلغة خالدة ، والكاتب
الكبير هو الذي يستطيع بما اوتي من مهاره فائقة وأناة ان ينبش من بطون اللغة ما يحتاج
اليه من مفردات في اداء معانيه ، من غير ان يمد يده الى ما ليس في لفته ؛ الا اذا آانس
في الخروج على اوضاع اللغة نقماً لا يدفع ، فحينئذ ، وعلى ألا يستكثر من ذلك بما يخل
بمحرمة اللغة ويذهب بروقتها . اما المدول عن سبيل الفصحى الى العامية فانه يفتق على
على أبناء اللغة الواحدة مشا كل أيسرها استبها الماني في غير زمنها ووسطها وتعرض
الآثار الادبية للاهمال .

• • •

كانت الفرقة تقصد بعض المدن القريبة من ليون ثم تعود اليها . هناك فقد مولير
مناصراً قوياً هو الأمير كوتي (١٦٥٧) . كان بعض رجال الدين يوالون مساعيمهم
لاستتابة الأمير وحمله على اطراح اللهو والانصراف الى التعبد . وكان من جملة ما حاولوا
ان يصدوه عنه ميله الشديد الى « الملهاة Comédie » ؛ وقد افلحت مساعيمهم آخر الأمر
فتنكر الأمير للشاعر وهجره هجراً غير جميل ؛ وكان من جملة الآباء الذين نزعوا بين
الصادقين الأب « روكيت (١) » ، ويرى بعض المحققين انه الاصل الذي على مثاله صاغ
مولير شخصية بطله « طرطوف » . وقد كان إعراض الأمير صدمة قوية لمولير ، ولكنه
صمد لها فكانت شاحداً لقريحته ودافعاً له على مواصلة الجهد (٢) . لقد أيقظت هذه الصدمة
شعوره وفتحت عينيه . كانت الحياة عنده فكاكة ودعابة ، فاصبحت تأملاً وتفكيراً . ان
مضاحك الانسانية ومخازيها اخذت تتراقص امامه وتكشف عن مواضع العبرة فيها .
لقد بدأت القيم الاخلاقية تلمس لها مكاناً في انتاجه الى جانب الأغراض الفكاهية .

كان مولير قد كتب ملهاة اخرى دعاها « إحنة الغرام » (٣) ، ١٦٥٦ ، مع عدد
آخر من الملاهي الصغيرة ضاع اليوم معظمها . انهم يتحدثون عنه في باريس ، وانه ليبدأ
الفرقة للرحيل اليها . وفي الرابع والعشرين من تشرين الاول (اكتوبر) ١٦٥٨ ؛ وفي
« اللوفر » قدمت الفرقة في حضرة الملك ورجال القصر تمثيلي : « نيكوميد (٤) » ،
لكورني و « الطبيب العاشق (٤) » ، لمولير ، وقد اصابته هذه الاخيرة نجاحاً حسناً ،

Le Dépit amoureux (٢) Molière 35, 40 Roquette (١)

Le Docteur amoureux, Nicomède (٤)

ولكنها أثارت كثيراً من الدهشة بين المزمّنين واخذوا يتساءلون : أيساح الضحك في الوفرة ؟ بيد ان الملك "سِر" من هذه المشاهدة كثيراً وارسل ضحكات لم ينسها فيما بعد ، وأمر فوضعت إحدى قاعات فرساي تحت تصرف الفرقة (١) .

واذن فقد اراد القدر ان يمود مولير الى الوسط الذي هرب منه . عاد اليه وقد فضج عقله وزادت تجاربه ، واغتنى خياله بآلاف المشاهد والصور . ثم هو الآن يمر بتجربة جديدة هي الحب . وهال مولير ذلك التيار الجارف الذي سبق ان حدثنا عنه في كلامنا عن الحياة الاجتماعية (٢) ، اعني تيار الخدقة والاناقة المتكلفة اللتين شاعتا حينئذ في الصالات والمجالس ، وادرك بقطنة مواضع التفاهة والفكاهة فيها ؛ كما ادرك ما في تصوير هذه المدرسة المدّعية من عبرة وطرافة لسواد الامة الطبيعي المائل ، وعزم على ان يرفع راية الطبيعة والعقل ، فكتب : « المتخذقات المضحكات » ١٦٥٩ .

تقع هذه الهامة في فصل واحد ، كتبه مولير ثراً ، وهالك موضوعها : اراد « جورجيبوس » (٣) ، وهو بورجوازي طيب من باريس ، ان يزوج ابنته وابنة اخيه بشريفين جاءا يخطبان ودهما . غير ان الفتاتين كانتا قد نهلتا وعلّتا من موجة الخدقة المتأثقة التي شملت كرام القوم في باريس ، وزاد في افساد ذوقهما قراءة الروايات ، فلم يرقها بساطة الرجلين وصدّهما عن متكلف العادات فردّتاها ردّاً زرياً آلمها وحملها على الانتقام . عمّد الشريفاً الى خادميهما ، ماسكاريل وجودولي (٤) ، اللذين بهرا الأنيقتين بظرفهما ومظاهر الوجاهة والنبالة عندهما ، واستحضرا آلات الطرب ليحتفلا في حضرتهم ، فاصابا بزخرف القول وزوره من قلب الفتاتين ما لم يصبه السيدان بالعقل واستقامة النهج . بيد أن السيدين لا يلبثان ان يفاجئا صالة الفتاتين فيجرّدا الخادمين من ثيابهما المستعارة ويوسعاها لهما وضرباً امام جماعة الزائرات ؛ فتخجل الفتاتان وتستسلمان لغم شديد يضاعفه عليهما تأنيب وليّهما ، جورجيبوس ، وهو رجل فظ ، ولكنه سليم التفكير (٥) .

• • •

هذه التمثيلية القصيرة هي في الواقع تهريجة Farce ، اعني انها عمل روائي

(١) مادة : Molière في Larousse du XX ème siècle 45 - 46

(٢) ص ٦٥-٦٧ من هذا الكتاب (٣) Gorgibus (٤) Mascarille

و : Jodelt (٥) اعتمدنا في التلخيص على : Larousse du XX ème siècle

مادة : Les Précieuses Ridicules و L.T. 257

هازل* صاحب . على ان اهمية الموضوع الذي اختاره الشاعر بالغة . فلهذه اول مرة يتناول فيها مؤلف مادته من حياة معاصريه وعاداتهم ، اول مرة يلتقي فيها تيار المسرح تيار الحياة . لقد بدأ مولير هنا حرباً لا هوادة فيها على لغة التكلف والادعاء ، على الذوق السقيم ، والحذلق ، تلك الامراض الاجتماعية التي كانت تهدد الطبقة المهذبة واخذت عدواها تسري الى الطبقات الوسطى . وقد مثل مولير بنفسه دور « مسكاريل » ، فبلغ حد الروعة في الاجادة وهن « اعطاف السامعين لمضجاً كذا » واستخف الطرب الملك فلم تكن عينه تفارق مولير ؛ ونادى مناد : الشجاعة يا مولير ، هذه هي الملهة الحق (١) .

هذه الالعبة الذكيفة التي احرزت حظاً وافراً من النجاح احدثت لمولير كثيراً من الخصوم بين رواد قصر « رامبويي » (٢) — وهو سكن تلك النبيلة التي حدثناك عن عودتها من بلاط الفاتيكان واعتزالها البلاط الملكي ودعوتها الى اشاعة التقاليد في حياة الطبقة الارستوقراطية — وقد كان قصرها مباءة لنخبة من المفكرين والاذكياء الذين كانت لهم اياد بيضاء على اللغة والادب . غير انهم لم يخلوا من مقلدين شوها حركتهم وقلبوا ظرفهم حماقة وعلمهم سخافة . جاءوا جميعاً ، ومن ورائهم رواد الصالات الاخرى ، وجماعة المتشاعرين والممثلين المتكلفين ، وكلهم سخر منهم مولير وجعلهم اطروفة المجتمع ، جاءوا ليشهدوا بأبصارهم كيف يضحك الكوميدي الكبير ويضحك منهم ؛ وكان فيهم العالم اللغوي « ميناج » (٣) الذي مثل به مولير فيما بعد شخصية المدعي المتفهب باسم « فاديوس » في تمثيلية « النساء العالمات » (٤) . « حاول هؤلاء ان يعترضوا سنبل الرواية ويمنعوا تمثيلها ؛ وكان الملك غائباً عن باريس ، فاجتمعت الفرصة ، وتمكنوا من وقف العرض . غير ان مولير بذل مساعيه واستطاع آخر الأمر ان ينال الموافقة على تمثيلها من جديد ؛ وكان الاقبال عليها عظيماً جداً ؛ ولشر الرجل الرواية بمدن وقدّمها بكلمة يقول فيها : « من الخطأ ان يغضب دعاة الاناقة الصحيحة لما اننا نسخر من سخائف من لا يحسنون تقليدهم . » وفي هذه الفترة العصيبة كان المؤلفون بدورهم حرباً على الشاعر ، ووقف الناقد الطيب بوالو بجانبه يشد أزره ! لقد اصبح الفريق هو الاول في باريس (٥) .

• • •

(١) المصدران السابقان ثم L.U. المادة قسم (٢) Rambouillet راجع هذه المادة في

L.U. (٣) Ménage : راجع هذه المادة ، ومادة Vadius في L.U.

(٤) Les Femmes savantes (٥) 56 - 59 Molière

اخرج مولير بعدئذ رواية « سجاناريل » (١) ، ١٦٦٠ ، وأنبها برواية « دون جارس (٢) » ، ١٦٦١ ؛ وقد احرزت اولاهما نجاحاً ملحوظاً حتى انها مثلت سبعاً وثلاثين مرة متتامة (٣) . بيد أنها لا ترقيان الى مستوى « المتحذلقات المضحكات » على كل حال . ذلك لأن مولير في الحقيقة اديب ناقد أكثر منه فنّان مصوّر . انه ليستثيره كل ما يجيد عن الطبيعة والدوق السليم . وهو في حاجة قبل كل شيء الى امر يهاجمه : الى منقصة او رذيلة يستحقها ، الى ادعاء يخزيه ، الى تقاليد بالية يلقى بها طعنة الى النار . اما حبكة الرواية واشخاصها فسرعان ما يتهايان له حالما يجد فريسته (٤) .

ما كاد الملك يعود من رحلته حتى امر فثلت امامه « المتحذلقات » و « سجاناريل » واجاز الشاعر عليهما ، ووافق على ان ترمّم احدى صالات القصر لتكون داراً لتمثيل الفرقة ؛ اذ شرع متعبّد القصور الملكية بهديم الجناح الذي كانت فيه صالة التمثيل القديمة ، من غير سابق انذار . وقد اقتضى ترميم الصالة الجديدة ثلاثة اشهر ، تعرض فيها الشاعر لمنافسة الفرقاء الآخرين ، والممثلون لاغراء الخصوم ايام بالمال لينفضوا عن رؤسهم ؛ ولكنهم كانوا في الواقع يحبونه ، وأصروا على ان يشاطروه ايام الشدة كما شاطروه ايام الرخاء (٥) ؛ فلما استأنف العمل اخرج هنريتين ناجحتين هما : مدرسة الازواج ، والمزعجون (٦) « ١٦٦١ » ، وقد مثلتا امام الوزير « فوكيه » قبيل عزله ، في حضرة عاهلة الانجليز ؛ ثم في حضرة لويس الرابع عشر (٦) .

• • •

ومضى ستة عشر شهراً شغل فيها مولير بزواجه ، ثم اخرج رائحته الاولى : مدرسة النساء (٧) . انه ليجتاز برهة سعيدة من حياته . لقد نزلت شريكته وخليته « مادلين (٨) » عند رغبته ، وزوجته ابنتها « أرماند (٩) » . يا لعظم التضحية ! لقد اظهرت هذه السيدة من ضروب الفهم والبطولة ما يثير الاعجاب . اما أرماند فقد اغراها المستقبل الذي ينتظرها على المسرح وصرفها عن حساب الفارق الكبير بين عمرها وعمره . كانت لا تزال في اعتاب العشرين ، اما هو ففي الاربعين . . . وعاود مولير الكتابة .

(١) Sganarelle (٢) Don Garice de Navare (٣) Larousse du
XX ème siècle (٤) Molière 60 (٥) 61—62
(٦) Les Facheux, L'Ecole des maris راجع 69—74 (٧) L'Ecole
des Femmes (٨) مادة Molière في L. du xxème siècle (٩) Armande

أكان يستلهم الحالة التي هو فيها ؟ ان اختيار الشاعر ربيته (١) زوجاً له على بمسء ما بينهما من فارق في السن ، واندفاع الغريزة في ارمائد وتوقد الغيرة في قلب مولير ، كل ذلك قد يحملنا على الرد بالايجاب . وليست هذه هي المرة الوحيدة التي زى فيها الكوميدي العظيم يستلهم ظروفه ويسخر من نفسه ، بل ان قصة حياته غنية بالشواهد على ذلك . وها نحن اولاء نعرض عليك حبكة روايته « مدرسة النساء » لتبين ما نقول :

بلغ « أرنولف » (٢) ، الثانية والاربعين ، وهو شديد الاهتمام بدواعي الاختلاف والنفور بين الأزواج ، يستطرفها ويتهيج لها . انه يحدث نفسه عن غباوة هؤلاء الرجال الذين لا يعرفون ان يستصلحوا من احوال زوجاتهم ويحملوهن على الرضى عن عشرتهم . اما هو فقد دبّر امره على محور يضمن له حياة منزلية سعيدة . وذلك انه اشترى طفلة جميلة من ام قروية ، ورباها في عزلة عن الناس وجعل يجهل بجمالها منها « بلهاء جهد المستطاع » ؛ فهو لا يتحدثها الا عن حاجات البيت وحاجات المرأة . ولكن غفلة هذه الفتاة وسلامة طويتها انقلبنا عليه ، وفي مأمّنه يؤتى الحذر : فما كادت « أنياس » (٣) تبلغ السابعة عشرة وتلتقي الشاب « هوراس » (٤) ، حتى مالت اليه بغيرتها واستجابات لعاطفة الحب في نفسه ، من غير تردد ولا تأمّر ، لانها لا تدري ما الشر وما الاثم . أسر الشاب الى ارنولف بما بيّنت من امر الفرار بصاحبته ، وهو يجهل علاقته بها ، فزاد أرنولف في الحيلة ، واخذ يفسد على العاشقين خطبهما الواحدة تلو الأخرى . غير انه لم يستطع ان يمنع « الفتاة البريئة والفتى الطائش » من ان يمحيطا آخر الأمر مساعيه ويرداه الى يأس مضحك مؤثر . فقد اتفق ان عاد ابو الفتاة من امريكا ، فاذا هو صديق ابي هوراس ؛ فهو يسترد ابنته ويزفها الى عشيقها الشاب (٥) !

اخرج مولير ملهاته هذه شعراً عام ١٦٦٢ فكانت اولى ملاحيه العظيمة وصادفت نجاحاً منقطع النظير . غير ان هذا النجاح اثار عليه كثيراً من الاعداء : المتحذلقات وبنات الهوى والمنافسون والمتشاعرون وبعض رجال الدين ، كلهم تألبوا عليه وغرّوا بذمه . وقد ضحك النظارة حتى استفرغوا مجهودهم في الليلة الاولى ؛ ولكن الحساد والموتورين اخذوا يمكرون صفو الليالي الضاحكة الأخرى ، وبين هؤلاء من حملة الاقلام من لم

(١) الربيبة : بنت الروجة ، وهي هنا بنت شريكته ، التي ربيت في احضانه .

(٢) Arnolphe (٣) Agnès (٤) Horace (٥) استما في تلخيصاً على :

257 - 258 من L.T. وعلى L. du xx ème siècle

يتورع عن ثلثه . ولقد تعجب اذا علمت ان الشاعر كورني واخاه توماس كانا من جملة
التالين ، فقد اخذ الجمهور يستثقل مآسي الشيخ كورني ويعرض عنها ، واصبح صوته
خافتا في المعركة الادبية الجديدة ؛ فحز ذلك في نفسه ، وتصدى هو واخوه للشاعر
الناسي . وآذياه ؛ وقد احفظ ذلك مولير ولكنه ما لبث ان كالمها بصاعهما وزاد .
ومثلت الرواية بعدئذ في حضرة الملك ، فأعجبت كثيرا وما كاد يتأسك من الضحك .
وهتف الاصدقاء للشاعر ، وارسل اليه شاب في السادسة والعشرين ابياتا يقول فيها :

دع الحساد بأصواتهم يجارون

• • • • •

لو انك عرفت ان تكون اقل ارضاء

لما كنت على اعدائك هما وبلاء

ذلك هو بوالو ، الناقد الطيب الذكي . وكان الشاعر الكبير « لافونتين » من
جملة المعجبين ، وترجع صداقته لمولير الى ايام اخراجه ملهية « المزعجين » . اما لويس
الرابع عشر فكان يعضد الشاعر من طرف خفي ، ولولاه لسات الحال كثيرا . فلما
رزق مولير طفله الاول اعلن الملك عطفه عليه وترأس حفلة التعميد ؛ وفي الوقت نفسه
أمر باعداد تسليية جديدة . فوضع مولير في ثمانية ايام ملهية « الزواج بالاكرام »^(١)
١٦٦٤ م . اما الرد على اقوال النقاد المغرضين فقد اودعه مولير ملهيتين قصيرتين هما :
« نقد مدرسة النساء » و « مسرحية فرساي المرتجلة »^(٢) ، قبل ذلك بعام ١٦٦٣ .

لقد اجاد الشاعر دراسة نفسيية « ارنولف » و « أنياس » اجادة بالغة . وكانت
هذه هي المرة الاولى في تاريخ المسرح الفرنسي تعتمد فيها الملهاة على التحليل النفسي وعلى
اصطراع العواطف في الانسان . فاذا اضفت الى هذا فكرة المؤلف الفلسفية التي ترتكن
عليها الرواية ، عرفت السبب في اعتبارها احدي ملاهي مولير العظيمة : ان المؤلف
ينحاز في فكرته الى جانب الغريزة الطبيعية التي تدفع الشباب الى الشباب ويسخر من
مواظ « ارنولف » التي تدعو الى زواج الطاعة والواجب^(٣) . وهو يبرهن بتصرف

La Critique de l'Ecole des femmes (٢) Le Mariage forcé (١)

Molière 79, 90—93 102 (٣) et l'Impromptu de Versailles

L'Ecole des Femmes مادة L. du xx ème siècle ثم L.T. 257—258

بطلته « أنياس » على أن فضيلة المرأة لا يمكن أن تقوم على جهلها الزذيلة وحده (١) ،
فمن لا يعرف الشر كان أجدر أن يقع فيه .

. . .

اما « طرطوف » فهي احب آثار مولير اليه وألصقها بحياته انها تحفة المسرح الفرنسي
الهزلي على الاطلاق (٢) ، ولذلك رأينا ان نتقلها كاملة اليك . وقد ظهر ثلاثة فصول
منها بادي الامر « ١٦٦٤ » ولم تظهر كاملة الا عام « ١٦٦٩ » . خمس سنين تعبرت
كتب الشاعر خلالها : « دون جوان » و « الحب المداوي » و « كاره البشر »
و « الطبيب رغم أنفه » و « اتفيتريون » و « جورج داندان » و « البخيل » (٣) .

حمل الشاعر في « طرطوف » على المنافقين ، ولكن اعداءه زعموا انه يعني رجال
الدين . ولا شك ان الرواية في وضعها الحالي ، بعد ان غير الشاعر فيها وعدل ،
لا تكشف عن عداا صريح لجملة الدين ، ولكنها لا تكتم النقمة الشديدة على المتجربين
بالتقوى والمستخفين وراء ستار الفضيلة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . اما دواعي
هذه النقمة فكثيرة ، وقد عرضنا لك ما هو عام منها عندما حدثناك عن تضخم سلطان
الكهنة في فرنسا في ذلك الحين وشدة وطأته على الناس وسوء استغلاله لمرافقهم . ويرى
بعضهم ان مولير يوجه سهامه بخاصة الى « جماعة القربان المقدس » (٤) ، اذ كان اعضاؤها
يتجسسون شئون الناس الخاصة . اما ما يتصل بشخص شاعرنا من اسباب هذا العداا ،
فنستطيع ان نذكر ذلك الشعور بالوحشة الذي اعتراه عندما استقبلته السيدة بيجار
وضمته الى طائفة المغضوب عليهم من الممثلين . لقد هون ذلك الشعور عندئذ غفلة الشاب
وفرحته بالحياة الجديدة ، ولكنه ترك في نفسه على كل حال ندوباً نكاهها عليه بعد اثني عشر
عاماً انتقاض صديقه وحاميه الأمير كوتي عليه بتأثير رجال الدين ، وكان مولير حين ذاك
لا يزال يتيه في البلاد ويلتمس لفرقة الغناء والنصير (٥) .

لم يخل الشاعر من خصوم اشداء في السنوات الاربع الاولى التي أمضاها في

(١) المادة نفسها في : L.U. (٢) مادة Tartufe في المصدر السابق ثم 107 Molière :

Le Misanthrope, L'Amour médecin, Don Juan (٣)

George Dandin, Amphytrion, Le Médecin malgré lui,

La Compagnie du Saint-Sacrement (٤) L'Avare,

Molière : 108 ثم L.T. 256 (٥)

باريس ، اثارهم عليه نجاح ^١ « المتحذلقات السخيفات » و « مدرسة الازواج » و « المزعجون » ؛ غير ان خصوم « مدرسة النساء » كانوا الذع ^(١) مستملاً واحداً ناباً . فقد بدأ مولير يشير من طرف خفي الى رجال الدين ويتعرض لنقمتهم . ثم اخذ يكتب « طرطوف » استجابة لرغبة عاتية في نفسه . كل ملاحظه خلال عشرين عاماً ، وكل ما كابدته في الاشهر الاخيرة ، قد رسماً في ذهنه صورة انسان رائحة : انه ليتخيله بقمعته المستديرة ووجهه النبيذي ؛ انه لسمع شفقته على المائدة ، ويتبينه يملأ خياشيمه من عبير البير ، امرأة صديقه ؛ ثم يحيا البيت حول الرجل الاسود وتذب فيه الحركة . وفيما هو يكتب ملهاته هذه رزق ولده لويس الذي تولى الملك تميمه ، ولكنه لم يعش غير بضعة شهور . ابدأ لم يبذل مولير من العناية والجهد ما بذله في « طرطوف » ، ابدأ لم يتوفز فيه اليراع المصور بمش ما توفز في هذا الأثر الخالد . وما كاد الملك يأذن بتشيل الرواية حتى هاج الاكليروس وماجوا . أيتركون مهرجاً يعالج موضوع الدين على المسرح ؟ لم يعبأ لويس الرابع عشر باحتجاج القوم ، ولكنه لم ينس ان يلقي الى الشاعر بنصيحة طابرة : « لا تفيظن العبادة ، فهم قوم لا يفرون ^(٢) » . لم يجزئ مولير ان يمثل بأدي الأمر أكثر من الفصول الثلاثة الاولى ، ومع ذلك كان سخط الكهنة بالغاً ، وهجاه احدهم بانه « شيطان » يستحق الحرق . كان لويس حين داك غائباً ، وزاد في اضطراب الشاعر سلوك زوجته المريب . كانت غادة لعوباً مطروفة بالرجال ^(٣) ، وقد اتاح لها التمثيل ان تختلط بالناس وتستكثر من المعجبين وتذكي بذلك نار الفيرة في قلب زوجها . وثالثة الاناثي ان الملكة الأم انحازت الى معسكر الكهنة وشدت ازهم . فلما عجب الملك من ان القوم لم يشوروا لرواية هزلية جريئة كانت تعرض في تلك الايام واسمها : « اسكاراموش الناسك » ثورتهم على طرطوف ، انبرى احد الأمراء بحياً : « سبب ذلك يا مولاي ان اسكاراموش تسخر من السماء والدين اللذين لا يعنيان هؤلاء السادة في كثير ولا قليل ، اما مولير فهو يسخر من رجال الدين انفسهم ، وهذا مالا يطيقونه » . ههذه الأزيمة التي اجتاحت الشاعر ، والحفاوة التي تلقى بها الجمهور رواية طرطوف ، ومكانة الاعداء اللذين نهتدوا له ^(٤) ، كل اولئك كان يشعره بالمنزلة المرموقة التي بدأ يحتلها . لقد امتلك ناصية فنه . لقد سكب في طرطوف كل ما اوتي من براعة وفهم وفوق ما كان ينتظر هو نفسه . ان

(١) الميسم : المكواة « مادة : وسم من القاموس المحيط » (٢) 111—113 Molière

(٣) لا تنظر الا اليهم (٤) صمدوا له

اسم طرطوف ما كان يفصل من انامله حتى ذاع على كل لسان (١). انك لتسمرى^٢ هذه الفكاهة الحلوة الرشيقة ، لفكاهة مولير تخيف^٣ رواجح الاحلام ، وتمجب لهذه الريشة الصناع قد اشاعت الحياة والحركة في ابطال الرواية حتى كأنهم ناس من الناس. فطرطوف ذلك النموذج الخالد للماكر الفاجر الشهوان ، المتهوم بالمال كل والمتجرب بالفضائل ، واورغون رب الأسرة القبي^٤ المنذع العنيد ، وامه العجوز الشكيسة المغفلة ، هؤلاء هم نكد^٥ الأسرة وعذابها . ثم للمير الزوجة البرية الرزان ، واخوها كليانت الرجل الفطين الأمين ، وماريان الفتاة الحبيبة الجبان ، وداميس الفتى الغرير الصريح ، ودورين الخادم المحبسة المهدار . ثم لويثال الموظف الرطب اللسان والصورة^٦ المصغرة عن طرطوف ، كل اولئك نماذج حية لبني الانسان ، قد ادق^٧ الشاعر تصويرهم وأحكم :

يرفع الستار عن اسرة بورجوازية غنيّة ، قد توزعت^٨ عنها الموم ، والتوت عندها الظنون في رجل دخيل عليها ، طرطوف ، أهو تقي عابد ام غوي^٩ فاك ؟ كل شيء كان يجري على ما يرام لولم يقع رب الأسرة اورغون وامه العجوز في حبائل هذا الرجل الذي اجتذبها اليه بنسكه المصطنع ، وآوايه اليها وأحلامه مكان الواعظ الزاجر ، ولم يسمعا فيه تحذير الخال كليانت ولا^{١٠} نذير الخادمة دورين . فأما العجوز فهي تأخذ على حفيديها ماريان وداميس طيشها ، وتسمى على امرأة ابها تبرجها واسرافها ، وتريد الجميع ان يقتدوا بمشدهم طرطوف وان يوقروه ويأتمروا بأمره ويذهبوا بنهيه . فهو عابد ورع ، سليل الاغنياء المخدمين ، قد طلق الدنيا ورغب الى الله طائماً مختاراً . ولكنهم لا يرون في هذا الرجل رأيا ، فلا هو في نظرهم بالمعبد ولا هو بالكريم المحند ، ولكنه منافق محتال ، عرف ما يروج عند صاحبه اورغون وامه فأوقع في روعها (٢) انه زاهد ناسك ، يقضي ايامه في نصيح الضالين والسعي على الفقراء والمساكين ، فجازعنها وملا^{١١} اعينها ؛ فاذا عاد اورغون من سفره رأيت^{١٢} لا يسأل الا عن طرطوف ولا^{١٣} يعني بغير طرطوف ، واذا حدثته الخادم بمرض زوجته الشابة الحسناء للمير لم يلق اليها^{١٤} بالاً ، بل عاود السؤال عن قدسيه : وطرطوف ؟ ثم هو قد استحدث الآن رأياً جديداً يقتوى تحقيقه : انه يريد ان يفسخ خطبة ابنته من شاب تحبه ، هو فالير ، وان يزوجه صديقه الناسك ، فهو احق بها من خطيبها .

(١) 114—117 ثم مادة : Tartufe في L. du xx ème siècle (٢) الروح :

الذهن ، العقل ؛ وفتح الراء : الفرع

فقالير دمت الطباع ، سهل الخالقة ، ولكن الوالد التي " لا يصادفه كثيراً في الكنيسة ، فضلاً عما يشاع من ميله الى المقامرة . من يشيعون ذلك ؟ لهم " جماعة القربان المقدس " . اما طرطوف ، فيالبراعة المصادفة ! انه يكاد يلتقيه في كل مرة بين المصلين ! فهو لا يقصد إلا الكنيسة التي يقصدها اورغون ولا يذهب الا في الوقت الذي يذهب فيه ! ! انقضى الفصل الثاني وطرطوف شغل الاسرة الشاغل ، ولكنه لا يظهر الا في الفصل الثالث ، بعد " ان يمد ظله الاسود أمامه . . . عندئذ فقط يتخطى الباب ليبدو امام النظارة وهو ضامن ان يوقظ فيهم اقصى الاهتمام (١) ، :

« لوران ، أشدد بالسوط قميصي ، واسأل الله الهداية على الدوام »

هذا ما يخاطب به غلامه ؛ اما دورين فيأبني ان يكلمها إلا بعد تستر صدرها وتدني عليها جلبابها : « فبمثل هذه الاشياء تؤذى النفوس ، وتشوّر الخواطر الآئمة » .

وسمع القوم بما صحت عليه عزيمة الاب المغفل من امر الزواج فـالمهم الخبر ؛ وجعلت الفتاة تهيل الدمع جائية ضارعة الى ابها ألا يحطم قلبها . ولكن اورغون في واد وصاحبه في واد : ان طرطوف قد استهوت الزوجة الحسنة ، فهو يغتنم اول فرصة ليبتسها حبه بعيداً عن أعين الرقباء . ولكن الفتى داميس كان يسترق السمع ، وقد آلى لينقلن الخبر الى ابيه .

فاذا بلغ الوالد الخبر بمحض طرطوف ، رأيت المنافق راکماً امام صديقه المغفل ، مطأطئ الرأس ، يعترف بكثرة آثامه ليلفت نظر صاحبه عن جرمه الراهن وليرقى درجات في سلم الخديعة ؛ ثم رأيت اورغون تنفخ اوداجه ويتطاير الشر من عينيه ، سخطاً لا على الصديق الآثم ، ولكن على الولد المفتري والأهل الخاقدين الذين ساءم وورع الرجل وازعجهم أنه يستنفر الى الخير وينفّر من الشر ، فجعلوا يكيلون له التهم ليفسدوا ما بينه وبين صديقه . لقد عزم اورغون على ان يلوي عنان هؤلاء المتأمرين ، فهو يبدأ بآبته فيطرده وبآبته فينال موافقة صاحبه على ان تزوجها ، ويسجل امواله كلها باسم طرطوف ، لا يسمع في ذلك قول المحذرين والناصحين . فاذا أيدت المير فيما بينها وبين زوجها تهمة الولد ، واكدت له ان صاحبه قد كاشفها بحبه ، ابى ان يمضي شهادتها (٢) واضافها الى زمرة المتأمرين !

(١) Molière 128 (٢) امضى الشهادة : أجازها

لقد كان الشاعر بارعاً حقاً حين ارادت المير ان تطوي حديث طرطوف عن زوجها ، وحين لزمت السكوت امام الرجل المحتال فلم تبد له كامن العدا ؛ وكان بارعاً حين ركب اورغون رأسه واراد ان يُكتر صاحبه اقدس عشرة زوجة وأقف الجميع راغم ! في استطاعة المير اذن ان تستدعي طرطوف اليها وان تستدرجه الي مثل حديثه الأول لتشهد زوجها في مخبئه فجور صاحبه وغدره . وباستطاعة طرطوف بعد ان ضمن انقياد اورغون اليه واصبح المال في حوزته ، ان يلبي دعوة الزوجة وان يتحطل قليلاً من تمويهه وحذره . هنا يبدأ مشهد الغواية الطريف . لقد سمع الزوج الطيب باذنيه الرجل الناسك يضلل زوجته ويزين لها الاثم . وما يدرينا ، فقد تبلغ النفلة في اورغون ان يلتبس لموقف صاحبه عنراً وتأويلاً ، لولا انه سمع صاحبه يسخر منه ويعيره البلاءه ، فيثير الجانب الاثافي من نفسه . لقد انكشف امر المنافق . وإن اورغون ليهم بطرده اذا طرطوف يرفع صوته مهدداً :

« عليك انت ان تغادر الدار ، انت الذي تتحكمت وتأمّر ، فالدار ملك يميني ، وأسقيط في يد اورغون (١) ، وعلم انه هالك لا محالة . فقد استودعه مجرم سياسي أوراهاً خطرة قبل فراره من وجه العدالة ، فوضعها في حوزة طرطوف . ولم يرض المنافق بما آل اليه من ثروة صديقه ، بل اراد ان ينكث به كذلك . فهو يرفع أمره الى الملك ؛ وهو يعود الى الدار ومعه مفوض الشرطة ليقبض على اورغون . وما كادت عيون القوم تراهما حتى رعبوا وساد الهرج والمرج ، وطال الجدل بين طرطوف وغرمائه ، حتى أعبته الحيلة في الرد عليهم ، فتوجّه الى المفوض بأمره بالقاء القبض على رب الاسرة التاعسة ؛ ولكن المفوض اعلن ان لديه امراً سرياً بسوق طوطوف وحده الى السجن مقرّناً في الاصفاد : لقد علم الملك ما في عمل المنافق من نذالة ولؤم فأجبط سميه ، وامر ان يلقي في غياهب السجون ، لأنه بعد هذا وذاك مجرم طريد العدالة متنكّر في زي ناسك ؛ كما امر ان يُراح المال على صاحبه (٢) ، جزاء اخلاصه المعروف لسيدته الملك .

• • •

هذه الملهاة العظيمة تكشف لنا الجانب الجدي من شخصية مولير ، ذلك المثل الذي اخذ حظاً وافراً من العلم ، واختبر الناس وتمرس بالاوهال واغتنى ذهنه بالمشاهد

(١) أسقط في يده : ندم ونحير (٢) أراح فلان على فلان حقه : رده اليه .

فقالير دمت الطباع ، سهل الخائفة ، ولكن الوالد التي " لا يصادفه كثيراً في الكنيسة ، فضلاً عما يشاع من ميله الى المقامرة . من يشيعون ذلك ؟ لعلهم " جماعة القربان المقدس " . اما طرطوف ، فيالبراعة المصادفة ! انه يكاد يلتقي في كل مرة بين المصلين ؛ فهو لا يقصد إلا الكنيسة التي يقصدها اورغون ولا يذهب الا في الوقت الذي يذهب فيه ؛ ! انقضى الفصل الثاني وطرطوف شغل الاسرة الشاغل ، ولكنه لا يظهر الا في الفصل الثالث ، بعد " ان يمد ظله الاسود أمامه . . . عندئذ فقط يتخطى الباب ليبدو امام النظارة وهو ضامن ان يوقف فيهم اقصى الاهتمام (١) " :

« لوران ، أشدد بالسوط قبضي ، واسأل الله الهداية على الدوام »

هذا ما يخاطب به غلامه ؛ اما دورين فيأبى ان يكلمها إلا بعد تستر صدرها وتدني عليها جلبابها : « فبمثل هذه الاشياء تؤذى النفوس ، وتشوّر الخواطر الآتمة » .

وسمع القوم بما صحت عليه عزيمة الاب المغفل من امر الزواج فسالهم الخبر ؛ وجعلت الفتاة تهيل الدمع جائية ضارعة الى ابها ألا يحطم قلبها . ولكن اورغون في واد وصاحبه في واد : ان طرطوف قد استهوته الزوجة الحسنة ، فهو يغتم أول فرصة ليبتسها حبه بعيداً عن أعين الرقباء . ولكن الفتى داميس كان يسترق السمع ، وقد آلى لينقلن الخبر الى ابيه .

فاذا بلغ الوالد الخبر بمحضر طرطوف ، رأيت المناق راكماً امام صديقه المغفل ، مطأطى الرأس ، يعترف بكثرة آثامه ليلفت نظر صاحبه عن جرمه الراهن وليرقى درجات في سلم الخديعة ؛ ثم رأيت اورغون تنفخ اوداجه ويتطاير الشرر من عينيه ، سخطاً لا على الصديق الآثم ، ولكن على الولد المغتري والأهل الخاقدين الذين ساءهم وروع الرجل وازعجهم أنه يستنفر الى الخير وينفّر من الشر ، فجعلوا يكيلون له التهم ليفسدوا ما بينه وبين صديقه . لقد عزم اورغون على ان يلوي عنان هؤلاء المتآمرين ، فهو يبدأ بابنه فيطرده وبابنته فينال موافقة صاحبه على ان يتزوجها ، ويسجل امواله كلها باسم طرطوف ، لا يسمع في ذلك قول المخذرين والناصحين . فاذا أيدت المير فيما بينها وبين زوجها تهمة الولد ، وأكدت له ان صاحبه قد كاشفها بمحبته ، ابى ان يمضي شهادتها (٢) و اضافها الى زمرة المتآمرين ؛

(١) Molière 128 (٢) امضى الشهادة : أجازها

لقد كان الشاعر بارعاً حقاً حين ارادت المير ان تطوي حديث طرطوف عن زوجها ، وحين لزمت السكوت امام الرجل المحتال فلم تبد له كامن العداء ؛ وكان بارعاً حين ركب اورغون رأسه واراد ان يكثر صاحبه ، القدس عشرة زوجة وأنق الجميع راغم ؛ في استطاعة المير اذن ان تستدعي طرطوف اليها وان تستدرجه الي مثل حديثه الأول لتشهد زوجها في مخبئه فجور صاحبه وغدره . وباستطاعة طرطوف بعد ان ضمن انقياد اورغون اليه واصبح المال في حوزته ، ان يلبي دعوة الزوجة وان يتحلى قليلاً من تحوُّطه وحذره . هنا يبدأ مشهد الغواية الطريف . لقد سمع الزوج الطيب باذنيه الرجل الناسك يضلُّ زوجته ويزين لها الاثم . وما يدرينا ، فقد تبلغ النفلة في اورغون ان يلمس لموقف صاحبه عذراً وتأويلاً ، لولا انه سمع صاحبه يسخر منه ويعيره البلاء ، فيثير الجالب الاناني من نفسه . لقد انكشف امر المنافق . وإن اورغون ليهم بطرده اذا طرطوف يرفع صوته مهدداً :

« عليك انت ان تغادر الدار ، انت الذي تتحكّم وتؤمّر ، فالدار ملك يعني ، وأسقط في يد اورغون (١) ، وعلم انه هالك لا محالة . فقد استودعه مجرم سياسي أوراقاً خطيرة قبل فراره من وجه العدالة ، فوضعها في حوزة طرطوف . ولم يرض المنافق بما آل اليه من ثروة صديقه ، بل اراد ان ينكّل به كذلك . فهو يرفع أمره الى الملك ؛ وهو يعود الى الدار ومعه مفوض الشرطة ليقبض على اورغون . وما كادت عيون القوم تراها حتى رعبوا وساد الهرج والمرج ، وطال الجدل بين طرطوف وغرمائه ، حتى أعيته الحيلة في الرد عليهم ، فتوجّه الى المفوض يأمره بالقاء القبض على رب الاسرة التاعسة ؛ ولكن المفوض اعلن ان لديه امراً سرياً بسوق طوطوف وحده الى السجن مقرّناً في الاصفاد : لقد علم الملك ما في عمل المنافق من نذالة ولؤم فأحبط سعيه ، وامر ان يلقي في غياهب السجون ، لأنه بعد هذا وذاك مجرم طريد العدالة متنكّر في زي ناسك ؛ كما امر ان يُراح المال على صاحبه (٢) ، جزاء اخلاصه المعروف لسيده الملك .

• • •

هذه الملهة العظيمة تكشف لنا الجانب الجدي من شخصية مولير ، ذلك الممثل الذي اخذ حظاً وافراً من العلم ، واختبر الناس وتمرس بالاوهال واغتنى ذهنه بالمشاهد

(١) أسقط في يده : ندم وتخير (٢) أراح فلان على فلان حته : رده اليه .

والصور . « فطرطوف » ، ثتناول مادتها من نقائص الانسانية ودناياها ، وتعرض لمشكلة اجتماعية خالدة ، وهي مشكلة التفاف والتستّر وراء الدين ودهان الفضيلة . اما الاتقياء المخلصون فلا يسمع الشاعر الا ان يعترف بسموهم ويرعى حق طهرهم ؛ ولكنه لا يريد لهم ان يفاخروا بتقواهم ، ولا ان يخرجوا على حدود العقل بغيرتهم ، ولا ان يشددوا ويتعصبوا ؛ كلا ولا يريد لهم ان يتجسسوا احوال الناس ويتدخلوا في ما لا يعنيهم . فهم بذلك يخرجون على معاني الفضيلة والدين من حيث لا يشعرون . لا يكفي ان يكون المتدين مخلصاً اذن ، ولا بد ان يكون سمحاً عاقلاً كذلك . نجد امثال هذه المعاني في حوار الخال كليانت مع اورغوث . لعل مولير لم يوردها مخلصاً ، ولكنه اضطر اليها اضطراراً لزاماً ما لقيه من مقاومة خصومه واصرارهم . لعله لم يرد بادي الأمر الا الهزء بالدين ورجاله ، الصادقين منهم والخادعين ، ثم اخذ يعدل من موقفه ولا يطلق النقد على عواهنه ، ويحول نقمته الى المداهنتين الذين يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم ، والى الغلاة والمتعصبين ؛ فالشاعر كما رأينا لم يلق باثره هذا كاملاً دفعة واحدة ، بل على مراحل متعددة ، كان في كل منها يزيد وينقص ويهذب ويغير ما شاءت له ظروفه حين ذاك . لا شك ان هذا التهذيب المتواصل افاد الرواية كثيراً ، فحول موضوعها عن الاتجاه الشخصي الى اتجاه أليق واسمى هو التصوير الفني المجرد عن الاغراض ، وكسبها عمقاً فصور المشكلة من طرفيها وأبرز بقوة مالمها وما عليها . فاذا اضفت هذه الخلال الى ما في الرواية من قدرة فائقة في مزج الجد بالدهابة ، واستخلاص الضحكات المدوية حتى في المواقف الكاربة والمآزق الراحبة ، واذا اضفت اليها ذلك الفن العجيب في نظم الحوادث وسوق المناظر ، وذلك الحوار الناشط الحار ، وتلك اللغة الرشيقة المهدبة ، عرفت لماذا كانت هذه الملهة رائمة الروائع في آثار مولير ، وربما كانت اقوى اثر عرفه تاريخ الملاهي على الاطلاق .

• • •

كانت معركة طرطوف في أشدها لما كتب مولير تمثيلية «دون جوان» (١) ، ١٦٦٥ م فلا غرابة اذا رأينا الروائين ترميان عن قوس واحد وتسددان الى هدف واحد . اما موضوع الرواية فقد كان شائعاً في الأدب الاسباني حين ذاك ، و«دون جوان» هو في عرف الاسبانيين مثال لرجل القصر الموسر المزهو السادر في طريق الفوارة . وقد صور

Don Juan (١)

مولير كما عاينه في فرساي ؛ وندد فيه بالخلاعة والفسوق ، ولكنه لم يستطع ان يتألف بمحلمته هذه رجال الدين ، بل زاد في نقمتهم ، لأنه اضاف الى صفات بطله التقليدية صفة الرياء والاتجار بالفصائل ، فعدوا ذلك تعريضاً بهم وقاوموه :

هجر « دون جوان » زوجته الشابة « دونا إل فيرا » من غير سابق انذار ؛ وانطلق يبحث عن مغامرات جديدة في الحب ، يتبعه خادمه « سجاناريل » الذي يعتبر سيده إمام الآمين ، ولكنه لا يجرؤ على مفارقتها « لأن سيدياً كبيراً شريفاً لهو شيء هائل خفيف . » اما اخوة الزوجة فقد اخذوا يمجّدون في اثره حتى وصلوا الى غابة ، فأحاط اللصوص بأحدهم ، فأنقذه « دون جوان » من أيديهم ، لأنه على انبعاثه في المعاصي ندب شجاع ؛ يشهد بذلك أنه زار ذات يوم قبر فارس قتلته لأشهر خلت في مبارزة ، وأنه دعا تمثاله الى غداء فأوماً اليه التمثال بالقبول . غير أنه ما من شيء استطاع ان يعطف هذا القلب الجمد على زوجته : انه يتلقى تعنيف ابيه بحبث وسفاهة ، وتتوسل اليه امرأته وتتضرع ، وقد ارتدت ثوب راهبة وقررت دخول الدير ، فلا يستطرقها الا لما يبدو عليها من جمال في زيها الجديد ؛ فاذا قدم التمثال عليه استقبله غير خائف ، وزاد قبل ان يردّ زيارته ويأكل على مائدته . انه ليلهو بخداع ابيه واخي امرأته بالرياء والكلام المزوق ؛ وهو ثابت على طريقته ماضٍ في ضلّاته ، لا يزحزحه عنها فال ولا طيرة ولا وهم ولا حقيقة ؛ فاذا برزله تمثال الفارس رأته يضع يده في يد الحجر غير متردد ولا خائف ، ليجرّه الى الهاوية ، حيث لهيب الجحيم .

اجاد مولير في هذه الرواية تصوير النفوس والعادات في عصره . انها تملو تارة الى مستوى الملاحى العظيمة ؛ وتنحدر اخرى الى التهرج والفكاهة ، خصوصاً في دور الخادم « سجاناريل »^(١) ، وهو شخصية خلقها الشاعر وادخلها في عدد من ملاحيه ، لتمثل الذوق السليم بين العامة ، وحياناً لتمزج ذلك بالمر والدهاء . اما دور التمثال ففيه إغراب واسراف في الخيال ، يعود بنا الى عهد الاعاجيب المسرحية في القرن السادس عشر^(٢) .

. . .

واذن فقد ابى الحق الدفين الا ان يكشف عن نفسه ، فما وسع الشاعر الا ان

(١) Sganarelle (٢) انظر مادتي Don Juan و Sganarelle في L.U. ثم انظر

يسخر بالخصوم المزمئين من حيث اراد ان يسئل سخائم ويستميلهم اليه . ولكنه لم يكتف بان يصب نغمته على مدعى التقوى وحدهم ، فالرواية في الاساس غمز من جانب الفجّار المستهترين ، اولئك الذين كانوا يلتفتون حول أرمائد زوجته فيهرقونها بشبايهم ومالهم ويلهون بها على مرأى من الزوج الغيور ومسمع (١) . لقد أنفذ اليهم مولير اول سهامه ؛ وهو الآن يرش سهماً جديداً لينفذه اليهم بعد حين في رائحته العظيمة « كاره البشر » . ارأيت كيف ان جاباً كبيراً من ادب الاتباعين هو ادب شخصي يستمد غذاءه وماءه من حياة المؤلفين واشخاصهم ، فلا يستمر عنا غير ستار شفاف رقيق ؟ لم يعترض رجال الدين سبيل الرواية الجديدة ودون جوان ، بادئ الأمر ، وأحرز الفريق بها نجاحاً حسناً . ولكن لم يمض غير قليل حتى جدّد الخصوم حملتهم ، فأوعز الملك سرّاً الى مولير فوقف عرضها بعد ان مثلت خمس عشرة مرة فقط (٢) اعلاّت تقاسل عن هؤلاء الخصوم الاشداء الذين عكروا صفو شاعرنا والذين كان الملك بصانهم على كره منه وكثيراً ما كان ينزل على ارادتهم . لقد كشف النقاب عنهم اخيراً الاستاذ ر. ألييه (٣) في كتابه : « عصابة الاتقياء » (٤) « ١٩٠٢ م : وذلك انه قد تألف في فرنسا عام ١٦٧٢ حلف سرّي من كهنة ومدنيين باسم : « جماعة القربان المقدس » (٥) ، يدعو الى مواساة الضعفاء وتشجيع العبادة والنسك ومراقبة الأخلاق العامة ولو اقتضى ذلك بثّ العيون والأرصاد . وقد رأى الوزير « مازاران » نفوذ هذه الجماعة في تضخم فحاول ان يصدر امره بابطالها ١٦٦٠ م . ولما آل الحكم الى لويس الرابع عشر ، رأى فيهم ما يحدّ من سلطته ويقف في طريق لذه ، ولكنه تهيّب ان يباهرهم بالعداوة ، وفيهم الملكة الام والمطران پارافيكس مربيه وغيرها من كبار رجال الدين . فلما قصت الملكة المعجوز نجبتها ١٦٦٦ م باداهم لويس بالعداوة وحل رابطتهم ، ولكن نفوذهم استمر في الخفاء ، فامين آخرين ثم اضمحل (٦) .

• • •

كانت « طرفوف » لا تزال مـ مولير وشاغله . لقد عمل على اصلاحها بما يخفف عدااء الاتقياء الساخطين : حذف بعض ابياتها ، ووسّع في حديث كليات في التفريق

(١) Molière 134 (٢) 119 ثم 144 (٣) R. Allier (٤) La Cabale des dévots (٥) Compagnie de Saint Sacrement (٦) ص ٦-٧ من مقدمة Le Tartuffe

بين العبادة النفعية المزورة والعبادة البريئة الخالصة ، وخلع عن بطله ثياب الكهنوت وأخرجه في لباس عصري . وكانت احوال الفرقة تزدهر يوماً بعد يوم ، فقد اعلن الملك عام ١٦٦٥ عطفه على الشاعر ، فاصبح رئيساً « لفرقة الملك » ، واصبح له راتب ضخم من خزينة القصر ؛ ولم يمض عام واحد حتى الغيت رابطة الخصوم كما رأيت ، واذن له لويس ان يمثل روايته ثم اخذ طريقه الى حرب « الفلاندر » ؛ وابتهج الشاعر لهذا الترخيص واعد الفريق عدته لتمثيل الملهاة بعد ان حيل بينها وبين الجمهور ثلاث سنوات ، فكان الاقبال عليها عجبياً ، ولكن رئيس البرلمان فاجأ الفريق بأمر منه باغلاق المسرح . واحتج الشاعر بالادن الملكي ، ولكنه كان اذن شقوقاً عده المسئولون غير كاف ، وتوسط بوال في الأمر ، وجمع الشاعر بالرئيس الذي اتى على مولير وقال له انه احد الرجال العظام الذين تفخر بهم فرنسا ؛ ثم اخذ يشرح له ما يمكن وراء سخريته بالمناققين من نيل من كرامة الصالحين ووضع الشك والتهمة . وأرتج على مولير ولم يدر كيف يجب ، ولكن الرئيس ما لبث ان اشار الى ساعة الجدار وقال :

ترى يا سيدي ان الوقت ظهر ، وأتي سأضيع الصلاة اذا بقيت هنا .

وقد وضع مولير على لسان طرطوف كلاماً بهذا المعنى بعدئذ !

ولم يستطع الملك ان يعطي اذنًا رسمياً لتمثيل الرواية ونشرها الا بعد ان قطع دابر الرابطة وأمن جانبها ، وكان ذلك في ٥ / فبراير « شباط » ١٦٦٩ م (١) .

• • •

وهذه ملهاة ثالثة : « الحب المداوي » (٢) ، تصدئى للأطباء فتسخر منهم وتضمهم الى زمرة الخصوص . مثلتها الفرقة عام ١٦٦٥ بعد ان صدرت الأوامر بوقف الروايتين السابقتين . لم يكن مولير أول من سلك فكاهات الأطباء وحماقتهم في رواية ، ولكنهم تقموا منه خروجه عن الدعابة التقليدية الى تصوير اشخاص احياء معروفين . لقد رأى الأطباء في مشاهد كثيرة يجتمعون ويتشاورون ، ثم لا يكشفون الا عن جهل وحماقة وجشع . وآم حول سرير الملك يعاني الحمى فيعقدون جلسة اثر جلسة فتشيع اضاحيكهم في الآفاق . وآم حول الوزير المحتضر « مازاران » يتداولون امرهم بينهم : قال قائل منهم ، انه الطحال ، وقال آخر انه الكبد ، وقال ثالث بل هي الرئة . . . فلما حضرت الوفاة الملكة الأم مثلوا الدور نفسه ، فكأنهم كانوا يفسرون الشاعر بهم ويثبتون له ان

(١) المصدر السابق 124 — 121 Molière (٢) L'Amour médecin

يفيد من سخفهم . هاهم أطباء القصر يسرحون ويمرحون ويمكرون في الملهاة الجديدة ، بعد ان التمس لهم الشاعر عند صديقه « بوالو » اسماء يونانية تمويه وجوهم وتشتهر دنياهم (١) . دعنا من حبكة القصة هذه المرة ، ولنصنع الى ابطالها يتحاورون :

« - ان رجلاً ميتاً ما هو الا رجل ميت ، لا يترقب على موته شيء . لكن الاخلال بالقانون والعرف هو شرٌ مستطير يحيق بهيئة الاطباء كلها . . .

— تذكر الرجل الذي قضيت عليه في هذه الايام الماضية .

— تذكر المرأة التي ارسلتها الى العالم الآخر منذ ثلاثة ايام .

ثم أرفع سمعك حكيم الاطباء يحضهم هذه النصيحة الغالية :

« - الاتمدى وجوهكم خجلاً يا سادة لما تبدون من حمق وطيش ! . . . اذا لم نغير هذا التفاتنا اهلكنا انفسنا بأيدينا . لا احذثكم بهذا الحديث لقاء منفعة أرجوها ، فاتي بمحمد الله قد فرغت من شئوني الصغيرة . فلتعصف الريح ، وليهطل المطر ، ولينزل البرد ، فالذين ماتوا قد ماتوا ، واتي لني غنى عن الاحياء . بيد انه ليس في هذه الخصومات كلها ما يفيد الطبابة . فلا نوقظ الناس بمؤامراتنا الجمقاء ، ولنغتم بلاهمهم بما نستطيع من رفق . . . » فبرد صاحبه : « - فليسمح هذه المرة بدوائي المقيس للمريضة المذكورة ، وسأسمح له ان يعطي اول مريض قادم كل ما يريد .

فيقول الطبيب الحكيم : « لم أر أحسن منك قولاً . هيا يا سادة ، اطرحوا أحقادكم ، ووثقوا عرى تألفكم . »

اما منظر هؤلاء الأطباء الاربعة وقد اجتمعوا ايتشاوروا ويتفاهوا لتشخيص الداء وتعين الدواء ، فهو من اطرف المناظر وأبعثها على الضحك : فقد اخذوا يتحدثون عن بغالهم ، وأفاضوا في كل حديث سوى حديث المريض !

ثم انظر الى « سجاناريل » يؤله ما يرهق ابتسه من أسي ، فيستشير جاريته البسطي والصانع . قال الاول : « أعطها سجاداً » وقال الآخر : « بل أعطها حلياً . » فما كان من صاحبه الا ان لفت نظره الى ما في نصيحته من غش بقوله : « انت صانع يا مسيو جوس ! » يريد انه يضع نفسه موضع الشك حين لا يرى دواء الا من بضاعته .

لم تحتج هذه المفاكهة السارة الى اكثر من خمسة ايام ، كتبها الشاعر فيها ثراً وعرضها على القصر اولا وامام الجمهور ثانياً ، وقد رحب بها الفريقان واستغرقوا في ضحك

عميق . ولكن الشاعر قد أثار عليه فريقاً جديداً من الاعداء كان في اشد الحاجة اليه .
 ويشاء القدر ان يسخر من امام السآخرين ، فلا يمضي غير ثلاثة أشهر حتى يقع طريق
 الفراش ، ينثف الدم ويشرف على الموت ، بين ايدي غرمانه الاطباء .
 وزاد الموقف حرجاً فتور العلاقة بينه وبين الشاعر « راسين » قهاجرا وتناكرا .
 اما زوجته « أرماد » فقد كانت حرقه وألماً دفيناً في قلبه . ها نحن اولاء نقسرب من
 روايته الخالدة : « كاره البشر (١) »

• • •

الانسان لعبة القدر وهزأته ، يستوي في ذلك الملوك والسوقة والفنانون وجبابرة
 العقول : كان مولير يسخر من الاطباء ويزري عليهم جهلهم وجشعهم وكبرياءهم ويعرض
 مناقصهم اضاحيك وعبراً للناس ، فاذا المرض يدهمه ويضعه بين ايدي غرمانه ورهسين
 رحمتهم ! وكان يدبج الفصول الروائع يقع بها في رجال الدين واهل الزمات ودعاة الاحتشام
 ثم لا يفتي عنهم الا كارهها مغلوباً على امره ، فاذا الاقدار تعاقبه أنكأ العقوبة ، فيرى بام
 عينه كيف يسلبه اطراح الوقار والاسراف في التحرر اغلى ما يملك ، ففترت عنه زوجته
 ورثت حبال الحب بينهما ثم انقطعت ؛ واظلمت حياة هذا الرجل الذي ملا جوانح
 الباريسيين جذلاً وهزأ أعطافهم ضحكا ، وعادت صغراً من نعيم الأسرة ومتمعة العاطفة .
 بيد أن الشاعر لم يعترض رغبة « ارماد (٢) » ، ولا حاول ان يقسرها على طاعته ، ورأى
 الحكمة ان لا يمثل معها دور « ارنولف (٣) » ، وقال لها « ستكونين حرة ، ولن تعاني
 خسفاً ولا كبتاً (٤) » . وتمت القطيعة ، غير ان ارماد لم تفارقه ، اذ كانت صلات المهنة
 تجمع بينهما كل نهار ليستظهر اادوارها ويمرنا عليها ؛ فاذا جاء المساء مثلاً معاً بين ايدي
 الجمهور (٥) ليتفاكها ويتهازلا ويشبعوا رغبة القوم من جد القول وهزله وليسيعا فيهم
 التفاوض والسرور ؛ يالعبث الاقدار وبالمهانة الانسان ! وكان مولير حينئذ يكافح لدد
 الخصوم في معركة « طرطوف » الحامية الوطيس ، فكيفما التفت لا يرى حوله الا نواجذ
 الشر ومظاهر الخديعة واللؤم والوضاعة . انه ليسمع من اعماق نفسه صوت بطله الجديد
 ينادي بالويل والثبور لهذه الانسانية الجاحدة الظلوم ، صوت (أنيسيت) بطل الرواية
 المتيدة الخالدة ، وصدى نفسه المتألمة المستوحشة . لم يغب عنه ذات يوم مافي حبه من غرابة

(١) Molière 144—149 (٢) زوجته (٣) بطل رواية : مدرسة النساء

(٤) Molière 164 (٥) 167

ولشوز ، وتغلبت روح الفنان عليه فكتب « مدرسة النساء » وسخر من ذلك الزوج الذي تعميه الأثرة عما بينه وبين زوجته من تفاوت العمر ؛ وهو الآن لا يخفى عليه ما في تشاؤمه وتأله من غيٍّ وسخف ، وتأبى عليه ملكة الفن الا ان يتجرّد من ميوله واهوائه ليصوّر ما في التشاؤم من أفنى وضيق مضطرب وقصر نظر . انه الآن وحيد في بيته ، اسير الوحشة الكئيبة ، يطل على سر من اسرار النفس الانسانية ، فينقله اليها فصولاً رائعة بعد ان اتفق في نسج مناظرها ونظم آياتها عامين كاملين :

يدخل « ألسست (١) » صالة الغانية « سيليمين (٢) » وهو ناثر صاحب ، يوجّه قوارع اللوم لصديقه « فيلانت (٣) » لأنه أكثر من دلائل الصداقة لرجل لا يعرفه . وهذا في نظره نفاق صريح :

اريد الانسان مخلصاً شريفاً ،

فلا يفسد بكلمة لا تصدر من القلب (٤) .

انه يرى في بحاملة صديقه الناس ومسايرته ايام سبباً كافياً لامتهانه واطراحه : ذلك لأن احترام الناس جميعاً لا يعني احترام احد (٥) . ثم ان ألسست صريح لا يخفى انانيته وكبرياه :

اريد ان يخصني الناس بالرعاية ، وانا اقولها صريحة :

إن صديق النوع الانساني ليس لي بصديق (٦) .

اما « فيلانت » فهو يقابل جفاء صاحبه بالحلم ، ويحاول ان يبسط له حقيقة المشكلة فيريه ما في رأيه من غلو وما في لومه من تحامل . يقول له : انه لمن الحكمة ألا يبوح المرء ببعض اسراره للناس ؛ فالصراحة اذا وضعت في غير موضعها تبدو سخيّة او مزعجة . أمن الكياسة ان تظهر الناس على كل ما يحوك في صدرك عنهم ؟ أن توبسّخ العجوز المتصاية على ما في تصايها من بلاهة ، وان تلفت المدعي المذار الى ما في حديثه من تفاهة ؟ يقول ألسست : نعم (٧) . ويقول فيلانت : إن هذا حق ، ولن تقوّم هذه الصراحة ما اتقّد من اخلاق الناس ولن تصلح ما فسد من اعمالهم ؛ وهي بعد حقيقة ان تعرضه لهم وازدراؤهم . هنا يكشف ألسست من عميق كرهه للناس ، فهو يريد ان يسخروا منه ليغذّوا بسخرهم حقه ، وهو يأنف ان يكون في اعينهم فبياً رشيداً .

(١) Alceste «٢» Célimène «٣» Philinte «٤» اليتان ٣٦،٣٥

«٥» البيت ٥٨ «٦» اليتان ٦٤،٦٣ «٧» الايات ٧٣-١١٧

غير ان فيلانت ينكر على صاحبه حقه الذي يصبه على المجتمع ، ولا يرى في ذلك فضيحة ولا خيراً^(١) . فلا يزيد الست على ان يؤكد هذا الحق الدفين ويستمسك بهراء :

كلا ، انه حق عميم ، وانا اكره البشر جميعاً ،
هؤلاء لفساد طويتهم وكثرة مخازيهم ،
واولئك لصفحهم عن الاشرار ولين عريكتهم^(٢) .
ان شهوة غلبة فاجئة تمتلكني احياناً ،
لأفر الى صحراء خاوية لا ارى فيها انساناً^(٣) .
فيجب فيلانت :

ولا كل هذا القلق يا صاح من التقاليد والعادات ،
ولننظر بعين العطف الى الطبيعة الانسانية ،
لا ينبغي لنا ابدًا ان تقسو في البحث عنها ،
ولنر ما فيها من نقائص بشيء من المسامحة .
لا بد في هذه الدنيا من فضيلة سهلة ذلول^(٤) ؛
فالعمل الكامل يختار من الامور اوساطها ،
وينصح بالاعتدال في الحكمة كما في غيرها^(٥) .
انها لحماقة ليس لها من نظير
ان نأخذ النفس تهذيب الصغير والكبير^(٦) .
ويقول له وهو يحاوره :

اجل ، فعيوب البشر التي تحرك بالشكوى منك اللسان
نقائص محتومة مزوجة بطبيعة كل انسان ؛
وان عيني لا تقدي لرؤية الماكر النفعي ذي المظالم
اكثر مما تقدي لرؤية المقبان الجائفة في الملاحم ،
او القردة المؤذية والذئاب الضارية^(٧) .

«١» الايات ٧٣-١١٧ «٢» الايات ١١٨-١٢٠ «٣» البتات : ١٤٣-١٤٤

«٤» الايات : ١٤٥-١٤٩ «٥» البتات : ١٥١-١٥٢ «٦» البتات : ١٥٧-١٥٨

«٧» الايات : ١٧٣-١٧٨

ومما يزيد في ثنائهم ألسنت ودغل صدره أن له في المحكمة دعوى يوشك أن يخسرها ، لأنه لا يميزها اهتمامه ، ولا يعمل بنصيحة فيلانت الذي يريده أن يشمر بالواقع والا يطمئن الى عدالة القضاة ، بل يزورهم على انفراد ويلتمس معونتهم ، على عادة الناس في ذلك الحين او في كل حين ؛ ولكنه يأبى ذلك اياه شديداً ، لأن دعواه على حق وكفى . فاذا اقنعه فيلانت بأنه خاسر الصفقة لا محالة اذا سلك هذا الطريق ، اجاب انه بلذ ان يضع حقه ليذكي نار البغضاء على الناس في صدره !

ثم ان ألسنت يحب مثابة أيما (١) تدعى سليمان ، على ما فيها من خلاف معه في الخلق : فهو صريح يابس الطبع مستقيم النهج سيئ الظن في الناس ، ينفر منهم وينأى عنهم ؛ وهي كنوم مرنة ملتوية الطبع ، تحب الخلطة وتكره الوحدة ، ولا يهمها الناس ، كرموا او لؤموا ، لا تحبهم ولا تكرههم ، ولكنها تحب عشرتهم على كل حال . هذا الخلاف في المزاج بين الرجل وفتاته ، وجهه الشديد لها ، ثم حرصه على ان يكون وفياً لطبعه اميناً على فضائله هو الذي يملكك على التفكير والابتسام ، ولا اقول على الضحك قان امير الملهة لم يقصد هذه المرة الى الاضحاك ، ولكنه قصد الى التلطيل العميق والعرض الطلمي الخالص من كل عبث او تهريج . كان المقول بعد اذ رأى ألسنت عيوب صاحبته ونعماها مراراً عليها ان يستجيب لميل آخر ملامته لمبدئه وطبعه ، ميل الفتاة « اليانت » (٢) ، ابنة عم حبيبته ، فهي تحترمه وترنو اليه . هذا ما يشير به عليه صديقه فيلانت ، ولكنه يجيب بقوله :

ذلك حق يردّه عليّ العقل كل نهار ،

بيد ان العقل ليس بالذي يقود الحب (٣) .

ويقطع عليها الحديث «اورونت» (٤) ، احد اصدقاء الغانية المترددين على صالحتها . وهو ذو مكانة في البلاط يفاخر بها . كما انه يؤمن بشاعريته ، لأن بعض الظرفاء يبدون اعجابهم بنظمه السخيف . هذه هي تقيصة الرجل . وهو بعدد حسن المعشر خفيف الظل . إن احب شيء الى نفس «اورونت» ان يجد أذنّاً تصغي اليه ولساناً يثني عليه . وهو يتوسل الى هذا بدعائه الساذج الحقير . فما يكاد يرى « ألسنت » حتى يمثل دوره التقليدي ليمهد لقراءة شعره . فهو يغمزه بثناؤه ويكشف له عن امله في مصادقته ، وألسنت مشغول عنه ، لا يلتقي اليه بالآ . فاذا نبهه الرجل بقوله :

«١» هلك عنها زوجها Eliante «٢» «٣» البيتان ٢٤٧، ٢٤٨ «٤» Oronte

اليك ، اذا أحبت ، انما يساق الخطاب (١)

واستأنف مديحه وبالح فيه ما شاء ، لم يستطع ألسنت ان يكتم استغرابه لأنه يشترط في الصداقة ان تأتي عن تعارف طويل واحترام أكيد (١) . أليس هذا بالحق ؟ بلى ، ولكن ذكاء ألسنت لا ينفذ الى أكثر من هذا ؛ اذن لما كلف نفسه عناء ذلك الشرح ولما قابل الرجل يمثل ذلك الجفاء ؛ لأن اورونت أهون من ان يجابه بالحقيقة ، وغرضه أيسر من ان يصرف عنه يمثل هذا الاعراض ؛ انه لا يريد الا ان يقرأ بضعة أبيات ويحظى ببعض التشجيع ؛ ان الصراحة فضيلة في كبريات الامور وحيث تميمت اذى او تكشف عن حق ، اما في صفات الامور وتوافها ، واما اذا آذت النفوس وعقدت المشاكل فهي خفة وهي حماقة . لم يستطع اورنت ان يتألف صاحبنا ألسنت باسم الصداقة اذن ، ومع ذلك فالقصيدة في جيبه لضيافته وتريد ان تلمس طريقها الى آذان الناس ؛ فلا بأس في ان يقوم بمحاولة اخرى ، فيذكر وظيفته في القصر ومكانته من قلب الملك ، ويومي من طرف خفي الى استعداد له يد المعونة . حتى اذا فرغ من التملق وادعاء الصداقة والتلويح بالوجهة والاعراء باسداء المعونة ، ايقن انه فتح من جلسه مغلق سمعه وضمن اعجابه وثناءه ؛ ولكن ألسنت يستعفيه من هذه المهمة ، ويعتذر اليه بما في طبعه من صراحة جارحة ، وما في طبع الناس من حرص على التقريظ وضيق بالتجريح . فيؤكد له اورونت ان الصراحة رغبته والنقد طلبته ، وانه يعد الثناء في غير محله خدمة والسكوت عن الهفوات لؤماً ؛ فما عليه الا ان يدلي برأيه في غير خوف ولا محاباة . ثم يشرع اورونت في قراءة قصيدته ، وهو يقف بين حين وآخر ليقول انه يهيم ان يعرف رأي صاحبه في اسلوب القطعة ، او ليلفت نظره الى انه لم يبذل في نظمها أكثر من ربع ساعة ، او ليصغي الى عبارات الاعجاب يغمره بها فيلانت . أما ألسنت ، فقد سبق ان وصفناه بمحاربة الصدر وقرب النظر ، ولا تزيد الحوادث الا تأييداً لهذه الصفة فيه وتمكيناً . انه يتمتع بفضائل رفيعة كثيرة . فهو قوي الشخصية كما يتجلى من هذا الاهتمام الذي يلقاه من ابطال الرواية ، رجالها ونسائها ، مرهف الذوق ، صريح ، عزوف عن الدنايا ، ولكنه بالمقابل متصعب ، يصعب على نفسه وعلى غيره ، تزق يستشيط ويحمي لاهون الامور ، متشائم ، يفسد عليه سوء الظن بالناس حياته . مستوحش حديد ، يكره الناس ويكره عشرتهم ، ثم هو قليل الفطنة في امور الحياة ، ينقصه ما يمكن ان نسميه

(١) البيت ٢٦١ (٢) الايات ٢٧٧ - ٢٨٤

« بالذكاء العملي » . لقد نفقت عنده كلمات اورونت ، فظن ان الرجل جاد في طلب النقد الصريح ، راغب عن الثناء التافه ؛ فطفق يتحدث بما يحول في خاطره عن غثاثة هذا الشعر وقلة مائه ، واستغرب من صاحبه ان يعنّي نفسه بفن لم يُخلق له ولم يحتج اليه ؛ ونسي اورونت ما قدّم من قول ، فلم تعجبه صراحة السست واحتج عليها ، وتطوّر الجدل الى الغضب ، وانتهى الغضب الى التهديد والقطيعة .

فيلانت هو الذي حجز بين الرجلين ووضع حدّاً لنقارهما . وهو الذي فهم الموقف من اوله وعرف كيف يتصرف بذكاء ومكر . ليس في طبع الرجل لؤم ولا في مكره شر . ولكنه حاذق اريب يعرف متى يجب ان يفهم الكلمات بمعانيها ومتى يجب ان يفهم ما وراء الكلمات . انه يقرأ ما بين السطور اذا طاول هذا التعبير . قرأ في وجه اورونت الغرور وحب الثناء ، فلم يصدق ما قاله من رغبته في النقد النافع النزيه . من اجل هذا رأته لا يرضن عليه بمبارات الاعجاب ، ولا يعبأ بما يوجه اليه ألسست من نظرات العتاب . لا شك انه كان أبعد نظراً من صاحبه في فهم حديث اورونت وتحسس رغبته . ولا شك في انه استطاع بتصرفه هذا ان يرضي غرور اورونت ويتقّى غضبه . ولكننا مع ذلك نتساءل : ألم يكن في المستطاع ارضاء هذا الشويعر المختال بطريقة اخرى لا تؤذي غروره ولا تزيد في ضلاله ؟ اليس اجدر بفيلانت ان يعمل عن هذا الرياء الظاهر في مبالغته في المدح الى كلمات معدودة يصرف بها محدثه بالتي هي احسن ، فيتقّي اذاه من غير ان يزيد في عماه ؟ لقد تقول ان اورونت احقر من ان يجابه بالحقيقة ولكنه كذلك اقل من ان يحملنا على ان نشيد بفنه ونسبح بحمده ! بل كان في مستطاع فيلانت ان يلزم جانب السكوت فلا يمدح ولا يذم ، وهذا اكرم له واسلم ، لأنه حين اشاد بذكاء اورونت واطنّب ، كسب غضب صاحبه ألسست ، من غير ان يريح احترام اورونت ؛ وآية ذلك ان اورونت لم يلتفت اليه ولم يفكر فيه ولم يجبه بغير جملة واحدة ! ومن يدري ، لعل فيلانت حين نجا من غضب اورونت لم ينج من احتقاره . ولعل أورونت حين صب نقمته على ألسست كان يشعر نحوه بالاحترام في اعماق وجدانه ! ومن يدري ، فلو ان فيلانت اقتصد في رايته اولزم جانب الحياد لما شجع اورونت على الاسترسال في صلفه ولما اخرج موقف صديقه . اننا لا ننكر ما في شخصية فيلانت من سلاسة وسماحة وأروحية ، فقد جملة المؤلف دحلياً مخلصاً في صداقته ، كما يقول الاستاذ جيراند ، يفيض عن احتداد صديقه ألسست وتحامله ، ويفيض رحمة وعفواً عن نقائص الناس وضعفهم ، وينسى نفسه

امام صديقه المتشائم ، فينصح له بالزواج من صديقتيه اليانت على حبه الشديد لها في الخفاء ، (١) . بيد اننا لا نرى الوجهة واحترام النفس في اسرافه في التعلق ، كما لم نر الحصافة في صراحة ألسنت وجفائه . وبقي ان ألسنت على خطئه يحظى باحترامنا لان الجفاء في الحق اهون من النفاق بالباطل . ولا معدى لنا هنا من ان نعجب من ان مولير الذي هاجم النفاق في روايته الخالدة « طرطوف » بما لم يهاجمه به كاتب آخر ، زاه قد تطامن رأسه ولانت قناته امام سلطان المجتمع المعاني ، فأصبح يدعو في « كاره البشر » الى المجاملة والمواذعة ، بل اخذ يدعو الى المداينة ، ويراها شرطاً أساسياً لتوثيق عرى الالفة والمحبة بين الناس ، ولدفع المكروه والعوائق من طريقهم ! ! .

• • •

ننحن الآن في الفصل الثاني من الرواية ، وفي صالة الغانية سيليمين ، حيث نراها تصني الى عبارات الشكوى والزجر والتهديد يتدفق بها صاحبها ألسنت ، لأنها تستكثر من المشراء ولا تصفيه الهوى من دونهم . ولكنها تحتج بانها لا تملك ان تطرد الناس من حضرتها ، وفيهم من ترتبط به مصالحتها ، وتأخذ على ألسنت غيرته ، وتؤكد جهاله . وفيما هي تجامله وتخفف من حدته يدخل عليها المريكيزان « أكاست » و « كليتاندر » (٢) ، يرافقه فيلانت ، وابنة عم للغانية تدعى « إليانت » (٣) ، فيستقبلهم صاحبنا غاضباً كظلياً ، ويصني اليهم يثبون على اعراض الناس ولا يخلون احداً من ذمهم؛ فيحمل نفسه على السكوت أولاً ، حتى اذا طال حديث الغيبة ولم يبق في قوس الصبر منزع ، رأيت ينفجر على هؤلاء الميائين لوماً وتقريماً ، فتنبهري سيليمين بحبيبة ، ويلج الجدال وينذر بالشر ، واذا بخفير يفاجيء القوم ويكلف ألسنت بمرافقته الى المحكمة لتقضي بينه وبين خصمه المتشاعر اورونت !

فاذا كان الفصل الثالث رأيت المريكيزين وحدهما يتبادلان حديث الفخر والاختيال فقد اغتنم مولير الفرصة لينال في شخصها من مكانة المريكيزات جميعاً ، كما نال منها في بعض ملاحيه السابقة . فهو هنا يجيز على هذه الطبقة من النبلاء فيعرض سخائفهم ومضاحكهم ، بما يصور فيهم من تخنث وتبذل وجفاء طبع وأثرة وزهو (٤) :

لا يي المال والشباب ، وانا سليل بيت

(١) مقدمة رواية Le Misanthrope P : 11 Clitandre, Acaste (٢)

(٣) Eliante (٤) المقدمة ص 10

يستطيع ان يدعي النبالة ببعض الحق .
 واعتقد اني بالمتزلة التي يخولني اياها محتدي
 قلما تطاولت نفسي لعمد لا اكون به جديراً .
 اما الشجاعة التي يجب ان نخصها بكبارنا ،
 فالناس يعلمون - ولا فخر - ان لي منها حظاً . . .
 واما الذكاء فلا ينقصني ولا شك ؛ لي ذوق رفيف
 بحيث احكم من غير درس واخوض في كل حديث . . .
 ثم انني حاذق ، حسن السميت ، بادي الحسن ،
 لا سيما اسناني الجميلة وقوامي الممشوق . . .
 لقد بلغت من الحظوة والرعاية اكثر ما في الامكان ،
 فالنساء يحببني حباً ، والمليك يزيدني قرباً .

ويخرج الرجلان لدى وصول الفتاة « ارسينوا (١) » ، وهي شخصية سمجة يضمها
 مولير بازاء سيليمين لتوضح بالتضاد ميزات كل منهما ، وليغمز مرة اخرى من جانب
 المناقذين . فيسيلمين هي الغانية الظريفة المولمة بعشرة الناس ، والتي لا يطيب لها عيش من
 غير هالة من المعجبين من حولها ، وهي بعد مرهفة الحس ، متوقدة الذكاء ، لا ترى
 حرجاً في ان تبسط لسانها في نواقص الناس اذا اتاح لها ذلك ان تبين عن شغوف ذهنها
 وبعد نظرها . ثم انها على فطنتها وبما حاة طبعها ملول متقلبة لا تفهم حديث القلب ولا
 تدرك قيمة الوفاء . بيد أنها قد اوتيت من قوة الاغراء بصباها وظرفها وجمالها ما يشفع لها
 ويخفي عيوبها (٢) .

اما « ارسينوا » فليس شيء من هذا يشفع لها ، الى روح شريرة غدور ، يزيد في
 وضاعتها هذا الرياء الذي يظهر في احتشامها الكاذب ، وفي ستار من الفضيلة المتكافة
 تخفي وراءه خبثها ومكرها . همها الدهر ان تنقل من صالة الى أخرى لتترصد هفوات
 الناس وتزئد فيها وتكبرها (٣) .

هكذا عرض الشاعر صورة دقيقة حية لهاتين الفتاتين ؛ بعد ان قدم لنا في الفصل
 الاول وصفاً عميقاً بارعاً لبطال الرواية الست ، بما اختار من ظروف مواتية لتجلية
 شخصية بفضائلها ومساوئها ، وبما وفق اليه من رسم صورة اخرى دقيقة واضحة المعالم ،

(١) Arsinoé (٢) المقدمة ص 11 - 10

تناقض في اوصافها صورة المتشائم ، فتزيدها قوة ووضوحا ، اعني صورة « فيلانت » الذي يذهب الى التفاؤل ويجري مع الدمثة والطبع المسباح .

• • •

ماذا يدور بين الفتاتين من حديث ؟ انه حوار طريف جداً كنا نحب ان ننقله اليك كاملاً لولا ضرب المجال ، فلنكتف بتلخيصه اذن :

تستقبل الفانية صديقتها بالترحاب ، فلا تلبث هذه ان تعلن المهمة الخطيرة التي قدمت من اجلها . تقول « ارسينوا » بأسلوبها الخبيث الماكر ان الصداقة يجب ان تظهر في الامور التي تهمننا ؛ واذ كان الشرف هو رأس فضاءنا ، فقد جئت ابرهن على صداقتي بالتحدث اليك في امر يمسك . ذلك ان نقرأ من خيار الناس تجدوا عنك بالأمس فلم يعجبهم سلوكك الصاحب وتهالكك على اللذات واسرافك في قبول الزوار . وقد بذلت ما استطعت للدفاع عنك ، غير ان هناك اموراً لا نملك الدفاع عنها ، فلم أر بداً من الاعتراف بانك مخطئة شيئاً بسيرتك المريبة التي ارتضيها لنفسك . وانا يا سيدتي ارى انك اعقل من ان تسيئي فهم هذه النصيحة النافعة ، واعيدك ان تفسبها الى غير دوافع المحبة التي تربطني بك .

هذا النقد اللاذع والمكر الكثيّر لا يخرج الفانية عن هدوئها ولا يذهب بالنسب وبشاشتها ، بل هي تقبّض أسلوب الفتاة الخادعة لتكيل لها من بضاعتها . تحبب سيليمين بانها جد شاكرة لصديقتها حسن صنيعها هذا ، وهي لا توفّيها حقها الا اذا قابلتها بنصيحة اخرى تصل بشرها كذلك ؛ فقد كانت سيليمين تزور بالامس جماعة من الفضلاء ، وكانوا يتحدثون عن المسكارم الصحيحة ، ثم دار الحديث على « ارسينوا » ، فاذا القوم ينحون باللائمة على تزمّنها وصاحب ورعها . ان اصطناع الوقار والاسترسال في حديث الحكمة والشرف ، وهذا الغلو في احترام النفس ، وهاتين الميّنات التقيّتين ترميهما على كل شيء ، والدروس والعظات ترسلها دراكاً ، ونواهيها الشديدة عن امور طاهرة بريئة ، كل اوئلك كان موضع النعمة العامة . كانوا يقولون : ما فائدة هذه الهيئة المحتشمة وهذا المظهر العاقل الذين يكذبها كل ما عداها ؛ اذا كانت لا تهان في صلاة ابداً فانها تجلّد خدمها ولا توفّيهم اجورهم . واذا كانت ما تتي تتظاهر بالعبادة أينما حلت ، فانها تضع المسحوق الابيض وتحرص على ان ترضي بمجالها . ثم هي تحجب الصور العارية مع انها تعشق العري الحقيقي . اما انا فقد دافعت عنك ما وسعني الدفاع ،

واكدت لهم انهم يقتابونك من حيث لا يشعرون ؛ ولكنهم اجمعوا على انك تحسنين صنعاً اذا مشغلت بعبوبك عن عيوب الآخرين ، اذا بدأت بنفسك فتهيتها عن غيها قبل ان تفكري باصلاح الناس . . . هذا ولم يفت سيليمين بدورها ان تضع ثقتها بالصدقة المرائية لتقبل نصحتها بصدر واسع ونفس كريمة .

لم تعجب هذه النصائح السيدة الواعظة واحتجت عليها ؛ ولكن سيليمين أصرت على سلامة نيتها واكدت انها بحاجة ماسة الى تبادل النصيح دائماً وتذاكر ما يقال عنها ؛ فاذا تمادت ارسينوا في ابداء امتعاضها ، لم تجد الغانية بداً من ان تلتحجح لها الى ما بينهما من فارق في العمر ، والى ان التظرف يليق بالصبا المنفتح كما ان الاحتشام يناسب الشباب المدبر ، فهو حقيق ان يخفي العيوب او يخفف من بشاعتها . وآلت هذه الاشارة السيدة المرائية فثارت واحتجت . هنالك واجهتها سيليمين بالحقيقة المصراخ ، فهي تعلم ما تروججه عنها الصدقة الناصحة من اكاذيب في كل مكان ؛ لا شيء الا لان الاقدار حرمتها ما لم تحرم سيليمين من صبا وجاذب وجمال . عندئذ تعود المرائية الى نغمتها القديمة ، فتقول انها لا تنفس على صاحبها بحب غير شريف ، وانها غير عاجزة عن ان تسوق في ركابها المعجبين والمهينين اذا سلكت طريق الغانية وآثرت اللذة على الفضيلة ؛ ثم تخرج سيليمين ويدخل ألسنت ليأخذ نصيبه من خداع المناققة البغيض وحديثها الكذاب .

. . .

ربما كانت (ارسينوا) تتكلف الوقار وتلهج بالفضيلة مسائرةً لغريزة النفاق في نفسها . غير انها في حديثها مع ألسنت تكشف لنا عن سبب آخر راهن ، وهو حبها لهذا الرجل المستقيم الفاضل ، واملها في اجتذابه اليها بما تظاھر به من عفة وورزاة . فاذا انفردت به رأيتها بادية السرور للافاقة ، لا تعرف كيف تلتمس السبيل للخوض في حديث معه . فاذا رئت لحاله وآلت لاعراض القصر عنه ، صارحها انه لا يشعر بالفن ولا يعتقد بهذا الاعراض ؛ واذا نوهت بمناقبه ومننت عليه إشاداتها في المجامع بذكره ، جابهها باحتقاره لهذه العادة السيئة التي درج عليها المعاصرون بأسرافهم في الاماديج يطلقونها على الصغير والكبير :

ان النفس لتلفظ هذه الاماديج ترمى بها هام الرجال .
فلقد اذاعت الجريدة اسم خادمي ، الى هذا وصلت الحال .

واذا وعدته بأن تبذل وساطتها لتلتبس له عملاً في القصر ، اجاب انه لم يخلق لئلا
هذا العمل الذي يحد من حريته ولا يتفق مع صراحته ، ويكلفه ما لا يطيق من خداع
ونفاق .

تدع الفتاة حديث الكفاية والالمية والقصر ، فهو حديث عارض تمهد به الى
حديث خطير قررت ان تفتح ببه الرجل المتشائم ، لترزعج ثقته بالغانية سليمان ،
وتحفظ به من دونها . انها الآن تبدي اسفها لهذا الصديق الذي علّق آماله بفتاة لا
تساكله نبلاً وامانة ووفاء ؛ وتستصحبه معها الى منزلها لتضع امام عينيه دلائل قاطعة
على خيانة صاحبه وجحودها .

• • •

ومنظر آخر طريف يعرضه علينا المؤلف في الفصل الرابع ، فيدفعنا الى العطف
على بطله المتشائم ويعرّضه بالابتسام من تشدده فيما لا موجب فيه للتشدد ، وهو منظر
تلك المحاكمة ينقله اليها فيلانت في حديثه مع صاحبه (الياث) . ليس أوقف للنظر
ولا اهتم على التفكّك من شهود هذا الخلاف في قاعة المحكمة بين ألسنت وصاحبه الوجه
المتشائم . عبثاً حاول القضاة ان يلينوا من مريكة الرجل ويحمّوه على الاعتراف
بشاعرية خصمه ، والفكاهة كلها قائمة على هذه السذاجة التي تتناول القضية بمنتهى الجد
وتحرص على ان تشهد فيها بمنتهى الصدق ؛ قال ألسنت :

كلا يا سادتي كلا ، فانا لا ارجع عن قولي ،
وسأجاريكم في كل شيء ، ما خلا هذا المطلب .

ماذا يغيظه ، وما عساه ان يقول لي ؟

أينقص من قدره أنه لا يحيد الكتابة ؟

ماذا يضره رأيي الذي لا يحمله محلاً طيباً ؟

لقد يكون الرجل شريفاً وهو لا يحسن نظم القريض ؛

فهذه امور لا تمس الشرف من قريب ولا من بعيد .

انا اعتبره رجلاً فاضلاً في كل شيء ،

رجلاً ذا مكانة وجدارة وقلب ،

ما شئت من نبيل وفضل ، بيد أنه شاعر رديء . . .

تسمع « آليات » خبر ألسنت ، فلا يسمها ، على استغرابها امره ، الا ان تبدي .

شديد اعجابها باستقامته وفضيلته النادرة . ويشحدث اليها « فيلانت » عن حب صاحبه للغاية الفجور ، ومن حديث الصديقين ، نفهم ان « فيلانت » يحب « اليانت » ، ولكنه مخلص لصديقه ، يطيب له ان ينزل لهذا الصديق عنها ، اذا كان في ذلك ما يسعده ويرضيه . اما « اليانت » فلا ترى حرجاً ان تفتح ذراعيها وتضم اليها هذا الوحداني العبوس ، اذا صدف عنه صاحبه ، وأحب ان يربط مصيره بمصير اليانت !! واذا المؤلف حين اراد ان ينقد شخصية بطله لم يرد ان يبخصه حقه من المحبة والاكبار .

فاذا كانت مبالغة الرجل وسذاجته وكشاؤمه تلقى التعجب والابتسام ، فان صدقه ونزاهته وعزوفه عن الدنيا يلقى العطف والاحترام . ما من احد يقرأ الرواية ويفهمها فهماً جيداً يستطيع ان ينكر الاهتمام الكبير والحرمة البالغة للذين يحوطان الرجل اينما كان ، ولا ان ينكر ما يمكنه له صديقه فيلانت من خالص الود ، وما يثيره في نفس « ارسينوا » و « اليانت » من صادق الحب . حتى الغاية العابثة الملول - سيليمين - فهي تعدّه اقرب عشاقها الى قلبها واحرام بمطفها . لقد استنكر الاديبان الكبيران فينيون وروسو ان يسخر المؤلف من بطله الفاضل وعدا ذلك خطيئة لا تغتفر (١) ؛ ونبي الرجال ان مولير لم يُعَفِّ احداً ذا اهمية في الرواية من نقده . حتى فيلانت ، فلك ان تلومه على اسرافه في التفاؤل وغلوّه في التزلّف ، كما سبق ان فعلنا . ولا ينهين عنك ان في السست مشابه من مولير ، والانسان قد يظن ليعيوبه ولكنه لا يستسخر نفسه على كل حال . ان مولير الذي يعتبر « زعيم الثورة الادبية في الدور الثاني من القرن العظيم (٢) » ، تلك الثورة التي صرفت الاذواق عن ادب الفخامة والخيال العقلي ، ووجهتها الى الطبيعية والتصوير النفسي والنقد الاجتماعي ، ليلبغ ذروة الواقعية في « كاره البشر » حيث يشيح بوجهه عن كل عبث او تهريج ، وحيث يرسم لنا صوراً تامة لاناس مثلنا ، فيهم عناصر الخير والكمال ممزوجة بعناصر الشر والنقصان .

• • •

كان الصديقان يتفاوضان في امر السست عندما دخل عليها مغيظاً يائساً يحمل في يده رسالة حب كتبتها سيليمين الى احد عاشقها ؛ واغلب الظن ان ارسينوا هي التي القها اليه ، لتزغ بينه وبين صاحبه . انه يكاد يتميز من النيط ولا تهدأ غواربه الا بالانتقام . ولكن اسلوبه في الانتقام غريب فطير يملك مرة اخرى على الابتسام : فهو

(١) L.T. 260 ، رواية : Le Misanthrope P : 95—96 (٢) Faguet 266

يقدم قلبه لاليات مؤكداً انها ستكون موضع حبه العميق واحترامه وعنايته ، يقدمه متعالياً متفضلاً بعد ان أخبرها بخطئه صاحبه ويأسه من استصلاحها ؛ ولكنك لشعر انه غير جاد فيما يمرض ؛ وانما هي احدى بدوات الرجل ، لا يرضي بها اليات ولكن ليكيد بها لسليمين ، الفتاة التي لا يزيد مكرها وعقوقها الا حباً لها وتلفاً بها . والا فما رجوعه الي صالتها وحرصه على مقابلتها ؟

• • •

انصرف الصديقان وبقي ألسست ينتظر عودة الغانية ؛ فما ان اقبلت حتى اخذ يطرها وابلاً من لعناته . وعرفت الماكرة الفضب في وجه الرجل فعمدت الى السخرية تبدد بها غضبه . لقد كان يشك في وفائها ، اما الساعة ففي يده الدليل القاطع على خيانتها ؛ كأن تبدلها وخلعتها لم يكونا من قبل كافرين ليرداه عن عشرة الفتاة ويؤايساه من محبتها ؛ ان متاعب الرجل كلها في ظهوره في غير وسطه الملائم ، وان الفكاهة كلها في هذه المبادي القويمة يلجج بها ألسست في موطن النفي والفجور ؛

قال ألسست ان خداع الغانية قد اطار صوابه ووقع عليه كل موقع . وليس ذلك لانه يريد ان يفرض عليها حبه فرضاً ، فهو يعلم ان القلوب لا تنكّر على حب ، وان هوى النفس لا يقالب . وانما آلمه منها وأوجده عليها أنها منته الحب ووعده الوفاء ، ثم سخرت منه وغدرت به . لن يقف مكتوف اليدين امام خيانة هذه المرأة ابداً ، ولقد آذنها بحرب لا هوادة فيها ولا لين . ورأت سليمان الرسالة ، ولكنها لم تضعف ولم تفقد دهاها وحضور ذهنها ؛ بل صعدت فيه بصرها وقالت متحدية بذلك الاسلوب الماكر الذي تنقنه الغانيات من سكان القصور - ولم يصور الشاعر أرسوقراطية القصور وتعقيدها والتواءها في غير هذه الرواية - قالت متحدية : أهذا ما أطار صوابك اذن ؟ وخيل الى الرجل ان صاحبه تعصم بالانكار ، ولكنها كذبت ظنه ولم تنكر ؛ أتراها لا ترى حرجاً ان تكتب الى ذلك الشويمر اورونت وان تحدته بوفائها وتبثه اشواقها ؛ هنا تقلب الفتاة لصاحبها ظهر الحزن وتركه في حيرة من امره ، اذ تنكر ان تكون الرسالة الى اورونت ، كما آلت في روعه ، او الى كائن من كان من الرجال ؛ انها رسالة الى احدى صديقاتها ؛ وان ألسست في نظر الغانية مهووس تعبت به الاوهام ، وحيب عرف مقامه فتناول ؛ فاذا حاول ان يستزيدها علماً ابت ان يزيد لأنها لا تريد ان تضع امامها موضع الشكوك ، وتصامت عنه ووكلته الى وساوسه ؛ فاذا التقى العاشق ينحني

عوده امام هذه الصلابة ويُغمض على ما في صاحبته من خداع ، واذا به يروح لها بشديد .
غرامه ، ويؤكد لها انه ما كان ليتحدّ وينذر بالويل لولا حبه الالاهب الصادق ؛
أرأيت الى هذا الفن المصقّي في تصوير البيئة الفرنسية الرفيعة ، والى هذه
المقدرة العجيبة في القوص على النفوس واستجلاء اسرارها ، وإبراز ما يصطرع فيها من
فكر وعواطف ورغبات ؟

• * •

هأنذا في الفصل الخامس ؛ وامامك ألسنت قد بلغ من التشاؤم منتها . ومن
سوء الظن بالناس اقصاه ، بعد ان خسر دعوى له في القضاء . لقد وطّد العزم جازماً
على ان يعتزل هذا المجتمع المنافق الظالم ، الى صحراء خلوية لا يكلم فيها انسياً ولا يراه :
كل الدلائل كانت ضد خصمه ، الشرف ، الامانة ، الطهر والقوانين . في كل مكان
يلهبون بعدالة قضيته ؛ ومع ذلك فانه قد خسرها . لماذا ؟ لأنه اطمأن الى وجدان القضاء
وابت عليه الكرامة ان يستميلهم اليه بغير الحق . اما خصمه فقد عرفه الناس خوفاً ايما
لاخلاق (١) له من مروءة او فضل ، ولكن المكر والرياء استطاعا ان يقلبا وجه العدالة وان
يقتصبا له الحق من صاحبه . ومعنى ذلك ان هذا المعتدي الآثم قد تؤجّج فاحشته بحكم
القضاء ؛ ثم انظر الى أين تصل سفاهة الانسان : ان خصمه لم يكتف بما سلبه من حقه ،
بل اخذ يوزّع على الناس كتاباً قبيحاً ممنوعاً باسم ألسنت . اما اورونت ، ذلك المتشاعر
الذي تورّط صاحبنا بمصارحته برداء شعره ، فقد كان يدعم موقف الخصم الجبان ،
لا لشيء الا ان السست لم يرد ان يغشه ، وأدلى اليه برأيه صادقاً . واورونت بعد هو الذي
حملة على قول الحقيقة حملاً ، بما زعم له من حرصه عليها واحتقاره لمن لا يجسرو على
المصارحة بها . هؤلاء هم الناس ! وهذا هو مصير الامانة والصدق والاستقامة ؛ أفيرجوه
بعد هذا كله صديقه ؟ فيلانت ، ان يكون واسع الذرع محباً للناس حريصاً على عشرتهم ؛
لا شك ان مولير كان جاداً في تقده المجتمع على لسان بطله المتشائم ، اذ لا ينبغي لنا دائماً
ان نفسى من حياة المؤلف تلك الفترة القائمة التي اوحى اليه بنظم هذه الملهاة العظيمة ،
كما لا ينبغي لنا ان نفسى ما بين مولير وبطله من تقارب وتشابه في ظروف الميش والمزاج .
على ان مولير لا يريد لبطله ان يبتس ولا يريد له ان يتشائم ويفقد قدرته على الكفاح وامله

(١) الخلاق : النصيب

بالحياة . انه لا ينكر مافي مقاسد المجتمع وظلم الانسان للانسان من محنة ، ولكن المحنة الكبرى أن تسود قلوبنا وتسوء نفوسنا فنضطفن على الناس ونفارق الجماعة ، من حيث يجب ان نثبت في الميدان وتقاوم احزاب الشر ونصلح من امر هذه الدنيا . ان مولير لا ينكر قيمة الفضائل التي يتحلى بها بطله ، من صدق وصراحة في الحق واستقامة ، ولكنه لا يريد له ان يكون فظاً غليظ القلب ، بل كيمساً مدارياً ، يتناول الأمور برفق ، وحاذقاً ذكياً يفرق بين جدّ المواقف وهزلها ، فللاول الصراحة في الحق والمضاء فيه ، وللآخر تلك الاغضاء الصكريمة السمحة ، وتلك الابتسامة الذكية الحلوة .

• • •

اثنان من عشاق الغانية حاكت في صدرهما الوسواس وقررا ان يكشفاهما بها ويسألاها ان تعلن موقفها صريحاً امامها ، هما ألسنت واورونت . واحست الماكرة بمخرج الموقف وأتست من الرجلين شهوة للكلام ففسحت لهما في التحدث بمسا في نفسيهما ريثما تستعيد هدوءها لتتحكم لهما جواباً مسدداً . قالت الخبيثة : لكما الله من رجلين ملحين زائعين ؛ وليس ذلك أنني مترددة بينكما ، لا اعرف ما يقضي به القلب ؛ ولكنني لا أرى الحكمة في ردّ الخائب منكاً في حضرة الفائز . ان الرجل الذي وضعت فيه آمالي ليكفيه ما يعرفه من حيي ، ويغنيني عنده عن ان أجبه الناس بين يديه باعراضي . وأخيراً فبحسب المحب ادلة رقيقة ليعلم شقاءه وخيبة مساعيه .

قالت هذا بمباراة مضطربة تعكس لنا ما في نفسها من حيرة واضطراب ، كما نبه الى ذلك الشارح الاستاذ ف . جيراند (١) .

بيد ان الرجلين لم يقنعا بهذا القول الغامض المبهوش وأصررا على الفتاة ان تصارحها بمن تختاره منها ، واكدوا لهما انها سيتقبلان صراحتها راضيين ؛ ولكنهما ما زالت تداور وتراوغ حتى أشرف عليهم فيلانت واليانت ، ثم المريكيزان أ كاست وكليتاندر ومعها السيدة أرسينوا .

• • •

دخل المريكيزان يحملان رسائل كانت سيليمين قد كتبتهما الى كل منهما فتبادلاها وقرأها ؛ ما من رجل منهم جميعاً الا ذكرته هذه الغاوية في رسائلها ورحمته بسخريتها . وقف احدهم يقرأها عليهم وجعل كل منهم يصليها لعناً وهزواً ؛ وتقدمت ارسينوا ، تلك

Le Misanthrope P : 83 في Félix Girand (١)

السيدة المرائية التي كادت لسليمين في الخفاء ، تقدمت توبّخ صاحبته على عقوبتها
لألسست ؛ ولكن ألسست قاطع هذه السيدة الماكرة بعنف وأبان لها الاحتقار وصارحها
ان دفاعها عنه مبالغ فلن يحمله على التفكير فيها ولا على الانتقام من صاحبته بها ؛
وانسحبت ارسينوا وانسحب أكاست وكليتاندر واورونت ؛ وتوجه السست الى فتاته
يصغي الى اعترافها بكبير خطئها ، ويلوم نفسه على عجزه عن هجرها ، ثم يعرض عليها
عفو شريطة ان تمزّل الناس معه في وحدته ، في صحرائه ؛ ولكن الفتاة ترّعب من ذكر
العزلة والصحراء ، وتكتفي بالمواقفة على الزواج ؛ فيأبى ألسست ، ويتغلب لشأؤه وفوره
على حبه ؛ فيهجر صاحبته ويعلن انه لن يلبس بعد اليوم هؤلاء الناس ولن يختار شيئاً على
حياة الوحدة ؛ ثم يخرج ، ويتقدم فيلافت من صاحبته اليانت فيطلب يدها وتوافق الفتاة
الطيبة ويسدل الستار .

• • •

مجمع الادباء على ان رواية « كاره البشر » هي اعظم ما ولدته عبقرية مولير ، وعلى
لعالم الفكرية التي لا تجارى . ومع ذلك فقد كان اقبال الجمهور عليها
، ثم اخذ يزداد شيئاً فشيئاً ، ولكنها لم تصادف النجاح الذي صادفته
روايتا « طرطوف » و « البخيل » على كل حال . ويعزو اكثر النقاد ذلك الى خلو الرواية
من عقدة مسرحية تقري الجمهور بتابعها الى النهاية (١) . والحق اننا عندما قرأناها
استوقفنا فقدان العنصر القصصي فيها ، فلا حبكة ولا مفاجآت ولا حوادث ذات بال ؛
فالقاري لهذه الرواية يحظى بمتعة عقلية بعيدة عن الجو التمثيلي وشبيهة بتلك المتسعة
العظيمة التي يصادفها حين يقرأ المحاورات الفلسفية لافلاطون . فالرواية في الاساس قائمة
على فكرة تؤيدها أحاديث ومواقف قد أحسن المؤلف اختيارها واحكم عرضها ، ولكنه
لم يستطع ان يبعث فيها الحركة والحياة اللذين لا بد منها في كل اثر تمثيلي ؛ فجاءت رواية
« كاره البشر » تمثيلية هي اصلح لرجال الفكر ، كما يقول فولثير ، منها للجماهير الشعب ،
وأجدر بالقراءة منها بالتمثيل (٢) . العمل الروائي كله قائم على هذا التحليل الرائع
للطبائع . والدعابة كلها تصدر عن هذه الدراسة الرفيعة الرائقة للعادات (٣) . حتى خاتمة

(١) راجع نبذة من آراء الادباء في الصفحات 98—91 الملحقه برواية Le Misanthrope
تم الصفحتين 6—5 من مقدمتها ثم L.U مادة Le Misanthrope ، ثم 260 L.T. P.
(٢) Le Misanthrope 95 (٣) L.U مادة : Le Misanthrope

الرواية ، فليس فيها ما يفاجئ النظارة ويهز مشاعرهم ؛ لقد أعلن ألسنت هجره للفنائه العابثة وفارقها غاضباً ، فهل كان هذا الهجر حاسماً ام انه احدى بدوات البطل المتشائم وظاهرة من ظواهر ارادته الكلية ، فلا نلبث ان نراه يعود سيرته الاولى ، فيشكوسطوة الحب ويندد بالمكر والخداع ثم يستسلم لسحر مالكنه من جديد ؟ لا نعلم ، ولكن بما لا شك فيه ان سواد الشعب لا يرحب بقصة تنهى باشارة استفهام حار كهذا (١) . ماذا اراد مولير من هذه الملهاة ؟ اراد ان يقدم الى رجال عصره أثراً فنياً خالصاً من كل دعابة او عبث او خروج عن الطبيعة ، فخيّل اليه انه يستطيع ان يركّز هذا الاثر على دعامتين لا ثالث لهما : اولاهما فكرة في فلسفة المجتمع تنادي بالحبّة والتسامح في معاشره الناس وبالرفق والحكمة في معاملتهم والتعاون معهم لتحقيق الخير العام ؛ والاخرى صورة معروضة في لوحات فنية محكمة للحياة الاجتماعية الراقية في القرن السابع عشر بكل ما كان فيها من تبذّر وتستّر ورياء وادعاء وسخف وتزوّت ؛ هذه اللوحات او المشاهد المتتالية تواكب الفكرة العامة وتؤيدها وتسير بها عند النهاية الى قلب القارئ وعقله . والحق ان مولير وفّق في الدعوة الى فكرته الفلسفية هذه وفي رسم صورة دقيقة لتلك الحياة الاجتماعية بما ليس وراءه مطّاع لراغب او زيادة لمستزيد . غير انه لم يصب شاكلة الصواب من الوجهة المسرحية الفنية الخالصة . وليس ذلك لانه لا بد لكل تمثيلية من عقدة او حبكة او قصة ، سُمّها ما شئت ، تدور عليها وتلتبس لها الحلول ؛ كلا ، فقد سبق ان بينا في دراستنا لمبادئ المسرح الاتباعي امكان الاستغناء عن هذه الحبكة ، والاستعاضة عنها بصورة حية تقدّم عن حياة امة او رجل عظيم . . . على ان يكون في هذه الحياة ما يثير اهتمام النظارة ويمسك عليهم صبرهم الى آخر دقيقة . ولا شك ان مولير خطا خطوة جبارة في الادب الواقعي حين صرف النظر عن العقدة في « المتأنقات المضحكات » و « مدرسة النساء » وخصوصاً في « كاره البشر » . وحسبك ان تعلم ان شيخ المسرح في العالم - ونعني به شيكسبير - قد توجّ حياته الفنية الجليلة برواية لا عقدة لها بالمعنى المعروف ، وذلك في آخر دراماته : « هنري الثامن » . غير ان في حياة هنري الثامن كملك ما يثير الحركة والحياة فوق خشبة المسرح وما يبعث على الاهتمام البالغ الذي لا بد منه في كل تأليف مسرحي ، الامر الذي خلت منه رواية « كاره البشر » وفقدت عنصراً

(١) مقدمة الرواية 8 : P

فعالاً من عناصر القوة فيها . وشيء آخر لم يصب فيه المؤلف كبدا الحقيقة وهو تركيزه هذه الملهة على فكرة عقلية وسوقه ابطال الرواية الى احاديث جدلية مملة احياناً ولا تتفق كثيراً مع طبيعة الحوار الروائي الناشط ؛ وهذه ظاهرة تستوقف النظر في أكثر ملاهي الكوميدي العظيم ؛ فأنت تشعر امام هذه الملاهي انك مقبل على دراسة موضوع قبل كل شيء ، وان هذا الموضوع يتحكم في فن المؤلف ويحمده به عن التجرد الفني والمهدف التصويري الاول ، كما انه يرد الحوار احياناً اذ يسوقه الى سلسلة مناقشات تعليمية لا تلائم طبيعة المسرح .

• • •

لم يكن الجمهور وحده هو المسئول عن هذا الفتور الذي قوبلت به رواية « كاره البشر » ، بل كان مولير كذلك مسئولاً الى حد بعيد . على ان مولير لم يسلك في الرواية هذا الطريق الا بعد اختبار وطول نظر . فقد علمت انه لم يعد « خرو سماً من وقت او جهد في نظرها ، بل استمر في انشائها عامين كاملين . يرى الاستاذ ف . جيراند ان الشاعر لم يكن ليخفي عليه شيء من اسرار مهنته وانه اعلم الناس بذوق الجمهور ؛ فهو لم يلق هذا الاعراض لجهل منه او اهمال ؛ ولكنه قصد هذه المرة الى عمل فني خالص ووطد النية على تحقيقه اياً كانت العاقبة (١) . ومع اننا لا نجادل في الغرض الذي رمى اليه الشاعر ، وهو رسم صورة انتقادية للبيئة الاجتماعية وللرجل الثقور ، فاننا نشك كثيراً في انه كان يتوقع هذه النتيجة حين تخطى مقتضيات المسرح . فالرجل يمثل يعيش من مهنته وتعيش معه فرقة كبيرة ، فهو ينظر الى كسبه اولاً والى فنه بعد ذلك . بل اننا سنقيم الدليل على انه كان لا يرى فناً في غير ارضاء الجماهير واجتذابهم الى مسرحه . بيد أنه احب ان يسير في مذهبه الجديد الى آخر الشوط وشجعه على ذلك نجاح بعض رواياته الاولى على خلوها من الحبكة ؛ فاستغنى هذه المرة عن الحبكة والفكاهة الصارخة معاً ، واصبح اسير فكرة واحدة توجه عمله كيفما تريد ؛ فقصر بذلك في حق الجمهور والفن : فلما تقصيره في حق الجمهور فلما انه حين صرف النظر عن التهريج والحبكة وتوغل في جدله العقلي حرم النظارة لذة كبيرة وان لم تكن رفيعة ؛ واما تقصيره في حق الفن فلما انه اغفل مقتضيات المسرح من حركة وتبديل وحياة ، فضلاً عما في وحدتي الزمان والمكان

من تضيق ، فاصبح النظارة مضطرين الى ان يقسروا انبساهم الى بضعة اشخاص في صالة واحدة ساعتين كاملتين !

كان مولير اذاً يجاري تفكيره الفني عندما كتب اثره العظيم هذا ، ولكنه لم يوفق فيه من الناحية المسرحية كثيراً . وقد أثر هذا الاخفاق ، او على الاصح هذا النجاح الذي لم يكن يحقق آماله ، في نظراته الى الفن على ما يظهر لنا تأثيراً كبيراً ، بدليل عودته في ملاحيه التالية الى الحكمة والتفاته الشديد الى عنصر الفكاهة ، بسد أنه لم يتخل عن القيد الفكري والاخلاقي الا نادراً ، أعني انه لم يتنازل عن ان يكون ملاحيه فكرة تدعو اليها ، كما في « النساء العالمات » و « مريض الوم » ، او غرض اخلاقي كما في « البخيل » .

• • •

لم يمض شهران (١) على اخراجه « كاره البشر » حتى فرغ من رواية اخرى ثرية ذات ثلاثة فصول هي : « الطيب رغم أنه » (٢) . لم يهاجم هذه المرة احداً ، فقد آذته عداوة الناس وقتصت عيشه ؛ ولم يستغن عن الفكاهة والحكمة ، فقد آلمه اعراض النظارة عن رواية لا حوادث فيها ولا عقدة ولا هرل . فرأس ما يعني به الآن هو ان يرضي جمهوره بما يثير من اهتمامه ويستجيب الى رغبته في الضحك والسرور . انه يريد النجاح اولاً ، وما يترامى له انه فن بعد ذلك . ان رغبة الجمهور مقدمة عنده على قواعد ارسطو وهوراس وشابلان ودوينياك (٣) ، بل على رغبته هو واجتهاده : « انكم تقوم مضحكون بمبادئكم التي تشغلون بها بال الجهلاء وتقلقوننا بها على الدوام . . . وبودني لو اعلم أليست القاعدة الكبرى ، قاعدة القواعد ، هي ان تفوز بالرضى وحسن القبول (٤) » ، « ان المؤلفات التي تجاري القواعد لا تسر احداً ، والمؤلفات التي تسر لا تجاري القواعد ؛ فالقواعد اذاً لم توضع بفهم وإحكام . ، ولم يكن مولير بدعاً في مذهبه هذا ، بل كان بوالو وراسين على هذا الرأي كذلك . قال الاول : « سر الفن ان تعجب وتؤثر » ، وقال الثاني : « القاعدة الاساسية هي ان تعجب وتؤثر ، وما دون ذلك خدَم لهذه القاعدة وسبيل اليها (٥) » :

كان الخطاب سجاناريل يقسو على امرأته ويوسعها ضرباً ؛ فارادت ان تفتقم منه ،

(١) Molière 180 (٢) Le Médecin malgré lui (٣) d'Aubignac
(٤) Van Tighem 63 (٥) Faguet 284

فأُسرَّت الى خادمي الرجل الطيب « جيرونت (١) » ، اللذين كانا يبحثان عن طبيب لابنة سيدهما « لوسيد (٢) » ، أن سجاناريل طبيب لا يجارى ، ولكنه لا يتعمد مريضاً ولا يبذل علماً ومعروفاً إلا تحت وطأة العصا . نجحت خطة المرأة ، وقبض الرجلان على الزوج الخطاب ، وأرغماه بمصاهما على الاعتراف بأنه طبيب ، ثم ألبساه ثوب الطبيب وقبعته ، وقاداه الى سيدهما ، ليلتمس دواء شافياً للفتاة التي تظاهرت فجأة بالبكم . وآنس الخطاب سداجة في السيد وفيمن حوله ، فنشط يعمل بكل ما فيه من جهلٍ وتهريج ، وكان مع ذلك موضع ثقة الجميع واحترامهم . لقد تبين ان الفتاة لا تشكو الا رغبة الاسرة في منعها من الزواج بشاب احبته اسمه « لياندر (٣) » . فجاء به متنكراً في زي « صيدلي الى غرفة الفتاة ، فسرعان ما عرفته ، وعاد اليها نطقها . ثم سهَّل على العاشقين سبيل الفرار . ولقد كاد عمله هذا يكلفه غالياً جداً ، لولا ان الشاب العاشق مالبث ان عاد : لقد توفي عمته منذ هنية ، فورث عنه مالاً كثيراً ؛ وقد صحَّ ظنه ان القوم لن يتأدوا في جفائهم بعدما يعلمون من ثرائه ؛ وهكذا تزوج العاشقان (٤) .

ما هي الفكرة التي اراد الشاعر ان يدعو اليها ؟ ما هو المغزى الاخلاقي الذي يرمي اليه ؟ ليس للرواية فكرة ولا ترمي الى هدف الاستعادة جماهير المعرضين عن مسرحه ، وردت قتهم اليهم بمقدرة الشاعر على اشاعة المرح في نفوسهم . فجعله غرضه و« كئده (٥) » الاضحاك ، ولا شيء غير الاضحاك .

ثم منطقية الحوادث ؟ كيف أُلحِيت امرأة الخطاب هذا الكيد لزوجها ، كيف صدَّق الرجلان قولها ، كيف تجرَّأ خادمان على ضرب طبيب ؟ من أين جاءه بقعة الطبيب وثوبه ؟ كيف أذعن الخطاب بهذه السهولة لرغبة الخادمين فمثل دور الطبيب ؟ كيف جاز الأمر على الأب وافراد الأسرة ؟ ثم كيف تُنكَّر لهم الشاب العاشق في زي صيدلي فلم يعرفوه وعرفته الفتاة ؟ وهذه الفتاة كيف استطاعت ان تمثّل دور البكاء بهذه البراعة ؟ ثم كيف اتفقت هذه الوفاة ومن اين هبطت هذه الثروة في ساعة العُسرة ؟ وادّا صحَّ بعض هذه المستبعدات فكيف صحَّت كلها معاً ؟ الحق ان مولير لم يقصد هذه المرفة الى الحقيقة ، وانما قصد الى مفاكهة الناس ؛ غير أن الناس كانوا يرتضون رواية ذات فكرة

(١) Géronte (٢) Lucide (٣) Léandre (٤) استعنا في تلخيصها على :

Le médecin malgré lui : مادة Larousse du xx me siècle

وعلي L.T. : 260 (٥) سميّه ، جهده

او مغزى اخلاقي كما ارتضوا طرطوف وكما سترام برضون « النساء العالمات » على ان
يمازج الاحاديث النافعة بعض ما عند الشاعر من فكاهة وخفة روح ؛ ولكن مولير لم يكن
في حالة تقسية تسمح له بالتفكير في المودة الى هذه الطريقة : كل من حوله كان إلثبا
عليه (١) ، كانت الفرقة كلها مهددة بالشتات ، فلم يمن هذه المرة إلا بأن بلغت اليه انظار
الجمهور ويهفي اليه قلوبهم . والحق ان الجمهور ضحك لهذه الرواية وضحك حتى لم يستطع
ان يفكر فيما فيها من إحالات ومستبعدات . انظر الى الخطاب سجاناريل وقد توفّر على
مهنته بمجد واهتمام يستضحك لها الوقور ، واضحك ملء شديك على ما يكشف في حججه
من علم غزير : . . . غير ان هذه الابخرة التي حدثكم عنها ، عندما مررت من الطرف
الأيسر ، حيث الكبد ، الى الطرف الأيمن ، حيث القلب ، اتفق ان الرئة ، التي ندعوها
باللاتينية « أرميان » ، وهي ذات اتصال بالدماغ ، الذي ندعوه باليونانية « ناسموس »
بواسطة الشريان الأجوف ، الذي ندعوه بالبرية « كويل » ، اتفق ان الرئة صادفت
الابخرة المذكورة وهي في طريقها تملأ تجاويف عظم الكتف ؛ وبما ان لابخرة
المذكورة . . . افهموا جيداً هذا الدليل ، ارجوكم . . . وبما ان لابخرة المذكورة
بعض الخبث . . . اتوسل اليكم ان تصفوا جيداً لهذا . . . ، اقول بعض الخبث الناشئ
عن . . . اتبهوا من فضلكم ، الناشئ عن حادية الأخلاط المولدة في تجويف الحجاب
الحاجز ، فكان أن هذه الابخرة . . . اوسابوندوس ، نوكيس ، پوتارينوم ،
كيساميلوس : هذا على الضبط هو ما أمرض ابتك . . . وقد شاع استعمال هذه الجملة
الأخيرة على سبيل السخرية لوصف كل بيان ينطوي على الجهل والادعاء . ثم اضحك
لسذاجة الأب الذي وقف مشدوهاً امام هذا النطاسي الكبير ، ولم يهجم في خاطره الا
وسواس ضئيل ، بإح به امام سجاناريل في هيئة وخشوع : « ايس في المستطاع مناقشة
الامور على نحو اصلاح ، ولا شك . ولم استغرب إلا شيئاً واحداً : هو مكان الكبد
والقلب . يلوح لي انك تضعها في غير موضعها : فالقلب في الطرف الايسر ، والكبد في
الطرف الايمن . » قال سجاناريل : « نعم ، لقد كان الأمر كذلك فيما مضى ؛ غير اننا
بدلاً لنا كل ذلك . » لقد درج الناس منذ عهد مولير على استعمال هذه العبارة الأخيرة :
« اننا بدلاً لنا كل ذلك » للسخرية من اعمال الاصلاح يؤتي بها على غير ما يرضي الذوق
السليم والوجدان المستقيم (٢) .

(١) اي كانوا مجتمعين عليه بالفلم والعداوة (٢) راجع la rousse du xx me siècle

فتوخي الضحك اذن غاية نفعية لا تختلف عن توخي التعليم او عن اقحام
المواعظ او عن ترويح بعض الآراء ؛ وآية ذلك ان الشاعر يخرج عن الطبيعة اذا جعل
همه وديته ضحكا صاغيته ، كما يخرج عنها اذا اقحم علمه ونصائحه وآراءه . فليست
رواية مولير هذه بالمهابة الصحيحة ، ولكنها نوع آخر من الفن : هي تهرجة Farce
رائعة ، عظيمة ، ما شئت لها من ضروب الثناء . فليس بالهين ان يوالي الممثل على
النظارة الفكاهة بهذا التدقيق وهذه السهولة ، حتى يغربوا في الضحك (١) ولا يابهوا
لصحة القصة ومنطق الحوادث . اذا اردت ان يكبر طحالك وينفخ من الضحك ، كما
يقول شيكسبير (٢) ، فانا انضحك بقراءة مولير ، وبخاصة روايته هذه وروايته
الأخرى «البورجوازي النبيل» ؛ واذا ركبت الهم وغرب عنك الحظ فليس أروح
على النفس وليس اطب لأدوائها من قراءة آثار مولير . يقول الاستاذ لانسون : «ان
فكاهة مولير لتجاسس في بابها سمو كورني .» وجاء في موسوعة «لاروس القرن
العشرين» (٣) : «ان مولير الذي قام بدور سجاناريل ، قد افسح المجال لطبعه السيئ
من الدعاية الطلقة الصارخة ، في هذه التحفة من الجذل الدافق .» ليس آثار مولير
فحسب ، بل حياته نفسها يعود عليك تصفحها بالصبر والشجاعة والرضى . اقرأ حياة
هذا الشاعر النابغة فقها مسلاة احزانك وعضدك في المواقف الأزلمات ؛ اي رجل
هذا الذي كتب «كاره البشر» ومثلها ثم راح يكتب «الطبيب رغم انقه» ويقوم بالدور
الاول فيها ؟ اي قلب هذا الذي ينبض بالألم ، ثم يفيض بهذا المعين من السرور ؟
واتر الشاعر انتاجه بعد ذلك فكتب : «ماليسرت» «الصقلي» «أمفيتريون»
«جورج داندان» (٤) والجدير بالذكر أنه كتب «امفيتريون» شعراً مرسلأ ؛
وانه وفق في أكثر هذه الملامح في الخطوة عند جمهور الباريسيين (٥) . ثم أخرج رواية
«البخيل» عام ١٦٦٨ ، وهي إحدى روايته الشهيرة ؛ وقد عاد فيها الى تركيز الموضوع
على مغزى اخلاقي ؛ فرسم صورة فكاهية للبخيل وحلل نفسيته وعرض صوراً أخاذة
عن تدبيره واعماله . غير انه لم يهمل فيها عنصر الفكاهة ، وهو الضامن الاول لنجاح

(١) أغرب في الضحك : بالغ فيه (٢) في روايته : الليلة الثانية عشرة Twelfth Night

(٣) مادة Le Médecin malgré lui (٤) Le Sicilien, Mécicerte

George Dandin, Amphitryon كتب الاخيرتين عام ١٦٦٨ (٥) راجع ما

جاء في كتاب : Molière عن هذه الروايات بين ١٦٦٨—185

المهارة في ذلك الحين . لقد عاد اليه هدوء اعصابه واخذت نظرته الى الفن تنقيراً . لن يكون عمله بعد اليوم هزلاً محضاً ، ولن يكون جدّاً محضاً : « لا حقيقة من غير دعاية ، ولا دعاية من غير حقيقة »^(١) ، هذا هو المبدأ الذي جهد لتحقيقه في روايته الجديدة ، والذي وضعه نصب عينيه في انتاجه الادبي بعد ذلك ؛ وهو المبدأ الذي نادى به زعماء الاتباعيين . قال بوالو في منظومته الشهيرة « بفن الشعر » :

الا فلتُضَيَّفْ على الدوام قريحَتكم الولود
لطيفَ الفكاهة الى كل درسٍ مفيد
القارئ اللبيب يتجنب العيب في تسليته
ويريد ان يعود عليه بالربح كل وقت يمضيه^(٢) .

وقديماً أدلى الناقد الروماني هوراس ، وهو الذي تأثر به ادباء الاتباعيين في القرن السابع عشر ، بنصيحته الى الشعراء فقال : « اذا شئت ان تستميل اليك الجمهور فامزج النافع بالمتع ، لتثني اليك قلب القارئ »^(٣) وانت تقيده علماً^(٤) :

كان البورجوازي الأرمل « هارباجون » يعيش في باريس مع ابنه « كليان » وابنته « إلزا » . وكان على سعة ثرائه بخيلاً كز^(٥) ، يقتتر على نفسه وعلى اهل بيته ؛ وتلمح اثر الحرمان في ثياب خدمه الرثة وفي تحول خيله ، اذ قضت الظروف ان يكون له خدم وعربة وخيل ؛ اما هو فقد كان يشتر ماله^(٦) بالربا الفاحش . وكان في حوزته مبلغ كبير من المال قد أهمته واقلقه ، لأنه لم يكن يثق بالصناديق الحديدية ، فدفنه في ارض حديقته وما زال يخاف ان تمتد اليه يد اللصوص . تعرفت ابنته الى شاب أنقذها من خطر داهم فأحبته ووعدته سرّاً بالزواج ؛ وقد استطاع ان يكون على مقربة منها اذ تولت ادارة اعمال ابها . غير أن هارباجون كان يريد ان يزوجها شيئاً يدعى « آلسيم » ، لانه رضي ان يصير اليه « من غير بائنة » ، وهو تمبير ذهب بعدئذ مثلاً . اما ابنه فقد احب فتاة فقيرة اسمها « ماريان » فأضطره الانفاق عليها الى التفكير في الاستدانة من احد المرايين . وقد اعلمته الوسيطة ان مرابياً رضي ان يقرضه مبلغ خمسة عشر الف ايرة ، ولكن بفائدة ظالمة ، وعلى ان يؤدي اليه خمس المبلغ من سقط متاعه ، مقدراً باضعاف ثمنه ؛ فلما وفد الفتى على هذا الدائن الجشع ألفاه اياه ، فتبادل الرجلان

(١) Lanson 529 (٢) P : 98 L'Art poétique (٣) يابساً ، متقبضاً

(٤) ثمر الرجل ماله : ثناء وكثرة



هراغون: — تعال ، يجب ان ارى ، ارني يدك
لافليش : — ها ها .

قوارص السكلام ، وجرت يراعة المؤلف بمنظر من اروع المناظر الفكاهية . وزاد الحبكة تعقيداً ان هارباجون يرغب في الاقتران بهاريان ، وقد كلف الوسيلة المذكورة ان تفاوض ام الفتاة في هذا الموضوع ، فعادت اليه بموافقة الأم ، وادهمته ان الفتاة تكره الشبان ولا يستهويها غير الكحول ؛ وزعمت له أن هاريان عدلت ذات مرة عن الزواج من رجل بعد اذ تبينت انه دون الستين ، وبعد اذ رآته يوقع عقد الزواج من غير ان يضع نظارتين على عينيه ؛ وانها لا تزيّن غرقها إلا بصور الشيوخ الغانين ، كما تورن والملك بريام والمعجوز نسطور والأب انشيز محملاً على كفتي ابنه . ثم هي تبدد وسواسه وتقنعه بكفاءته ان يكون زوجاً للفتاة : فبحسبه انه شيخ ذو لجة يحمله السعال وبزينة الرداء القديم ؛ هنا تخرج الملهة عن الطبيعة وتنحط الى الهرج ؛ وهو امر شائع في ملاهي مولير ، فبينما هو يسير بحكمة واتزان ، اذا هو يبالغ حتى يخرج الى المحال ، ليهز شعور الجماهير ويدفع بهم الى الضحك العنيف . غير ان شيئاً آخر ينقص على الرجل سروره : لن تقدم اليه « هاريان » بائنة ؛ فالوسيلة تجهد أن تبين له ان الفتاة الفقيرة اقدر على الاقتصاد ورعاية مصالح الزوج ، ولكن هذا القول لا يقنع الشيخ البخيل ؛ فاذا ما طلبت منه الوسيلة بعض المال تصام عنها ولم يأبه للاحاها .

وفي الفصل الثالث نجد « هارباغون » قد ازمع على اقامة مأدبة لصاحبه ، احتفالاً بالعقد المنوي توقيعه . وهو الآن يضاعف الاوامر الى « المعلم جاك » ، وهو حوذي البخيل وطباخه ، ان يقتصد ما امكن في النفقات . ويريد فالير عشيق ابنته ان يتلمّقه ، فيؤيده في طلب الاقتصاد ويبيّن له ان امثال هذه المآكل يضر بالصحة ، « وان الانسان يأكل ليميش ، لا يعيش ليأكل . » وتقع هذه الكلمات برداً وسلاماً على قلب البخيل :

البخيل : ما احسن ما قلت ! اقرب اقبلك لهذه الكلمة . هذه اجمل حكمة سمعتها في حياتي . يجب ان نعيش لنأكل ، لا ان نأكل لن . . . لا ، ليس هكذا . كيف كان قولك ؟

فالير : انما يجب ان نأكل لنعيش ، لا ان نعيش لنأكل .

البخيل : نعم . اسمعت (١) ؟ من هو الرجل العظيم الذي فاه بذلك (٢) ؟

فالير : لا اذكّر الآن اسمه .

(١) يخاطب المعلم جاك (٢) يسود الخطاب الى فالير

البخيل : تذكر أن تكتب لي هذه الكلمات . اريد ان انقشها بحروف الذهب على مدفأة غرفتي (١) .

غير ان هارباجون لم يكن يطمئن الى موقف ابنه من ماريان . ان الشكوك لتعبت به وتأكل قلبه . وانه يريد ان يحتال لابنه ليعلم حقيقة امره . فهو يكشفه بعددوله عن الزواج بالفتاة ، بعد ان فكّر جيداً في شيخوخته ، ويقترح عليه ان يتزوجها هو . فتجوز الحيلة على الشاب ويروح لوالده بسرّه . هنالك يرمي هارباجون قناعه ، ويأمر ابنه ان يصرف النظر عن الفتاة ؛ فيأبى الولد ويمتلكه العناد ، وتلجّ الخصومة بين الاثنين ويتحرج الموقف ويكفهر "الجو" . ولكن "لافليش" ، احد الخدم ، قد نبش الصندوق ، وافنقدها البخيل فلم يرها ، فطار لبه ، ونسي امر الزواج ، واندفع يهبط عن يأسه ، بنجوى مضحكة مؤثرة ممّا . وسلم الخادم الصندوق الى ابن سيده "كليانت" ، ولكن الشكوك حامت حول فالير ، وطليب اليه ان يصرح بحقيقة اسمه ففعل . بالروعة المصادفة لقد عرفت فيه ماريان اخاها ، وعرف فيها الشيخ "آكسيل" ولديه ، وكان قد اضعها في حادثة غرق . عندئذ فاجأ القوم كليانت ، واخذ يعرض على ابيه اعادة مسروقه اليه ، على ألا يفكر بعد اليوم في الزواج من ماريان . وأفرخ روع البخيل ، ورُدّت اليه روحه فرعان ما اعلن موافقته ، ورضي الجميع ان يتزوج فالير إلزا ، وكليانت من ماريان ، وشملت المتزوجين أرميئة الشيخ الغني "آكسيل" ، اذ تعهد ان يقوم بكل النفقات .

. . .

هذه هي الصورة التي رسمها الشاعر للبخيل ، وهي كما ترى صورة طريفة كارية عابثة ممّا . وتمد رواية البخيل من أروج ملاهي مولير . فقد أحصي لها ١٦٧٨ عرضاً في دار التمثيل الباريسية الشهيرة "الكوميدي فرنسيز" ، ما بين عامي ١٦٨٠ — ١٩٣٢ . ومع ذلك فقد كان استقبال الجمهور لها فاتراً آنذاك . لماذا ؟ لأن مولير لم يجد الوقت الكافي لينظم ملهاته هذه شعراً ؛ وكان الجمهور لا يأبه لغير الرواية المنظومة : « أجنون هو مولير ، ام تراه يظننا من الغباوة بحيث نرضي خمسة فصول ثراً ؟ » وارتاح راسين لاخفاق خصيمه ، فلما التقى الناقد الطيب بوالو قال له : « رأيتك امهد قريب في ملهات مولير ، وكنت تصحك وحدك ! » لقد كان بوالو حقاً يثار على مشاهدة الرواية تأييداً لصديقه (٢) . على ان اكثر النقاد لا يرون في نثر الرواية ما يظن في جودتها ، بل يرون

(١) الفصل الثالث ، المنظر الاول (٢) L'Avare : 5, Molière : 215

ذلك اوفى بالفرض وأجرى مع الطبع ، وخصوصاً في الملهاء ، لانها اقرب الى نفوسنا وألصق بحياتنا اليومية من المأساة . ليس طبيعياً ان تجري السنة المشملين بالشعر في روحاتهم وغدواتهم ، وفي صفوهم وكدرهم ، ومن سوقهم الى ملكهم . فالتأثر أكثر انفساحاً من النظم الذي لا يمتد فيه النفس كما قال ناقد عربي قديم (١) ، بأكثر من عروضه وضربه ؛ وهو لغة الحوار الطبيعية . يقول « فينيون » : « اذا صح ظني فان نظمنا يفقد أكثر مما يحجب بالقوافي : يفقد كثيراً من التنوع ، والبساطة ، والانسجام . فكثيراً ما يعني الشاعر نفسه في طلب قافية ، فيضطر الى ان يمدّ حديثه او ان يقطعه . وقد يحتاج الى بيت او بيتين لا لزوم لهما تمهيداً لبيت ثالث مطلوب . ثم ان الناظم يهمه ان يلتمس القوافي الفنية أكثر مما يهمه عمق الفكرة والعاطفة ، وجلاء العبارة وطبيعتها ، وجمالها وروعها (٢) . » انما يقوم الشعر على سمو العاطفة وجلالة الفكرة واقتدار الخيال وتناغم الالفاظ ، وكل اولئك يكون له النثر افسح وأكثر طواعية . ان الذي يضع في يديه الأغلال ويفرض على نفسه ان يعدو على رجل واحدة ، ثم يثب الي غير غرض الا المفاخرة بالمسافة التي يقطع لها مشعباً* نمجب منه ولا نحترمه ، ولكننا نحترم الرجل الذي يستفيد من حريته ويجري كما خلقه الله على رجلين ، ويضع امامه هدفاً غير التفاخر الزائف . تقول ما دام دوستال : « ان من طبيعة النظم ان تحول احياناً دون التعبير عن العواطف بمفويتها وعمقها الانساني . . . هذا الى ان النظم من شأنه ان يمنع بعض التعابير الطبيعية السهلة التي لها وقع كبير في النفوس (٣) ، على اننا لا نشكر ما في النثر من قيود ، ولكنها قيود طبيعية ، لا نقرضها على انفسنا فرضاً لا شيء الا للتفاخر « بالصعوبة المذلّة » كما يقول « فونتونيل (٤) . » بل ان الكتابة النثرية ابعد مثلاً من النظم . فاذا كان الناظم يستطيع ان يعنى طبعه ويفتنم الراحة ، متكلاً على ما يختار من وزن يجري معه الى آخر القصيدة ، فان النثر - ولا سيما النثر الشاعر - لفي يقظة دائمة وجهد متصل ليختار الانعام الكثيرة التي تناسب معانيه ، وليحسن تأليف ما بين هذه الانعام ، تأليفاً لا يعتمد على عادة رتيبة مريحة ، بل على دواعي معنوية ولغوية مستجدة . انني اشبه القصيدة المنظومة

(١) المثل الناثر ٣٣٧ والناقد هو ابو اسحاق الصابي* Van Tieghem : 94 (٢)
(٣) 167-164 La difficulté vaincue (٤) ، الكتاب السابق ص 94 وفونتونيل
Fontenelle هو ابن اخي كورني ، ولد في روان ١٦٥٧ وامتدّ به الأجل حتى عاصر
فولنير ، اذ مات الاوّل عام ١٧٥٧ ومات الآخر عام ١٧٧٨ . وكان لفونتونيل سلطان
ادبي كبير : عن L.U. مادة Fontenelle

بذلك المقاطع الفنية المرقصة التي لا يصعب علينا موالاتها من اول مرة ؛ اما القصيدة
النثرية ، فهي تلك الانغام العلوية التي لا تحرك الأرجل ولا يمكن ان تجاريها حركات
الراقصين ، لدقة نغماتها وتعديدها ، لمساوقها المعاني الانسانية في اغوار النفس وتجاوزها
تلك التفاعيل الرتيبة الضيقة . فالصعوبة في النثر انما تعود الى ما نضع نصب اعيننا من
مطلب في جليل ، الى ما نبغني تحقيقه من تعبير صحيح عن هواجس النفس القصبة ،
الى ما نفشده من جمال اصيل . يقول احد النقاد : « ان تكرار التفاعيل والقوافي بهذا
الاصرار اصبح اليوم مصدر سأم لنا (١) » ، ان الاوزان في وضعها الراهن لمهي بنت تلك
العقلية المنقرضة التي كانت تعتقد ان الجمال لا يقوم الا على اساس التناظر ، في الموسيقى
والشعر والرسم والبناء . فالشعر لم يكن يرضي الاذواق ما لم يتناظر شطراء ، والدار لم
تكن تعجب ساكنها ما لم يكن جناحها متشابهين . يقول مارمونتيل (٢) : « خذ مأساة
لراسين ، وانقلها الى النثر ، على ان تحرص على اداء افكاره واساليه وتعايره بدقة ، وعلى
ألا تغفل إلا زينة الوزن والقافية ، . . فسيتق لهذه المأساة جمالها وتأثيرها كاملين (٣) » .
أفترانا عندما نقلنا اليك « برينيس » و « فيدر » نثراً استطعنا ان نحقق فكرة مارمونتيل
هذه ؟ النظم موسيقا ، لا جدال في ذلك ، بيد أنه ليس بالموسيقا الفضلى ، وان خفيت
علينا نواقصها بحكم المادة ؛ وليس جريها على نغم واحد هو اهم ما يزهنا فيها ، فهي
تجسس كثيراً من تفكيرنا وشعورنا ، وهي لا تستجيب بما فيه الكفاية للتعبير عن وثبات
خيالنا ، وهي لا تستطيع ان تلائم ملائمة صحيحة بين معانيها والفاظنا ، ولا ان تعكس
جميع الالحان التي تهزج بها نفوسنا ؛ هذا الى انها تجور بناعن القصد ، فتحملنا على قبول
كثير من المعاني النافذة لا شيء إلا أن صاحبها استطاع ان ينظمها في ابيات ، كما تحملنا
على غض النظر عن استعمال كثير من التماير والألفاظ والصيغ المهجورة التي ما كنا
لنسمح لاحد ان يستعملها في النثر ، ولكننا نكتفي معه في النظم بان تكون جارية على
قياس او مذكورة في معجم ؛ تقول مدام دوستال : « انما الشعر حالة صميمية في القلب ،
يمكن التعبير عنها بالنثر كما يمكن التعبير عنها بالنظم ، على ان النثر في الواقع كان اجود
تعبيراً عنها في أدبنا من النظم (٤) » . وآية ذلك عند مدام دوستال : أن الذين بلغوا

(١) عن 94 Van Tieghem (٢) Marmontel « ١٧٢٣ - ١٧٩٩ م »

(٣) P : 95 (٤) Van Tieghem : 167

ذروة المزاج الشعري من بين ادباء فرنسا كانوا ناهرين ، من امثال بوسيه ، وباسكال ، وفينيلون ، ويفون ، وروسو (١) .

هذه كلمة نسوقها هنا لأن لها علاقة ماسة بموقف الجمهور في القرن السابع عشر من رواية البخيل ، بل رأيي الاتباعيين حين ذاك على العموم ؛ هذا الى اننا نثرنا لك في هذا الكتاب خمس مسرحيات منظومة ، مع شديد حرصنا على مراعاة أسلوب كل شاعر ، فاجبتنا ان نبسط بين يديك الاسباب لثلاث تدفع في لومنا على غير علم .

. . .

ومع ذلك ، فالرواية لا تخلو من المغامر الفنية ، ولكن هذه المغامر ليس من طبعها ان تنفّر الجماهير ، لا بل انها ادعى لقبطتهم واقبالهم . فالفكاهة هنا تقوم في الاساس على ما يمكن ان ندعوه « بتضخيم البخل » ، لا على الغوص الى اعماق البخيل وعرض نفسيته بكل ما فيها من تعقيد والتواء . وهذا التضخيم من شأنه ان يستدرّ الضحكات ، غير أنه لا يعطينا صورة دقيقة حياة عن البخيل كما نراه في الحياة . ان بخيل الحياة أعقد وأمعن في التكم من هارباجون . واذا قابلنا بين هارباجون وطرطوف وأليست ، رأينا ان مولير لم يكن هذه المرة دقيقاً ولا عميقاً . فاذا كانت نقائص أليست من الخلفاء بحيث تدق عن فهم بعض ذوي الفطنة ، واذا كانت مقدرته على الباس عيوبه لباس الفضيلة بحيث تفري بالدفاع عنها كاتسبا عظيما كروسو ؛ ثم لئن استطاع طرطوف ان يصور نفاقه ديناً ويطلعي موبقاته بطلاء الحق ، حتى جاز مكره على بعض افراد الاسرة ولم يغير رأيهم فيه إلا ما شاهدوا بالعين من فجوره ؛ فبخل هارباغون من العيوب المكشوفة التي تنادي على نفسها ولا يخفف من حدتها تحفظ ولا تخويه . ان فكرة الجاحظ عن البخيل أشبه بالحق والصق بالحياة . فقد يكون بين بخلائه الحسكس الشحيح ، فاذا هو يحاول ان يوهمك بأنه طلق الديدن وهوب ؛ وقد يكون بينهم الداهية ذو اللسن الذي يصرفك بخفة روحه عن ان تستوخم حرصه . وبخلاءه لا يجاهرون بحرصهم الا عندما يأوون الى بعضهم ، او عندما يغلبون على أمرهم وتعرض مصالحهم للضياع . وفيما عدا ذلك فهم لا يتحرجون من التظاهر بنداء الكف او الزهد في حطام الدنيا . وهم اقصد على فلسفة بخلم ودعمه بكل ما دعا اليه الفقل والعقل من وجوب الاقتصاد ، حتى ليكاد

(١) P : 168 من المصدر السابق ، ثم كتاب Idées et doctrines littéraires

P : 41—42

بعضهم يخذعونك عن انفسهم ويقنعونك بصدق نظرم !

• • •

كان مطلع عام ١٦٦٩ عهد يمن للفرقة . ففي الخامس من شباط « فبراير » من هذا العام سمح لها بتقديم « طرطوف » الى الجمهور (١) . وازدحمت صالة المسرح بوفود المتفرجين ازدحاماً عجيباً متصلاً محاطات تلك الساعات الرهيبة وعوض الفرقة عن اضرارها في تلك المعركة التي كانت تُظن بلا نهاية . وهكذا انتصر امام الملهة الفرنسية على خصومه ، وسجل في هذه الرواية العظيمة نقده اللاذع للمناققين ، وبصورة غير مباشرة لطبقة رجال الدين حين ذاك . ولا نشك في ان الشاعر بعمله هذا كان في طليعة العاملين على نشر بذور النعمة على الاوضاع الاجتماعية في صفوف الشعب ، وقد نمت هذه البذور وتفرعت حتى اصبحت نعمة شاملة في القرن الثامن عشر ، تتناول في تطرفها الدين نفسه ، حين عصفت الثورة الفرنسية بالعقائد المقدسة وابطلت سلطة الكنيسة (٢) . يقول ج . ب . شو : « الكنيسة التي لا يجد الأحرار والمفكرون لأنفسهم مكاناً فيها ، بل الكنيسة التي لا تربى ، مع عليها اعتقاداً صادقاً منها بان الفكر اذا تحرر حتماً قاد الى نفس . الكنيسة اليها ، فهي كنيسة لا يمكن ان يكون لها مستقبل في الثقافة . وهي فوق ذلك كنيسة لا تؤمن بصدق تعاليمها ، وزندقة بابتداعها وهي أن اللاهوت والعلم شيئان متناقضان يتنازعا ن ولأء الانسان (٣) . » وقال : « لن ادع القارئ يستنتج مما قيل أن المرء لا يستطيع ان يجمع بين الاخلاص في الكتلكة وخاصمة القسس ؛ فكل البابوات المصلحين كانوا من اشد خصوم القساوسة ، بل كانوا من النقم الكبرى عليهم . وكل المذاهب الدينية الكبرى انما نشأت بسبب عدم الرضا عن القساوسة فالمذهب الفرنسيسكاني نشأ بسبب تعجرف القسس وكبريائهم ، والمذهب الدومينيكي نشأ بسبب كسل القسس وفتورهم في الدين ، ومذهب اليسوعيين نشأ بسبب جهل القسس وجودهم وضياع النظام فيهم (٤) . »

• • •

غير انه لم ينقض الشهر حتى وفقد مولير اباه . لقد كان برّاً به ، ينفق عليه

(١) ص 7—6 من Le Tartuffe م 121—122 م 218

(٢) Braunschvig : 3 (٣) مقدمة جان درك ٣٠٦ - ٣٠٧

(٤) ص ٣٠٤

بسطاء ، ولكنه كان يتحاماه ، لما يرى من ضيق خلقه كلما أمن في الشيوخوخة . وأقبلت الدنيا على الشاعر ، فالملك يرفعه وبعضه والجمهور يشجعه ، والثروة تزداد عنده يوماً بعد يوم ؛ بيد أنه كان يشعر بالخطاط قواه ، وكان أحياناً يبدو ألماً حزناً (١) . وفي هذا العام اخرج « المسيو دي پورسونياك » (٢) . وفي العام التالي اخرج : « المشاق الباهرون » و « البورجوازي النبيل » ، وهي ملهسة ثرية راقصة Comédie-ballet يتميز فيها الحوار التمثيلي بالموسيقا والرقص (٣) ، كتبها الشاعر استجابة لرغبة الملك في رواية تهرمجية بتخللها بعض المشاهد التركية (٤) . ذلك ان لويس الرابع عشر كان استقبل في العام الماضي موقداً تركياً لم يكن فيما يظهر مجاملاً ولا لين الجانب ، فأثار سخط القوم في فرساي ، حتى جعلوه مدار عيهم . وكان الادياء الفرنسيون قد اخذوا يولون الحياة التركية طرفاً من اهتمامهم ، الى جانب التاريخ الروماني واليوناني والاسباني . فكتب « سكيديري Scudéry » عام ١٦٤١ قصة ناجحة بعنوان « ابراهيم » : وكتب « روترو » (٥) « ملهسة الأخت » (٦) ، ادار فيها الحوار على لسان احد اشخاصها بالتركية ؛ وكتب « لوتاي » (٧) عام ١٦٦٠ « حكاية تركية » (٨) ، نالت اعجاب الملك . واهم من ذلك كله مأساة : « بيازيد » (٩) ، لراسين :

قصة هذه الملهسة ، كما هو الحال في اكثر ملاهي مولير ، هي الزواج الذي يعترض طريقه سخط احد الاهلين . وانما يظهر ابداع مولير في تنويع الموضوع والفكرة لا في تنويع الحبكة والحوادث . وقد اختار هذه المرة للمهسة موضوع : الرجل حديث النعمة ، الطامع الى الوجاهة . فالسيد جوردان ، تاجر القماش ، لا يكتفي بما اصاب من غني ، بل يرغب في الوجاهة ، ويأمل ان يصبح ذات يوم نبيل . فهو يبنى بلباسه ، ويجهد في تهذيب عاداته وتثقيف نفسه بمختلف العلوم والفنون . استحضر لاجل ذلك استاذاً يعلمه الموسيقا ، وآخر للرقص ، وثالثاً للفلسفة ، ورابعاً للبراز . . . فقد صمم الرجل ان يتعلم « كل ما يستطيع تعلمه » . دعاهم جميعاً الى داره ، في وقت واحد ، ودعا معهم الخياط ، فاذا هؤلاء السادة يختلفون فيما بينهم وينتهي بهم الأمر الى القتال ؛ ولشد ما كانت دهشة

(١) Monsieur de Pourceaugnac (٢) Molière 218—225
(٣) Rotrou (٥) L.T. 262 (٤) Le Bourgeois Gentilhomme : 5 (٢)
(٦) Bajazet (٩) Récit turquesque (٨) Lulli (٧) La Sœur (٦)
راجع المصدر السابق في الصفحة نفسها ، والمصدر السابق : 7



السيد جوردان : — يا الفتاة الوقاح !
نيكول : — أمّا إنك لمضحك هكذا . هي ، هي !

السيد جوردان حينما عرف ان الكلام اما ان يكون ثراً واما ان يكون شعراً ، وحينما عرف انه يصنع النثر على غير علم منه ! ، وفطن احد النبلاء المفلسين ، ويدعى دورانت ، الى سداجة الرجل ، فأخذ يقترض منه المال ، مؤكداً له انه « يتحدث عنه في غرفة الملك » وأنه سيستميل اليه المركيزة الحسنة « دوريسين » . على ان المحتال النبيل لم يكن يعمل في الواقع الا لنفسه . اما السيدة جوردان التي لم تكن راضية عن حماقات زوجها ، فانها لم ترحب بالنبيل الماكر في بيتها . ثم ان للسيد جوردان حمافة اخرى : انه يريد ان يزوج ابنته من احد النبلاء ، على الا يكون اقل من مركيز . ولكن الفتاة لم تكن فارغة القلب ، بل كانت تعشق الفتى « كليوت » ، وما كان « كليوت » اميراً ولا مركيزاً ، ولكن رجلاً من سواد الشعب ؛ فليس في استطاعته ان يصير الى السيد جوردان الا بحيلة ؛ والخدم الذي « كوفيل » هو الذي سيدبر الأمر : اذ تنكسر بزي تركي وجاء الى السيد جوردان يومه بان « ابن التركي » العظيم « لمح ابنته فأحبها ، وهو في طريقه الى باريس ؛ ولم يلبث « كليوت » ان جاء بنفسه ، متنكراً في زي تركي » كذلك ، واستطاع هذه المرة ، بفضل لقبه المزيف ، ان يحظى بمواقفة الأب الساذج ، الذي لم يكن لانهجته حد بانعام صهره ، صاحب السمو الملكي ، برتبة « الماموشى » عليه !

• • •

يرى الشاعر الفرنسي فيكتور هيجو في المقدمة المشهورة لرواية « كرومويل » ، Cromwell ان الفن ليس من شأنه ان يعطي الحقيقة المطلقة La réalité absolue ، من دون تهويل وتفتيح ؛ وانما هو « مرآة تجميع ، تجعل من بصيص النور ضياءً ، ومن الضياء هلياً » . فالمبالغة هي الدعامة الفنية التي يستطيع بها الروائي ان يبرز صورته ويلفت اليها الانظار ويثبتها في الازهان . الفن في نظر هيجو لا يكتفي بعرض صورة طبيعية تتناول الشيء نفسه La chose-même بل يتجاوز ذلك الى عرض صورة مكبرة تبرز فيها حركات النفس وسكناتها بشكل يسترعي النظر . ومن عجب ان يلتقي زعيم المدرسة الابتداعية في هذه النظرة لإمام المهابة الفرنسية وأبا التراجميديا الاتباعية . فقد رأينا كورني يصور الناس خيراً مما هم عليه ، وها نحن اولاء ترى مولير يصورهم شرّاً مما هم عليه . اعني ان الاول يغالي في فضائل ابطاله ليقدم لنا درساً في الاخلاق ايجابياً ، وان الثاني يحسّم مناقصي الانسان ويغالي في تصوير مضاحكه ليقدم لنا درساً في الاخلاق سلبياً . كلا

الرجلين لا يمثلان الطبيعة ، وان شئت قلت انهما يجسمان الطبيعة ، فهما لا يخرجان عليها ، ولكنهما يدفعان بها الى الامام ليوضحاها ويثبتاها في النفوس . الارادة الخيرة عند كورني تدفع رووبك الى قتل ابي حبيبته انتقاماً لشرف ابيه ، وتدفع بشيمين الى مطاردة عشيقها لاثار لأبيها . الفضيلة الحق عند كورني ان يتخطى الرجل مودة القربى فيقتل اخوة وزوجه ، او اخوة حبيبته اذا قضت بذلك مصلحة بلاده . أما ان يريق الجندي دمه فقط في سبيل وطنه ، فهذه فضيلة عادية ، آلاف تحملوا بها وآلاف سوف يتخطون . والحال عند مولير لا يختلف كثيراً عما عند سلفه ، فهو يعتمد كذلك الى المغالاة ويراهها شرطاً أساسياً لنجاح مسرحه . هذا الثري المتدين « اورغون » الذي راجت عنده حيل الفلاح المتافق : « طرطوف » حتى فضله على زوجه وولده ، وتنازل له عن ماله ، ولم يسمع فيه نصيح الناصحين ولا لوم اللامئين ؛ وهذا البورجوازي النقي الذي يتنكب ويريد ان يتعلم في سنه العاليه كل شيء ، فيستحضر هذا العدد من الاماظة ويأبى ان يزوج ابنته من غير امير (١) ؛ وهذا البخيل الذي يصدق ان فتاة في ريتن الصبا تحب شيخاً بخيلاً كزناً لمتساوية بصره وتحدث ظهره وسعاه (٢) ؛ وهتان الصورتان اللتان عرضهما المؤلف للمدعي المتحذلق في دور « فيلامانت (٣) » وللصحيح المتوهم المرض في دور « ارغان » : كل اولئك اشخاص حقيقيون ، بيد أنهم يظهرون لنا مجسمين وراء مجهر الكوميدي الكبير . فهو يجسم العيوب الخلقية ، وفن الاضحاك عنده قائم في الاساس على ذلك . غير اننا نتساءل عن الفائدة التي توخاها مولير من هذا التضخيم للطبيعة . أي العبرة الخلقية ؟ اذا كان ذلك فنحن لا نرى رأيه ، لان اشد المتحذلقين يرضى عن نفسه ولا يرى تحذلقه شيئاً بالنسبة الى « فيلامانت » ؛ ولأنك قد تكون اسبق في البخل من « هارباجون » ولكنك بخيل غير احق ، تعرف كيف تخفي بخلك ، ولا تسف الى درجة بخيل مولير . وكثير من محدثي النعمة يحبون التباهي وينشدون الجاه والرفعة ، ولكنهم اذا قرءوا مولير تظن عيوب السيد جوردان فتعجب عنهم عيوبهم . انما نستفيد العبرة المثلى اذا عرف الكاتب كيف يزج الستار عن العيوب المكتمة ، وينهنا الى تصرفات البطل الدقيقة . فنقطة الضعف عند مولير ان الضحك في مسرحه يقوم على الغلو ، وان بعض الشخصيات الاولى عنده سخفاء سخاق ، يضحك عملهم ولكن لا يهذب الادواق ولا يتمتع المقول . وبقينا ان السيد جوردان هذا مجنون ،

(١) رواية البورجوازي التيل (٢) رواية البخيل (٣) رواية النساء العالمات

بل هو كذلك بشهادة زوجته ، ثم بشهادة خادمه (١) . ان الذي يتمتع المقول هو تلك الفسكاهة التي تتساقط اليها من الاجوبة السريعة المفحمة ، ومن الغمز الرقيق من جانب المخاطب ، ومن تناقض الاشخاص الطبيعيين ، ومن هفواتهم ، ومن محساورتهم ستر عيوبهم واطماعهم ومن مغالطاتهم ومعاكسة الاقدار لهم وانكشاف خفاياهم منها جهدوا لسترها . اننا لا ننكر ذلك على مولير ، واننا لنكبر فيه هذه المقدرة الفائقة في تصوير الطبائع الخالدة والمعادن السائدة ، وفي الغوص الى اعماق النفوس ونسج دوافعها ووسائلها وغاياتها ، وتجلية عيوبها وآفاتنا ، وفي ابراز الأضرار والآلام التي ينكشف عنها انحراف الفرائز ودخول (٢) النبات وتحكمهم السي من المعادن ؛ نكبر هذا كله واشياء كثيرة معه ؛ بيد انه لا يسعنا الا ان نلفت النظر الى ما يخالط مسرحه من بعض التهاويل والمبالغات التي تشوب ملاحظه المظلمة ، والتي قد تهبط ببعضها الى مصاف « التهاويل » العابثة . هذه التهاويل تنفخ صدرك بالضحك ، فليس من كاذب يبرع مولير في الاضحاك ، ولا نظن ان هناك من يعالجه فيه او يدانيه ، ولكنها لا تملأ ذرات نفسك ولا تنفذ الى اعماقها ؛ لأنها حين تمحيد عن الطبيعة وتهبط عن المستوى المقول لما قبلها ولا بعدها ، تخرج عن حظيرة تلك المتع العقلية الشائقة التي تهذب الزوج وتسمو بالفكر وتوسع نطاق التجارب الانسانية النافعة . يقول پاسكال : « يجب ان تقتصر جهد الامكان على الطبيعي البسيط ، فلا نكبر ما هو صغير ، ولا نصغر ما هو كبير » (٣) .

• • •

كتب بعد ذلك « بسبيله » (٤) « بالاشتراك مع كورني ، ثم « خداع سكاپان » (٥) ، و « الكونتيس دوسكارانيا » (٦) ، ١٦٧١ . لقد خففت صوت الاعسداء من حوله واصبحت حياته الزوجية نفسها أهدأ وأسعد ، اذ عادت أرماند الى عش الزوجية وقد هذبها الايام شيئاً وطامنت من غلوائها (٧) . كان ذلك في خريف ١٦٧٠ . ان مولير اليوم أهناً حالاً وانعم بالآ . غير انه فقد بعد عامين شريكته وصديقه الوفية : «مادلين»

(١) Le Bourgeois Gentilhomme : 91, 99 (٢) دخل النبات : سوءها

وفسادها (٣) Pensées : P : 12 (٤) Psyché (٥) Les fourbe-

Contesse d'Escarbagnas (٦) rics de Scapin

(٧) Histoire de la Lit. fran. illustrée Tome : Molière 266—268

Les Femmes savantes (٨) 2 P : 13

١٦٧٢ . وفي هذه السنة نفسها اخرج احدى ملاهيه العظيمة : « النساء العالماث (٨) » ،
يهاجم فيها التكلف الذي سبق ان سخر به في « المتأنفات السخيفات » ، كما يهاجم فيها
الحذقة التي صار اليها التكلف الأدبي ، وخصوصاً بين النساء اللواتي «جنّ جنونهن عند
اللفة اليونانية وعلوم الفلسفة والفلك والفيزياء ، واخذن يحقرن امور البيت ويهملنها .
لم يكن خصماً لتعليم المرأة ، ولكنه لم يرد لها الفرور ، وارادها « ان تعرف كيف
تجاهل الاشياء التي تعرفها . » ان فكرته لتتحقق في « هنريت » ، الفتاة الذكية ، التي
تهم بزوجها وبيتها أكثر مما تهتم بالنحو والفلسفة . سخر من المتكلفين ومن المتكلفات ،
وسخر من المتحذلقين ومن المتحذقات ، وبخاصة من رجلين آذياه وتعقّباه بهجاءهما ،
احدهما هو الواقعظ « كوتان (١) » الذي صورته مولير في دور « تريستوتان » اي :
الأحمق المثلث ، ليسخيف فيه نموذج الشاعر المدعي الخيال بذكائه ، الذي يعرف اين
يمرض شعره السخيف لينال عليه الاستحسان ؛ والآخر هو الأديب « ميناج (٢) » الذي
صوره في دور « فاديس » ليمثل به دور المدعي المحشو « باليونانية واللاتينية » ، والذي
المتحذقة ويقتبلته « حباً باليونانية » :

بيت البورجوازي « كريزال » انقطعن الى العلم : الزوجة ،
والابنة والاخت . لا يحيد عنهن غير « هنريت » ، الابنة الثانية ، فهي على علمها
وفطنتها لا تلجج باحاديث العلم ، ولا ترمي الا الى الزواج من حبيبها الطيب « كليتاندر » .
غير ان هذا الشاب لم يكن مزوداً بما يرضي الأم : انه لا يأبى على المرأة ان تتعلم ،
ولكنه لا يحب الحذقة ، خصوصاً عند النساء ؛ ثم هو لا يكنّ الا احتقاراً لمعبود
البيت ، هذا المدعي السخيف « تريستوتان » . كان يجب على الأب ، كريزال ، ان
يفرض ذلك الشاب الذكي الحب فرضاً على امرأته المنتظعة (٣) المستبدة « فيلامنت » ؛ بيد
أنها « خيفة الخلق » ، وهو لا يستطيع في حضرتها إلا ان يذعن ويلزم السكوت .
وقد بلغ من سخف الأم واعتدادها برأيها ان قررت ان تعطي صديقها المدعي « تريستوتان »
ابنتها الرشيدة الطيبة . على ان هذا الاب على ضعفه كان يجب ابنته حباً جماً ولا يريد
لها زوج السوء هذا ، وكان اخوه « آريست » لا يفتأ يشد من ازره ويلفت نظره الى ما
يصيب ابنته من فاحش الفتن من هذا الزواج البغيض ، وبين له أن تريستوتان لم يكن
طامعاً الا في مال الفتاة ، وان قلبه لم يخفق بحبها ابداً ؛ فكان الاب المسكين يكرر

(٣) المتحذقة

Ménage (٢)

Cotin (١)

الحلف انه سيملي ارادته في اللحظة الحاسمة . وجاءت هذه اللحظة إذ استدعت الزوجة كاتب العدل ، واذا هي تملي عليه اسم تريسوتان واذا الأب يملي اسم كليتاندر ، وصاح الكاتب « أزوجين ! هذا أكثر مما تسمح به العادة ! » لقد كادت الغلبة تكون للزوجة الرعناء لو لم يحضر العم آريست في الوقت المناسب حاملاً خبراً لايسر : لقد أصبح كيريزال صفر اليدين من كل مال على اثر خسارته احدى دعاويه وعلان افلاسه . هنالك ازاح تريسوتان الستار عن نقصة الخبيثة وانسحب . غير ان هذا الخبر المكدر لم يكن الا حيلة اعدّها العم الأريب ليدفع المنافق المتحذلق عن رغبته ، وليظهر المصلح الحقيقيته . لقد ثبت كليتاندر الى جانب الأسرة ، وأصر على ان يقاسمها شقاء حالها الموهوم ، فهو الآن يحظى باحترام الاسرة ، ويفوز بالفتاة الحبيبة ، وسط افراح الجميع (١) .

كان نجاح الرواية باهراً، فتمثلت احدى عشرة مرة متتالية، وأخزّت السيدين اللذين غرّيا بدم الشاعر وناصباه العداء (٢) ؛ ولكنها دمغت بسخرتها على الخصوص اوساط النساء اللواتي كن يتمدّحن بعلمهن وذكاتهن ، وكانت الى جانب « المتأثقات السخيفات » عاملاً حاسماً في قطع دابر الحذقة والآنافة المصطنعة ؛ فأصبح النساء في القصر وفي العاصمة يتحاشين ان يُعرفن بأنافة الحديث ووفرة المعرفة ، كما يتحاشين الخلعة والفسوق (٣) ؛

• • •

كانت (مريض الوهم) آخر ما كتب الكوميدي العظيم وآخر ما مثل . مسخر فيها من اوهام المرض ، ولم يُعفِ اصداقاه الاطباء من عبثه ؛ فكانه حين احس بقرب الأجل ، اراد ان ينتقم منهم مرة اخيرة :

تعرض علينا هذه الملهة جنون السيد « أرغان » الذي يعتبر نفسه مريضاً ، على الرغم من دلائل العافية عليه ؛ فهو يقضي ايامه بين الأدوية والاطباء . انه يريد ان يزوج ابنته « آنجيليكا » من طبيب يدعى « توماس ديافوري » ، وهو ابن طبيب آخر ، وابن اخي طبيبه الخاص ، السيد « بيرجون » . بهذه الطريقة سيحصل على « نعمة العلاج الضروري » ، ومن جهة أخرى كان يريد ان يحرم هذه الفتاة ، ليجعل الارث كله لامراته

(١) اعتمدنا في تلخيص بعض اجزائها على L.T. 262 (٢) Molière 284

Les Femmes Savantes : 102 (٣)

الثانية « بيلين » . ألم يلفت نظرك رأي الكاتب السي* في الآباء ؟ غير ان للفتاة حاميين : خالها وخادمتها . ان الخادمة كثيراً ما تضطلع بمهام خطيرة في مسرح مولير ، وتستطيع ان تصورها على وجه العموم امرأة تصنف (١) ، صريحة ، جريئة ، مخلصه ؛ مهمتها ان تدفع عن فتاة كل ملهه ما عسى ان ينالها من أذى الآباء الحق والآنانيين . ان رأس ما يمنيان به الآن أن يعنما زواج الفتاة من « توماس » ، هذا الأبله المتحذلق المضحك ، الذي خرجته المدارس لعهد قريب ، وأن يعمدا لزواجه من حبيبها « كليانت » . لقد نجحنا في ذلك ؛ وبقي عليهما ان يفسدا على الزوجة الماكرة خطتها لحرمان الفتاة الغافلة ؛ فهنا بيتنان للزوج ان امرأته لم تؤثره الا لفتاه ، والبرهان على ذلك ميسور ، فلما عليه الا يأذن باعلان موته ، ليرى كيف تخفف « ارملة » بادية السرور لتسلبه اوراقه ، على حين تصمق (آنجيليكا) وحبيبها لحوول المصايب . تأثر الاب بمحزن الشاين فوافق على اقترانها ، على ان يجعل كليانت من نفسه طبيباً . ولكن الخال يقترح على مريض الوهم ان يرتدي هو ثوب الطبيب وقبعته فلن ينقصه شيء ليكون طبيباً !

فأنت ترى ان موضوع هذه الملهه كارب عابس ؛ ومع ذلك فقد استطاع إمام الملهه ان يشع فيه المرح والابتسام ، ماذا اقول ؟ بل الضحكات المدوية التي تهتز منها أقطارك وتفحص لها الأرض ؛ « فأرغان » راجع مسذكرة الصيدلاني ، ودرس الموسيقى يعطيه كليانت متنكراً ، وزارة الخطيب الطبيب وابيه ، واماديج الاول السخيفة ، وغضب السيد « بيرجون » وانذاره المريض بكل الامراض ، والاستشارة الطبية تقوم بها الخادمة في زي طبيب ، واخيراً ذلك الاحتفال الفك ، باللغة اللاتينية المزورة ، الذي قلدوا فيه « أرغان » لقب دكتور . . . كل اولئك مواقف ضاحكة تشغل المناظر المؤلمة وتبدد عبوسها .

منهجه الفني

اراد مولير ان يهيج في المسرح الاتباعي منهجاً جديداً ليقرب من الطبيعة ويحقق حداً اقصى من الواقعية ، فأيناه يخرج على طريقة الشعراء في عصره ، وعلى رأسهم كورني ، فيهمل المواضيع التاريخية ، ويوجه اهتمامه الى الحياة الاجتماعية في عصره :

(١) المرأة بين الاربعين والخمسين

« اذا كنت تصور نقائص الناس ، فلتصورها على ما يوافق الطبيعة . . . ثم انك لاتفعل شيئاً اذا لم تصور رجال عصرك (١) . »

ورأيانه يصرف نظره عن مواضيع البطولة والارادة والعظمة التي حفلت بها مسرح سلفه كورني ، ابي المأساة الاتباعية ، لأن الملهاء لا تمتشى بطبعها مع امثال هذه المواضيع ، كما يقول الاستاذ فاجيه (٢) كما انه وثب وثبة جريئة في المذهب الواقعي فاستغنى عن الحكمة ، اعني عن قصة ذات بداية وعقدة وتطور ونهاية ، ولكنه فضل ان يعود اليها بعد ذلك ، اذ كان يلس فائدتها المسرحية في الملهاء ؛ لان الملهاء ، بحكم موضوعها الذي لا يبلغ من الخطر ما يبلغه موضوع المأساة او الدراما ، تستفيد كثيراً من حبكة طبيعية تكون من الملهاء بمنزلة الاساس ، وتحرك اهتمام النظارة وتغريهم بمتابعة العرض بسلاسة وشوق . غير ان مولير قد لفت الانظار الى ان الحكمة المسرحية ليست ضرورة قصوى ، والى ان بالامكان التنازل عنها احياناً . ومن الجدير بالذكر ان ملاهيته المحبوبة والتي لا حبكة لها كانت تصيب نجاحاً بالغاً كما رأينا ، قال احد الممثلين في عصره : « ان هذا الشيطان مولير يجتذب الجميع اليه (٣) » وقال احد حساده : « انه لمار على الفرنسيين ان ينفضوا من حول المؤلفات الجديدة ، وان تجتذب هذه الحماقات باريش كلها اليها (٤) » ،

وشيء آخر رأى فيه مولير عوناً على تحقيق مذهبه الداعي الى الطبيعة والتقرب من الواقع وهو النظر الى ابطاله من اكثر من جهة واحدة ، وهذا ما يمكن ان يدعى بتعقيد شخصياته ؛ فقد كان يرى ان الشخصية البسيطة التي لا تعقيد فيها انما هي فكرة في رأس المؤلف لا انسان ينبض بالحياة ؛ وهو لا ينكر ان في الحياة شخصيات ساذجة لا التواء فيها ، ولكنه يرى انها تافهة لا شأن لها . اما الذين يشغلون المراكز المرموقة ويؤثرون في من حولهم فهم ذوو صفات كثيرة واضحة ، ويقول مولير : « ليس من التناقض في شيء ان يكون المرء سخيلاً في بعض الاشياء وليبياً في غيرها (٥) » ،

هذا التعقيد في الصفات يقود الى نتيجة منطقية وهي : خلط الفكاهة بالأسى . فالحياة كالانسان في تعقيدها وتمدد وجوها ، فيها مايسر وفيها ما يؤلم ، وهذا معنى قول «موسيه (٤)» : « كان ينبغي لنا ان نبكي من حيث ضحكنا . » وكثيراً ما يكفر الجو وتعتقد المواقف في ملاهي مولير وتنحس انقاس النظارة اشفاقاً على ثروة تسكاد تضيع ،

(١) 275—268 Faguet (٢) المصدر السابق 268—267 (٣) 275

(٤) Musset راجع المصدر السابق 276

او فتاة ترغب على الزواج ، او بيت ينذر بالخراب ؛ ولكن مولير سرعان ما يلقي بفكاهته الرشيقية يبدد بها مخاوف المتفرجين ويرد اليهم صفوهم . اما جو الحوادث في الغالب فهو جو الأسرة ، او ما يشبه الأسرة ، بكل ما فيه من حركة وحياة وتمقيد : فالمؤلف ينزع لك سقف الدار ويدعوك ان تنظر (١)

على ان تمقيد شخصياته يكون غالباً في حدود الموضوع او الفكرة التي يريد عرضها . يريد ان يصور لك بخيلاً ، فهو ينسب اليه من الصفات ما يرافق البخل او يفسح المجال لظهوره . فاذا كان بخيله غنياً فلا ان البخل مع القنى اظهر ، واذا كان محباً ، فلا ان الحب اذا سار في طريق الزواج استدعي بذلك كثيراً ما يفضح بخل صاحبه ؛ ويريد مولير ان يصور كارهاً للبشر ، فهو يصفه بالاستقامة والصدق وقلة الدهاء والانانية وضعف الارادة والنعمة على الناس ، وهو بعد عاشق وجيه مثقف اديب مرهف الذوق ؛ بيد ان هذه الصفات كلها يمرضها المؤلف في سياق الموضوع الذي يعالجه ، وهو النشور من البشر ، وليس في الرواية كلمة واحدة الا تدور حول الموضوع وتزكّي الفكرة التي يدعو اليها الكاتب . وكذلك طرطوف ، فليس هو بالمنافق وكفى ، ولكنه رجل جاني الطبع ، فاسد الذوق ، محب للسيطرة ، بطيئ ، اباحي ، حقود ، متضارب الأهواء ؛ بيد ان سياسته كلها لا تكاد تظهر اذا قيست بنفاقه ، او أنها لا تظهر الا لتدعم نفاقه . فالنفاق هو محور رواية طرطوف ، والتشاؤم واحتقار المجتمع هما محور « كاره البشر » والبخل هو محور « البخل » والخوف من المرض هو محور « مريض الوم » ، وهكذا قل في سائر ملاهي مولير ؛ ومعنى ذلك ان كل مسرحية تجري في حدود الموضوع الذي اختاره لها الشاعر ؛ وهذا الموضوع هو الذي سمى به مولير روايته ؛ وذلك ان دل على شيء فانما يدل على ان الناحيتين الاخلاقية والفكرية هما اللتان تسيطران على حوار الرواية وحوادثها وتدفعان بها الى النهاية . بل ان روايتي دون جوان وطرطوف لا تخرجان كذلك على هذه القاعدة ؛ فدون جوان ، وان كان في الاساس عالماً ، فقد شاع استعماله نموذجاً للرجل الوجيـه التي الفخور الذي جعل همه ووكده الغواية والفجور . وكذلك قل في طرطوف ، فهي كلمة معناها المنافق ، ثم استعملها المؤلف اسماً طابقت مستها . كل ابطال مولير تظهر اوصافهم في معرض الفكرة التي نادى بها او الصفة الاساسية التي تصدّي لبرازها . بل ان حوادث الرواية ومناظرها لا تنتقي الالتساق في ركاب هذين العنصرين

الاساسيين في مسرحه : الفكرة والموضوع الخلقى : فاذا اضفنا الى ذلك مذهب الشاعر في الاضحاك ، وهو قائم على تضخيم احسد العيوب والمغالاة فيه ، فضلاً عن تركيز الحوار والحوادث حوله بحيث يطفئ على غيره ، علمنا كيف تتزاحم الافكار في ملامحه وتتصارع وكيف تبرز العيوب في ابطاله وتتجسد . من اجل هذا حفل مسرح مولير بالشخصيات النموذجية Personnages typiques التي عاشت في خيال الفرنسيين ودرجت في احاديثهم ، فأصبح كل من ارنولف وكريزال وارپاجون وفيلانت وتريستوتان وطرطوف وأسيست ... مثلاً شاملاً Type Universel لنوع من الانسان على اختلاف الزمان والمكان . وهكذا استطاع كبير كتاب الملاهي في العالم ان ينفخ الحياة في شخصياته ويشيع الحركة في اجواء مسرحياته ، كما استطاع بفنّه العجيب ان يتخطى بأبطاله الظروف المحلية والصفات الخصوصية ، ليرسم لنا نماذج انسانية خالدة ، فيها من الفردية والامتياز ما يثبت فيها القوة والحياة ، وفيها من العمومية ما يضمن لها المالية والبقاء .

• • •

عقد الاستاذان الكبيران مؤلفا « قصة الادب في العالم » بحثاً اضافياً عن فن « مولير » وقارنا بينه وبين امام المسرحية الانجليزية وليم شيكسبير ، فخلصنا الى نتيجة نحب ان نقولها بالبحث :

فهما يريان ان الشاعر الفرنسي كان يحرم حين يعرض شخصاً من اشخاصه ان يديه من جانب واحد ، ويأبى ان يحلل الشخصية ويشرحها ليخرج للناس كل ما تحويه من عناصر ؛ اما الملهاة الابتداعية عند شيكسبير فتتناول الاشخاص من نواحيهم جميعاً لا تقي من عناصرهم شيئاً ولا تنزع الملهاة لشيكسبير فتنال ملك اوجه الشخص المصور وجهاً بعد وجه ، وفي اثرها تشرق عليك صفاته واحدة تلو اخرى ، يسجل لك الشاعر ادق ما يجول في نفس من يصوره فلا تفلت منه الخطوط الخافتة والخواطر القصية التي من شأنها ان تكمل الصورة ، حتى اذا ما جئت في الرواية الى ختامها استوى امامك الشخص كأنه حياً يدب ويسمى ، ويفكر ويمكر ، ويخادع ، ويضحك وبتنس ، ويسخر من غيره ويسخر منه غيره . . . اما امير الملهاة الفرنسية فيختلف عن ذلك في منهاجه اختلافاً بيناً ، فبدل ان يوسع الصورة لتشمل اطراف النفس جميعاً ، يضيق حدودها لتتقن طرفاً واحداً او طرفين من تلك النفس التي يريد

تصويرها ؛ وهو اذا ما استقر اختياره على الخصائص القليلة التي يريدنا ، راح يستخدم فنه كله في ابرازها وترسيخها في ذهن القارئ او المشاهد بحيث يصعب نسيانها
 فمولير يختار من شخصيته مساحة ضيقة يصب عليها ضوءه ، لكنه يعمق بك في هذه المساحة الضيقة ثم يعمق ويعمق حتى يصل بك الى ابدع الأغوار ؛ هو يختار ممن يريد تصويره عناصره الجوهرية ثم ما زال بها حتى يخرجها في ضوء النهار الساطع (١) .
 على أننا نحب ان نصوغ جانباً من ردنا على الاستاذين الجليلين في هذا السؤال :
 اذا كان كاتب التمثيلية مكلفاً ان يعرض دراسة عميقة شاملة لنفسيات ابطاله جميعاً ، اياً كانت منزلتهم وتأثيرهم في سير الحوادث وظروفهم ، فما هي المهمة التي يتركها للفلاسفة وعلماء النفس اذا ؟ الا يرى الاستاذان الكريمان ان كاتب التمثيلية مقيّد حين يسلسل الحوار ويصور النفوس بطبيعة المواقف ومقتضياتها ؛ وانه لا يستطيع ان يخلق المناسبات خلقاً ليقول ان بطله على علمه جبان ، وعلى بخله حسن المشرو على حبه للحياة انوف شجاع . . . ؟ كلا ، لا يستطيع الاديب الذي يؤمن برسائله الادبية ان يسخر الفن لغير الفن ؛ لا يستطيع ان يسخره لكشف اطواء النفس كما لا يستطيع ان يسخره للإرشاد والتعليم . ثم اي نوع ساذج من الرجال اولئك الذين يتحدثون اليك بعض الوقت فلا تلبث ان تغوص الى اعماق نفوسهم وتهتك الستار بهذه السهولة عن آرائهم واهوائهم وخباياهم ونياتهم ؛ اننا لا نعتقد ان امام الشعراء وليم شيكسبير كان يرى هذا الرأي ولا انه كان ينهج هذا النهج ؛ وعلى عمق الرجل في فهم الطبيعة الانسانية فهماً لا نظير له فيمن عرفنا من الشعراء ، وعلى براعته في تصوير المواقف والمشاعر والاعمال بما يعجز عنه البلاغ ، فاننا نشك كثيراً ان يكون قد تصدّى لهذا المطلب البعيد عن غاية الفن ؛ لا بل اننا نعتقد ان في ابطاله من تعمّد ان يحيطهم بسياج من الحذر والكتمان ، وخصوصاً اولئك الذين اختارهم من الملوك والكرادلة والقواد والساسة ، وما اكثرهم عنده ، فانك لو تتبعته احوالهم ودرست اقوالهم لوقفت حائراً امام كثير من صفاتهم او لما ازحت النقاب عنها الا بكثير من الجهد . ان امام الشعراء يمثل في مسرحياته قطعاً كاملة من الحياة ، ولا يضع على لسان ابطاله من احاديث ولا يكشف عما في شخصياتهم من صفات الا بالقدر الذي تسمح به طبيعة الموضوع ويبعث عليه شاهد الحال . وفي هذه الحدود لا نعتقد ان شيكسبير أجرى قلماً من مولير ، والقارئ ربما

(١) قصة الادب ج ٢ قسم ١ ص ٣٢٣-٣٢٤ للاستاذين احمد امين وزكي نجيب محمود

واقفنا على ذلك بعدما عرضنا له كثيراً من روايات مولير ورسمنا له صور أبطالها ، وخصوصاً في طرطوف و كاره البشر ، وبعد ما بيننا له ان مذهب مولير هو تعقيد الشخصية الذي لا حياة لها بدونه ، ولكنه تعقيد لا يتكلفه الكاتب تكلفاً ولا يقصمه إقصاماً . نعم ان مولير يعمد الى المغالاة احياناً ويعمق في ابراز صفة ما في كل ملهة وتضخيمها ، غير ان هذا لا يعني ان ابطاله يتخطون عن صفاتهم الاخرى ويكتمونها حين تدعو الحال ان يعلنوها .

. . .

مذهبه الاخلاقي : — يتساءل الاستاذان « لانسون وتيفرو » عما اذا كان بالامكان ان نستخلص من مسرح مولير مذهباً اخلاقياً متلاحم النسيج ؟ ثم يجيبان بالإيجاب : هذا المذهب الاخلاقي انساني مستقل عن المسيحية التي لم يكن مولير يفهمها . وآية ذلك في « طرطوف » حيث جاء بتعريفه الفاتر للتقوى ؛ وآية ذلك أنه أبتدأ عن تأليفه مفهوم المسيحية الاخلاقي : مقاومة الطبيعة ، التجرد ، الجهد المضني للوصول الى المثل الاعلى . انه يعتقد باستقامة الفطرة وقوتها . يجب اتباع الغريزة او الفطرة ، هذا حق ، ومجاهدتها جنون ، لان لها الغلبة ابدًا ؛ وان نحن غالبناها كنا سخفاء تاعسين . من اجل ذلك كان مولير يتحاز الى الشبيبة الذين يستوحون القانون الطبيعي في الحب ويخالفون آباءهم والذين يعترضون طريقهم (١) .

كان يمتد كل ما يعوق الطبيعة او يحد منها ، او يشوشها ، او يزورها . كان يريد الناس ان يكونوا كالنباتات الأمانة على اصولها ، التي تؤتي أكلَ نوعها . ان أقل انحراف عن القاعدة العامة يطرف عينه او يبدو له مضحكاً (٢) . لم تكن تعنيه التقاليد المعروفة الضيقة ، لكن الطبيعة الانسانية بقوتها وصفاتها .

على انه لا بد من وضع حدود للغريزة ، فالانسان بغريزته جاف أثير (٣) ؛ هذا الى ان البخل هو غريزة « هارباجون » والنفاق غريزة « طرطوف » . فمولير يقيّد الغريزة بالعقل . العقل يرضي أثرّة العاشقين ، وينكر اثرّة البخل والمنافق . انه يأذن لنا ان ننمي طبيعتنا ، على ان نراعي حقوق الآخرين . ليس لنا اذن ان نخضع انساناً حتى ننحو شخصيته . تلك هي خطيئة « أرنولف » الذي كان اناني النظره فقضى

(١) هذا الفصل كله ، عدا المقطع التالي ملخص من 268—270 L.T.

(٢) Molière 207 (٣) اناني

على « أنياس » ، ربيبته ، بالجهل والغباء والحرمان من كل اللذات الطبيعية . ولكن طبيعة « أنياس » تمردت ؛ وبادرت هذه البهلاء الصغيرة الى ما فيه سعادتها بشجاعة وعزم ، كما اوحى اليها الغريزة ؛ وهذا ما يقره مولير وكذلك تجسده مهاجم بمنف الآباء الذين يريدون ان يسخروا ابناءهم لينزلوا على آرائهم او ليرضوا شهواتهم ، حينما يبلغ هؤلاء الابناء رشدهم ويكونون اعرف بمصالحهم . لقد كانت سلطة الآباء من القساوة يمكن في القرن السابع عشر ، فمولير بسخر منها ومحطما . انه ليحمل بسلطة ابوية كلها تسامح وحنان ، تقود الاولاد الى الحياة المتفتحة السعيدة .

هناك فضيلة يدعو المؤلف الى التشبث باذيلها بقوة : هي احترام الحقيقة المطلق . بيد ان صفاء ذهنه كشف له عن ان الصراحة المطلقة منافية لما تقتضيه حياة الجماعة : ومن هنا هذه الحسرة الأليمة في « كاره البشر » .

ثم خاصّة * اخرى تجلب النظر في مذهبه الاخلاقي هي اتجاهه البورجوازي : هذا الكوميدي الذي الف حياة الارتحال مدة طويلة ، والذي انغمس حياته كلها في اسرة التي تحوم حولها الشبهات ، والذي لم ينعم بزواج هادي سعيد ، كان لا يفتأ تداعب ذهنه احلام الحياة البيئية الهنيئة . ومن هنا كان ميله المتصل الى المواضيع التي تمس السعادة المنزلية ، وكان يعود دائماً الى نقطتين : الزواج ، وتعليم الفتيات .

ففي الزواج يشترط اموراً اربعة : تكافؤ الظروف ، فهذا ضرورة اجتماعية . ثم تناسب المزاج ، فمن الحق ان « زواج المدعي البغيض » تريستوتان ، بالفتاة البسيطة « هنرييت (١) » ، ثم تقارب السن ، فقد اعدت الطبيعة الشبان الاقتران بالصبايا ، ولقد كان هارباجون سخيلاً حين اخذ ينافس ابنه . واخيراً : الحب المتبادل ، فهذا هو الشرط الأهم الذي يطغى على الجميع .

اما تعليم النساء ، فقد كان يكره لمن التهرب كما يكره لمن الجهل ؛ وكان لا يريد لمن التكلف كما لا يريد لمن الخدقة . انما يسرهم ان يفهموا الحياة الرشيدة ، المترنة ، العملية ، بذهن واضح وارادة مستقيمة ، وقلب صدوق ، كما هو الحال لدى هنرييت في النساء العالمات .

وعلى الجملة فمثله الاعلى عملياً قبل كل شيء : ما هو بالسامي ولا هو بالقاسي ؛ بل

(١) ملهارة : النساء العالمات

هو قريب المتناول ، يرمي الى سعادة الفرد والمجتمع ، ويقوم على الذوق السليم ، والعقل
المتزن ، والمحبة والتسامح .

• • •

اخلاقه وموته : - لا شك ان مولير الانسان يستحق من المحبة والمطف ما يستحقه
مولير المؤلف من الاعجاب والاحترام . واذا لم نمتعنا الاعجاب به من التعرض لنواحي
الضعف في ادبه ، فكذلك لن يدفنا المطف عليه والحب له الى ان نغمض عن عيوبه .
كان يعيش في وسط متحرر شاذ : بين الممثلين الذين كانوا في القرن السابع عشر
على جانب كبير من غرابة العادات ، وفي أسرة بيجار ، وهي من اسوئهم سلوكاً واغريهم
اطواراً . وكان لهذه الحياة اثر بعيد في نفسه ، فأخذ من رجل المسرح تحرره واحياناً
لينه وتهاونه . غير انه حافظ على ذوقه السليم ونظره السديد الى الاشياء ، وعلى ميوله
الانسانية الطيبة : فلم يكن عقوق « راسين » الذي سلبه أقدر ممثلة في فرقته وسحب منه
مأسية ووضعها بين يدي فرقة منافسة ، ولا طيش « ارماند » ورعوثها ، بقادرين على ان
يدفعا الى ان يناسب العداء صديقه القادر وامراته الخئون (١) . ان انفكاكه عن امراته
بمطلق اختياره كان شجاعة منه وبلا ، لم يحطهما بشيء من الضجة والفخار ، لانه لم يكن
يضعحي ليريج عطف الجمهور ، ولكن ليلي شعور الكرامة في نفسه (٢) . وكان مولير
عصبي المزاج ، سريع الانفعال ، الأمر الذي تفسره تلك الحياة المحمومة التي كان يكابد بها ؛
فاعداء اشداء تألبوا عليه من كل جانب ، وفرقة كبيرة يجب ان يلتصق لها المعاش ،
وملك يجب ان يسلمه ؛ كان رئيس فرقة ، وممثلاً ، وكاتباً ، يمثل ملاهيته ومسرحيات
غيره ، بما فيها من مأس وملاه وتهاريج وروايات راقصة ؛ وبين هذا الاضطراب ، وفي
هذه الحياة الصخبية التي تضمنها الهوم ويرهقها العمل ، كتب مولير خلال ثلاث عشرة
سنة قرابة ثلاثين تمثيلية ، بعضها يقع في خمسة فصول ، وكثير منها تحف فنية خالدة (٣) .
فاذا وات الظروف ، وحققت صوت الخصوم ، عاد اليه صفوه ، فكان يطرب لعمل المعروف
ويبذل معونته للجميع ، واجتبه فرقته فكان هذا فوزاً عظيماً ولا ريب .
لم يعرف فيه اصدقاته كبراً ولا غيره ، وأحبهم اليه : بوالو ، شاپيل ، لافونتين . بل انه
لم يتأخر عن الثناء على راسين ، رغم اجماع المؤرخين على اساءة هذا اليه . وكان مولير

(١) L.T. 256 (٢) Molière 312 (٣) L.T. 255-256

يبدو مفكراً حالماً منطوياً على نفسه . كل الذين عاملوه كانوا يعجبون من هذا الفرق الشاسع بين مولير الرجل في هدوئه وجدده ووقاره ، ومولير الممثل الذي كان يهزّ اعطاف النظارة بفكاهته وخفة روحه (١) . وعلى شجاعته ومضاء عزيمته اخذت تخيم عليه في آخر حياته سحابة حزن اثارته آلام المرض وهموم الزوج المذب . وكان يحب الحياة الفخمة الناعمة ، فاقتى الثياب الفاخرة ، والاثاث الثمين ، والفضيات واللوحات المصورة ومنتجات الفنون . اما دأبه ونشاطه فما خبوا ولا فترا ، وانه ليحسّ بشبح الموت يقترب منه ، وان امرأته لتتشبّث بأذياله ان يخلد الى الراحة ، فيجيبها أن « ماذا تريدني ان اعمل ؟ هناك خمسون عاملاً يعيشون من كسب يومهم ، فماذا عساهم أن يفعلوا إن لم امثل ؟ اتني لا بدّ لأتم نفسي اذا تهاولت في منحهم الخبز يوماً واحداً عامداً غير مضطر (٢) . » وجمع الشاعر العظيم قواه ، وصعد خشبة المسرح ليمثل « مريض الوم » وكان ذلك في ١٧ شباط « فبراير » عام ١٦٧٣ ؛ ولقد ابدى بطولة فائقة حين تصنّع الضحك ليغالب رعدة الموت الاولى التي اعترته وهو يقوم بدوره . فلما فرغ من عمله ، ونقل الى منزله ، اشتد عليه النزع ، فأرسلوا في طاب كاهن فرفض ، فأرسلوا يطلبون آخر فرفض كذلك ؛ واما لفظ نفسه الأخير لم تسمح الكنيسة بدفنه مع المؤمنين الا بعد ان ارتمت زوجته على قدمي الملك (٣) .

• • •

سأل لويس الرابع عشر الناقد بوالو عن اعظم حتملة الاقلام في عهده فقال : هو مولير يا مولاي (٤) .



Le malade imaginaire : 6 (٢) Molière 312 (١)
Malet 272 (٤) L.T. : 256 (٣)

طرطوف

او

المنافق

طوليسير

استخاص الرواية

السيدة پرنيل :	ام اورغون
اورغون :	زوج المير
داميس :	ابن اورغون
ماريان :	ابنة اورغون وعشيقة فالير
فالير :	عشيق ماريان
كليالت :	صهر اورغون
طرطوف :	منافق متناسك
دورين :	خادمة ماريان
السيد لويال :	مأمور التنفيذ

مفوض الشرطة

فليوت :	خادمة السيدة پرنيل
تجري الحوادث في	پاريس

الفصل الاول

المنظر الاول

السيدة پرنيل ، فليبيوت ، المير ، ماريان ، دورين ، داميس ، كليانت

« يظهر ان السيدة پرنيل كانت تزور بيت ابنا (١) ،

السيدة پرنيل — هيئا ، فليبيوت ، هيئا ، فلا تُسج منهم بنفسي .

المير — انك تمشين مشية لا قبل لأحد بانباها .

السيدة پرنيل — اي كنتي ، دعك من هذا ، دعك ، لا تنهني بميداً : فانا في غنى عن هذه الاساليب .

المير — نحن نوقتيك ما يجب لك علينا ، ولكن فيم تسرعين الي الخروج يا أماء ؟

السيدة پرنيل — ذلك لأني لا اطيع رؤية ما عليه هذا البيت من ادارة سيئة ، واهمال بيتن لشأني . اجل ، أخرج من عندكم وقد بلوت امركم فساءني ؛ اذ خالقم نصحي وعصيتم امري ، ليس لشيء في هذا البيت حرمة ، كل شيء يرفع صوته عالياً ، فهو حقاً قصر بنتو ، ملك الصعاليك (٢) .

دورين — اذا . . .

السيدة پرنيل — انت يا صديقتي خادم وقاح طويلة اللسان : فما من امر الا تدخلت فيه وادليت برأيك عنه .

داميس — ولكن . . .

السيدة پرنيل — انت أبله ، بأرمة احرف (٣) يا ولدي ؛ انا ، جدتك ، اقوله لك ؛ وقد أنبات اباك مئة مرة انك تتخذ هيئة الوغد الخليع بنصتها وفصتها ، وانتك لن تجر عليه غير العذاب .

ماريان — اظن . . .

(١) المترجم (٢) اشارة الى رجل ولاء السؤال « الشحاؤون » امرهم في فرنسا ذات يوم ولكنهم لم يطيعوه في شيء . (٣) صورة لتوكيد الكلمة ، بتعداد أحرفها

السيدة برنيل — عجباً ، يا اخته ، تكلفين من الرزاة والمهدوء ما لا يتفق وخفتك وظرفك ، شد ما بعدت عنها . على انه كما يقولون ، ما من شيء أحب من الماء الراقد ، وأنت تسيرين في الخفاء سيرة أنف منهن وأبفضها .
المسير — ولكن ، يا اماء . . .

السيدة برنيل — أرجو الا يسوءك قولي ، يا كنتي ، إنك لا تحسنين التصرف في شيء . ابدأ . كان عليك ان تكوني قدوة حسنة لهذين الولدين ، ولقد كانت امها رحماً الله أقوم منك سلوكاً وأمثل . انت مسرفة ، واتي لأنكرزي الاميرة هذا الذي تبتري حين فيه . وان امرأة لا تأبه لغير سرور زوجها ورضاء ما في في حاجة الى كثير من الزينة .

كليانت — ولكن ، يا سيدتي ، بعد كل . . .
السيدة برنيل — اما انت يا سيدي ، فانا اجلك واحبك ؛ ولكنني لو كنت محل ابني لرجوتك الرجاء كله الا تدخل علينا ابدأ . قالت لا تقنا تعظنا بحكم لا ينبغي لكرام الناس أن يأخذوا بها . أصارحك الكلام قليلاً ، ولكن هذا هو طبعي لا حيلة لي فيه ، فانا لا اراعي أمراً حين اتحدث بما في صدري .

داميس — لا شك ان صفيك السيد طرطوف سعيد جداً .
السيدة برنيل — انه رجل خير وصالح يجب ان يستمع له ، ويشق علي كثيراً ان يشغب به ويغاضبه يمتق مجنون مثلك من دون ان يملكني الغضب .
داميس — كيف ؛ اسمح انا لمناقق لتوأم ان يختلس هنا سلطة جائرة ، فلا تملك تسلية لستروح بها الا اذا افضل هذا السيد الظريف فأذن لنا ؛
دورين — اذا سمعنا له وركنا الى حكمة فما نفعل من شيء الا كنا آثمين ، لأن هذا العيابة (١) الغيور ينهي عن كل شيء .

السيدة برنيل — ما منعكم عن امر الا احسن منعكم . فهو الى طريق الله يقودكم ، وعليك يا بني ان تحت الناس جميعاً على محبته .

داميس — كلا ، يا جدتي ، ما باستطاعة ابني ولا باستطاعة غيره ان يكرهني على ان اريد له الخير ؛ وانا ا كذب نفسي واخذعها اذا تكلمت على نحو آخر ؛ ان اساليه

العيابة : الكثير العيب للناس

ابداً تثيرني؛ وانا اتوقع لها تواب وذبولاً ، وارى ألا محيد لي ذات مرة عن غضبة عاصفة مع هذا القروي الجافي .

دورين — حقاً إن مما يغيظ النفس ان ترى رجلاً مجهولاً يتأمر في هذا البيت ويتحكم ، صعلوكاً لا شأن له ، جاءنا حافي القدمين في ثياب ثمنها ستة أفلس ، يبلغ به الامر ان ينسى حاله وان يخالف الجميع ويعاندهم ويأمرهم وينهاهم .
السيدة برنيل — وقائي الله ! أما انه لو انقصاد الجميع لأوامره الصالحة لتحسنت الأمور كثيراً .

دورين — تتوهّمينه قديساً : صديقي ، كل عمله نفاق في نفاق .
السيدة برنيل — انظروا الى هذا اللسان !
دورين — انا لا اائق به ولا بخادمه لوران الا على كفيل أمين .
السيدة برنيل — لا اعرف حقيقة الخادم ، اما السيد فانا على يقين من انه رجل متقى وخير . وما اردتم به الشر ولا جفوتموه الا لأنه ينهركم بمحاثكم جميعاً . وان يشر فغضباً على الخطيئة ، وغيرة على الدين .

دورين — نعم ؛ ولكن لماذا نراه ، ولا سيما منذ بعض الوقت ، لا يحتمل ان يتردد احد الى هذا المنزل . ماذا تنكر السماء في زيارة بريئة حتى يهشم رؤوسنا بلفظه وضجيجه ؟ اتريدون ان اعبر فينا بيننا عمائي نفسي ؟ اذاً فانا اعتقد أنه هائم بسيدتي غيور عليها (١) .

السيدة برنيل — اسكتي ، وروني فيما تقولين . فما هو بالوحيد الذي يابوم على تلك الزيارات : كل هذه الحركة واللبكة اللتين تتبعان العشراء ، والعجلات التي لا تنفك مغروسة امام الباب ، وهؤلاء الخدم بمجموعهم الصاخبة ، كل أولئك يحدثون ضجة سيئة حولنا . اريد ان اعتقد ان ليس في حقيقة الامر شيء ، ولكن الناس على كل حال يلغون في ذلك ، وهو امر غير مستحسن .

كليانت — ماذا ! أنتحرمين عليهم يا سيدتي ان يتكلموا ؟ اذا توجب على المرء ان يتخلى عن احب اصدقائه اليه ليتفادى من هذر الناس وارجافهم تنغص عيشه وورنيق صفوه . وهل تظنين انك تكرهين الناس على السكوت حتى حين تفعلين ذلك ؟

(١) اشارة بارعة بهي . بها المؤلف المنظر الثالث من الفصل الثالث

ما من وقاء لنا من طعنهم واغتيالهم؛ فلنجعل هذيانهم دبر آذانتنا؛ لنبدل وسعنا لنحيا حياة شريفة طاهرة، ولترخص للثرارين في قول ما يشاءون .

دورين — ألن يتحدث عنا جارتنا دافني، وزوجها القمي (١) بالسوء؟ ان الذين يثيرون بتصرفاتهم هزأناهم دائماً اول من يلوكون اعراض الناس ويسلقونهم بالسنتهم الحداد (٢)؛ لا يقلت منهم شيء عن ايسر العلاقات، فهم يذيعون به فرحين ويمطونه الصورة التي يريدون ان تنصرف اليها الأذهان. وانه ليخيل اليهم أنهم يسوغون اعمالهم باعمال الآخرين بعد ان يلوئوها بألوانهم ويطعموها بطابعمهم، وأنهم يلبسون مكائدهم ثوب النقاوة وراء امل كاذب في بعض المشابهة، اوانهم يحوّلون الى غيرهم بعض ما يهدأ ركانهم من نبال اللوم .

السيدة برنيل — هذه الحجج كلها لا شأن لها البتة في الموضوع؛ ان زوجها يحيا حياة مثلى، وهو يصرف كل عنايته الى الله؛ اما هي، فقد علمت من بعضهم انها تستنكر كثيراً ما يجري هنا .

دورين — ما أروع المثال (٣)، وما أصلح السيدة؛ حقاً انها تعيش في زهد وورع؛ ولكنه التقدم في العمر ليس غير. تنسك ولا تسمح لأحد ان يمس جسمها؛ لقد تمتعت بمحاسنها ما استطاعت ان تجذب القلوب وتقر بها؛ ولكنها اذ رأت ذبول عينيها وأقول بهجتها زهدت في الدنيا التي اعرضت عنها وأسرت جمالها الذاتي وراء نقاب الحكمة الجليل. هذا هو متقلب ذوات التنج في عصرنا هذا؛ يكبر عليهم هجر الطرفاء فلا يجدن معاذاً في ظلام همومهن الا باحتراف التقى؛ انهن يحظرن بتصعبهن كل شيء ولا يتجاوزن عن شيء. ينددن جباراً بكل انسان، لا عن تقوى وصلاح ولكن بدافع من الحسد الذي ينفق (٤) على الآخرين لذات فطمهن الهرم عنها .

السيدة برنيل — تلك هي احاديث الخرافة التي ترضيكم. اي كتي، انا مضطرة عندك الى السكوت لأن السيدة (٥) تهذر نهارها كله ولا تتي تبتدي فيه وتعيد. على اتي اخيراً أصر بدوري على الكلام؛ اقول لكم ان ابني لم يتحرر الصواب في امر بحريته

(١) الصنير الحقيير (٢) الاصل : هم اول من يتأبون غيرهم (٣) ردأ على قول برنيل : ان زوجها يحيا حياة مثلى (٤) نفس عليه شيئاً : لم يره اهلا له . (٥) دورين

في عطفه على هذا العابد الورع وضحه اليه ، وإن السماء قد أرسلته اليكم واتم احوج ما تكونون الى من يهدي عقولكم الضالة ، وإنه لا يؤتاكم على امر لا ينبغي فيه التأنيب ، ويجب عليكم ان تسمعوا له لتنالوا السعادة وتفوزوا بالخلاص الأبدي . هذه الزيارات ، هذه الأحاديث ، هذه الحفلات الراقصة ، إن هي إلا بدع الشيطان . هناك لا تطرق الأسماع الفاظ التقوى أبداً ، بل لغو واحاديث ملفقة وأباطيل . وللقريب من هذا نصيب وافر ، فانهم لا يريحون من طعنهم ومسياتهم احداً . واخيراً فقد أتممت هذه المجالس المقلاء كثيراً ؛ آلا ان القيل والقال في اتفه الامور ؛ وكما قال ذلك اليوم احد الوعظاء بحق : هذا برج بابل على التمام ، تبليبل (١) فيه الألسن وتخوض في كل شيء ؛ وقبل ان يحدثنا بقصة تتعلق بهذا الموضوع ...

(تشير الى كليانت)

الا ترون هذا السيد الذي يضحك بي ؟ هلاً طلبت الضحك عند اصحابك الخفق . ومن غير ان ... وداعاً يا كتي ؛ لا اريد ان ازيد شيئاً ابداً . اعلموا اني اختصرت نصف الحديث وأتي لن اعود اليكم الا بعد زمن طويل . « تلطم فليوت » هيا ، تحلمين وتحققين في الهواء . والله لأمر كن « اذنيك . هيا ، يا قذرة ، هيا .



المنظر الثاني

كليانت ، دورين

General Organization of the Alexandria Library (GOAL)
مكتبة الإسكندرية العامة

كليانت — لا اريد ان اذهب الى هناك ابداً ، مخافة ان تأتي مرة اخرى وتخاضعني ؛ وان هذه المعجوز ...

دورين — آه ! خسارة ولا شك الا تسمعك تتحدث بهذا ؛ اذ قالت لك انها تراك انت عجوزاً ، وإنما ليست في سن تنال معه هذه الصفة .

كليانت — كم احندت لغير ما سبب علينا ؛ وكم تنصّب لطرطوها وتشبث به ؛

دورين — أوه ! الحقيقة أن هذا كله لا شأن له في جانب ابنا ؛ ولو رأيته لقلت : « هذا شرٌ منها ؛ ، لقد قومنا بشغبينا وتورينا من اعوجاجه ورددناه الى صوابه ،

(١) تبليت الألسن : اختلطت

فأبدى شجاعة في خدمة اميره (١) ؛ غير انه اصبح منذ تمسكه بطرطوف اشبه بالبليد ؛ فهو يدعو اخاه ، ويكنى له في اعماق قلبه من الحب أكثر مما يكن لأمه وولديه وزوجه . انه امين اسراره الوحيد ، وقائد اعماله الرشيد ؛ يلاطفه ويمانه ؛ ويحيط الي ان الانسان لا يملك لجبيته قدراً اوفى من هذا الحنان . على المائدة يريد ان يحتل اوجه مكان ؛ ويسره ان يراه يأكل ما يأكل ستة رجال ؛ وهو يأمرنا ان نزل له عن اطياب الاشياء ؛ واذا راح يتناوب قال له : « كان الله في عونك »

(لاحظ ان المتكلمة خادم (٢))

واخيراً فهو مفتون به ، هو بطله وهو كل ما لديه ؛ لا يحتمل الاعجاب به ، ولا يفتر عن ذكره ؛ يرى أسرار اعماله اعاجيب وكل كلاته الوحي والالهام . اما طرطوف ، ذاك الذي يعرف خدمته (٣) ويريد ان ينتفع به ، فهو يملك بحيلته مئة مظهر مزوق يجذبه به ويفتنه . لا يفتأ يجر بكاذب ورعه المغانم ، ويستعجز أن يعيننا ويخطئنا ما عشنا . لقد بلغ الأمر ان تدخل ذلك الأبله الذي اتخذ منه خادماً في تلقينا الدروس . يعتفنا بعينين تقدحان شرراً ، ويرمي برؤبنا وأحمرنا ومناديلنا . لقد مزق لنا الخائن بيده ذلك اليوم منديلاً رآه في كتاب « زهر القديسين » وقال اننا نجتمع بجريمة هائلة زينة الشيطان الى دين الرحمن .

المنظر الثالث

إليز ، ماريان ، داميس ، كليانت ، دورين

إليز — انت سعيد اذ لم تسمع ما تحدثت (٤) به ابنا على الباب . غير أني رأيت زوجي ، وبما انه لم يرني فسانظر في الأعلى بحيله .
كليانت — اناساً ننتظره هنا حرصاً على الوقت ، ولن ازيد شيئاً على تحيته .
داميس — بل أذكر له شيئاً عن زواج اختي . تحدثتي نفسي بأن طرطوف يعترض

(١) يهيء مولير هنا حلاً لحبكة الرواية بتدخل الملك . ولحق هنا الى ان اورغون ظل اميناً للويس الرابع عشر في الحرب الاهلية التي نشبت في فرنسا بين انصاره وخصومه وهو بعد قاصر .
(٢) بين لنا مولير هنا السبب في ابتذال الكلام (٣) الخدعة : من يخدع الناس (٤) اي السيدة برنيل .

سبيله ، وانه يبحث ابي على اتخاذ إجراءات هامة جداً ؛ انت لا تهمل اهتمامي بذلك.
اذا كان يلهب اختي وفالير شوق واحد ، فأنت تعلم ان اخت هذا الصديق عزيزة
عليّ ؛ واذا وجب . . .
دورين — لقد دخل .

النظر الرابع

اورغون ، كليانت ، دورين

اورغون — أه ! صباح الخير يا اخي .
كليانت — كنت ذاهباً في زهرة^(١) ، ويسرني أن اراك تعود . فالحقول لم تزدهر
كثيراً في هذا الوقت .
اورغون — دورين . . . انتظر يا صبري ، ارجوك . هل تأذن لي ان استطلع قليلاً
اخبار البيت ؟

(يخاطب دورين)

هل جرى كل شيء بخير هذين اليومين ؟ ماذا يعملون هنا ؟ كيف صحتهم ؟
دورين — لقد لُزمت الحنّى سيدتي اول امس حتى المساء وكالت تعاني صداعاً غريباً
لا يدرك .
اورغون — وطرطوف ؟
دورين — طرطوف ؟ حسن جداً ، جسيم لحيم ، وجهه نضير ، وفم عقيق .
اورغون — يا للسكين !
دورين — لقد عافت^(٢) نفسها الطعام عند المساء فلم تتناول من عشايتها شيئاً ، كان
الأم شديداً في رأسها .
اورغون — وطرطوف ؟
دورين — تناول العشاء وحده امامها ؛ واصاب بورع كبير^(٣) حجلتين ونصف
فخذ من خديعة^(٤) .
اورغون — يا للسكين !

(١) في زهرة : ليست في الاصل (٢) كرهت الطعام (٣) تلفت دورين هنا نظر سيدةها
الى اسلوب طرطوف التريب في التقى (٤) طعام من لحم .

دورين — ومضى الليل كله فلم يغمض لها جفن ، اذ حالت الحرارة دون اغفائها ،
 ووجب علينا ان نسهر الى جانبها حتى الصباح .
 اورغون — وطرطوف ؟
 دورين — الخ عليه نوم لذيذ فمضى الى غرفته حاملاً فارق المائدة ، وقد اندس بغتة في
 فراشه الدافئ حيث نام هادئاً الى الغد .
 اورغون — يا للمسكين !
 دورين — وفي الأخير ، اقنعناها بفائدة الفصد ؛ وفازت في الحال بالراحة .
 اورغون — وطرطوف ؟
 دورين — لقد استعاد شجاعته كما يجب وحصن نفسه امام الآلام فشرب على الفطور
 اربع عبثات كبيرة ليعوض ما فقدت السيدة من دم .
 اورغون — يا للمسكين !
 دورين — واخيراً فصحة الاثنين جيدة ؛ وسأبلغ سيدتي درجة اهتمامك بشفاها .

المنظر الخامس

اورغون ، كليانت

كليانت — انها تهزأ بك يا اخي في وجهك ؛ واقول لك بصراحة من غير ان اقصد الى
 استخاطك : إنها على حق . هل تحدث الناس يوماً بمثل هذه الأهواء ؟ وهل
 يكون لرجل من السحر ما يفسيك في سبيله كل شيء ، وما يصل بك ، بعد ان
 اصلح من شأنه عندك وتلافي فقره ، الى درجة انك . . .
 اورغون — بحسبك هذا يا اخي : انت لا تعرف الذي تشكتم عنه .
 كليانت — لا اعرفه ، اذا اردت ؛ ولكن لنعلم على كل حال اي رجل يمكن ان
 يكونه . . .

اورغون — لو عرفته يا اخي لملك عليك لبك ولما اتهمى منه اعجابك . انه رجل . . .
 رجل . . . ها . . . رجل في النهاية . من يأخذ بارشاده بنعم بسلام عميق ،
 وتهن في عينه الدنيا هوان الدمعة (١) الحقيرة . اجل ، لقد تركتني احاديثه رجلاً

(١) الدمعة : آثار الناس وما سوتوا

آخر ؟ علمني الا انني بالموذة الى احد ، وصرفني عن اقتناء الاصدقاء ؛ حتى لاري
المنية تستأمر بالأخ والأولاد والأم والزوجة من دون ان تهتز احدى جوارحي .

كليات — يا لهذه العواطف الانسانية يا اخي !

اورغون — ها ! لو كنت رأيت كيف قابلته لظهرت له من صادق الود ما اظهر .
في كل يوم كان يأتي الكنيسة في دماثة ولطف ويجلس على ركبتيه امامي . كان
يجذب انظار الحفيل اجمع بحرارة صلواته ؛ كان ينتصب ويملكه الوجد فيقبل
الأرض خاشعاً في كل اللحظات ؛ فاذا خرجت سبقي مبادراً ليقدم الي المساء
المقدس على الباب . واذا علمني غلامه الذي يحذو في كل شيء حذوه بفقره وبجأله
التي كان عليها ، رحلت اقدم له المطايا ؛ ولكنه كان يرد الي بعضها دائماً بجماء
وأدب وهو يقول « هذا كثير ، نصفه يكفي ويزيد ؛ انا لا استحق رحمتك . »
فاذا رفضت ان استرد شيئاً ، جعل يوزعه امام عيني على الفقراء . واخيراً
اجتذبه لي السماء الى بيتي ، فبدأ كل شيء منذ ذلك الوقت في يمن واقبال . ارى
انه لا يخلي احداً من لومه ، وانه يعنى عناية فائقة بزوجتي حفظاً لشرفي ؛ فهو
يحذرني الرجال الذين يصانعونها بأعينهم ، ويغار عليها اصناف ما اثار . على انك
ربما لم تصدق الى اين ترقى غيرته الدينية : انه يخطيء نفسه لائقه الأسباب ،
ويرى المار والفضيحة في أيسر الأمور ، حتى لقد بلغت به الحال أن رأيناه ذلك
النهار يوسع نفسه لوماً وتبكيئاً على انه التقط برغوئاً وهو يصلي وعلى انه قتله
بحدة وغضب .

كليات — يقيناً يا اخي ، انت مجنون . هل تسخر مني بمثل هذه الأحاديث ؟ وماذا
تريد من وراء هذا المزاح كله . . .

اورغون — ابي لأجد ربح الفسوق والضلال في كلامك يا اخي . اراك مولماً بهما في
نفسك قليلاً ؛ ولا بد ان يجر عليك حادثاً سيئاً كما انذرتك مراراً .

كليات — هذا هو حديث امثالك المعروف . يريدون ان تعمي قلوب الناس مثلهم .
فاسق من له عينان مبصرتان ، ولا حرمة ولا ايمان ان لا يعبد زورم ورياءم .
كلا ، ما كان لاحاديثك جميعها ان تخيفني قط . انا اعرف ما اقول والله يرى ما في
قلبي . وما نحن لأصحابك المرائين بعييد .

في الدنيا من يتكلف التقى كما فيها من يتكلف الشجاعة ؛ وكما ان الابطال المناوير

ليسوا اولئك الذين يملثون الدنيا جلبية وفخاراً ، فكذلك الاتقياء الصالحون الذين علينا ان نهندي هديهم ونسير على آثارهم ليسوا اولئك الذين يملثون الأرض رياء ونفاقاً . واعجباً ! الا تلمس الفارق بين التقوى والنفاق ؟ هل تريد ان تتحدث عنها بلهجة واحدة ، فتكرّم الوجه المستعار تكريمك الوجه الأصيل ، وتسدل الأخلاص بالمكر وتخلط بين المنظر والخبر ، وتقدر الطيف قدرك الشخص ، وتسوي بين الدرهم الصحيح والدرهم الزائف ؟ الحق ان اكثر الناس غريبيون ! ابداً لا ترام يماشون الطبع السليم ، وحدود العقل عندم ضيقة حرجية ؛ في كل صفة يتعدون حدوده ؛ يبسطون ايديهم بالسوء الى انبل الأشياء ليتجاوزوها ويدفعوها امامهم .

اورغون — اجل ، لا شك انك يا اخي علامة محترم ، تجمع فيك علم الأوّلين والآخرين ؛ انت الحكيم الأوحد والعالم المفرد ، انت فيلسوف العصر (١) ، ينطق بالقول الفصل . اما سائر الناس فبجيلة اغبياء بالقياس اليك .

كليات — لست يا اخي علامة محترماً ، وليست المعرفة وفقاً علي ولا حبيسة لأجلي . وغاية ما اعرفه هو بموجب القول : ان اميز الحق من الباطل والخبيث من الطيب . وادا كنت لا ارى ارفع قدراً من الاتقياء الكاملين ، ولا انبل ولا اجمل في هذا العالم من الحماسة الدينية الصحيحة ، فانا كذلك لا ارى ابغض ولا احقر من ظاهر مDAHن لورع كاذب ، من هؤلاء الدجائيل اتقياء الأسواق ، الذين يفتكسون بنفاقهم اقدس واشرف ما عند الأحياء ويسخرون به كما يشاءون ، لا وازع لهم ولا رقيب عليهم ؛ هؤلاء الذين انقادت نفوسهم للمنفعة فاتخذوا من التقوى حرفة واتجروا بها ، وارادوا ان يشتروا الخطوة والدرجة العلية بلهجات اعين كاذبة وتواجد مزور مصطنع ؛ اقول من هؤلاء الذين يهرعون بحماسة غريبة الى المال عن طريق المدين ، الذين يتحرّقون ويتوسّلون بالصلوات ويمطون الناس ويطلبون منهم وسط البلاط ان يعتزلوا الحياة ، الذين يعرفون كيف يوقّون بين ورعهم ونفاقهم ، فهم غضاب حافدون لا ايمان لهم قد أشربوا في قلوبهم المكر والخديعة ؛ ترام اذا ارادوا سوءاً بالإنسان أخفوا موجدتهم ووحشيتهم سقاه راء مصلحة الدين ؛ فيزداد خطرهم حين ينف غضبهم بازدياد ما يتخذونه من اسلحة فكبرها

(١) الاصل : انت كاتون زمانك ، وكاتون هذا حكيم روماني

ونقدتها ، وبقدر ما تميل شهواتهم التي اعتدنا ان نجلبها ونرضيها الى الفتك بنا
بالسنان المقدس . وانا لنرى كثيراً مثل هذا الخلق الذميم منهم . بيد أن اتقياء
القلوب تسهل معرفتهم . ان عصرنا ليعرض عليك منهم يا اخي نماذج رائعة : انظر
الى برياندر ، الى اورونت ، الى أنسيدام ، الى پوليدور ، الى كليتاندر ؛ ما من
احد ينازعهم هذه الصفة ؛ ما منهم احد دعي بالفضيلة ولا حميل عليها . لا يلوح
عليهم هذا الزم هو البغيض ؛ وورعهم شريف كريم وطيب^(١) . لا يوجهون الى
اعمالنا لاذع اللوم : لأنهم يرون في هذا اللوم ادعاءً وعتواً كبيرين ؛ بل يتركون
التفصيح والتشدق لغيرهم ؛ فان يلومونا ويمظنوناً بفاعلمهم قبل اقوالهم . لا
يألون ظاهر الشر ، فقد ألمت نفوسهم ان تحسن الحكم على الآخرين . لا
يعرفون ما المكيدة ولا يبيتون المكر ؛ ترى كل همهم وعنايتهم في ان يعيشوا سعداء ؛
ابداً لا يتعصبون على الخاطئ . ولكن على الخطيئة فتحسب . يأبون ان يغالوا في
الغيرة فينتصروا للسماء اكثر مما تريد هي منهم . هؤلاء حزبي ، وهذا ما يجب على
المرء ان يفعله ، وهذه هي القدوة التي يجب ان نأكسب بها . اما صاحبك ، فالحق انه
ليس على هذا المثال : وانما اطريت زهده ونسكه عن عقيدة نبيلة طيبة منك ،
ولكنه قد سحرك على ما اعتقد بهرج قوله وزائف نوره .

اورغون — سيدي الصبر العزيز ، هل قلت كل شيء ؟

كليانت — نعم .

اورغون — « يريد الذهاب » : استأذنيك .

كليانت — لي كلمة ، من فضلك ، يا اخي . دعنا من هذا . انت تعلم انك اعطيت
فالير كلمتك في ابنتك .

اورغون — نعم .

كليانت — ولقد ضربتم موعداً لزواج سعيد .

اورغون — صحيح .

كليانت — لماذا تؤجل الاحتفال اذن ؟

اورغون — لا اعلم .

كليانت — اتكون في رأسك فكرة اخرى ؟

(١) وطيب : سهل

- اورغون — ممكن .
كليانت — أتريد ان تخلف وعدك ؟
اورغون — لم أقل هذا .
كليانت — ما من شيء يمنعك فيما اظن ان تفي بما وعدت .
اورغون — سنرى .
كليانت — هل تقتضيك كلمة تفوه بها هذا التدقيق كله ؟ لقد رغب اليّ فالير ان
ازورك لهذا الأمر .
اورغون — الحمد لله على هذا !
كليانت — ولكن بماذا اخبره ؟
اورغون — بكل ما يرضيك .
كليانت — لكن من الضروري ان نعرف مقاصدك ، فما هي ادن ؟
اورغون — هي ارادة السماء .
كليانت — ولكن لتكلم جادين . لقد وعدت فالير ، فهل تفي بوعدك ام لا ؟
اورغون — وداعاً .
كليانت — « وحده » - اني لأخاف على حبه (١) الشر . ويجب علي ان اطلعه على
كل ما جرى .



الفصل الثاني

المنظر الاول

اورغون ، ماريان

اورغون — ماريان .

ماريان — ابي .

اورغون — اقتربي ، عندي ما أسره اليك .

ماريان — عمّ تبحث ؟

اورغون « ينظر في غرفة صغيرة » — أنظر هل هناك من قد يسمعتنا ؟ لأنّ هذا

المكان الصغير عرضة للمفاجأة . حسن ، ها نحن في امان . لقد عرفت فيك دائماً

يا ماريان روحاً وديعة ، وكنت عليّ دائماً عزيزة كذلك .

ماريان — انا مدينة لحيّتك بالكثير يا ابي .

اورغون — لقد احسنت قولاً يا ابنتي . ومن اجل ان تكوني جديرة بهذا الحب يجب

عليك الا « تمنّني » بغير رضاي .

ماريان — وهذا ما اضع فيه اسمي ما اطمح اليه من مجد كذلك .

اورغون — حسن جداً . ماذا تقولين في ضيفنا طرطوف ؟

ماريان — من ، انا ؟

اورغون — انت . فكري جيداً كيف تحيين .

ماريان — وا اسفاه ! سأقول عنه ، انا ، كل ما تريد .

اورغون — هذا هو التكلم بعقل . قولي اذن يا بنّيتي إن الكفاية والفضل يتلازمان

في شخصه كله ، وانه يقع من قلبك موقماً حسناً ، وانه يسرّك ان ترّيه باختياره

زوجاً لك . ماذا ؟ « ماريان تتراجع مدهوشة »

ماريان — ماذا ؟

اورغون — اي شيء ؟

ماريان — ماذا تقول ؟
 اورغون — ماذا ؟
 ماريان — هل أخطأتُ فهمك ؟
 اورغون — كيف ؟
 ماريان — عمن تريد يا أبي ان اقول إنه يقع من قلبي موقماً حسناً ، وانه يسرني ان اراه باختيارك زوجاً لي ؟
 اورغون — عن طرطوف .
 ماريان — لا شيء من هذا يا ابت ، واقسم لك . لماذا تنطقني بمثل هذا المهجر ؟
 اورغون — لكنني اريد ان يكون ذلك حقيقة واقعة ؟ وبحسبك أني رسمته وعقدت النية عليه .
 ماريان — كيف ؟ اتريد يا ابي ؟ . . .
 اورغون — نعم يا ابتي ، احب ان اصل بزواجك اسرتي بطرطوف . سيكون قرينك ، لقد جزمت هذا الأمر ، وبما اتني ، كما ترغبين ، أ . . . (١)

المنظر الثاني

دورين ، اورغون ، ماريان

اورغون — ماذا تصنعين هناك ؟ ان الفضول الذي يلح عليك لقوي يا صديقتي حتى جئت
 لتسمعيني علينا على هذه الصورة .
 دورين — في الحقيقة ، لا اعلم ، هل هو خبر يصدر عن ظن ام عن مصادفة . غير انهم اخبروني بهذا الزواج فتلقيت الأمر على انه عبث محض .
 اورغون — كيف ؟ هل الأمر مما لا يصدق ؟
 دورين — الى درجة أني يا سيدي لا اصدقك فيه انت نفسك .
 اورغون — اعرف جيداً كيف احملك على تصديقه .
 دورين — نعم ، نعم ، انك تقص علينا حكاية مسلية .
 اورغون — لا اقص عليك الا ما سترانه بمد قليل .

(١) يلح دورين تسترق السمع

دورین — خرافات !
اورغون — ليس ما اقلوه لعباً يا ابتي.
دورین — هيّا ، لا تصدقي اباك ابدأ ، فهو يهزل .
اورغون — اقول لك . . .
دورین — كلا ، لن نصدقك مهما فعلت .
اورغون — ان غيظي اخيراً . . .
دورین — خير ! نصدقك اذاً . وهو شرٌّ لك . ماذا ؟ هل من الممكن يا سيدي ، مع ما يبدو عليك من عقل ومالك من حيلة عريضة في منتصف وجهك ، ان يبلغ بك الجنون أن تريد . . . ؟
اورغون — اسمعي . لقد تجاوزت حدك في هذا البيت واصبح لك عليه بعض الدلائل التي لا ترضيني . أليس لك يا صديقتي ذلك .
دورین — لتكلم غير غاضبين ، يا سيدي ، ارحوك . هل تسخرين الناس بمؤامرتك هذه ؟ مالا يبتك والمابد الناسك ؟ إن له مشاغل اخرى فليفكر فيها . ذلك ، وما يجدي عليك مثل هذا الزواج ؟ لأي سبب تختار ، مع كل ما عندك من مال ، صبراً صلوفاً . . . ؟
اورغون — صه . اذا لم يكن معه شيء ، فاللهي انه من هنا يجب ان يحترم . ان فقره ولا ريب هو فقر شريف لا يفصح منه بل يرفعه فوق اعلى المراتب ؛ ذلك بأنه انما حرم ثروته لأهماله شئون الحياة الدنيا وتعلقه الوثيق بالامور الأبدية . غير انه قديمجد في معوتي وسائل تخرجه من حيرته وتعيده الى ثروته : ان له اقطاعاً وممتلكات كما يدعونها في البلد بحق ؛ وهو ، كما نراه ، نبيل ولا شك .
دورین — نعم ، ذلك ما يقوله هو ؛ وهذا الزّهو يا سيدي لا يلائم التقوى كثيرًا . لا ينبغي لمن يستمسك بالحياة المتقدمة ان يفاخر بقلبه ونسبه . ان اسلوب التقوى المتواضع لا يسمح بهرج هذا التسامي والطمع في الرفعة . ما نفع هذه الخلاء ؟ . . . لكن هذا الكلام يؤذيك : لتكلم عن شخصه ولنترك وجهته ونبله . أتمليك رجلاً مثله فتاة مثلها من غير ان ترهقها عذاباً ؟ اليس ينبغي لك ان تفكر فيما يناسب وتنظر الى ما وراء هذا الاتحاد من عواقب ؟ هلا علمت أننا نخاطر بفضيلة فتاتنا حين تقاوم ذوقها في زواجها ، وأن انتواءها ان يجيى حياة شريفة منوط بصفات

الزوج الذي نمنحها اياه ، وأن الذين يلفتون نحوهم الانظار ويشار اليهم في كل مكان بالبنان يحملون نساءهم في الغالب على ما نراهن عليه من سوء الحال . انه لمن الصعوبة يمكن ان تكون النساء وفيات لبعض الأزواج على مثال ما ؛ ومن يهب لفتاته رجلاً تبغضه يسأل امام الله عمداً تقتصره من خطيئات . انظر الى اي الممالك يسلمك هذا العزم .

اورغون — اقول لكم ان علي ان اتعلم منها كيف اعيش .
دورين — ليس اقوم من ان تعمل بارشادي .

اورغون — لا ينبغي لنا ان نلهو يا ابنتي بهذا الهذر : اعلم ما يجب لك ، وانا ابوك . كنت اعطيت فالير كلتي فيك ، ولكن ، فضلاً عما يشاع عن ميله الى المقامرة ، يخجل الي كذالك انه على شيء من الفسق لأنني لم اره قط يتردد الى الكنائس .
دورين — تريد ان يبادر اليها في اوقاتك الميسنة ، مثل اولئك الذين لا يذهبون اليها الا ليراهم الناس ؟

اورغون — لا اطلب رأيك في ذلك . وأخيراً فالثاني خير الناس صلةً بالسما . وهو غنى لا مثيل له . هذا الزواج سيغمر أمانيكما بالخيرات ، ستهلان فيه من مسرات الحياة وستهلان . مما ستهلشان ، في اشواقكما الوفيّة ، كطفلين حقيقيين ، كقماريين ؛ الى نزاع مكدر ابدأ لا تصيران ، وستجملين منه كل ما تريدين .

دورين — هي ؟ لن تجمل منه غير بليد احق ، بالتأكيد .
اورغون — هاه ، اي كلام !

دورين — اقول ان له تصرف الاحق وهيئته ، وان تأثيره على ابنتك يا سيدي سيتغلب على كل ما لها من فضيلة .

اورغون — أقصري عن مقاطعتي ، وفكري بالصمت ، ولا تضعي انك فيما لا شأن لك به .

دورين — ما أردت فيما اقول الا خيرا يا سيدي .

« تقاطعه دائماً حين يلتفت ليكلّم ابنته »

اورغون — هذا افراط في العناية وتجاوز ؛ أسكتي ، من فضلك .

دورين — لو لم أحبيك . . .

اورغون — لا اريد حب احد .

- دورين — اريد ان احبك ، يا سيدي ، بالرغم منك .
 اورغون — آه ؛
 دورين — شرفك عزيز علي ، ولا اطيع ان تمرّض للذئب كل انسان ولزاته .
 اورغون — الن تسكتي ابداً ؟
 دورين — وجدائي لا يطاوعني فاطر كك تقوم بمثل هذه المصاهرة .
 اورغون — التسكتين يا حية ؛ يا خبثات . . . ؟
 دورين — أه ؛ أتقيّ وغضوب ؟
 اورغون — اجل ؛ ان صبري ليرفض امام هذا اللغو الكثير ، واريد جازماً ان تخرسي .
 دورين — ليكن . غير اني اذا لم اقل شيئاً فليست اقل تفكيراً في ذلك .
 اورغون — فكري اذا شئت ؛ لكن اصبر في همك الى ألا تتحدثي عما في ذهنك ابداً ؛
 او . . . يكتي « يتجه الى ابنته » ، وإذ رُزقت الحكمة فقد نظرت في كل الأشياء
 واشبعها تفكيراً .
 دورين — اكاد أجن من اني لا استطيع الكلام « تسكت حين يدبر رأسه اليها »
 اورغون — ليس طرطوف بالشباب الأنيق ؛ ولكنه قد فطر على صورة . . .
 « يتحوّل اورغون الى امامها ، وينظر اليها وذراعاها مشبوكتان »
 دورين — اما لإنها لمحظوظة ! لو كنت في مكانها لما تزوجني رجل مرغمة من غير
 ان ينال جزاءه ؛ ولأريته عقب الاحتفال ان المرأة نعمة حاضرة في كل آن .
 اورغون — « يخاطب دورين » - واذاً فانت لا تعبتين بقولي ؟
 دورين — ما تشكي ؛ انا لا اكلك .
 اورغون — ما تفعلين اذا ؟
 دورين — اكلم نفسي .
 اورغون « الى جانب » - عال . يجب ان ألطمها بيدي جزاء سفها وتطاولها .
 « يتهاى للطمها ؛ ودورين قد انتصبت واقفة لا تتكلم حين يوجه اليها نظره »
 يجب ان تستحسني مني يا ابنتي وان تعتقدي ان الزوج . . . الذي عرفت ان
 اختاره لك . . .
 « يخاطب دورين » ، لماذا لا تحدثين نفسك ؟
 دورين — ليس عندي ما اقوله .

اورغون — كلمة صغيرة كذلك .
 دورين — لا احب ، انا .
 اورغون — حقاً ، كنت اترصدك .
 دورين — انها حمقاء في اعتقادي !
 اورغون — واخيراً ، يجب عليك يا ابنتي ان توثقي حق من الطاعة ، وان تظهر امامي اختياراً هذا كل امثال .
 دورين — « هاربة » — اهزأ كل الهزء بنفسي إن انا رضيت بمثل هذا الزوج .
 اورغون (يريد ان يمسكها فتقوته) — ان معك هنا يا ابنتي وباءاً بأثم من يعيش معه .
 احس " اني لست الآن في حالة استطيع معها ان اتابع : لقد ألهمتُ بخبيث كلامها نفسي . سأخرج الى الهواء لأستشعر الراحة قليلاً .

المنظر الثالث

دورين ، ماريان

دورين — خبريني ، هل نسيت الكلام ، وهل علي " ان امثل في هذا دورك ؟ اسمعحين لهم ان يعرضوا عليك نواياهم الحقاء ولا تدفعينها عنك ولو بكلمة صغيرة !
 ماريان — ماذا تريدني ان افعل امام اب مستبد ؟
 دورين — ما يجب لتدفعي مثل هذا الاذى عن نفسك .
 ماريان — كيف ؟
 دورين — ان تقولي له إن القلب لا يجب قط عن طريق الآخرين ، وإنك تزوجين لاجلك لا لأجله ، وان هذا الامر يعنيتك انت ، فأياك يجب ان يعجب الزوج لا اياه ؟ فاذا كان طرطوف عزيزاً عليه فيمقدوره ان يتزوجه ولن يحول بينها شيء .
 ماريان — اعترف ان للاب علينا سلطاناً عظيماً حتى انني لم آس قط في نفسي القوة على التفوق بشيء .
 دورين — لكن لننعم النظر في الأمر . لقد تقدم اليك فالير ، فارجو ان تخبريني أتحببته ام لا ؟
 ماريان — آه ! ما اشد ما تظلمين حي ، يا دورين ! أيجوز لك ان توجهي الي مثل

هذا السؤال ؟ ألم افتح لك قلبي مئة مرة في هذا الموضوع ؟ الا تعلمين الى اين يبلغ

هيامي به ؟

دورين — من اين لي ان اعلم ان لسانك ينطق بما في قلبك ، وان هذا الحب قد ملك

منك القلب حقاً ؟

ماريان — تؤذيني كثيراً انت يا دورين بشكك ، فقد عرفت عواطفني الصحيحة كيف

تبدو للعيان بقوة .

دورين — وفي الأخير ، فانت تحبينه اذن ؟

ماريان — حباً عظيماً .

دورين — وهل يبدو لك أنه يحبك الحب نفسه ؟

ماريان — اعتقد هذا .

دورين — وهل تتحرقان كلاكما شوقاً الى ان يقرن احداكما بالآخر كذلك ؟

ماريان — بلا شك .

دورين — وانذا ، فما هو أملك في ذلك الزواج الآخر ؟

ماريان — ان انتحرق اذا هم اقتسروني عليه .

دورين — عال ! تستجيرين بما لم اكن افكر به ؛ ليس لديك مخرج من هذا المأزق

غير الموت ؛ الدواء مدهش ولا شك . اخنق غيظاً حينما اسمع امثال هذه الألفاظ .

ماريان — يا أكلبي ! في اي مزاج سوء ترتدين ! انك لا ترين لآلام الناس .

دورين — لا ارئي ابدأ لمن يفوه بالترهات فاذا جدد الجذخات قواه كما تفعلين .

ماريان — ولكن ماذا تريدين ؟ اذا كنت أخجل . . .

دورين — الحب يتطلب الحزم وثبات الجنان .

ماريان — ألم اظهر حزمًا وثباتًا من اجل فالير وحبه ؟ أليس من واجبه هو ان يحصل

علي من ابي ؟

دورين — كيف ؟ اذا كان ابوك شكساً جافياً ، يلعب به طرطوفه ويركبه ، وهو

ينقض ما أبرم من امر زواجك ، فهل يجوز ان يُعزى الذنب الى عشيقك ؟

ماريان — ولكن ، االكشف في اختياري عن قلب والهِ هائم برفض جريء واحتقار

شديد ؟ اخرج من اجله ، مها برعت مناقبه ، عن خفر المرأة وعن واجب الفتاة ؟

وهل تريدان ان يشهر الناس حيي ف . . . ؟

دورين — لا ، لا ، لا اريد شيئاً . ارى انك تريد ان تكوني للسيد طرطوف ؛
وعندما افكر في الأمر ارى أبي اخطئ ، بين احوال ان اصرفك عن مثل هذا
الزواج . اي حق لي في مقاومة رغباتك ؟ المحققة من اساسها رابحة . السيد
طرطوف ! أوه ! أوه ! اليس هذا الذي يعرضونه من الالهية بكان ؟ الحق ان السيد
طرطوف ، اذا احسنا النظر في الأمر ، رجل نزيه لا يعرف الخالصة ولا يفهم
الشعوذة ، ولأن تكوي زوجه حفظ شعر ضئيل . هاهم الناس يتوجونه بالعرس
والفخار . نبيل في بلده ، كريم في ذاته ؛ اذناه حمران ووجهه لامع نصير :
مستعشرين مع مثل هذا الزوج في سرور وجود .

ماريان — يا ألهي ! . . .

دورين — ما اشد فرحتك عندما ترين نفسك امرأة لهذا الزوج الرائع !
ماريان — أقصري ، ارجرك ، عن مثل هذا الكلام ، أمدني بعونك على مدافعة هذا
الزواج . انتهى الأمر ، خضعت ، وانا على استعداد لأفعل كل شيء .

دورين — كلا ، على الفتاة ان تطيع أباه ولو اراد ان يمنحها الفرد زوجاً . حظك جميل
جداً : ما يشكك ؟ ستذهبين في العجالة الى بلدته الصغيرة وسترينها حاملة بالأعمام
وابناء العم وستمتعين كسراً بجادة بسم . سيزرونك الطبقة الراقية اولاً ،
ستزورين (١) بمناسبة قدومك المهرين زوجة الحاكم وزوجة القاضي ، وستشرفانك
بأريكة تجلسين عليها . هناك ، في عشاء المهر ، ان ترجئي حفلات الرقص مع الفرقة
الكبيرة ، اعني الممارين والفرقة ناخوتين والاشعب احياناً ، وذلك اذا كان زوجك . . .

ماريان — آه ! انك تميّيني ؛ احري بك ان تترك كيري في اغاثي بنصائحك .

دورين — انا خادمك .

ماريان — ايه ! دورين ، رحمة . . .

دورين — يجب ان يقع هذا الأمر ، جزاء لك .

ماريان — يا عزيزتي !

دورين — كلا .

ماريان — اذا كان ما اعلنته من رغبات . . .

(١) لاحظ السخرية في قولها : ستزورين . بدل سيزورن

- دورين — ابدأ: طرطوف زوجك ، وستستمتعين به .
 ماريان — تملين اني افزع اليك دائماً ؛ فاجعليني . . .
 دورين — كلا ، ستكونين ، في الحقيقة ، طرطوفية .
 ماريان — خير ! اذا كان حالي لا يؤثر فيك ، فدعيني بعد الآن استسلم ليا سي : منه
 التمس المون وانا اعرف الدواء الناجح لآلامي « تريد ان تذهب »
 دورين — هو لا لا ! عودي . عدلت عن حنّتي . يجب ان ارحمك ، مها يكن .
 ماريان — ارأيت ، اذا لم عرضوني لهذا العذاب العظيم ، فانا اقول لك يا دورين إنه
 يجب ان اموت .
 دورين — لا عليك . من الممكن ان نمنع بلباقة . . . لكن ها هو فالير عشيقك .

المنظر الرابع

فالير ، ماريان ، دورين

- دورين — أشجع ياسيدتي خبر لم اكن اعلمه ، وهو ولا شك خبر جميل .
 ماريان — ما هو ؟
 فالير — أنك تزوجين طرطوف .
 ماريان — صحيح أن والذي قد وضع في رأسه هذه النية .
 فالير — ابوك ، ياسيدتي . . .
 ماريان — قد غير رأيه : فانه عرض علي هذا الأمر منذ هنية .
 فالير — ماذا ؟ اتجدين ؟
 ماريان — نعم ، أجد . لقد كشف عن رأيه بصراحة في هذا الزواج .
 فالير — وما هي النية التي عقدتها ؟
 ماريان — لا اعلم (١) .
 فالير — الجواب مناسب . الا تعلمين ؟
 ماريان — لا .
 فالير — لا ؟

(١) احتدت ماريان من سؤال فالير ، فنشأ سوء التفاهم وتقام من جواب الى آخر .

- ماريان — بم تفصح لي ؟
- فالير — انصح لك ان تأخذي هذا الزوج .
- ماريان — بهذا تشير علي ؟
- فالير — نعم .
- ماريان — حقيقة ؟
- فالير — لا شك . الاختيار عظيم ويستحق ان نعيره اذنًا صاغية .
- ماريان — حسن ! اتقبل يا سيدي مشورتك .
- فالير — لن تجدي مشقة ، علي ما اعتقد ، في اتباعها .
- ماريان — ليس أكثر مما عانيت في الادلاء بها .
- فالير — انما ادليت اليك بها لأدخل السرور الي قلبك ، يا سيدي .
- ماريان — وانا سأتابعها رغبة في ارضائك .
- مورين — لئلا يكون وراء هذا .
- فالير — أهكذا يحب الناس ؟ وهل كنت تخدعيني اذًا حين . . .
- ماريان — لا تشكلم عن هذا ، ارجوك . لقد قلت لي بصراحة إن علي ان اقبل ذاك الذي يريدون ان يقدموه الي زوجاً ؛ وانا اعلن عن رغبتني في القبول ، لأنك كرمت علي بهذه النصيحة النافعة .
- فالير — لا تنزعني بنصائحك . لقد سبق ان عقدت نيتك ، وانت تشبئين بحجة واهية لتسمحي لنفسك بنكث العهد .
- ماريان — صحيح ، لقد عيرت جيداً .
- فالير — لا شك ؛ وان قلبك لم يشعر قط بمحوي بحب اكيد .
- ماريان — يا اسف ! التحرر في تفكيرك .
- فالير — نعم ، نعم ، انا حر ؛ ولكن نفسي التي آذيتها ربما سبقتك في مثل هذا العزم ؛ وانا اعرف الى من أمد يدي واحمل رغباتي .
- ماريان — آه ! لا اشك في ذلك ؛ ثم ان الحب الذي يثيره ما فيك من فضل وكفاية . . .
- فالير — يا ألهي ! لنندع الفضل والكفاية : لا شك ان حظي منها ضئيل ، وانت علي ذلك شاهدة . انا اعرف من تتفتح نفسها لتضمني اليها ولن تجد معابة في تعويض خسارتي .

ماريان = ليست الخسارة فادحة ؛ وستعزى عن هذا التحول بسهولة .
 فالير = سأبذل جهدي ؛ لك ان تثقي بذلك . ان القلب الذي بنسنا ليحرك فينا
 نخوة الكرامة فيجب ان نبذل كل جهدنا لنسيانته كذلك . واذا لم نصل في ذلك
 الى الغاية ، فيجب ان نتظاهر بالوصول اليها على الاقل . وانها لخساسة لا تقتفر ان
 نظهر الحب لمن بهجرنا .

ماريان = هذه العاطفة ولا شك ، نبيلة سامية .
 فالير = سامية جداً ؛ وينبغي على كل انسان ان يقرأها . واعجباً ! تريد ان احتفظ
 لك بجماعة حي الى الأبد ، وان اراك تصيرين امام عيني الى ذراعين آخرين ولا
 اضع في مكان آخر قلباً ترفضينه ؟
 ماريان = على العكس : من جهتي ، هذا هو الذي اتمناه . وكنت اريد لو ان الأمر
 قد انتهى .

فالير = اتريدينه ؟
 ماريان = نعم .
 فالير = كفاني اهانة ، يا سيدتي ، وسأرضيك الآب « ينخلو خطوة ليذهب
 ولكنه يعود دائماً »

ماريان = عال .
 فالير = تذكرني على الاقل انك انت التي اكرهتي على هذا المسعى الأخير .

ماريان = نعم .
 فالير = وأن ما انتويته ما هو الا على غرارك .
 ماريان = على غراري ، ليكن .
 فالير = يكفي : سيكون ما اردت في الوقت الميّن .
 ماريان = حسن جداً .

فالير = انت ترييني ، هذا آخر العهد بيني وبينك .
 ماريان = يا حبذا .
 فالير = ماذا (١) ؟

(١) يتظاهر بساع شي.

ماريان = ماذا ؟
 فالير = الست تناديني ؟
 ماريان = انا ؟ انت تحلم .
 فالير = حسن ! اتابع ادأ خطاي . وداعاً يا سيدتي .
 ماريان = وداعاً يا سيدي .
 دورين = اما انا ، فارى انك قد اضعنا وشكنا بهذا الهذيان . وانما تركتكما تحتصان
 كما تشاءان لأرى الى اين يصل هذا كله اخيراً . شولا ! يا سيد فالير .
 « تمسك بذراعك ليتقيف وتظاهر له بمقاومة شديدة »
 فالير = ويحك ؟ ماذا تريدان يا دورين ؟ دورين = تمال الى هنا .
 فالير = كلا ، كلا ، لقد ملكني الغضب . لا ينبغي ان تصرفني أبداً عن عمل ما ارادته .
 دورين = قف .
 فالير = كلا ، هذا امر قد بُت فيه
 دورين = آه !
 ماريان = رؤيتي تؤلمه وحضورى يطرده ، من الخير ان اترك له المسكان .
 دورين = « تترك فالير وتسرع الى ماريان ، الى الأخرى ! الى اين تركضين ؟
 ماريان = دعيني دورين = يجب ان تعودي .
 ماريان = كلا ، كلا يا دورين ؛ عبثاً تستبقيني .
 فالير = ارى جيداً ان منظرى عذاب لها يحسن ولا شك ان اتقدها منه .
 دورين = « تترك ماريان وتبادر الى فالير ، كذلك ؟ ليأخذك الشيطان ان انا
 تركتكما ! أترك هذا المزاح وتعاليا الى هنا . » تجرها »
 فالير = ولكن ما قصدك ؟
 ماريان = ماذا تريدان ان تفعل ؟
 دورين = ان اوفى بينكما وان النمس لكما يخرجنا . اجنونا ان اتما فتعدا الى هذا النزاع ؟
 فالير = الم تسمعي كيف خاطبتني ؟
 دورين = اجنونة انت حتى احتددت ؟
 ماريان = الم تشهدي الأمر ، الم تري كيف عاملني !
 دورين = غباوة من الطرفين . انها لا تنفى بغير ان تصون نفسها لك ، شهادة مني .

وهو لا يحب غيرك ، وأمنيته الوحيدة ان يصبح لك زوجاً ، اؤكد لك ذلك بحياتي.

ماريان = لم يعطيني اذاً مثل هذه النصيحة ؟

فالير = ولم تطلبين نصيحتي في موضوع كهذا ؟

دورين = كلاهما مجنون . هات ، ليعطي كل منكاً يده . هيا انت .

فالير = وهو يعطي دورين يده ، ما تفيد يدي ؟

دورين = آه ! انت ، يدك .

ماريان = وهي تعطى يدها ايضاً ، ما نفع هذا كله ؟

دورين — يا آلهي ! أسرها ، تقدما . انكما تحبان بعضكما بعضاً اكثر مما تفكران .

فالير = لكن لا نصغي (١) كثيراً وانظري الى الناس قليلاً من غير بغضاء .

د ماريان تدير طرفها الى فالير في ابتسامة خفيفة ،

دورين = اقول لكما الحقيقة ، فالمشاق مجانين !

فالير = يا الله ! اليس من حق ان اتشكى منك ؟ أصدقيني ، الم تتخايلي في سرورك

بما قلت لي من امر محزون مؤلم ؟

ماريان = الم تكن ، انت ، اكثر الرجال عقوقاً . . . ؟

دورين = لنترك هذه المجادلة الى وقت آخر ، ولنفكر في رد هذا الزواج البغيض .

ماريان = خبرينا اذاً الى اي الوسائل نرجع ؟

دورين = سنرجع الى كل الوسائل . ابوك مهزل وينطق بالأباطيل . ولكن يحسن بك

انت ان تنظاهري بقبول لطيف لحقه ، ليسهل عليك في حالة الخطر ان تتمطلي (٢)

هذا الزواج المعروض . اذا وجدنا الوقت الكافي فقد نتدارك كل شيء . فادعي

تارة ان مرضاً ما قد فاجأك فهو يقضي فسحة من الوقت ؛ وادعي اخرى بتطيرك

بصادفة ميت او كسر مرآة او رؤية ماء وحيل في المنام . وفي الناية ، ان احسن

ما في الأمر أنهم لا يستطيعون ان يزوجوك بغير فالير الا اذا وافقت وقلت : نعم .

ولكن يلوح لي انه يستحسن ليكون النجاح ضمن الايراكا احد تتحدثان معاً

ابداً . د تخاطب فالير ، اخرج ، ووسط اصحابك لتحتلي بما وعدت به ؛ سنوقظ

جهود اخيه (٣) وسندفع الحالة (٤) الى جانبنا . وداعاً .

(١) لا تكوني صبية (٢) تسوي (٣) اخي اورغون (٤) المير

فالير « مخاطب ماريان ، = مها تكتن جهودنا جميعاً ، فان املي الاكبر في الواقع ، معقود بك .

ماريان « مخاطب فالير ، = لا اضمن لك ارادة ابي ؛ غير اني لن اكون لأحد غير فالير .

فالير = كم تقمريني بالسرور ! ومها يجرو . . .

دورين = أه ! ابدأ لا يمل" العشاق هذرم . اخرج ، اقول لك .

فالير « يخطو خطوة ويعود ، = اخيراً . . .

دورين = يا لكما من ثرثارين ! اذهبي من هذه الجهة ، وانت ، اذهب من تلك .

« تدفع كلاً منها من كتفه ،



الفصل الثالث

المنظر الاول

داميس ، دورين

داميس = لأصيق^١ في الحال ، ولأعامل معاملة الوغل الذي في كل مكان ، اذا صدني
وقار او سلطان عن قصدي ، واذا لم اقم بأمر راعب جري !
دورين = اتوسل اليك ، بعض هذا الاستعداد لم يزد ابوك على ان يمدد^٢ بذلك تمهيداً .
الانسان لا ينجز كل ما يدور في رأسه ، والطريق طويل بين النية وتحقيقها .
داميس = يجب ان اضع حداً لهذا الأمر ، وان القي في اذنه كلمتين في الأقل .
دورين = رويدك ، تمهل ! دع امره (١) لنهاية خالتك ، كما تفعل فيما يختص بأبيك . ان
لها بعض النفوذ عاياه وهو يجارها في كل ما تقول ، ويمكن جداً انه يشعر بميل
اليها . ان شاء الله ان يكون هذا صحيحاً ! فسيكون شيئاً جيداً . واخيراً فصاحتك
تقتضيها ان تستدعيه : وهي تريد ان تسبر غوره عن هذا الزواج الذي يقلقك وان
تعرف ما يحبك في صدره ، ثم تعلم بما قد يولد من خصومات ضارة اذا هو وصل
بهذا العزم املاً . خادمه يقول انه يصلي ، ولم اتمكن من رؤيته ؛ غير ان هذا
الخادم قال لي انه نازل . اذهب ادأ وارجره ان تتركني انتظره .

داميس = استطيع ان اشهد هذه الحادثة .

دورين = ابدأ . يجب ان يكونا وحيدين .

داميس = لن اقول له شيئاً .

دورين = انت تسخر ؟ نعرف هياجك المعتاد . هذه اصح طريقة لانسداد الأمور ،
اذهب .

داميس = كلا : اريد ان اري من دون غضب .

دورين = ما اشد غيظك ! لقد جاء . انسحب .

(١) امر طرطوف

المنظر الثاني

طرطوف ، لوران ، دورين

طرطوف « وقد ابصر دورين » = لوران ، أشدد بالسوط قميصي واسأل الله
المسداية على الدوام . اذا اتوا لـبيروني ، فاني ذاهب اقسم مال الصدقات
على السجناء .

دورين = اي تصنع واي صلف !

طرطوف = ما تريدني ؟

دورين = ان اقول لك . . .

طرطوف « يسحب مندبلا من جيبه » = آه ! يا آلهي . ارجوك ، قبل ان تتكلمي
خذي هذا المنديل .

دورين = كيف ؟

طرطوف = استري هذا الصدر الذي لا يمكنني ان اراه : يمثل هذه الاشياء تؤذي
النفوس ، ان هذا ليثير الخواطر الآثمة .

دورين = انت اذن سهل على الغواية والتجهم على حواسك تأثير كبير ؟ لا اعرف
حقيقة اي حرارة تشترك : غير اني لست سرية الشهوة ، انا ، ولقد اراك عريان
من الاعلى الى الأسفل من غير ان يفريني جلدك .

طرطوف = ليكن في كلامك شيء من الحشمة ، والا فاني منسحب في الحال .

دورين = لا ، لا ، انا التي سأتركك مرتاحاً ، وليس لي غير كلمتين اقولها لك . السيدة
نازلة الى هذه الغرفة ، وهي ترجوك السماح لها ان تتحدث اليك بكلمة .

طرطوف = وا اسفاه ! بكل رضى وسرور .

دورين « لنفسها » = كم يرق ! الحقيقة ، أتي دوماً على رأيي فيه .

طرطوف = أعن قريب تأتي ؟

دورين = اظن اني اسمعها . نعم ، هي بنفسها . اترككما معاً .

المنظر الثالث

المير ، طرطوف

طرطوف = لتمنحك رحمة السماء صحة الروح والجسم الى الأبد ، ولتبارك ايامك بقدر ما يتعنى لك اوضع اولئك الذين يلهمهم حبها .

المير = انا مدينة كثيرًا لهذا الدعاء الشريف . ولكن لناخذ كرسياً نستريح عليه .

طرطوف = كيف تتحديتكَ الآن ؟

المير « وهي جالسة » = بخير ، لقد انصرفت الحجي منذ قليل .

طرطوف = ليست صلواتي اهلاً تستنزل هذا الفضل ؟ غير انني ما اتهلت الى السماء ابتهالاً الا وهو يرمي الى شفاثك .

المير = لقد اكرت اهتماماً بي .

طرطوف = لا يمكن ان اكثر اعزاز صحتك الغالية ، وبودني لو اعيدها اليك ببذل صحتي .

المير = انك بذلك تدفع الخبز المسيحي الى الأمام ، وانا مدينة لك بالكثير على كل هذا المعروف وحسن الالتفات .

طرطوف = ما افعله من اجلك اقل مما تستحقين بكثير .

المير = اردت ان اسارك امرًا ، ويسرنى كثيراً ان لا احدهنا يترقبنا .

طرطوف = وانا كذلك مسرور جداً ؟ ولا شك انه يا سيدتي يروقي ان اراني وحيداً معك ؟ تلك فرصة سألت الله ان يتيحها لي ، فلم يمنحها الى هذه الساعة .

المير = اما انا ، فما اريده هو حديث كلمة ، تفتح لي فيها قلبك ولا تكنمني شيئاً (١) .

طرطوف = وانا كذلك لا اريد من فضلك الذي لا مثيل له الا ان اكشف لك عن كل نفسي ، وان اقسم لك على ان الضجة التي احدثتها عن الزيارات التي تلتقها بحاسنتك (٢) ما هي نتيجة بفضاء لك ، بل هي من فرط الوداد الذي يدفعني ، ومن محض شعور . . .

(١) داميس يفتح خلسة باب الغرفة التي انسحب اليها فتحة صغيرة ليسمع المحادثة .

(٢) يتمد المؤلف هذا الاسلوب المتكلف في حديث طرطوف .

المير = انا ايضاً افسرها تفسيراً حسناً ، واعتقد ان سعادتي الابدية هي التي تثير اهتمامك هذا .

طرطوف « يضعظ على طرف اصابعها » = اجل ، يا سيدتي ، من دون شك ، وان رعايتي الى درجة . . .

المير = اوف ، لقد آلمت يدي بضغطك .

طرطوف = هذا فرط الود . لم ارد قط ايلاسك ، وكنت بالأحرى . . . « يضع يده على ركبته » ،

المير = ما تفعل يدك ؟

طرطوف = اديتن ثوبك ، نسيجه ناعم .

المير = أه ! من فضلك ، دع ، الدغدغة تؤثر في كثير . « تبعد كرسيها وطرطوف يقرب كرسيه »

طرطوف = يا آلهي ! ما اروع الصناعة من هذه الناحية ! انهم يعملون في ايماننا بصورة عجيبة ؛ ابدأ لم نرم من قبل يهرون في كل شيء الى هذه الدرجة .

المير = صحيح . ولكن لتكلم قليلاً في قضيتنا . يقال ان زوجي يريد ان ينقض عهده ويعطيك ابنته . قل لي ، اصحيح هذا ؟

طرطوف = لقد حدثني بكلمتين عنه ، ولكنه يا سيدتي ، اذا اردت الصدق ، ليس هذا بالسعادة التي احب اليها ، وارى في مكان آخر جواذب الهنداء الرائعة التي اهفو اليها .

المير = ذلك انك لا تحب شيئاً مما في هذه الحياة الدنيا .

طرطوف = ليس في صدري قلب من حجر .

المير = اما انا ، فاعتقد ان زفرائك الى السماء تتوجّه ، وأنه ما من شيء في هذه الدنيا يستوقف رغباتك .

طرطوف = الحب الذي يربطنا بالحاسن الخالدة لا يمت فينا الميول الفانية ، وحواسفنا سرعان ما تسجرها صنائع الله الكاملة . ان جماله لينعكس في امثالك ، ولكنه قد استودعك اندر عجائبه : لقد افاض على وجهك بهاء يهر الميول ويأسر الألباب ؛ ولم استطع ان اصوب نظري اليك ، ابنتا المخلوقة الكاملة من غير ان اعجب فيك برب العالمين ومن غير ان اشعر بقلبي يخفق بحب لاهب اسام اجمل التصاوير التي

يتجلى فيها . لقد خفت اول بدء ان تكون هذه الرغبة الخفية مكرماً ماهرماً من الشيطان ؛ حتى لقد عزمت على ان اهرب من عينيك ، حين خيل الي انك عثرة في سبيل نجاتي . بيد أنني عرفت اخيراً ، ايها المليحة الحبيبة ، ان هذا الهوى يمكن الا يكون من الاثم في شيء ، واتي استطيع ان اوفسق بينه وبين العفة والحشمة ، وهذا الذي يبعثني على ان اسلم قلبي اليه . اعترف ان جرأتي على تقديم قلبي اليك هي جرأة عظيمة . غير انني انتظر في رغباتي كل شيء من لطفك ومعروفك ، ولا شيء من جهود ضمني ونقصي الباطلة ؛ فيك املي ، وفلاحي ، وراحة بالي ، عليك يتوقف عذابني او نعيمي ، واخيراً فسأكون بقرارك وحده سعيداً اذا شئت وشقياً اذا احببت .

المبر = التصريح ظريف تماماً ، ولكنه ، في الحق ، مدهش . كان يجب ، فيما يظهر لي ، ان تسليح قلبك على نحو احسن ، وان تتعقل قليلاً في مثل هذا القصد . ان ناسكاً مثلك ، يذكره في كل مكان . . .

طرطوف = أه ! ان نسكي لا يفض من شعور الرجل في نفسي ؛ وحين تقع العين على مفاتيح السبابة يستسلم القلب ولا يبحث في شيء . اعلم ان مثل هذا الخطاب يسدو مني غريباً ؛ ولكنني يا سيدتي ، بعد كل شيء ، لست ملاكاً ؛ واذا تكبرت اقرارني الذي لفظته ، فلتلومي محاسنك الجميلة فيه . فئذ تلات امامي انوارها العلوية اصبحت سيدة آمرة على نفسي ؛ ان عذوبة نظراتك السبابة التي لا توصف تغلبت على مقاومة قلبي العنيدة ؛ لقد انتصرت على كل شيء ؛ على صياحي ، على صلواتي وعلى دموعي ، ولفت رغباتي كلها الى ناحية محاسنك . لقد حدثت عيناوي وزفراي بذلك الف مرة ، وأعمد الآن للسانني زيادة في الايضاح . اذا انت تأملت بنفس حليلة شدائد عبدك الدليل ، اذا وجب ان تتفضل الطافك بتخفيف آلامي وان تتنازل فتتضع الي وجودي الحقير ، فيسكون لي من اجلك دائماً ، يايتها الأعجوبة الحلوة ، نسك منقطع النظير . لن يضار شرفك معي أبداً ، وليس ثمة ما يخشاه من طرفي . ان كل هؤلاء الظرفاء في البلاط الذين تحين بهم النساء هم صاحبون في اعمالهم ، عابثون في اقوالهم ، نراهم لا يفترقون عن التباهي بما اصابوه من نجاح ؛ وما نالوا خيراً الا لشروء ، فيدنسون بلسان طائش يأتمنه النساء المذبح الذي يضحي فيه قلوبهم . ولكن الناس الذين من امثالنا يتحرقون بنار كامنة ، واثن معهم مطمئنتات دائماً على اسراركن . ان مراعاتنا لسمعتنا يضمن للحبيبة كل شيء ؛ فينا



طرطوف: — وأخيراً فساكون بقراركِ وحده سميداً
إذا شئتِ وشقياً إذا أحببتِ .

نحن انما نجد حين تقبّل قلبنا الحب الذي لا تشوبه الفضيحة والسرور الذي لا ينغصه الخوف .

المير = اصفيت الى حديثك ، وقد اوضحت فصاحتك بعبارات قوية عما في نفسك . الا تخشى ان انقل لزوجي هذه الرغبة الملائفة ، وان يكون اطلاعه السريع على حب في هذه الصورة سبباً لافساد الصداقة التي يحملها لك ؟

طرطوف = اعلم عظيم حلمك ، وانك ستفقرين لي تهووري ، وستلتهمسين في ضعف الانسان لي عنذراً على انفعالات حب لا يقع منك موقفاً حسناً ، وانك ستأخذين بعين الاعتبار حين تنظرين الى هيتك ، أنني لست اعمى ، وان الرجل من لحم ودم .

المير = غيري قد يتلقى هذا الأمر على شكل آخر ؟ ولكني اريد ان اكشف عن رصاتي . لن اتحدث بالأمر الى زوجي ؟ ولكنني اريد ، بالمقابل ، شيئاً منك : وهو ان تحت بصراحة ومن غير ممحاكة زواج فالير من ماريان ، وان تعدل انت نفسك عن استغلال سلطة جائرة تريد ان تنعش املك على حساب رجل آخر ، و . . .

المنظر الرابع

داميس ، المير ، طرطوف

داميس « وقد خرج من غرفة صغيرة كان قد توارى فيها » : « كلا يا سيدتي ، كلا ، هذا يجب ان يشبع . كنت في هذا المكان حيث استطعت ان اسمع كل شيء » ؛ ويظهر لي ان رسمه السماء قادني اليه لتخزي كبرياء خائن يضر بي ، لتفتتح لي طريقاً للانتقام من نفاقه ومن وقاحته ، ولتزيل ضلال ابي وتضع له في وضوح النهار نفس فاجري محدثك عن الحب .

المير = كلا ، داميس : يكفي ان يصير عاقلاً ، وان يبذل جهده ليستحق العفو الذي تمهدت به . لا تناقضني في هذا الأمر فقد وعدت به . وليس من طبعي اثاره الضوضاء : المرأة تهزأ بامثال هذه الحماقات . ولا تزعج بها اذني زوجها ابدًا .

داميس = لك اسباب لتتصرفي على هذه الصورة ، ولي اسباب للعمل على صورة اخرى . في تجنبه المكروه فكاهته ودعابة ؛ ولقد طال انتصار ما لورعه الكاذب من سفه الكبرياء على غيظي الحق ، واقام بيتنا واقمه . لقد افراط الخداع في توجيه ابي ،

وافسد علي وعلى فالير حبنا . يجب ان اصحح له رأيه في الخائن ، وقد قبض لي الله طريقاً سهلة لذلك . فاشكره على هذه الفرصة السانحة ، وهي أنفس من ان افراط فيها : والا فهو جدير ان يسلبنيها ، اذا هي حصلت في يدي ولم انتفع بها .

المير = داميس . . .

داميس = كلا ، ارجوك ، يجب ان أفعل مايسدور برأسي . ان روحي الآن في فيض من سرورها . عبثاً ترجو كلماتك ان تحملني على ترك لذة الانتقام لنفسي . اريد ان أهني الأمر وهذا هو بالدقة مايرضييني .

المنظر الخامس

اورغون ، داميس ، طرطوف ، المير

داميس = سنزعج قدمك يا ابي بمحدث جديد اذهلنا وحيثنا . لقد كوفئت جيداً على ملاطفاتك الكثيرة ، وهذا السيد يترف بعطفك وحنانك ويحزيك بها أوفى جزاء . لقد كشف عن حبه لك وغيرته عليك : اقل ما في الأمر انه يهتك حرمتك ويلوث شرفك ؛ فاجأته وهو يروح للسيدة بحبه الاثيم . انها رقيقة الطبع ، يحملها الافراط في الرصانة على ان تحتفظ دونك بالسر ؛ ولكنني لاسطيع ان اترفق بمثل هذه الوقاحة ، واعتقد ان في كلماتك اياها اساءة اليك .

المير = نعم ، اعتقد انه لا يجوز للمرأة ابداً ان تمكر صفو زوجها بباطل هذه الأحاديث ، وأنه ليس على هذا يتوقف الشرف ، وانه يكفيننا ان نعرف كيف ندافع عن انفسنا : هذا رأيي . ولو كان لي عندك يا داميس كلمة مسموعة لما تفوهت بشيء .

المنظر السادس

اورغون ، داميس ، طرطوف

اورغون = هل يصدق ، يأتيها السماء ، ماسمعه ؟

طرطوف = اجل ، يا اخي ، فانا شرير ، مجرم ، مذنب شقي ملاّن بالخطايا ؛ بل اكبر

فاجبر وجد على الزمان ؛ كل لحظة من حياتي مثقلة بالدلس والاوزار ؛ ماهي الا ركام
من ذنوب وارجاس ؛ وارى ان الله يريد ان يخزيني في هذه المناسبة جزاء ما كسبت
يدي . ومها عظمت الجريمة التي قد آلام فيها ، فانا لا اريد ان يكون لي كبرياء
الدفاع عن نفسي منها . صدق ما يقال لك ، اغضب ، أطردي كالحجر من بيتك : فما
ينزل بي من عار الا وانا استحق منه الزيادة .

اورغون « لابنه » — آه ! يا خائن ، أنتجاسر وكشين فضيلته العفّة بهذا الزور والبهتان ؟
داميس — كيف ؟ هل يحملك ما تصطنعه هذه النفس المرائية من وداعة على
تكذيب ... ؟

اورغون — اسكت ، ايها الطاعون البغيض .
طرطوف — آه ! دعني يتكلم : انت تخطيء اذ تؤنبه ، واولى بك ان تصدق ما يقول .
لماذا تكون ممّي على كل هذه السباحة في عمل كهذا ؟ هل تعلم ، بعد كل شيء ،
ما انا به خليف ؟ هل تركز يا اخي الى ظاهري ؟ وهل تحسن الظن بي لما تراه من
هيئتي ؟ كلا ، كلا : انك تنخدع بالظاهر ، وما انا بأقل مما يعتقد بي ، مع الأسف ؛
كل الناس يحسبون اني رجل صالح ، ولكن الحقيقة الخالصة هي اني لا اسوي
شيئا . « مخاطب داميس » :

نعم يا ولدي العزيز ، تكلم : صفني بالخداخ وبالفضيحة ، لقبّني بالعضال ، بالله ،
بالقاتل ، أثقاني بأكره من هذه الأسماء : فلن اناقضك في شيء ، لقد استأهلتها ؛
وأريد ان احتمل عارها راكما ، عاراً ازلته بي خطايا حياتي .

اورغون « لطرطوف » : — لقد افرطت يا اخي « لابنه » الا يخشع قلبك يا خائن ؟
داميس — كيف ؟ هل تفتنك كلماته الى درجة ... ؟

اورغون — أسكت يا وغيث « لطرطوف » : ايه ! يا اخي ، انهض ، ارجوك !
« مخاطب ابنه » ، يادنس !

داميس — يمكنه ...

اورغون — اسكت .

داميس — اكاد اخفق ! كيف ؟ تظنني ...

اورغون — لئن نبست بكلمة واحدة لأحطيم درايعك .

طرطوف — سألتك بالله يا اخي ألا تحتد . أفضل ان اقاسي العذاب على ان

بصبي به سبي خدش بسيط .

اورغون « لأبنة ، — : يا لك من عاق !

طرطوف — دعه في سلام . اذا وجب ان اجثو على ركبتني لألتمس منك العفولة . . .

اورغون « لطرطوف ، — يا أسف ! انت تسخر ؟ « لأبنة » : سوء لك ! انظر طيب قلبه !

داميس — اذن . . .

اورغون — صه !

داميس — كيف ؟ اننا . . .

اورغون — سكوت ، اقول ؛ انا لا يخني علي السبب الذي يبعثك على مهاجمته : كلكم

تبعضونه ؛ وارى اليوم امرأني وولدي وخدامي كلهم يتميزون غيظاً منه ؛ انكم

لا تتورعون من استعمال كل شيء ضده بدون حياء لتنجسوا هذا الرجل العابد عن

بيتي . ولكنني سأبذل الجهود لاستبقائه كلما بذاتموها لاستبعاده . سأسرع في منحه

ابنتي إرغاماً لكبرياء أسرتي جميعاً .

داميس — اظن انك تحسن اليه اذا قبلت يده (١) ؟

اورغون — نعم ، يا خائن ، وسيكون ذلك منذ هذا المساء اغاظة لكم . آه ! انني

أفتحمكم جميعاً ، وسأريك انني يجب ان اطاع وأتني السيد الناذ الكلمة . هيسا ،

اسحب كلامك ، ايها الخائن ، وأنت نفسك بالخال على قدميه تترشاه .

داميس — من ، انا ؟ هذا اللص ، الذي بخداعه . . .

اورغون — آه ! أترادد يا صعلوك ، وتوجه اليه الشتائم ؟ إبنوني عصاً إبنوني عصاً !

« لطرطوف ، لا تهجزي . « لأبنة » هيسا ، فلتخرج من بيتي لساعتك ، ولا

تجسرن على العودة اليه .

داميس — نعم ، سأخرج ، ولكن . . .

اورغون — اعجل واترك المكان . احرمك يا وغد ارثي ، وأتبعك فوق ذلك لعنتي .

المنظر السابع

اورغون ، طرطوف

اورغون — يهين بهذه الصورة قديساً طاهراً !

(١) إشارة الى ان هوى طرطوف في الزوجة لا في الفتاة « المترجم »

طرطوف — يا آلهي ! تجاوز عنه فيما حدثه لي من الألم « لأرغون » لو علمت بأي حزن
أراهم يجتهدون أن يسودوا صفحتي عند أخي . . .

اورغون — واحسرتاه !

طرطوف — ان مجرد التفكير بهذا الجحود يؤلم نفسي اشد الألم . ما يعتريني من كراهة
له ونفور منه . . . ان قلبي من الانقباض بحيث اعجز عن الكلام ، ويلوح لي انني
سأقضي نحبي بسببه .

اورغون «سارع باكياً الى الباب الذي طرد منه ولده» — يا نذل ! يؤسفني ان يدي اشفقت
عليك ، ولم تصرعك من اول الأمر . استعد هذوءك يا أخي ولا تعصب .

طرطوف — لنضرب صفحاً عن هذا النزاع المكدر . ارى ما اثيره في هذا البيت من
بليلة واضطراب ، واعتقد انه من الضروري يا أخي ، ان افارقه .

اورغون — كيف ؟ اتمزح ؟

طرطوف — انني مبغوض فيه ، وارى انهم يحاولون ان يهيجوا شكوكك في
صديقي واخلاصي .

اورغون — ماذا يهم ؟ هل ترى قلبي مصغياً اليهم ؟

طرطوف — لن يقصروا في متابعة جهودهم ولا شك ؛ ولعل هذه الوشايات نفسها التي
اقت الآن ترفضها تعود في مرة اخرى فتصني اليها .

اورغون — كلا يا أخي ، ابدأ .

طرطوف — آه ! ان المرأة يا أخي تستطيع ان تخدع زوجها بسهولة .

اورغون — لا . لا .

طرطوف — أسرع واتركني انتزع منهم ، بائتمادي عن هذا المسكان ،
كل سبب للحملة علي .

اورغون — كلا ، ستبقى ؛ فالأمر يتعلق بحياتي .

طرطوف — خير ! واذن يجب ان اقهر نفسي . ومع ذلك ، اذا كنت تريد . . .

اورغون — آه !

طرطوف — ليكن ما تريد : لنضع حديث هذا الأمر . ولكنتي اعرف كيف يجب ان
انصرف بعد هذا . ان الشرف خطر وسريع التأثر ، والصدقة تقتضي ان اتلافى
الضوءاء وابتعد عن مواضع النهمة . سأجتنب امرأتك ، ولن تراني . . .

اورغون — كلا ، ستعاشرها وانف الجميع راغم . ختنق الناس غيظاً هو اكبر
لذاتي ، واريده ان يروك معها في كل آن . وليس هذا فحسب : أريد ان
اتخذهم جميعاً فلا ادع لي وريثاً سواك . وسأنزل لك لساعتي هذه ، وفق الأصول
المرعية تماماً ، عن كل " ما املك " . ان صديقاً طيباً مخلص الود اتخذته صهرأ
لهو اكرم عليّ واحب اليّ من الولد والزوجة والأهل . الا تقبل

ما اعرض عليك ؟

طرطوف — اتكن ارادة الله في كل شيء .

اورغون — يا للمسكين ! لتسرع في تحريرك بهذا . وليهلك الحساد مكرهين

صاغرين !



الفصل الرابع

النظر الاول

كليات ، طرطوف

كليات — نعم ، كل الناس يلفطون بهذا الامر ، ولك انت تثق بما اقول . ليست فضيحة هذا الخبر بما يشرّكك ، لقد رأيتك ايها السيد في الوقت المناسب لاصارحك رأيي بكلمتين . انا لا ابالي كل ما يمرضون ؛ بل انخطاوا واحمل الامر على العكس . فلنفرض ان داميس لم يحسن التصرف ، وأنه أخطأ في اتهامك : اليس من شبهة المسيحي ان يتجاوز عن الخطيئة ، وان يكبت شهوة الانتقام في نفسه ؟ وهل ترضى ان يطرد الولد في مخاصمتك من بيت ابيه ؟ اعيد عليك مرة اخرى واقول في صراحة : إنه ما من صغير ولا كبير الا تعاطفه الامر وشق عليه ؛ واذا رصكنت الي هذه الامور ولم تزدها سوءا . ضح لله بنضبك وأصلح ما بين الولد وابيه .

طرطوف — والسفاه ! اما انا ، فأتمنى من كل قلبي هذا الصلح : انا لا اكن له يا سيدي نفورا ؛ اسامحه في كل شيء ، ولا اعتب عليه شيئا ؛ وكنت احب من صميم فؤادي ان اسفاه ، لو لا ان السماء لا يمكن ان ترتضي ذلك ؛ فاذا عاد الى هنا ، علي انا ان اخرج . ان الائتلاف فيما بيننا ، بعد عمله الذي لم يكن له من مثيل ، قد يحجر الفضيحة : الله يعلم ماذا سيظن الناس في هذا الوفاق ! لعلهم يعزونه الى محض المكر والدهاء ، وسيقولون في كل مكان انني أحسست بمجريعتي فرحت اسطنع الحب واتكلفت الرضى على الذي يشمني ، وإن قلبي يخشاه ويحاييه املا في حمله على السكوت .

كليات — انك تتحل لنا اعداءا مختلفة ، وتنطع في حججك ياسيدي وتكثف . ما لك ومصلحة السماء ؟ هل هي في حاجة اليها لتجازي الجرمين ؟ دع لها ما يجب لانتقامها ؛ لا تفكر بغير ما فرضته من المعفو عن الاساءة ؛ ولا تلتفت ابدا الى احكام الناس اذا انت اثبتت اوامرها السامية . واعجبا ! يحول التفاتنا

السخيـف الى ظنون الناس دون روعة العمل الطيب ؛ كلا ، كلا ، لنعمل دائما بما يأمر الله ولا نشغل بالنا بأيما شاغل آخر .
 طرطوف — لقد ذكرت لك ان قاي يصفح عنه ، وهذا يا سيدي هو العمل بما توصي به السماء ؛ ولكنها لا توصي ان اعيش معه بعد فضيحة هذا اليوم وعاره .
 كليـات — وهل تأمرك يا سيدي ان تفتح أذنك لما يشير به على ابيه محض هوى عابر ، وان تقبل العطية التي يقدمونها اليك من مال يقتضيك الحق الا تطلع منه في شيء ؟

طرطوف — الذين يعرفونني ان يفكروا في ان هذا هو عمل قصى طامعة . ان كل ما في هذه الدنيا من عراض لا يُفريني ، وبريقة الخلوب لا يزهيني ؛ واذا انا عزمت على ان اقبل من الاب هذا العطية التي اراد ان يقدمها الي ، فذلك لأتي والحق يقال اخاف ان يقع هذا المال كله في ايدي شريرة ، ان يصير الى اناس يستغلونه في العالم استغلالا اثما ، ولا يتفقونه ، كما انوي انا ، لمجد السماء وخير الاقرباء .

كليـات — رويدك ، يا سيدي ، لا تكن لك هذه المخاوف الدقيقة التي تثير شكاكوتي وارث حق . لا تتضابق في شيء وامسح له ان يمتلك ثروته على مساوئته ؛ اعلم ان تصرفه فيها على غير وجهها افضل من ان يلومك الناس على ان زويت المال عن صاحبه . وإن أعجب فمن افك قبلت من غير حشمة ولا ربكة عرضه عليك ؛ ذلك بأني اساءل اخيراً : هل في احكام التقى الصحيح ان تبرء الوارث الشرعي ماله ؟ واذا كانت السماء قد وضعت في قلبك عوائق لا تغلب في مساكنة داميس ، فاليس الاولى بك وانت الرزين الاريب ، ان تفسح بشف من هذا المكان ، والا ترضى منهم هكذا ان يحميدوا عن كل صواب ويعطردوا منه ابن البيت ؛ صدقني ، انك بذلك تمطي عن اخلاصك يا سيدي ...

طرطوف — الساعة الثالثة والنصف يا سيدي ؛ ان فرضاً دينياً يطلبني في الاعلى ؛ اعذرني على تركك في الحال .

كليـات — آه

المنظر الثاني

إلمير ، ماريان ، دورين ، كليات

دورين — رحماك ، ابدلك جهدك معنا لأجلها ، يا سيدي : ان نفسها تكابد عذاباً مميّناً ؛ ان الاتفاق الذي عقده ابوها لهذا المساء يشعرها باليأس في كل آن . انه آت . لنوحد جهودنا ، ارجوكم ، ولنحاول ان نصرّفه بالقوّة او بالحيلة عن هذه النية البغيضة التي اقامتنا جميعاً واقعدتنا .

المنظر الثالث

اورغون ، إلمير ، ماريان ، كليات ، دورين

اورغون — ها ! ينشرح صدري بان اراكم مجتمعين . « لماريان ، اني احمل في هذا الصك شيئاً يثير ضحكك ، وانت تعلمين ما يعني هذا .
ماريان — « على ركبتيها » يا ابي سألتك بالله الذي يعلم المي وبكل ما عساه ان يحرك قلبك ، لما تخلّيت قليلاً عن حقوقك الأبوية ولما أعفيتني من هذه الطاعة ؛ لا تُكرهني بهذه الشرعة القاسية على ان يبلغ بي الحال ان اشكو الى الله ما انا مدينة به اليك ؛ وهذه الحياة ، واسف ، التي منحتنيها لا تجعلها يا ابي منكودة ناعسة . اذا عاكست املاً حلواً كنتُ أنشعرُ ، ومنعتني ان اكون لمن احب ، فأثّقذني على الأقل بحلمك وكرمك اللذين اتضرّعا اليهما على ركبتيك ، من عذاب أن اكون لمن أنفر منه وأمقته ، ولا تجعلني على اليأس باستعمالك مطلق سلطتك علي .
اورغون « وقد احسّ بالحنان والعطف » : — ايها القلب كمن حازماً بلّينا ، اياك وضعف الانسان .

ماريان — : ان تعلّقك به وحدّ بك عليه لا يؤلّما تي ابدأ ؛ إجهر بهما ، امنحه مالاً ، واداً لم يكف هذا فضمّ اليه مالي (١) كله : اوافق على ذلك راضية مختارة وأتركه لك ؛ ولكن لا تصل ، في الاقل ، الى شخصي ، وأذن ان يُبلي الزهد في الدير ما قسمه الله لي من ايام ناعسة .

(١) اي مالها الذي ورثته عن امها

اورغون — آه ! هؤلاء تماماً عابداً ، حين يجارب الاب ملهاب غرامن ! انتصبي !
كلما تكرّرت قبوله زدت جدارة به : اكبحي جماح عواطفك بهذا الزواج ولا
تقلقي رأسي أكثر مما فعلت .

دورين — لكن ماذا ... ؟
اورغون — اسكتي ، انت ؛ خاطي من في زمرك : أمتك جازماً ان تنبسي بكلمة
واحدة .

كليانت — اذا اذنت ان نمجيك ببعض النصح ...
اورغون — ان لك اطيب ما في الدنيا من نصائح يا اخي ، انها معقولة جداً وانا أجلبها
غاية الاجلال ؛ ولكن استأذنك الا اعمل بها .

المير — « تزوجها » عندما ارى هذا لا اعرف ماذا اقول ، وان عمالك ليشير اعجابي :
تكذبنا في حادث اليوم معناه انك متأثر به كل التأثر ، وأنه يدرك كيف يريد .
اورغون — معذرة ، اني احكم بالظاهر : اعرف بجاراتك ابني الخبيث ؛ خفت ان
تستنكري منه الشرّك الذي ينصبه لهذا الرجل المسكين ؛ واخيراً فقد كنت
أهدأ من ان تصدّقي ، ولو كان الأمر صحيحاً لظهر اضطرابك على نحو آخر .

المير — هل يستدعي اعتراف بسيط من حب هائج ان يثور شرفنا وبصخب ؛ الا
نستطيع ان نمجيب على كل ما يمسه الا والنار في اعيننا والشتائم في افواهنا ؛ اما
انا ، فاني اسخر بكل بساطة من امثال هذه الاحاديث ، ولا ترضيني الضجة
عليها بحال ؛ احب ان نظهر حكمتنا بلطف وحسن تأن ، ولست في شيء من
هؤلاء الجفاة الذين يصطنعون الحشمة والذين يذودون عن شرفهم بالخاب والأنياب
ويريدون ان يشوّهوا لآفته كلمة وجوه الناس : وقاني الله من حكمة كهذه ! اريد
فضيلة غير شيطانية ، واعتقد ان برود رفض رزين لا يقل شأناً في رد القلوب .

اورغون — اخيراً ، انا اعرف الأمر ولا سبيل الى ان اغيّر شيئاً .

المير — اعجب ، مرة اخرى لهذا الضعف الغريب . ولكن ما تقول ان انا
اريتك انما ننهي اليك الحقيقة ؟

اورغون — ترينني ؟

المير — نعم .

اورغون — كلام .

المير = كيف ؟ اذا انا وجدت وسيلة فاريتك عياناً ؟
 اورغون = قصص في الهواء .
 المير = يا لك من رجل ! أجبني في الأقل . لا اكلك في تصديقنا ؟ ولكن لنفرض
 الآن اننا اربناك من مكان ما كل شيء واسمعناكه بوضوح ، لماذا تقول حينئذٍ عن
 رجلك الصالح ؟
 اورغون = في هذه الحالة ، اقول إن . . . لا اقول شيئاً ، لأن هذا غير ممكن .
 المير = لقد اشتط بك الضلال اكثر مما ينبغي ، وانت بذلك تغالي في اتهام في بالخداع .
 يجب ان أشهدك كل ما يقال لك ، من قبيل التسلية ليس غير .
 اورغون = ليكن : اوافق على اقتراحك . سنرى مهارتك . وكيف
 تستطيعين الخروج مما تضمنتيه .
 المير = « دورين ، أحضريني طرطوف .
 دورين = « لا لميره انه مكثار خبيث ، قد يصعب خدعه .
 المير = كلا : الانسان يخدع بمن يحب بسهولة ، والزهر هو والصنم يجبران الى غش
 المرء نفسه . انزليه لي . « لكليات وماريان ، واتما ، انسجبا .

المنظر الرابع

المير ، اورغون

المير — قدّم هذه المنضدة ، واجلس تحتها .
 اورغون — كيف ؟
 المير — اختفاؤك جيداً مسألة ضرورية .
 اورغون — لماذا تحت هذه المنضدة ؟
 المير — آه ، يا آلهي ! دعني اعمل . في رأسي قصد ، وستحكم عليه . اجلس هناك ،
 اقول : فادا جلست فاحذر ان يراك وان يسمعك .
 اورغون — الحق ان مسابرتي هنا كبيرة ؟ ولكن يجب ان نراك تخرجين من مشروعتك .
 المير — اظن انك لن تراجعني في امر . « تحاطب زوجها تحت المنضدة » :
 سأسس موضوعاً غريباً على الأقل : لا تقنص أبداً . يجب ان تسمح لي بقول كل

ما يمكن ان اقله ، وذلك لاقنك كما وعدت . سأحذر اللثام عن هذا المنافق باللفظ وحسن التآني ، فانا مضطرة الى ذلك ؛ سأعلل رغبات حبسه الداعر ، وسأفسح مجالاً رحباً لهوّه . وبما انني انما اظاهر بمواقفة رغباته من اجلك انت وحدك ومن اجل ان اخزيه ، فسأكف حالاً تقتنع ، ولن تصل الأمور الا الى حيث تريد . عليك انت ان تقف حبه الطائش وتصورن زوجتك وألا تمرضها إلا لما يجب لتبين خطأك : هذا شأنك ، ستصرف فيه كما تريد ، و... لقد جاء .

تهياً ، وحاذر ان تظهر .

المنظر الخامس

طرطوف ، المير ، اورغون

طرطوف — أبلغوني أنك تريدن ان تكلميني في هذا المكان .

المير — نعم . لديّ اسرار ابوح لك بها ، ولكن جري هذا الباب قبل ان اقولها لك ، وانظر في كل مكان لئلا يفاجئنا احده . طرطوف يغلّق الباب ويعود ، ان حادثاً شبيهاً بذلك الذي جرى منذ هنية ما هو بالتأكيد ما يجب لنا هنا . مثل تلك المفاجأة ما مرّني قط ؛ لقد اثار بي داميس اشد الخوف ، ولقد رأيت جيداً أنني بذلت وسمعي لأفسد عليه خطته واهدئي من ثورته . صحيح ان الاضطراب ملكني الى درجة انه لم يخطر لي قط فكرة تكذيبه ؛ ولكن من هنا كان كل شيء بفضل الله على احسن ما يرام وكالت الامور بذلك اكثر اماناً . ان الاحترام الذي يضمرونه لك قد بدّد العاصفة . لا يمكن ان تحوم حولك شبهة من زوجي . وهو يريد ان نكون معاً في كل آن (١) مبالغة منه في ازدراء المزاعم السيئة وضوضائها ؛ بسبب هذا استطيع غير خائفة لوما ان اختلي بك هنا ، وهو الذي يسمح لي ان افتح لك قلباً لعله عجل قليلاً في تقبل حبك .

طرطوف — هذا القول صعب على الفهم يا سيدتي ، فلقد كنت تتحدثين منذ هنية بلهجة اخرى .

(١) في المنظر الاخير من الفصل الثالث يقول طرطوف : سأعجب زوجتك . فبرّد عليه اورغون بقوله : « كلا ستماشرها وأقف الجميع راغم . . . واريد ان يركب معها في كل ساعة » .

المير — آه ! اذا كنت مغيظاً من مثل هذا الرفض ، فما اجهلك بقلب المرأة ! وما اقل
علمك بما يريد افهامه حين يدفع عن نفسه بهذا الفتور الشديد ! في هذه اللحظات
دائماً يكافح خفراً ما يقدم اليها من لطيف العواطف . ومها يكن عسذونا فيما
يسيطر علينا من حب فاننا لا بد واجدات دائماً في الاعتراف به بمض الخجل ؛
فأبى اولاً ونتمنع ؛ ولكننا نُسمر بالهيئة التي نتخذها باستجابة قلبنا واذعانه ، وبأن
فنا يدفعه الشرف فيعتز اماننا ولكن من مثل هذه الصدود يرجى كل شيء .
لا شك انني بهذا اقدم بين يديك اعترافاً جريئاً ولا اراعي مقتضيات عفتنا الا
قليلاً ؛ وبما ان الكلمة في هذا قد افلتت مني اخيراً ، فأرجو ان تخبرني : هل
كنت أصراً على منع داميس ، وهل كنت اصغي بكل رفيق الى اسبابك في تقديم
قلبك ، وهل كنت اتلقى الأمر على نحو ما رأوني افعل ، اذا لم يكن في مقدمة هذا
القلب ما يسرني ؟ وحين اردت انا نفسي ان أجبرك على رفض الزواج (١) الذي
اعلن منذ قليل ، فنادا عسى ان يفهمك هذا الالحاح اذا انت لم تفهم منه أنني وضعتك
نصب عيني ، ولم تفهم ما يجزء علي من شقاء هذا المقد الذي سيقسم في الأقل
فؤاداً اريده لي جميعاً ؟

طرطوف — ان سماع هذه الكلمات يا سيدتي من فم حبيب لهو لذّة فائقة : وشهدها
يسيل في جميع حواسي جرات كبيرة من عذوبة لا عهد للناس بها . لسعادة رضاك
قابة ما ابذل من جهد ، وفؤادي يلتبس غبطته الكبرى في اجابة رغباتك . غير ان
قلي يسألك الآن ان تمطيه الحربة في الأقدام على التشكك قليلاً في سمادته . فلقد
احسب هذه الكلمات حيلة شريفة لتضطرني الى تقض ما يتهيأ لي من زواج ؛ واذا
وجب ان اعبر لك بصراحة عما في نفسي ، فانا لن اركن الى معسول الأحاديث مالم
يؤكد لي جميع ما ذكرته شيء مما احن اليه من نعمك ، ويزرع في نفسي ثقة
راسخة بما تضمنين لي من ساحر العطف والوداد .

المير — تسمل لتنبه زوجها — كيف ؟ تريد ان تمضي بهذه السرعة وتزح من اول مرة
غرام قلبي ؟ اما انني لأركب الصعب واكلف نفسي العناء لاقدم اليك اعترافاً
سائعاً عذبا ؛ فها يكفيك هذا ايضاً ؛ الا يمكن ان نتوصل الى مرضاتك

(١) زواج طرطوف من ماريان ،

الا اذا بذلنا لك أقصى معروفنا ؟

طرطوف — كلما كان الانسان غير اهل لمعروف ضعف امله فيه . من الصعب ان تطمئن
امانينا الى اقوال . وان الشكوك اتعرونا بسهولة في الحظ الجيد ، فلا تركن اليه الا
بعد ان نستمتع به . اما انا الذي لا اعتقد الا قليلا بمجداري بان انال عطفك ، فاني
ارتاب بسعادة جرأتي (١) ؛ ولن اصدق شيئاً يا سيدتي ان لم ترضي سعيي حي
بالحقائق .

المير — يا آلهي ! كم يطنى حبك ويتحكم ، وفي اي هم غريب يلقي بنفسي ! كم يتخذ
على القلوب من شديد السلطان ، وكم يمتد في الوصول الى ما يبتغيه ! واعجبا ! الا
يمكن ان ندفع عن نفسنا مطاردتك ؟ الا تنسح لنا وقتاً لتنفس ؟ هل يليق ان
تأخذ بالقساوة البالغة ، وان تريد ما تريد بلا إجمال ولا احسان ، وان تسيء هكذا
بجهدك الملحاح اغتنام الضعف الذي تراه في نفوس الناس من اجلك ؟

طرطوف — ولكن اذا كنت تنظرين الي طاعتي ونحياتي بعين سمحة عطوف ، فلم تأبين
ان تقيمي لي الدلائل ؟

المير — ولكن كيف اوافق على ما تريد من دون ان ابوء بغضب السماء التي طالما
لهجت بذكرها ؟

طرطوف — اذا لم يكن مانع لتحقيق رغباتي غير السماء ، فان ازالة مثل هذا المانع
يسير علي ، ولا ينبغي لهذا ان يحتبس قلبك ابدًا .

المير — ولكنهم قد اخافونا كثيراً باحكام السماء !

طرطوف — في امكاني ان ابدد لك هذه المخاوف المضحكة ، وانا عليم بفن ينزع
الوساوس . حقاً ان السماء تحرّم علينا بعض المسرات ، فاسق داعر هذا الذي
يتكلم (٢) ، غير اننا نجد ما يؤمن الوفاق معها ؛ فهناك علم يرنخي من قيود وجداننا ،
حسب مختلف الحاجات ، ويقوم خطأ العمل بخلوص نيتنا ونقاها . على هذه
الأسرار يا سيدتي يمكن ان اطلعك ، وما عليك الا ان تسلسي لي قيادك . أجيبي
رغبتي ولا يداخلك الفزع ابدًا : اضمن لك كل شيء ، واحمل الضرر على عاتقي .
المير تسعمل بقوة ، تسملين بشدة يا سيدتي ؟

(١) يعتمد المؤلف في حديث طرطوف هذا الاسلوب (٢) المؤلف

المير — نعم، انا في عذاب.

طرطوف — يقدم الى المير لفافة من ورق — : هل لك في قطعة من رب^(١) السوس ؟

المير — انه زكام مستعص ، ولا شك ، وارى ان كل عصير العالم لا يغني هنا شيئاً .

طرطوف — في الحق ان هذا مؤسف .

المير — نعم ، اكثر مما تعبّر الكلمات .

طرطوف — وفي النهاية ، ان وسواسك تهون ابادته : لك ان توقفي هنا بالكتمان التام ، وما السر الا بضوائه ؛ وشيوع الفضيحة في الناس هو الخطيئة ، ولا معصية في معصية السر .

المير «وقد سمعت مرة اخرى» : — واخيراً ارى أنه يجب ان اجمع على القبول ، يجب ان اوافق على اجابة كل ما تريد ، وارى انه ليس لي في اقل من هذا ان ازعم انك^(٢) راض ، وأنتك قنعت وسلمت . لا شك انه يسوءني ان اصل من الامر الى ذلك ، واذا انا تجاوزته فمضطرة كارهة ؛ ولكنك باصرارك على اكرامي عليه ، وبامتناعك من الركون الى كل ما يقال ، وبما تريد من بينات اضمن واوثق ، كشمري ان لا بعيد لي عن ان اوطن نفسي على القبول وعلى إطابة خواطر الناس . اذا كان في هذا القبول خطيئة ما ، فالخسران والتثريب على الذي دفعتني الى هذه المعصية ؛ ولا يجوز ان يقع الذنب ولا شك علي .

طرطوف — اجل يا سيدتي ، احتمله انا ؛ والأمر في ذاته . . .

المير — افتح الباب قليلاً ، وارجوك ان تتحسس من زوجي في هذا المشى .

طرطوف — ما حاجتك الى التحفظ منه ؟ فيما بيننا ، هذا رجل تقوده من انقه الى كل ما نريد . انه ليفخر باحاديثنا كلها ، وقد وصلت به الى درجة انه يرى كل شيء من غير ان يصدق شيئاً^(٣) .

المير — وان يكن : اخرج لحظة ، ارجوك ، وانظر بدقة في كل مكان في ظاهر الغرفة .

(١) الرب : ختارة العصير (٢) طاهر الخطاب الى طرطوف وحقيقته الى اورغون الذي بقي ساكناً في مخبئه (٣) اتنى احد النقاد على مولير لانه لم يفتل السخرية من سداجة اورغون بلسان « أخيه المقدس » سخرية قد تؤثر في نفسه اكثر من تعرض طرطوف لزوجته .

المنظر السادس

اورغون ، المير

اورغون « يخرج من تحت المنضدة » — : اعترف لك ، هذا رجل قبيح ! لا تقطع حيزتي
وذولي ، وكل هذا يوسعي ألماً .

المير — عجباً لك ! اتخرج بهذه السرعة ! اتهازاً بالناس ؟ « عدت تحت البساط ، لم يحين
الوقت بعد ؟ انتظر الى الأخير لتثبت في الأمر ، لا تركن الى سائج الظنون .

اورغون — كلا ، ما خرج من الجحيم شر من هذا .
المير — يا آلهي ! لا ينبغي لللسان ان يصدق بخفة وطيش . دعك تقنع جيداً قبل ان
تسلم ، ولا تمجّل ابداً فتتخدع . « تضع زوجها وراءها »

المنظر السابع

طرطوف ، المير ، اورغون

طرطوف « وهو لا يرى اورغون » — كل شيء يا سيدتي يشارك بهصيب في ارضائي : لقد
جلت بنظري كل هذه الشقة ؟ لا احد فيها ؟ وان نفسي الجذلى . . .

اورغون — مهلاً ! اسرفت في مطاوعة هواك ، وما كان ينبغي لك ان ترخي لفرامك
العنان . أه ! أه ! يا رجل التقى والصلاح ، تريد ان تغدر بي وتخدعني ! كم كستيم
نفسك الى الشهوات ! كنت تستزوج ابنتي وتطمع في امرأتي ! لقد طالما ارتبت
بصحة هذا ، وكنت اظن دائماً انك ستغير لهجتك (١) . ولكن الدلائل قد
اندفعت الى الامام بصورة كافية : حسب هذا ، لا اريد ، انا ، زيادة
على ذلك .

المير « لطرطوف » — : انما كنت بهذا كله خلافا لطبيعتي ومزاجي : ولكنهم ارادوني
على معاملتك هكذا .

(١) بين اورغون هنا مادعاء الى حلول الانتظار . فقد بلت ثقته بطرطوف أن خيل اليه أن
الامر لا يبدو أن يكون نوعاً من اللعب والزاح ، وأن طرطوف سيمود فينطق بالجد .

طرطوف — عجباً لك ! اتصدق ... (١) ؟
 اورغون — هيس ، من دون ضواء ، ارجوك . ارحل عن هذا البيت ، ومن
 غير إحفال ولا اكرام .
 طرطوف — قصدي ...
 اورغون — هذه الأحاديث ليست في وقتها ؛ يجب ان تغادر البيت عاجلاً
 في الحال .
 طرطوف — عليك انت ان تغادره (٢) ، انت الذي تتحكم وتسيطر . البيت
 يخصني ؛ سأعلن الأمر ، ولأريتك ان لا طائل في الالتجاء الى هذا الرّوَّان
 الذي لتبحث عن نزاع معي ، وأنتك لست حيث تفكر اذ تسمى الي بالأهانة ،
 وأن لدي ما أخزي به الخداع وأؤدبه ، (٣) ما انتقم به للساء التي تمنعها ، وما يحمل
 الندامة الى اولئك الذين يتكلمون هنا باخراجي .

المنظر الثامن

المير ، اورغون

المير — ما هذا الكلام اذن ؟ وماذا يعني به ؟
 اورغون — الحقيقة ، انا في حيرة وارباك ، وليس في الأمر ما يضحكني .
 المير — كيف ؟
 اورغون — اري خطئي فيما يقوله لي ، ان نزولي له عن اموالي يهوش فكري .
 المير — عن اموالك ...
 اورغون -- نعم . هذا امر انتهى . ولكن هناك امر آخر كذلك يقلقي .
 المير — وما ذاك ؟
 اورغون — ستعلمين كل شيء . ولكن لننظر بالمجمل اذا كان في الاعلى صندوقاً باقية .

(١) طرطوف يبذل جهداً خيراً لاستفيد من سداجة اورغون . (٢) قبل ان يلفظ طرطوف
 هذه الجملة نراه يلازم الصمت اولاً ، ثم يأخذ معطفه ويعتمر قمته ويسير نحو الباب . هناك ،
 يلتفت ويحد النظر الى اورغون ، ثم يذف بصوت لاذع بهذه الكلمات : عليك انت ان
 تغادره . . . (٣) اشارة الى الصندوق التي سيحيي ذكرها في الفصل التالي .

الفصل الخامس

النظر الاول

اورغون ، كليات

كليات — الى اين تسرع ؟

اورغون — يا ويلي ! ما يدريني ؟

كليات — يلوح لي انه يجب ان نبدأ فنتشاور فيما يمكن عمله في هذا الحادث .

اورغون — تلك الصندوقة توسعني هماً ، بل انها لتحمل البأس الى قلبي اكثر من سائر الأمور .

كليات — هذه الصندوقة اذن سر خطير ؟

اورغون — هي امانة استودعنيها في تكتم عظيم ارغاس بنفسه ، ذلك الصديق الذي ارثي لحاله (١) . لهذا فقد وقع اختياره علي عند هربه . انها اوراق ترتبط بها حياته واملاكه ، على ما قاله لي .

كليات — ولم اذن تركتها ليدين أخريتين ؟

اورغون — كان ذلك بسبب مشكل وجداني : ولقد ساررت به خائني رأساً بلا ابطاء ؟ فأقنعني ان الافضل ان اعهد بها اليه ، ليكون لي من الانكار مخرج معين فيما اذا تمخرى البيت ، وبذلك يكون ضميري آمناً مطمئناً اذا انا انكرت الحقيقة وأقسمت لهم انها ليست في حوزتي .

كليات — هأنذا في حالة سيئة ، اذا انا اخذت بظاهر الأمر ، في الأقل . وان نزولك له عن مالك وثقتك هذه به ، اذا صارحتك بشموري ، هما تصرفان طائشان . قد يكلفك عسيراً مع هذه الرهون ؟ ثم ان اثارك اياه ، مع ما يملك من امرك ، حق آخر منك . وكان عليك ان تلتصق وسيلة أوطأ من هذه . اورغون — كيف ؟ تحت ظاهر جميل من الحساسة الدينية المؤثرة ، يخفي قلباً ماكراً ونفساً خبيثة ! وانا الذي آويته في كنفي سائلاً صلوفاً لا يملك من

(١) لاه محكوم عليه

شيء...! انتهى الأمر ، انتي لأزهدي في جميع الاختيار : وسأحمل لهم بعد الآن
مقناً راعباً شنيعاً ، ولا تكونن لهم شرّاً من شيطان .

كليانت — حسن ! هذه غضباتك ! ما من شيء تحتفظ فيه بمزاج لطيف رضي ؟ في
جادة الصواب ابدأ لا يسير عقلك ، فما تنفك متنعلاً من تقريظ الى افراط .
انت ترى خطأك ، ولقد عرفت انك كنت خدعة متقى مفتعل ؛ ولكن ما الذي
يدعوك في اصلاح نفسك الى ان تهافت في سقطة اكبر ، والى ان تلبس (١)
قلوب الأتقياء الصالحين جميعاً بقلب خور ان اثم ؟ واعجباً أفان مكر بك خبيث
مذيق اللسان (٢) بجرأة وراء بهرج فخيم من ملامح طابسة كاذبة ، أفانت تزعم
ان الناس في كل مكان على شاكلته ، وان ليس في الدنيا دين صادق ؟ اترك
للفاسقين هذا الاستنتاج السخيف ، ميّز بين الفضيلة وظواهرها الكاذبة ، لا
تجازف ابدأ بمحكّمك ولا تسرع ، واتخذ بين ذلك مكاناً وسطاً : حاذر اذا
استطعت ان توقّر الخدياع والنفاق ، ولكن اياك ان تنقّص الورع الصحيح
كذلك ؛ فان كان ولا بد من شطط وافراط ، فاحرى بك ان تخطئ من تلك
الجهة الاخرى (٣) .

المنظر الثاني

داميس ، اورغون ، كليانت

داميس — ماذا ؟ احق أن هذا اللص يتوعدك يا ابي ؟ وأنه ما من فضل الا بحام
من قلبه ، وان كبرياء اللثيمة التي تستحق كل مقت وسخط تتخذ من فواضلك
سلاحاً عليك ؟

اورغون — اجل يا ولدي ، واني لاشعر من ذلك بالآلام لا مثيل لها .

داميس — دعني ، اريد ان اجدع له اذنيه الأمتين . لا ينبغي لنا ان نلين امام
سفيه وتطاوله ؛ عليّ انا ان أريحك منه بضربة واحدة ، يجب ان أقضي عليه
لنتخلص من الأمر .

كليانت — هذا كلام اليافع الزرير بالضبط . هدي من فضلك هذا الهيجان الصاحب :

(١) تخلط (٢) مذق اللسان : كدوب (٣) لاحظ كيف يحامل المؤلف اللقاء هنا لتجنب تهمهم « المترجم »

نحن نعيش في ظل مملكة وفي زمن يعود فيه استعمال الشدة على مصالحنا بالأذى.

المنظر الثالث

السيدة پرنيل ، ماريان ، إلير ، دورين ، داميس ، اورغون ، كليانت

السيدة پرنيل = ماذا ؟ لقد بلغتني اسرار غيفة ؟
اورغون = تلك طرائف شهدتها عيناى ، وأنت ترين بم كوفت على عظيم خدماتي.
لقد ضمنت الي باخلاص رجلاً بائساً ، آويته واتخذته لي أخاً ، وكنت أثقله كل
يوم بأيادي البياض : اعطينته ابنتي وكتبت له جميع ما املك ؛ وفي الوقت نفسه ،
كان هذا الخائن يحاول العزم الآثم ، يحاول ان يغوي زوجتي ، ولم يكتف كذلك
بمحاولته الدنيئة ، فهو يجترى على ان يتهديني بما احسنت به اليه ، ويريد لهلاكي
ان يستعين بميزة له علي قلته اياهـ ايادي الطائشة ، ان يطردني من اوزاقي التي
آويته فيها ، وأن يردني الى الحالة التي انتزعت منها .

دورين = يا للمسكين !

السيدة پرنيل = لا استطيع ابدأ يا ولدي ان اصدق انه اراد ان يرتكب جريمة بهذه
الفضاعة .

اورغون = كيف ؟

السيدة پرنيل = ما زال رجال إلير محسدين .

اورغون = ماذا تعنين اذن بكلامك ، يا امي ؟

السيدة پرنيل = أن من في بيتك يحيون حياة غريبة ، وانا اعرف جيداً ما يحملون له
من بنضاء .

اورغون = ما صلة هذه البنضاء بما يقال لك ؟

السيدة پرنيل = قلت لك مثلاً مرة حيناً كنت صغيراً : ان الفضيلة في الدنيا
معذبة دائماً :

ولقد يموت الحاسدون وليس يتقطع الحسد

اورغون = ولكن ما صلة هذا المقال بامور اليوم ؟

السيدة پرنيل = انهم يخلقون لك مثلاً حكاية مخيفة عنه .

اورغون = قلت لك انني رأيت كل شيء بميني .
 السيدة برنيل = ان خبث النمامين لعظيم .
 اورغون = ستهلكيني يا اماء . اقول لك انني رأيت بأم عيني جريمة شماء .
 السيدة برنيل = لالسن دائماً محوم تنفثها ، وما من شيء في هذه الدنيا يستطيع ان يدفعها عن نفسه .
 اورغون = انت تقناولين حديثاً لا روية فيه ولا تفكير . اقول لك رأيت ، رأيت ، رأيت بأم عيني رأيت ، أعني رأيت : امن الواجب ان اعينه على مسامك مئة مرة ، وان أصبح صياح اربعة رجال ؟
 السيدة برنيل = ان الطبيعة عرضة للظنون الخاطئة ، وانما يفسر الخير بالشر على الأكثر .
 اورغون = يجب ان افسر بالخير الرغبة في معانقة زوجتي ؟
 السيدة برنيل = لهتك الناس وفضيحتهم ، ينبغي ان يكون بين يديك اسباب حق ، وكان عليك ان تنتظر ريثما تتوثق في الأمور .
 اورغون = يا للشيطان ! والسبيل الى ان اتوثق فيها اكثر من ذلك ؟ كان يجب اذن يا أم ان انتظر ان اراه امامي . . . ستحمليني على ان افوه بالخلل .
 السيدة برنيل = واخيراً فنحن نرى له نفساً هائمة صادقة في ورعها . وانا لا استطيع ان أمر في فكري ابدأ أنه اراد ان يحاول ما تذكرون .
 اورغون = كفى ، لو لم تكوني أُمي لمسا عرفت ما كنت اقله لك ، لقد ملكني الغضب .
 دورين — لأورغون ، تمهول عدل يا سيدي في امور هذه الدنيا : كنت تأبى ان تصدق ، وهي بدورها لا تصدقك .
 كليات = نصيح في الترهات اوقاتاً يجب ان نبذلها في اتخاذ الحيلة وحسن التدبير . ينبغي الا تنقل ابدأ عن وعيد هذا الوغد اللثيم .
 داميس = كيف ؟ اتبلغ وقاحته هذا الحد ؟
 إلير = اما انا ، فلا اعتقد ان هذه الدعوى ممكنة ، فليس فوق هذا الجحود جحود .
 كليات = لا تطمئنني الى هذا ، ستكون له وسائل يجوز بها جهوده عليكم . أن وطأة الدسائس لتقلق الناس بأقل من هذا وتربكهم في وعر المشاكل . واعود فأقول : ما كان ينبغي لك ان تثيره الى هذا الحد ، وفي يده هذا السلاح .

اورغون = صحيح ، ولكن ما اصنع ؟ امام غرور هذا الخائن لم املك شعوري .
 كليانت = كوددت من صميم قوايدي لو انهم استطاعوا ان يصلحوا ما بينكما بطل
 من الوفاق .
 المير = لو علمت ان بين يديه مثل هذه الاسلحة لما اوسعت مجالاً لكل هذه المخاوف ، ...
 اورغون = «لدورين، ما خطب ذلك الرجل ؟ أسرع واعلمي خبره . انا تماماً في حالة
 أزار فيها ؛

المنظر الرابع

السيد لويال ، السيدة پرنيل ، اورغون ، داميس ، ماريان ، دورين ، المير ، كليانت .
 السيد لويال — نهارك سعيد يا اختي (١) العزيزة ؛ انذني لي ارجوك، في مخاطبة السيد
 دورين — هو في اجتماع ، واشك في انه يستطيع الآن رؤية احد .
 السيد لويال — لا اريد ان أثقل عليكم هنا . لن يكون في محيئي ما يسوءه ، على ما
 اعتقد . وانما جئت في امر يسر .
 دورين — اسمك ؟
 السيد لويال — قولي له اني قد أتيت لخبره من قبل السيد طرطوف فقط .
 دورين «لأورغون» — هذا رجل جاء في لطف وايناس ، وقد اوفده السيد طرطوف ،
 في امر يقول إنه يسرك .
 كليانت — يجب ان ترى ما شأن هذا الرجل وما عساه ان يريد .
 اورغون — لعله جاء يصلح ما بيننا . اي شعور اظهر له ؟
 كليانت = لا ينبغي ان يظهر له شيء من نفورك واتقباضك ؛ واذا تكلم عن الوفاق
 فيجب ان تصغي اليه .
 السيد لويال = السلام يا سيدي . اهلك الله عداك ، وبلغك منك ، بقدر ما اتفق لك .
 اورغون = هذا المدخل اللطيف يلائم حكمي ، وبشئ من الآن بالوفاق .
 السيد لويال = لقد كانت اسرتك دائماً عزيزة علي ، وكنت خادماً للسيد ابيك .

(١) كان طرطوف يدعو اورغون اخاه وداميس ابنه ، وهذا مندوبه يدعو دورين أخته ١

اورغون = سيدي ، يخجلني كثيراً الا اعرفك والا اعرف اسمك ، ارجو عفوكم .
 السيد لويال = اسمي لويال ، ومعناه : شريف (١) ، من ابناء نورمانديا ، واقوم
 بوظيفة «مباشر ذي عصا» (٢) يرغم انف الحسود . ويسرنني أني امارس اعباءها
 بكثير من الشرف منذ اربعين عاماً بفضل الله . آيتك يا سيدي ابلغتك اذا اذلت ،
 دعوى من قرار ما .

اورغون = كيف ؟ انت هنا ... ؟
 السيد لويال = كفك غضبك يا سيدي ! ما هو الا انذار رسمي ، امر باخلاء
 المكان ، منك ومن بليك وبأن اضع متاعكم خارجاً ، واوسع مكاناً لآخرين ، من
 غير مطل ولا ابطاء ، كما تقضي به الحاجة ...

اورغون — انا ، اخرج من هنا ؟
 السيد لويال — نعم يا سيدي ، اذا احببت . البيت الآن ، كما تعلم ، يخص السيد الطيب
 طرطوف بلا جدال . هو السيد الحاكم من الآن وصاعداً على اموالك ، بموجب صك
 انا حمله : وهو مستوفي الشروط ، لا مجال لأحد ان يعترض عليه .

داميس — في الحق ان هذه الوقاحة عظيمة وانا بها معجب .
 السيد لويال — ايها السيد ، ليس لي اقل علاقة بك : إن شغلي مع ابيك : انه عاقل
 ووديع ، وهو اعلم بواجب الرجل الطيب من ان يريد بحال مقاومة العدالة .
 اورغون — ولكن ...

السيد لويال — اجل يا سيدي ، انا اعلم أن مليوناً لا يفريك بالعصيان ، وأنتك ستسمع
 لي كما يفعل الرجل الشريف ، أن اتخذ هنا الأوامر التي تلقيتها .
 داميس — لا يبعد يا سيدي المباشر ان تجرّ العصا هنا على ثوبك الأسود .
 السيد لويال — مر ابنك ان يسكت او ينسحب يا سيدي . والا فانا آسف لاضطراري
 ان اكتب ، ولأن اراك مسجلاً في صورة الدعوى .

دورين — هذا السيد شريف ظاهره غير شريف !
 السيد لويال — اتقي اعطف على رجال الخير والصلاح كثيراً ، ولم أحجب ان آخذ على
 عاتقي تبليغ هذه الأوامر يا سيدي الا لأسرك ولأسدي اليك معرفاً ، الا لاحول

(١) « ومعناه : شريف » ليست في الاصل ، وفيما يأتي من كلام الخادمة دورين سبب هذه التريادة .
 (٢) مأمور التنفيذ تقريباً

دون انتدابهم لهذه المهمة رجالاً لا ينطوي على مثل ما يدفعني من عوامل المودة لك
فيذهب معك مذهباً غير لطيف

اورغون — وهل هناك اسوأ من ان يؤمر الناس بالخروج من ديارهم ؟
السيد لويال — لديك مهلة ، فأنا اؤجلك الى الغد ، لا يجاز الأوامر يا سيدي . غير أنني
سأتى الى هنا فأقضي الليل مع عشرة من رجالي بلا فضيحة ولا ضوضاء . يجب ان
تأنيئني حسب الاصول المريعة بمفاتيح بابك قبل التوسم من فضلك . سأبذل وسعي
لئلا اكدر راحتك ولن اسمح بشيء غير مناسب . ولكن عليكم في الغد ، منذ الصباح
الباكر ، ان تظهروا رشاقة وخفة في إخلاء البيت حتى من اصغر متاع .
سيساعدكم رجالي ، وقد اخترتهم اقوياء لينهضوا بخدمتكم ويضعوا كل شيء خارجاً .
ليس في المستطاع افضل من معاملي هذه على ما ارى ؛ ثم اتى ارجوكم ان تبادلوني
ما في معاملي من مساحمة عظيمة وألا تزعجوني في القيام بما تقضي به وظيفتي .
اورغون — والى جانب ان نفسي لتطيب عن مئة من اجمل ما بقي معي من الريالات في الحال ،
لو اتى استطيع ان اضرب هذا الخائن بجمع الكف اقوى ضربات ممكنه .

كليات — دعه ، لا تفسد الأمور .

داميس — امام هذه الجراءة الغريبة يصعب علي ان املك نفسي ، وان يدي لتحكمني .
دورين — مع ظهر حسن جداً كهذا ، في اعتقادي يا سيد لويال ، لا بأس عليك من
بضعة عشي .

السيد لويال — لا نمجز عن مجازاة هذه البذاءة يا صديقي ، وليست النساء بمجازاة
من العقاب .

كليات — لننّه هذا كله يا سيدي ؛ كفى ؛ هات هذه الورقة بالمجل ، من فضلك واتركنا .
السيد لويال — الى الملتقى . اسبغ الله عليكم الهناء والسرور جميعاً .
اورغون — اخذك الله واخزى من ارسلك !

المنظر الخامس

اورغون ، كليات ، ماريان ، المير ، السيدة پرنيل ، دورين ، داميس

اورغون — حسن ، أنت ترين يا أم اذا كنت محقاً ، ويسمك ان تحكي مع ذلك

من هذه الدعوى : فهل عرفت اخيراً غدره وخيائنه ؟
السيدة برنيل — لقد اعتقيل لساني دهشاً ، ولكأنني احترُ من السحاب !
دورين « لاورغون » — تخطئ ، اذ تتشكى ، وبغير الحق توبخه ، فهذا ما يتفق ومراميه
الدينية . ان فضيلته لتبلغ كمالها في حب القريب . انه يعلم ان المال طالما افسد الانسان
فهو يريد ان ينتزع منك ، بدافع من الاحسان الخالص ، كل ما عسى ان يقف عشرة
في سبيل نجاتك .

اورغون — اخرسي : هذه هي الكلمة التي يجب ان توجه اليك دائماً .
كليانت — « لاورغون » ، هيا ننظر بأي نصيحة يجب ان تأخذ .
المير — اذهب وافضح جرأة هذا الناكر للجميل . هذه الوسيلة تبطل مفعول الصك .
ستبدو خيائنه اخس من ان يؤذن له بان يصيب ما يؤمل من نجاح .

المنظر الخامس

فالير ، اورغون ، كليانت ، المير ، ماريان ، السيدة برنيل ، داميس ، دورين

فالير — يؤسفني ياسيدي أن جئت بما يحزنك ؛ ولكن اراني مكرهاً بخطري داهم . ان
رجلاً من اخص اصداقائي يعرف اتهامي بكم فأفتنى لي بلباقة سرّاً رسمياً ، وقد بث
الي "إعلاماً من شأنه ان يحملك على الهرب من فورك . الخبيث الذي استطاع ان
يسقط نفوذه عليك زمناً طويلاً قد شكاك منذ ساعة الى الأمير ، ووضع بين يديه ، في
جملة ما رماك به من نبال ، صندوقاً هاماً تخص مجرمات تطارده الحكومة ، وقال انك
احتفظت بسرّها الآثم غير عابئ . بواجب الرجل نحو سيده . لا علم لي بتفاصيل
الجريمة التي يعزونها اليك ، ولكن امرأ صدر ضدك ، وقد كُتِف هو بنفسه ان يرافق
الموكل بالقبض عليك ، لضمان المجازة على الوجه الأكمل .

كليانت — هاهي حقوقه تممدها القوة ؛ من هنا يحاول الخائن الذي يدعي بحقه في
ارزاقك ان يستولي عليها .

اورغون — اعترف ان الرجل حيوان رذيل !
فالير — ان ايسر ابطاء قد يضر بك اضراراً عظيمة . عرّبي على الباب اتسهب بك ،
وقد جئتكم معها بالف ريال . لا تضيع وقتاً ابداً : ان سهمه لناخذ ، وهو من النوع

الذي انما نقيه بالفرار . اقدم لك نفسي لاقودك الى مكان امين ، واريد ان اراقك
في هربك حتى النهاية .
اورغون — كم انا مدين لأيدائك البيضاء ! وسأرد هالك شاكرًا في وقت آخر ؛ وارجو
الله ان يوفقي لأكفئك ذات يوم على جميلك هذا . الوداع . لتعنوا
انتم الآخرون . . .
كليانت — اسرع : سنفكر يا اخي بعمل ما يجب .

المنظر السابع

مفوض الشرطة ، طرطوف ، فالير ، اورغون ، المير ، ماريان
السيدة برنيل ، دورين ، كليانت

طرطوف — مهلاً قليلاً يا سيدي ، مهلاً ، لا تسرع : لن تذهب بعيداً في التماس
مأواك ، فانت سجين الأمير .
اورغون — يا خائن ، كنت تدّخر لي هذا السهم للاخير : هذه هي الطمعة التي تقضي بها
عليها الفاجر الأثيم ، وهأنت تتوّج بها كل خياناتك .
طرطوف — ليس في سبابك ما يستطيع ان يثيرني ، وقد تعلمت ان انحمل كل شيء في
سبيل الله .
كليانت — الاتزان عظيم ، اعترف .
داميس — في اي سفه يتلاعب الخبيث بالدين !
طرطوف — لن يكون لشوراتكم كلها ان تهيجني ، ولا افكر في غير
القيام بواجبي .
ماريان — ان لك ان ترجو من هذا مجداً عظيماً ، فالقيام بهذه المهمة شرف
كبير لك .
طرطوف — لا يمكن لهذه المهمة الا ان تكون شريفة حين تصدر عن السلطة التي
بمشتي الى هذه الأماكن .
اورغون — ولكن هل تذكرت ان يدي قد احسنت اليك ايها الناكر الفضل ،
وانزعجتك من البؤس والشقاء ؟

طرطوف — نعم ، اعرف ما تلقيت منها من معونات ؛ ولكن مصلحة الامير هي واجبي الأول ؛ ان شدة هذا الواجب المقدس المعادلة لتخني في قلبي كل شكران ، وانا اضحي لمثل هذه الروابط القوية بالصدق والزوجة والاهل وبنفسي معهم .

المير — يا المتناق !

دورين — ما امكر اساليبه وما اعلمه بالاستخفاء وراء الحجج الجميلة يتخذها من كل مقدس كريم !

كليات — ولكن اذا كان ما تنباهي به من الغيرة على اميرك من السجال بحيث تدعي ، فما الذي اوجب ألا تظهر هذه الغيرة إلا بعد ان باغتك اورغون واثت تحاول الوصول الى امرائه ، وألا تفكر بالوشاية به إلا بعد ان اضطره شرفه الى طردك ؟ ما كنت لأذكر منحه اياك كل ما في يده لألفتك عن الوشاية ؛ ولكنك اذ تريد ان يعامل هذا اليوم معاملة المجرم فلماذا رضيت ان تأخذ منه شيئاً ؟

طرطوف « المفوض » : خلصني يا سيدي من هذا الصخب ، وتفضل بتنفيذ امرك ، ارجوك .

المفوض — نعم ، لقد تأخرت كثيراً عن تنفيذه ولا شك : لقد دعوتني للقيام به في الوقت المناسب ؛ إتبعني لذلك بالحال الى السجن الذي أعطته ماوى لك .

طرطوف — من ؟ انا يا سيدي ؟

المفوض — نعم انت .

طرطوف — لماذا السجن اذ ؟

المفوض — لست اريد ان ايسن لك الأسباب . « يخاطب اورغون » : هدي يا سيدي روعك من هذا الخوف العظيم . نحن نعيش في رعاية امير بكره الخداع ، امير قديم ينفذ بيمينه الى اعماق القلوب فلا يؤخذ بشيء مما للخادعين من مكر ودهاء . وقد حباه الله بصيرة وقادة تلقى على الامور دائماً نظرات سديدة اربية . فما من شيء يزينها ، ولا يتورط عقله الحصيف في ظلم ابداء . يولي رجال الخير براً باقياً ، ولكنه لا يظهر هذه الحماسة لهم من غير هدى وتميز ، فحبه لرجال الخير الحقيقيين لا يصدّه عن علم ما يقترفه الادعياء الكاذبون . وما

كان لهذا (١) ان يفرّ به وهو الذي امتنع على فتح ادق وامكر . لقد خلص الأمير ببارع فهمه من اول الأمر الى ما في طوية هذا الرجل من ندالة ولؤم . لقد اختان نفسه من حيث جاء يلصق بك التهمة ، وكشف للامير ، قبل من نبال العدالة الألهية ، أن في برديه خائنة (٢) مشهوراً ، وكان قد خبّر عنه بغير هذه الصفة ؛ وهذا بيان مفصل من فظائع يمكن ان تؤرّخ في مجلدات . لقد استقبح المليك بوجز القول عقوقه الدنيء وبفيه عليك . واضاف هذا العمل الى سلسلة فظائمه ، ولم يأمرني بطاعته الى هذا الحد الا ليرى كيف تنحط الوقاحة الى اسفل دركاتها ، ثم ليحملك بواسطته على خطئة فتسجزم امرك وتنتهي ما بينك وبينه . اجل ، لقد امرني ان اجرّد الخائن بين يديك من كل اوراقك التي يزعم انه صاحب الحق فيها . ثم انه ابطال بما له من سلطة مطلقة قيود ذلك الصك الذي يملكه جميع ارزاقك ؛ واغفر لك اخيراً هذه الخطيئة المكتسبة التي أزلت فيك فيها نقي صديقك ؛ ذلك ما يكفي به على سابقتك في دعم حقوقه بولائك وغيرتك (٣) ، ليُعلم أنه يعرف كيف يميز الثواب حتى حين لا يخطر لنا على بال ، وأنه ما كان ليخس الجدارة والفضل حقها ابداً ، وأنه أذكر للخير منه للشر .

دورين — الحمد لله !

السيدة رنيل — الآن اردد انقاسي .

المير — نتيجة طيبة !

ماريان — من كان يجرو على التحدث بهذا !

اورغون «لطرطوف» — جميل! هأنذا يا خائن . . .

كليانت — على رستك (٤) يا اخي ، توقف ، ولا تنحدر الى امور لا تليق بالحر الكريم ؛ دع الشقي وحظ المائر . حسبه وخزات ضميره ترهقه وتفضنيه ، فلا تكن لها عوناً فتزيد غمها على غم ؛ وأحرى بك ان تتغنى له أن يتخذ قلبه في هذا النهار سبيله السميد الى احضان الفضيلة ، وأن يقوم سيرته

(١) يشير الى طرطوف (٢) صينة مبالغة من خائن (٣) راجع المنظر الثاني من الفصل

الاول (٤) مهلا ، اتد

بتكرمه رذيلته ، ولعلك تستطيع ان تخفف وطأة عدالة الأمير حين تتوجه اليه
وتجثو بين يديه شاكرًا رحمته ولطف معاملته .
اورغون — نعم ، لقد أحسنت قولاً : هيا نبهج ونظر على قدميه رضانا
وشكرنا على ما جانا به من جميل الأحسان . وبعد ان نوفي بمض ما لهذا
الواجب الأول علينا ، فلنقم بمسا يقضي به واجب آخر ، ولنكافي بزواج سعيد
أوار حب كريم صادق في فالير .



النساء العالمات

لمولير

اشخاص الرواية

- كريزال : — رب اسرة شعبية حسن الحال .
 - فيلامنت : — زوجة كريزال .
 - أرماند : — ابنتا كريزال وفيلامنت .
 - هنريت :
 - آريست : — اخو كريزال .
 - بيليز : — اخت كريزال .
 - كليتاندر : — عشيق هنريت .
 - تريستوتان : — احد المتحذلقين .
 - فاديوس : — عالم .
 - مارتين : — خادمة .
 - ليين : — خادم .
 - جوليان : — خادم فاديوس .
 - كاتب عدل .
- الحوادث تجري في باريس

الفصل الاول

المنظر الاول

ارماند ، هنريت

ارماند — عجباً لك ! أترغبين يا أختاه عن جميل اسم «الفتاة» وما فيه من حلوة وظرف ، وتجريئين على الاغتياب بزواجك ؟ أليكون لهذه الامنية الوضيعة ان تدور في رأسك ؟

هنريت — نعم يا أخت .

ارماند — هذه النعم هل تطاق ؟ أيمكن ان يصنئ اليها من غير ألم ؟

هنريت — أي شيء في الزواج يحملك يا أختاه على ... ؟

ارماند — أه ! يا آلهي ! أف لك !

هنريت — كيف ؟

ارماند — أه ! اقول أف لك ! ألا تدركين أي شيء كرهه يسوقه الى الذهن لفظ كهذا حالما يجري به اللسان ، وبأي صورة غريبة عساه ان يؤدي النفس ، والى أي منظر دنس يجر الفكر ؟ ألا ترعدين لذلك ابداً ؟ أليستطيعين ان توطئي النفس على نتائج هذه الكلمة ؟

هنريت — نتائج هذه الكلمة عندما اتصورها تربني زوجاً واولاداً وبيتاً ؟ واذا جاز لي ان ابحث في الأمر فاتي لا اري شيئاً يؤدي النفس وتزعده الاوصال .

ارماند — بالله ! اليكون لهذه العلاقات ان ترضيك ؟

هنريت — ومادا تصنع الفتاة في سنّي خيراً من ان تربط اليها في صفة الزوج رجلاً يحبها وتحبه ، وان تتذوق بهذا الاتحاد المشفوع بالمودة والحنان لذادات حياة بريئة ؟ اليس لهذا الرباط الموفق طلاوة وجاذب ؟

ارماند — يا آلهي ! ما احط مستوى فكرك ! ما أحقر الدور الذي تلعبينه على مسرح هذا العالم اذ تحبسين النفس على شؤون البيت ، واذا تقصرين النظر على زوج كالصنم

وأولاد كالعب ! فبلا تركت الى اجلاف الناس ودهمائهم شواغل منحطة من هذا القبيل . الى اغراض اعلى فلتسمهمتك ؛ فكري في تذوق لذات انبل ، احقري الحواس والمادة ، واستسلمي للفكر مثلنا استسلاما . ان لك من امنا قدوة حسنة يشرفها الناس باسم العالمة في كل مكان . حاولي مثلي ان تكوني ابنتها بحق ، وكوني مياة الى تلك الوداعة اللطيفة التي يسكبها في القلوب الشغف بالمطالعة . لا تكوني أمة يستعبد بها الرجل بقوانينه ويستذلها ، وتزوجي يا اختاء الفلسفة التي ترفعنا على الناس وتمنح العقل السلطان الأكبر ، بما تخضع لقوانينها الجانب الحيواني الذي تحططنا منه الشهوة الرعناء الى مقام البهائم . ذلك هو الغرام الجميل ، تلك هي العلاقات الحلوة التي يجب ان تشغل ايام الحياة . ان ما يشغل به كثير من النساء انفسهن ليبدو لي من الضمة بمكان .

هنريت — الله الذي قدر الأمور وأحكمها انما خلقنا لوظائف مختلفات ؛ وليس كل ذهن مركباً من مادة صالحة للفلسفة . فان يكن عقلك مخلوقاً للتخليق حيث ترتفع نظرات العلماء ، فان عقلي مخلوق يا اخت ليسير أرضاً أرضاً وليقتصر في ضعفه على الشئون الصغيرة . لا ينبغي لنا ابدأ ان نجد عما رسمته لنا السماء بحق ، وليتبع كل منسا ما توحى به غريزته . اقبلي ، بوثة عبقريتك العظيمة الرائعة ، في اماكن الفلسفة العالية ، على حين يلزم فكري هذه الفانية ونعم بمباهج الزواج الأرضية . فان اختلفت اغراضنا هكذا فسيكون باستطاعتنا معاً ان نحتذي مثال امنا : اما انت فمن ناحية الروح والارغبات النبيلة ، واما انا فمن ناحية الحواس واللذات الوضيعة ؛ انت من ناحية الانتاج الفكري والمعرفة ، وانا من ناحية الانتاج المادي يا اختاء .

ارماند — اذا اردنا ان نسير على خطة انسان ما فيجب ان نحتذيه في جميل سجاياه ؛ ليس من القدوة بها في شيء ان نعمل مثلها ونبصق .

هنريت — على انه ما كنت لتصبحي حيث تفاخرين لو لم يكن لامي غير هذه السجايا الحسان ؛ ومن حسن حظك يا اختاء ان عبقريتها السامية لم تشغل نفسها على المدى بالفلسفة . ألا فلتفضلني وتسمحي لي بامور حقيرة انت مدينة بحياتك لها ، وحذار ان تريدني على ان احذو حذوك فتحولي بذلك بين عالم صغير والحياة .

ارماند -- أرى ان عقلك لن يشفى من جنون إصراره على الزواج ؛ ولكن هلا
اعلمتي من فضلك بمن تفكرين فيه . فهل عسيت ان تطمحي ببصرك الى كليتاندر؟
هنريت -- وما لي ألا اطمح اليه؟ أتوزع الكفاية والفضل؟ أأكون اختياراً وضيعاً؟
ارماند -- كلا ؛ بيد أنه من هجر القصد وفحشه ان تريد فتاة انتزاع الثمنه من
اختها ؛ وما كان مجهولاً بين الناس ان كليتاندر حفي بي محب لي .

هنريت -- نعم ؛ ولكن حقاوته بك ذهبت ادراج الرياح ، فأنت لا تهبطين أبداً
الى حقارة الانسان : لقد عدت عن الزواج الى غير رجعة ، واستأثرت الفلسفة
بحبك غير منقوص . فماذا يضريك ان اطمح ببصري الى كليتاندر بعد اذ لم يهجنس
لك به خاطر ؟

ارماند -- ما كان لسلطان العقل على الحواس ان يعدل بنا عن التذاذ الحقاوة والملق؛
ولربما رددنا الفاضل الكفي زوجاً وقبلناه محباً عابداً في معيئتنا .

هنريت -- لا مانع عندي ان يوالي حبه واعجابه لكمالك ؛ ولا أزيد على ان آخذ ما
قدمه الي غرامه من عطف ورعاية سبق ان نبذتها .

ارماند -- ولكن هل انت كل مطمئنة الى ما يقدمه اليك عاشق مغضب ؛ ام
حسبت ان حبه لمينيك راسخ وثيق ، وان سعي حبه لي قد خبا واندر ؟

هنريت -- هذا ما قاله لي ، وانا اثق به .

ارماند -- لا تكوني يا اختاه مسرفة في ظنك الجميل ، وثقي انه إذ يدعي تركي اليك،
لا يفكر في الموضوع جيداً ويخادع نفسه .

هنريت -- لا علم لي بهذا ؛ ولكن من اليسير علينا ، اذا أحببت ، ان نستوضحه
الأمر . أراء آتياً ؛ في استطاعته ان يجعلنا على بينة من هذه القضية .

المنظر الثاني

كليتاندر ، ارماند ، هنريت

هنريت -- لتخرجني من شك الفتى فيه اخي ارجوك يا كليتاندر ان تشرح ما في
قلبك غني وعنّها ؛ اكشف لنا خفاياه وتفضّل باعلامنا ايّ الاثنتين على حق في
التطاول اليه .

ارماند = لا ، لا ، لا اريد ابداً ان افرض على هواك قساوة الافصاح عن نفسه :
 انا ارفع على الناس حرمتهم وأعلم ما اشد ما يربكهم تكاتمهم الاعتراف وجاهاً .
 كليتاندر ويخاطب ارماند = كلا يا سيدتي ، فان قلبي الذي قلما اخفى شيئاً لا يرى
 حرجاً في صراحة الاعتراف ؛ مثل هذه الخطوة لا تلقي بي في مأزق قط .
 وسأعترف بمجلاء وصراحة بان الملائق الحلوة التي اقف عندها وبان حيي ورغباتي
 هي في هذه الجهة ، ويشير الى هنريت ، لا ينبغي لك (١) ان تفضي لهذا الاعتراف
 لانك انت التي أردت ان تسير الأمور في هذا الاتجاه . لقد جذبتني محاسنك ،
 وأقمت لك الدليل الكافي بلطف زفرا تي على حرارة حيي ، اذ نذر لك قلبي غراماً
 خالداً ؛ بيد أن عينيك لم ترضيا بغنيمة . فعانيت تحت نيرهما اهانات واهانات ،
 وتسليطاً على قلبي باغيتين مزهوتين ؛ فلما بهظتني المتاعب ورحت بي الموم جعلت
 أبحث عن أسرٍ أرحم وغلّ اللين ؛ فوجدتها يا سيدتي في هاتين العينين ، ويشير
 الى هنريت ، ولأغليين قدرهما الى الأبد . برحيم نظراتهما جففتنا دموعي ، ولم
 تأتفا ان تقبلا ما عرضت محاسنك عنه . لقد أثر في نفسي طيبها واخلاصها
 النادرين فلن نستطيع قوة ان تترعني من اغلال حيي ؛ واني أجزو الآن فاناشدك
 يا سيدتي ألا تحاولي التأخير على حيي ابداً ، وألا تجهدي في استعادة قلب عازم على
 ان يموت في هذا الغرام الحبيب .

ارماند = واعجباً ! من قال لك يا سيدتي ان لدينا هذه الرغبة واتنا أخيراً جد
 مهتمين بك ؟ اراك اذ تتصور ذلك من الفكاهة بمكان ، واذ تصرح لي به على
 جانب كبير السفه .

هنريت = على رسلك يا اختاه ، اين هو إذن علم الأخلاق الذي يسيطر على الجانب
 الحيواني منا ويلوي عنان غضبنا ؟

ارماند = واذت التي تحدثيني عنه أتى لك ان تعلمي به ، حينما تستجيبين لما يظهرون
 لك من حب ، من دون ان تستأذني اولئك الذين انعموا عليك بالوجود ؛ الا
 فاعلمي بان الواجب يخضعك لأحكامهم ، وانه لا يسمح لك ان تحجي الا من يختارونه
 لك ، وأن لهم السلطة المطلقة على قلبك ، وان من الاجرام ان تتصرفي به بنفسك .
 هنريت = اشكر طيبك واخلاصك اللذين اظهرتهما لي اذ احسنت ارشادي الى ما

(١) هنا يعود الخطاب الى ارماند

يقضي به الواجب . ان قبي سيمعمل في سلوكه وفق ارشادك . ولأريتك يا اختاه انني أفيد منه ، هأنذا اطلب الى كليتاندر ان يسمي لدعم حبه بموافقة أبوي .
فعلبك يا كليتاندر ان تجمل سلطتك علي شرعية وأن تميح لي ان احبك من غير انهم .
كليتاندر = لن ادخر وسعاً في العمل بقوة على تحقيق ذلك ، وانما كنت انتظر منك هذه الاستجابة اللطيفة .

ارماند = تحتالين يا اخت ويبدو من وجهك انك تتصورين ذلك يحزنني .
هنريت = انا يا اخت ؟ ليس شيء من ذلك . أعلم ان صوت العقل هو المسيطر على حواسك دائماً ، وانك ، بما اخذت من دروس في الحكمة ، فوق امثال هذا الضعف . ما أبعدني عن اتهامك بالحزن ، وانا اعتقد انك في هذا المقام ستفضلين بالسمي لي للفوز بأمنيتي ، فتؤيدين مطلبي وتستعجلين ساعة زواجنا السعيد .
التمس منك ذلك ؟ وللعمل به ...

ارماند = عقلك الصغير يريد أن يأخذ من المنزل بنصيب ، وارك جد مزهوة بقلب طرحته لك .

هنريت = انت مع اطراحك اياه لا شك لاتأبسته ؟ ولو كان في ميسور عينيك ان تجذباه لسميت راضية اليه .

ارماند = انا لا اتنازل للإجابة على هذا ، انها احاديث سخيفة لا ينبغي سماعها .
هنريت = حسناً تصنعين ؟ انك تطهرين من الوفا ما لا يستطيع ادراكه .

المنظر الثالث

كليتاندر ، هنريت

هنريت = لشد ما دهشت لاعترافك الصريح .
كليتاندر = ما أجدها ان تعاملت بعنل هذه الصراحة ! ان اقل ما يليق بجنون تعالها وخيلاتها هو هذه الصراحة . ولعني متوجه الى ابيك يا سيدتي بعد اذ سمحت لي ...

هنريت = الأخمين ان تستميل امي : من طبع ابي ان يوافق على كل شيء ، ولكنه لا يدعم بالقوة ما يبت فيه . لقد منحته السماء نفساً طيبة جعلته يخضع لارادة زوجته من

غير ابطاء ؛ هي التي تحكم ، وهي تملئ ارادتها بلهجة حامية فتكون كالتقانون . كنت أحب ان تبدي لها ولعمتي شيئاً من الجمالة ، وعقلاً يداري أوهامها ، فتحظى بحرارة احترامها .

كليتاندر — خلقت صريحاً ، ابدأ لم استطع ، حتى من اجل اختك ، ان احابي طباعها ؛ فالنساء العليات لسن من ذوقي . اوافق على ان تأخذ المرأة بنصيب من كل علم ، غير اني لا اريد لها ابدأ ذلك الحرص الكريه على ان تجعل نفسها عالمة لا شيء ، الا ان تكون عالمة ؛ وأحب منها إذا طرح موضوع ما ان تعرف كيف تتجاهل في الغالب الاشياء التي تعرفها ؛ وأخيراً فاني اريد ان تكتم عليها ، وان تكون مثقفة ولكن غير راغبة ان يعرف الناس ذلك عنها ، غير معدة اسماء المؤلفين ، او متشدقة بالكلمات الكبيرة ؛ او ملوحة بذكائها في احاديثها الصغيرة (١) . اني أكن أكبر الاحترام لأمك ، ولكنني لا استطيع بحال ان استحسن اوهامها ، ولا ان اكون صدى لما تقول من اشياء ، وللاماديج التي تكيلها لذلك الرجل الذي جعلته بطلاً للفكر . ان صديقها السيد تريستوتان ، ليثيرني ويضجرني ، واكاد اخرج عن هدوئي اذ اراها توقّر رجلاً كهذا ، وتضع في مصاف جبابرة العقول رجلاً احمق يهزأ الناس في كل مكان بما يكتب ، متحدثاً تفدق ريشته الولود اوراقاً انما تنفع الباعة في الأسواق .

هنريت — كل ما في كتاباته وأحاديثه يبدو لي مضجراً ؛ أرى لي ذوقاً كذوقك ونظراً شبيهاً الى حد بعيد بنظرك . بيد ان له على والدتي تأثيراً كبيراً فمليك ان تنكره النفس على مجاملته شيئاً من مجاملة . الماشق يحاسن حيث يميل قلبه ، ويريد ان يتودّد الناس جميعاً ؛ انه لا يترك مخلوقاً يحادّه (٢) ، بما في ذلك كلب البيت ، فهو يلاطفه ويوادّه .

كليتاندر — نعم ، انت على حق ؛ غير ان السيد تريستوتان يثير في اعماق نفسي غيلاً طاعياً . لا استطيع ان اوافق ، لكسب تأييده ، على تلويث نفسي بالثناء على مؤلفاته ؛ بها تمثّل لعيني اول الأمر ، فكنت اعرفه من دون ان اراه . رأيت في فوضى كتاباته التافهة التي يعطينا اياها ما يمرضه شخصه المدّعي ايها كان ، ورأيت تعاليه المستمر وزهوه واعتداده برأيه ، ثم هذا الارتياح بالثقة البالغة التي تجعله

(١) كليتاندر هو الشخصية المثلى في الرواية ، وهو الذي يبر عن آراء مولير (٢) بخالفه ويساديه

دوماً راضياً عن نفسه ، ابدأً باشاً لكفائته ، شاكراً قريحته على ما تجود به ، غير راضٍ ان يستبدل اجماد قائدٍ عظيمٍ بشهرته .
 هنريت — أما انك لحديد البصر اذ ترى كل هذا .
 كليتاندر — الى سجنه يصل الأمر ، فد رأيتُ ، من الشعر الذي يرمي به رءوسنا ، ما عسى ان تكون هيئة الشاعر ؛ حتى لقد بلغ حزري لسياء وجهه أنني صادفت ذات يوم رجلاً في القصر ، فراهنت على انه تريسوتان نفسه ، ثم تبينت ان صفقة الرهان كانت في الواقع رابحة .
 هنريت — يا للحكاية العجيبة !
 كليتاندر — ليست بحكاية ؛ انما ذكرت لك الحادث كما جرى . لكن أرى عميتك .
 إندني من فضلك ، ان اصارحها بسرنا ، لأكسب عطفها وتأييدها عند والدتك .

المنظر الرابع

كليتاندر ، بيليز

كليتاندر — اسمحي يا سيدتي لعاشق ان يفتنم فرصة هذه اللحظة السعيدة ليحدثك وليكشفك بالغرام البريء الذي . . .
 بيليز — أه ! على هينتيك يا سيدي ! حذار ان تسرف في كشف دخيلتك لي . فان كنت قد نظمتك في صف عشاقى فمليك ان تكثني بعينيك ترجافاً ، فلا تشرح لي ابدأً بلغة اخرى رغالب ليست في نظري الا اهانة . أحبتي ، أنثى الزفرات ، تحرق شوقاً الى جمالي ؛ على ان يُسمح لي ألا أعلم من ذلك شيئاً . في يدي ان أغض النظر عن لهيب غرامك المكتوم ما دمت لا تتجاوز التعبير الصامت ؛ ولكن اذا اراد الفم ان يتدخل في الأمر فعلياً ان أفيك بعيداً عن ناظري الى الأبد .
 كليتاندر — لا تتوجسي خيفة من نيائي . هنريت هي الفتاة التي ملكت قلبي وأسرتي يا سيدتي . ولقد جئت اتوصل بحرارة الى مكارم اخلاقك ان تدعم الحب الذي ينطوي عليه قلبي لحاسنها .
 بيليز — أه ! حقاً ان في هذه اللفتة دكاء ، اعترف بذلك . ان حسن تخليصك يستحق الثناء ؛ في كل ما قرأت من روايات لم اجد ابرع من هذا .
 كليتاندر — ليست هذه لفتة ذكاء ابدأً يا سيدي ، ما هي إلا محض اعتراف بما في نفسي .

لقد أوثقت السماء قلبي الى محاسن هنريت باغلال حب لا انقصاص لها . لقد بسطت
هنريت علي سلطانها الحبيب ، والزواج من هنريت هو الخير الذي اطلول اليه .
في ميسورك ان تصنعي الكثير لأجلي ، وكل ما اريده منك هو ان تنكثي
فتعضدي آمالي .

بيليز — اري الى أين ترمي رفيق طلبك ، واعرف ماذا يجب ان افهم من اسم هنريت .
الايماءة بارعة ، وسأناهلك عليها (١) فأقول في جملة الأشياء التي يقدمها لي القلب
لاجييك بها : ان هنريت (٢) عصية على الزواج ، وان عليك ان تكتوي بسمير
هواها من دون ان تؤمل شيئاً .

كليتاندر — هيه يا سيدتي ، ما نفع هذا التعميد ؟ لم تريدن ان تفكري فيما لا وجود له ؟
بيليز — يا إلهي ! دع الشكاف جانباً : لا تدفع عن نفسك ما باحت لي به نظراتك مررات
ومررات . بحسبك انتا ألسنا بهذه اللقطة البارعة التي خطرت لجسك ، والتي نجب
ان نوطن النفس على قبل ما فيها من خضوع وتكريم ، بما أقيت عليها من طابع
الأحترام ، ولكن على ان ينير سبيلها الشرف فلا تقدم الى مذبحي إلا
مذهب الأماني (٣) .

كليتاندر — لكن ...

بيليز — الوداع . يكفي ما قلناه لهذه المرأة ، فاتي قلت لك اكثر مما ينبغي لي ان اقول .
كليتاندر — لكن ضلالاً ...

بيليز — أقصر . بدأت اخجل ، لقد بذلت عفتي جهداً مدهشاً .

كليتاندر — أتمنى ان أشفق ان أحبيبتك ؛ وعقل ...

بيليز — كلا ، كلا ، لا اريد ان اصفي الى شيء آخر . (يخرج)

كليتاندر — ليذهب الشيطان بهذه المجنونة واوهامها ! هل رأى الناس ضرباً لها في
الجرى مع الاوهام ؟ لأذهب ولأفوض شخصاً آخر بالمهمة التي أقيت الي ، ولأخذ
المعونة هذه المرة من رجل عاقل .



(١) اي سأفعل مثل ما فعلت ، فأذكر هنريت وأعني نفسي . (٢) تريد نفسها . (٣) لاحظ
لغة المتأثفات المتكلمات في ذلك العصر .

الفصل الثاني

المنظر الاول

آريست (١)

اجل ، سأغدو عليك وشيكاً بالجواب . لأسمفن* ولأوكدن* ولافملن* كل
ما يجب . ما أكثر ما يجد العاشق ما يقول ، وما اقل اصعباره على تحقيق
ما يريد ! أبداً . . .

المنظر الثاني

كريزال (٢) ، آريست

آريست — أه ! حرسك الله يا اخي .
كريزال — وايتاك ، يا اخي .
آريست — أتعلم ما جاء بي الى هذا المكان ؟
كريزال — كلا ؛ ولكني مستعد ، اذا شئت ، ان أعلم .
آريست — أتعرف كليتاندر من زمن بعيد ؟
كريزال — بدون شك ، وأراه يتردد علينا .
آريست — ما رأيك فيه يا اخي ؟
كريزال — رجل شرف وذكاء وقلب وحكمة ؛ قليل هم امثاله .
آريست — ان له رغبة قادت خطاي الى هذا المكان ، ويسرني ان تميزها التفاتاً .
كريزال — عرفت* المرحوم اياه في رحلتي الى روما .
آريست — حسناً جداً .

(١) آريست يوجه وعوده الى كليتاندر ، بعد مقابلة جرت بينها وراء الحايض ، ثم اخذ طريقه الى
خشب المسرح ، بينما لا يزال كليتاندر حيث كان (٢) مولير نفسه قام بدور كريزال .

كريزال = كان يا اخي احد الوجهاء الطيبين .
 آريست = كذلك يقال .
 كيرزال = لم تكن حين ذاك قد تجاوزنا الثامنة والعشرين ، كنا على اعتقادي ، في
 ريمان الشباب .
 آريست = اعتقد ذلك .
 كيرزال = كنا نميل الى السيدات الرومانيات ، وكان الناس جميعهم يتعجبون
 هناك عن مجونا كنا نثير الحسد (١) .
 آريست = عظيم جداً . ولكن لندخل في الحديث الذي قدمت هذا المكان لأجله .

المنظر الثالث

بيليز ، كيرزال ، آريست

آريست = لقد اتخذتني كليتاندر ترجائاً عن نفسه عندك ، فان قلبه متيماً بحال هنريت .
 كيرزال = كيف ! ابنتي ؟
 آريست = نعم ، لقد شغفت كليتاندر حباً ؛ ابدأ لم ار عاشقاً أكثر ضراماً .
 بيليز = كلا ، كلا ، فهمت ما تعني . انت تبجل الحكاية ، فالأمر ليس كما تظن .
 آريست = كيف يا اخوتي ؟
 بيليز = لقد موّه كليتاندر عليك ، انما أغریم قلبه بغفلة اخرى .
 آريست = تسخرين . أليست هنريت بالتي يحبها ؟
 بيليز = كلا ، انا على يقين من ذلك .
 آريست = لقد حدثني هو نفسه بالأمر .
 بيليز = أه ! نعم .
 آريست = ترين يا اخوتي انه عهد الي ان أخطبها على ايها هذا اليوم .
 بيليز = حسن جداً .
 آريست بل انه الح علي ان استعجل ميعاد هذا العقد .
 بيليز = هذا احسن . لا يستطيع احد ان يخادع بالطف من هذه الطريقة . فيما بيننا ،

(١) لاحظ هنر كيرزال ، فهذه احدي صفاته « المرء »

ان اسم هنريت هو فكاكة ، هو تقاب دكي ، هو يا اخي وسيلة لستر حب آخر انا
 بأسراره عليمة ، واريد من كل قلبي ان اصحح لكما ، انما الاثنين ، خطأ كما .
 آريست = ولكن مادمت يا اختاه تعلمين اشياء كثيرة ، فاذا كرمي لنا ، من فضلك ، هذا
 المخلوق الآخر الذي يحبه .
 بيليز = أتريد ان تعرفه ؟
 آريست = نعم . من هو ؟
 بيليز = انا .
 آريست = افت ؟
 بيليز = انا نفسي .
 آريست = هيه ، يا اخت !
 بيليز = ماذا تعني بهذه « الهية » ؟ وماذا في كلامي من عجيب ؟ خلقت على نحو
 استطيع معه ان اقول فيما ارى انها ليست المرة الوحيدة ابسط فيها سلطاني على قلب
 رجل ؟ وإن دورانت ، وداميس ، وكليونت ، وليسيداس ليستطيعون ان يروكم
 انني لا أخلو من ملاحظة .
 آريست = أهؤلاء يحبونك ؟
 بيليز = نعم ، بكل قوام .
 آريست = هل صارحوك بذلك ؟
 بيليز = ما من أحد أعطي هذه الحرية : لقد بلغ من إجلالهم لي أنهم لم يتحدثوني الى
 اليوم عن حبهم ابدأ . تعاليرم الصامته تنوب عنهم في تقديم قلوبهم وعرض خدماتهم .
 آريست = تكاد العين لا تقع على داميس ههنا ابدأ .
 بيليز = تلك مبالغة في احترامه وخضوعه .
 آريست = ودورونت يؤذيك بالفاظ قارصة اينما سار .
 بيليز = تلك لاحتداده وغيفله وحسده .
 آريست = اما كليونت وليسيداس فقد تزوجا .
 بيليز = ذلك لليأس الذي رددت اليه غرامها .
 آريست = اعتقادي يا اخت ان هذا يوم صراح .
 كيرزال = عليك ان تتخلي عن اوهامك هذه .

بيليز = آه ! اوهام ! اتقولون انها اوهام ؟ اوهام ، انا ؟ حقاً ! ان اوهام كلمة موفقة !
اغتبط لهذه الاوهام كل الاغتباط يا اخوي ، ولم اكن ادري ان لدي اوهاماً .

المنظر الرابع

كريزال ، آريست

كريزال = اختنا مجنونة ، نعم .
آريست = جتنوها ينمو يوماً فيوماً . ولكن لنعاود الحديث مرة أخرى . ان كليتاندر
يطلب منك هنريت زوجاً له : انظر اي جواب تردّ به على هواء .
كريزال = هسل من داعٍ للسؤال ؟ اوافق من جماع قلبي واعتبر الاصرار اليه
شرفاً فريداً .
آريست = انت تعلم انه ليس بالثني وان ...
كريزال = هذا امر لا شأن له : انه غني بفضيلته ، ذلك كنز ثمين (١) ؛ ثم اني وأباه
لم نكن إلا واحداً في جسمين .
آريست = لننتحدث الى امرأتك ولنعمل على ان نسميها الى ...
كريزال = يكفي ، لقد قبلته صبراً (٢) .
آريست = نعم ، ولكن لدعم موافقتك لا بأس ان نحصل على رضاها . هيّا ...
كريزال = أتركك تسخر ؟ لا داعي لذلك . انا اجيب عن زوجتي وآخذ القضية
على عاتقي (٣) .
آريست = لكن ...
كريزال = اقول دعني اعمل ولا تخش شيئاً . سأمهد لها لتقبل الأمر .
آريست = ليكن ذلك . سأذهب في الحال لأتبعين موقف هنريت ، وسأعود
لأعرف ...

(١) كريزال ليس بالشخصية الفضلى في نظر المؤلف ، ولكنه مع ذلك لا يخرج من فضائل .
« المرّب » (٢) كريزال ، على جنبه لا يخرج من اعتداد ، وهذا من طريف صفاته .
« المرّب » (٣) في اصرار كريزال على تجاهلها في غيابها ، ثم في شدة خوفه منها في
حفرتها ، كما ستري ، فكافة حلوة « المرّب »

كريزال = هذا امر قضي . سأحدث بذلك الى زوجتي من دون إبطاء .

المنظر الخامس

مارتين ، كيرزال

مارتين = أما اتني لسعيدة ! وا اسفاه ! ما اصدق قولهم : من يرد اغراق كلبه يشبهه بالكلب ، وخدمة الفير ليست بالمال الموروث (١) .

كيرزال = ما هذا ؟ ما بك يا مارتين ؟

مارتين = ما بي ؟

كيرزال = نعم .

مارتين = بي . أني سرحت هذا اليوم يا سيدي .

كيرزال = سرحت ؟

مارتين = نعم ؛ سيدتي طردتني .

كيرزال = لا افهم هذا . كيف ؟

مارتين = توعدتني ، اذا لم اخرج من هنا ، بان تصفني مئة عصا .

كيرزال = بل تبقيين ؛ انا راض عنك . زوجتي كثيراً ما تحمي : فانا لا اريد . . .

المنظر السادس

فيلامنت ، بيليز ، كيرزال ، مارتين

فيلامنت = يا للعجب ! ألني اراك يا خبيثة ؟ اخرجي سريعاً يا امرأة السوء ، هيا ، غادري هذه الاماكن ، واياك ان تظهرني يوماً امام عيني .

كيرزال = ترفتي قليلا !

فيلامنت = كلا ، قضي الأمر .

كيرزال = ايه !

فيلامنت = اريد ان تخرج .

(٤) لاحظ ان الحكمة الشعبية تعتمد على الامثال

- كريزال — ولكن اي ذنب جنت لتخرج هكذا . . .
- فيلامنت — كيف ! أشد ازورها ؟
- كريزال — كلا ، ابدأ (١) .
- فيلامنت — أنظاها علي ؟
- كريزال — يا آلهي ، لا ، مازدت علي ان سألت ما ذنبها .
- فيلامنت — هل انا بمن يطردونها بغير سبب مشروع ؟
- كريزال — لا اقول هذا ؛ ولكن علينا حين نعامل ذوبنا ان . . .
- فيلامنت — كلا ، ستخرج من هنا ، اقول لك .
- كريزال — خير ، نعم . هل قلنا لك شيئاً آخر ؟
- فيلامنت — لا اريد اية معارضة لما ابدى من رغبات .
- كريزال — موافق
- فيلامنت — وعليك ان تكون زوجاً عاقلاً فتحتاج الي وتغضب لغضبي .
- كريزال — هكذا اصنع . نعم ، ان زوجتي تطردك بحق يا خبيثة ، وجريمتك لا تستحق العفو .
- مارتين — وماذا صنعت اذن ؟
- كريزال « بصوت منخفض » — في الحق اني لا ادري .
- فيلامنت — بلغ من سوء خلقها ألا تلقي الى ذلك (٢) بالآ .
- كريزال — هل أثارت سخطك بكسرها مرآة او بعض الآنية الصينية ؟
- فيلامنت — اكنت لذلك اطردھا ؟ وهل تصور اني اثور لأمر تافه كهذا ؟
- كريزال « يخاطب مارتين » — ما معنى هذا ؟ « يخاطب فيلامنت » ، فالأمر من الخطر
بمكان ؟
- فيلامنت — من غير شك . أأكون امرأة طائشة ؟
- كريزال — ام تراها اضاعت بنها ونها اريقاً او صحيفة من فضة ؟
- فيلامنت -- ليس هذا بشيء .
- كريزال — اوه ! اوه ! عليها اللعنة ! ماذا ؟ ام تراك باغتها وهي تخون الامانة ؟
- فيلامنت — الامر ادهى من كل ذلك .

(١) كريزال يختلف مع زوجته في كل شيء ، ولكنه يخافها « المرَب » (٢) كلمة غامضة
يسيرها المؤلف بحواراته فك « المرَب »

كريزال — ادهى من كل ذلك ؟

فيلامنت — ادهى .

كريزال — كيف ، يا للشيطان ، ايها اللعينة ! أوه ! فهل عساها ان . . .
فيلامنت — لقد بلغت من الوفاة حداً لا مثيل له ، فخرجت سمعي ، بمد ثلاثين درساً ،
بتورطها بكلمة جافية منحطة سبق لـ « فوجولا (١) » أن جزم بخطها .

كريزال — أهذا هو . . .

فيلامنت — كيف ! اتظل الدهر لا تبالي بتحذيرنا ، فنخرج على اساس العلوم جميعاً ،
على النحو الذي يبسط سلطانه على الملوك انفسهم ويخضعهم بدون كلفة لقواعده !
كريزال — اراها قد اقترفت افطع الجرائم .

فيلامنت — واعجبا ! الا ترى هذا الذنب مما يجاوز العقور ؟

كريزال — بلى ، بلى .

فيلامنت — كنت اتخى ان تلتمس لها عذراً (٢) !

كريزال — اعوذ بالله !

بيليز — اخلق انها امور مؤسفة : ان مارتين تهدم كل بناء ، بعدما اُلقيت قواعد اللغة
مئة مرة .

مارتين — كل ما تظنون به جيد ، على ما اعتقد ؛ ولكني لا استطيع ان اتكلم طمطانيتمكم .

فيلامنت — يا قصيرة النظر ! تدعين طمطانية اللغة المبنية على العقل وحسن الاستعمال !

مارتين — اذا استطعنا ان نتفاهم فكل لغة نبتئرها جيدة ، ولا يبقى لاحاديثكم
الجميلة ولا فائدة (٣) .

فيلامنت — حسناً ، الا ترون الى اسلوبها مرة اخرى ! « ولا فائدة ! »

بيليز — يا للدماغ العنيد ! اينبغي لك ، على ما بُذِلَ معك من عناية متصلة ، ان تضعي
جهودنا في تعليمك الكلام صحيحاً ! هذه « ولا » تعود بك الى الخطأ ، وهي كما
قلنا لك زائدة ، لا لزوم لها .

(١) نحوى شير ١٥٨٥ - ١٦٥٠ (٢) تريد التهديد « المرَب » (٣) تذكر جهود

ماليرب والمجمع اللغوي في وضع قواعد اللغة آن ذاك ، « المرَب » . جرى هنا فيما يتعلق
بصحة هذه العبارة بعض التصرف اللغوي لصالح الفكرة

مارتين — يا ربي ! أنا مدرسنا مثلكم ، وأنا بتكلم صحيح مثل ما يتكلموا عندنا (١) .
 فيلامنت — آه ! كيف السبيل الى تحمل هذا ؟
 بيليز — اي إخلال فاحش بقواعد اللغة !
 فيلامنت — الاخلال الكافي لقتل اذن حساسة !
 بيليز — الحق ان عقلك مادي صرف . « أنا » ماهي الا مفردة ؛ اما « درسنا » فقد
 أسندتها الى الجمع ، أتريدن ان تنتهي القاعدة طول عمرك ؟
 مارتين — من قال انه يمتحن القاعدة او القائمة ؟
 فيلامنت — يا للساء !
 بيليز — لقد فهمت « القاعدة » بغير معناها ؛ سبق ان حدثتك من اين جاءت هذه الكلمة
 مارتين — ثأت من « شايو » او من « أوتوي » او من « بوتواو » ، هذا امر
 لا يعني .
 بيليز — يا للروح القروية ! ان قواعد الفعل والفاعل والصفة والموصوف ، تعلمنا
 أحكام الكلام .
 مارتين — اريد ان اقول لك يا سيدتي اي لا اعرف هؤلاء الناس ابدًا .
 فيلامنت — اي استشهاد ، اي موت !
 بيليز — هذه اسماء الفاظ ، وعلينا ان نعرف كيف نوفق بينها معًا .
 مارتين — فلتتفق فيما بينها او لتتضارب ، ماذا يهم ؟
 فيلامنت « لأختها (٢) » — ايه يا الهي ! ضعوا حدًا لحديث كهذا . « ثم لزوجها : »
 ألا تريد ، انت ، ان تخرجها ؟
 كريزال « الى جانب » — بلى . علي ان اوافق على عبثها . اذهبي يمارتين ؛ لا
 تفضيها ، انسعي .
 فيلامنت — كيف ! اتخشى ان تجرح احساس اللعينة ؟ اراك تتحدث اليها بلهجة
 محاسنة ملاطفة !
 كريزال « بصوت عال » — انا ؟ ابدًا . هيا ، اخرجي . « بصوت منخفض : »
 اذهبي يا بتي المسكينة .

(١) عندما تحاول مارتين الكلام الصحيح تنورط في اخطاء اكبر « المرعب »

(٢) يريد احت زوجها « المرعب »

النظر السابع

فيلامنت ، كريزال ، بيليز

كريزال — انت راضية ، فهاهي ذي قد خرجت ؛ لكني لا أقر هذه الطريقة في
الايخراج ابدأ : انها بنت تليق بالأشياء التي تقوم بها ، وقد طردتها لسبب تافه .
فيلامنت — اتريد ان احتفظ بها دائماً في خدمتي لأجعل اذني في عذاب لا ينقضي ،
لأنقض كل قانون للعادة وللعقل ، بركام وحشي من عيوب الكلام ، بالفاظ مهلهلة
مرتقة ، بأمثال تجي بها من مجاري الأسواق ؟

بيليز — الحق ان جيبنتنا يندى لاحاديثها . انها لا تنفك تعمل في «فوجولا» (١) ، تهشماً
وتحطياً ؛ وأيسر مغالطة هذه الطبيعة الجافية هو كثرة الحشو أو توالي الحروف المتنافرة .
كريزال — وماذا إن أخلت بقواعد فوجولا ، ما دامت تقوم بواجبها في المطبخ ؟ أما
انا فافضل ان تمالج مألديها من بقول على ان تحسن ربط الأسماء بالافعال ؛ لتقل
بمدئ كلمة رذلة نابية ولتكررها مئة مرة ، على ألا تحرق لحم طعامي او تكثر
ملحه . انا أحيأ بالحساء الطيب لا بالكلام الجيد . أبدأ لا يعلم فوجولا كيف
يحيد إعداد الحساء ؛ وماليرب وبلازك ، على علمها بالكلم الجميل ، قد يكونان
غبيين بشئون المطبخ (٢)

فيلامنت — لكم يعض النفس هذا الحديث الغليظ ! واي حقارة لمن تسمي بالانسان
ان ينحط ابدأ لشئون المسادة وألا يسمو الى قضايا الروح ؛ هل الجسم ، هذا
العرض التافه ، من الاهمية ، من نفاسة القدر بحيث تقصر عليه كل تفكيرنا ؟
اليس اجدر بنا ان نطرح ذلك بعيداً جداً .

كريزال — نعم ، ان جسمي هو أنا ، واريد أن أعني به . هو عرض تافه اذا
اردت ولكنه عزيز علي .

بيليز — الجسم والعقل يا اخي يظهران جنباً الى جنب ؛ بيد أنك لو أصغيت الى ما

(١) التحويي الشهير (٢) هنا تظهر صفة أخرى لكريزال ، انه لا يهتم بغير بطنه . لو انقلب

الحال ، فغيت الزوجة شيئاً بامور البيت ، وعني الزوج شيئاً بامور العلم ، لاستقام الامر .

«المرب»

يقول العلماء لعرفت ان للعقل قدم صدق (١) على الجسم ! وان رأس ما ينبغي ان
 ينبغي به ونبذل الجهد من اجله هو ان نفذي عقولنا بلبان العلم .
 كريزال — اذا كنت تفكرين في تغذية عقلك ، فليك بالبحر الشهي ، كما يقول
 الناس ؛ (٢) اراك لا تعيرين اهمية ابداء . . .
 فيلامنت — آه ! «اهمية» هذه شديدة على اذني ؛ انها تزخم على نحو غريب .
 بيليز — حقاً ان الكلمة هرة جاسية .
 كريزال — أتريدن ان اتكلم ؟ آن لي اخيراً ان انفجر ، ان ارفع القناع وأفرغ غيظي .
 الناس ينعوتونكن «بالجنون» ، وانه ليشغل على قلبي . . .
 فيلامنت — كيف اذن ؟

كريزال — انما اوجه الخطاب اليك يا اخت (٣) . فأنفه الأخطاء في الحديث يهيجكن ؛
 مع انكن تقترفن في لصر فكن خطيات افطع . كتبكن التي لا تنتهي لا لصرني ؛
 واذا استثنينا كتاب «بلوتارك» الكبير الذي اطوي فيه ياقتي ، فان عليكن ان تحرقن
 هذه الاشياء التي لا فائدة لها كلها ، وان تتركن العلم لعلماء المدينة ؛ من الحسن ان
 ينحني عن مخزن الحبوب في البيت هذا المنظار الطويل الذي يخيف الناس ، ومئة حطامة
 ذات منظر بفيض ؛ لا ينبغي لكن ان تنقبن عما يجري في القمر ، حتى تستطعن
 ان تلتفتن قليلا الى ما يجري في الدار التي تجدد كل شيء فيها في هرج ومرج . ليس
 من المعقول ان تدرس المرأة كل الاشياء وتحيط علماً بها ؛ ولأن تحمل اولادها على
 العادات الحسنة ، وان تدير امور البيت ، وان تكون منتبهة الى خدمها ، ثم ان تنظم
 النفقات باقتصاد : تلك هي الامور التي على المرأة ان تتوفر على دراستها وتجعلها محور
 فلسفتها . آباؤنا في هذا الخصوص كانوا قوماً راشدين ؛ كانوا يقولون : بحسب المرأة
 ان يرق ذكاؤها الى حيث تعرف الصيدادة من السروال . لم يكن نساؤهم يقرأن
 ابداء ، ولكن كن يعشن جيداً . امور البيت هي كل ما يدور بينهن من احاديث
 المعرفة ؛ اما كتبهن فكشبان وخيط وابرة يصنعن بها البسة بناتهن . نساء اليوم
 ببيدات من هذه العادات : يردن ان يكتبن ويصرن مؤلفات ؛ مامن علم يرينه جد

-
- (١) اي ان له على الجسم سابقة وفضلا . والتعبير العربي قريب جداً من الفرنسي «المرب»
 (٢) لعل كريزال يتعمد التطرف في مادته ليقف على طرف قبيض من اخته وزوجته «المرب»
 (٣) كريزال أجراً مع اخته منه مع زوجها «المرب»

هميق، ولا سيما لساء هذا البيت فقد لا يبرعن^(١) لساء بيت في العالم . افهمض الأسرار
ينكشف لمن ويطوع^(٢)؛ انهن يعرفن كل شيء في بيتي ما خلا ما يجب ان يعرف ،
يعرفن كيف يجري القمر ونجم القطب وزهرة وزحل والمريخ ، بما لا علاقة لي به
ابداً ؛ وفي عبث هذا العلم الذي يلجفن في طلبه أراهن لا يدريين ما حال قدر
الطعام الذي انا في حاجة اليه . ان خدعي^(٣) ليتوقون الى العلم ليسخطوا برضا كن ،
فلا شيء يتهاونون به تهاونهم بواجباتهم ؛ الجدل هو عمل من في بيتي جميعاً ، وهو
لا يدع لهم مسكناً عقل . هذا يحرق شوائي وهو مستغرق في قراءة قصة ، وذاك
يحلم بأبيات من الشعر عندما اطلب ماءً ؛ وعلى الجملة فاتي اراهم يقتدون بكن وارايني
آتي بالخدم ولا أخدم . بقيت لي على الاقل خادم مسكينة لم تبثل^(٤) بهذه الآفة
الوخيمة ، فها هي ذي تطرد شر طردة لما انها لم تكلم كما يريد فوجولا . اقول لك
يا اخت ان هذا السلوك يؤذي ، لاتي ، كما ذكرت^(٥) ، اليك اتوجه بالكلام^(٦) .
لا احب ابداً كل هؤلاء الذين يلجئون باللاتينية في هذا البيت ، ولا سيما السيد
تريستوتان هذا . فهو الذي اذاع اسمكم باشعاره ؛ وما يتحدث بغير الهراء والباطيل .
انهم يتحرون ما يقول بعد اذ يقول ؛ اما انا فأرى له دماغاً مصدعاً مخلاً .

فيلامنت = يا لساء ؛ اي حقارة في النفس واللسان ؛

بيليز = هل اجتمعت الاجسام الصغيرة اتقل عما اجتمعت لتكوينه ؛ أي الدنيا عقل آتفه
وأغبي تؤلفه الذرات^(٧) ؛ أي يمكن ان اكون من هذا الدم نفسه ؛ لترهقني آلام
الموت لأنني من جنسك ؛ انه لا يسعني إلا ان اغادر من الخزي مكاني .

المنظر الثامن

فيلامنت ، كريزال

فيلامنت = أليديك سهم آخر تطلقه ؟

(١) ينقاد ، من طاع ، يطوع . (٢) لقد اغتني كثير من طبقة البورجوازية حتى بدّوا
بثرائهم بعض النبلاء ، وكان لهم خدم وحشم « المرعب » . (٣) يؤكد ذلك خوفاً من
ان تصدّي له روجه . (٤) إنها تتحدث بلغة العلم في عصرها . فقد أعلن الفيلسوف
جاسندي حين ذاك ان الذرات تتجمع فتؤلف الاجسام والعقول .

كريزال = انا؟ كلا . دعينا من حديث الخصاص ؛ انتمى الأمر . لناخذ في حديث آخر .
 ابنتك الكبيرة تبدي نفورا من روابط الزواج ؛ الخلاصة أنها فيلسوفة ، لا أقول
 عنها شيئا ؛ لقد احسنت تربيتها أثبا لإحسان . بيد أن اختها تختلف عنها مزاجا ؛
 فاري اننا نحسن صنعا اذا مهدنا لهزيت ان تختار لنفسها زوجا ...
 فيلامنت = هذا ما فكرت فيه ؛ أريد ان اكشفك بالنيّة التي عقدتها . هذا السيد
 ترينوتان الذي تتجشّون علينا ذنب عشرته ، والذي لم يتشرف بأعجابكم ، هو الرجل
 الذي اتخذها لها زوجا ، وانا اعلم منك في الحكم بنفاسة قيمته . الحاجة هنا
 لا جدوى فيها ، وقد جزمتم في الأمر من جميع جهاته . على الأقل لا تنبس بكلمة
 عن اختيار هذا الزوج ، فانا اريد ان أسبقك في التحدث عنه الى ابنتك . لدي
 الاسباب الجديرة بحملها على اقرار خطي ، ولا شك اني سأعلم انك حدثتها بشيء
 لأن فعلت .

المنظر التاسع

آريست ، كريزال

آريست = ماوراءك يا أخي ؟ لقد خرجت زوجتك ، واري جيدا أن حديثا دار بينكما .
 كريزال = اجل .
 آريست = ماذا كانت النتيجة ؟ أنفوز بهزيت ؟ هل وافقت ؟ هل انهيت القضية ؟
 كريزال = لم تم بعد .
 آريست = أتراها ترفض ؟
 كريزال = كلا .
 آريست = ام تراها تتردد ؟
 كريزال = أبدا .
 آريست = ماذا اذن ؛
 كريزال = ذلك انها تعرض رجلا آخر ليكون لي صهرا .
 آريست = رجل آخر يكون صهرك ؟
 كريزال = رجل آخر .

آريست — ما اسمي ؟
 كريزال — السيد تريسونان .
 آريست — عجباً ! هذا السيد تريسونان . . .
 كريزال — نعم ، هذا الذي يفيض في حديث الشعر واللاتينية .
 آريست — او افقت عليه ؟
 كريزال — انا ؟ ابدًا ، لا سمح الله .
 آريست — بماذا اجبت ؟
 كريزال — لم اقل شيئاً ؟ وانا مرتاح لسكوتي ، لئلا ارتبط بشيء .
 آريست — السبب وجيه جداً ، لقد خطوتَ بذلك خطوة كبيرة (١) . هل استطعت
 على الاقل ان تعرض عليها كليتاندر ؟
 كريزال — كلا : لاني عندما رأيتها تتحدث عن صهر آخر ظننت الخير في ألا اتقدم ابدًا .
 آريست — حقاً ان حكمتك نادرة الى آخر حد ؟ الا تخجل من رجاوتك ؟ أفي الدنيا
 رجل يتدلى به الضعف الى ان يترك لزوجته مطلق السلطان والى ان يخشى
 إبطال ما امرت ؟
 كريزال — يا ألهي ! انت يا اخي تتحدث في الموضوع بنفس مطمئنة ، غير عالم كم تنقل
 الضوضاء علي . احب الراحة والسلام والوداعة كثيراً ، وزوجتي رهيبه بسوء
 مزاجها . انها تصاب بحنا وتماسينا باسم الفيلسوفة ، بيد أن ذلك لا ينقص شيئاً من بدوات
 غضبها . ان ادبها الذي لا يقيم للمادة وزناً ليس له من تأثير على عفيف غيظها .
 يمكن الامر الذي تخالفها فيه تافهاً فانك لا تأمن عواصفها العاتية ثمانية ايام . انها
 لا تكاد تتكلم حتى ترتعد لها فراصي . لا أعرف الى اين اذهب ، فهي تتين حقيقي .
 ومع ذلك ، علي ان ادعوها يا قلبي ويا حبيبتي ، على خبثها وفظاعتها .
 آريست — كفي ، انت تسخر . فيما بيننا ، اصبحت امرأتك بفضل جبنك سيدة
 عليك . لم توطئ سلطانها إلا على ضعفك ؛ منك انما اخذت لقب السيدة ؛ انك
 تستسلم طائعاً لزهوها وصلفها ، فتتركها تقودك كالبيمة صاغراً . واعجباً ! أتعجز
 بعد اذ رأيت معاملة الناس اياك عن ان تحزم امرك ذات مرة على ان تكون رجلاً ،

(١) يسخر « المرب »

وان تنزل امرأتك على رأيك ، وان تشجع وتقول : اريد ذلك ؟ أتتركهم من غير خجل يضعون يديك للاوهام السخيفة التي تستحوذ على الاسرة ، ويقتلون رجلاً احق ثروتك كلها لست "كلمات من اللاتينية يدي" فيها ويميد ، ذلك المتحدث الذي لا تقي امرأتك تسبق عليه لقب الذكي الأريب والفيلسوف النجيب ، الذي لا يعدله انسان في نظم الاشعار الرقيقة ، وهو ، كما تعلم ، اقل من هذا كله ؟ كفى ، مرة اخرى ، انها لسخافة ، وان نذالك لجديرة بالضحك .

كريزال — نعم ، انت على حق ، وانا ارى اني على باطل . هياء ، يجب ان اظهر اخيراً قلباً اشجع يا اخي .

آريست — احسنت قولاً .

كريزال — انه لمن الخسة بكان ان يدعن الرجل لسلمان امرأة .

آريست — حسن جداً .

كريزال — لقد استغللت رقتي اكثر مما ينبغي .

آريست — صحيح .

كريزال — واستمتعت ببهاحة طبعي اكثر مما يجب .

آريست — لا شك في ذلك .

كريزال — اريد ان ايتن لها هذا اليوم ان ابقي هي ابقي ، واني انا ولي امرها . لاني اريد ان اختار لها زوجاً يوافقني .

آريست — هأنذا عاقل كما اريدك ان تكون .

كريزال — انت من جانب كليتاندر ، وتعرف مسكنه : جئني به يا اخي في الحال .

آريست — اني مبادر اليه من ساعتي هذه .

كريزال — لقد طالما تحملت ؛ اريد ان اكون رجلاً وأقف الجميع راغم (١) .



(١) ليتة يقول : « العرب »

الفصل الثالث

المنظر الاول

فيلامنت ، ارماند ، بيليز ، تريسوتان ، ليدين

فيلامنت — لنجلس هنا حتى نصفي في يسر الى هذه الابيات ، فمن الضروري ان
نزنها كلمة كلمة .

ارماند — اتحرق شوقاً لرؤيتها .

بيليز — وانا اموت شوقاً اليها .

فيلامنت — « تخاطب تريسوتان » : ان ما يخرج منك ليجذبني ويفتني .

ارماند — اتي اشعر بلذة لسماك لا مثيل لها .

بيليز — ان ما تتحف ممني به لمو غذاء نفيس .

فيلامنت — لا تترك رغباتنا الملحة تذوي بطول الانتظار .

ارماند — اسرع .

بيليز — بدر ، عجل لنا لذتنا .

فيلامنت — قدّم مقطعاتك الى صبرنا النافذ .

تريسوتان — الى فيلامنت ، — وا اسفاه ! انه طفل وليد (١) يا سيدتي . لا شك ان من

حظه ان يشير عطفكم ، فانا انما ولدته في رحابكم .

فيلامنت — يكفيه انك ابوه ليكون حبيباً الي .

تريسوتان — ان استحسنك بمثابة ام له .

بيليز — ياله من ذكي !

(١) يعني ابيات الشعر .

المنظر الثاني

هنريت ، فيلامنت ، ارماند ، بيليز ، تريسوتان ليين

فيلامنت « الى هنريت التي تريد الانسحاب (١) ، لماذا تريدن اذن ان تهربي ؟

هنريت = خشية ان اعكّر حديثكم الممتع .

فيلامنت = اقتربي ، تعالي خذي حظك بكلماتك من لغة الاستماع لهذه الاعاجيب .

هنريت = لا افهم كثيراً جمال ما يكتب ، وان قضاياء الذكاء ليست عملي .

فيلامنت = لا اهمية لهذا ، ثم ان لدي سرّاً يجب ان اكشفك بعدئذ به .

تريسوتان « الى هنريت = ليس في المعارف ما يشوقك ، فأنت لا تلتفتين الا الى ان تكوني موضع الفتنه والاعجاب .

هنريت = لا هذا ولا ذاك ؛ ليس لدي من رغبة . . .

بيليز = أه ! لنفكر بالطفل الوليد ، ارجوك .

فيلامنت « الى ليين ، هتأ ، ايها الغلام الصغير . الينا بمقاعد .

« يقع الخادم بكرسيه »

انظروا الغي ! اينبغي لك ان تقع بعدما تعلمت كيف تتوازن الاشياء ؟

بيليز = الا ترى يا جاهل اسباب سقوطك ، وأنه يعود الى انك أبعدت عن النقطة الثابتة

ما ندعوه بمركز الثقل ؟

ليين = انتبهت الى ذلك يا سيدتي وانا طريق الارض .

فيلامنت = يا لبليلد !

تريسوتان = من حسن حظك انه ليس بزجاجة .

ارماند = أه ! في كل ما تقول ذكاء !

بيليز = نبع لا ينفضب .

فيلامنت = قدّم لنا عاجلاً طعامك (٢) اللذّ .

تريسوتان = يلوح لي ان صحناً واحداً من ثمانية ابيات شيء قليل بالاضافه الى هذا

الجوع العظيم الذي تعرضونه امامي ؛ وارى اني لا اكون مخطئاً ههنا باضافتي على

(١) هنريت ليست متعلقة كآبها واختها وعمتها (٢) شعر

المقطعة (١) والنتفة (٢) آياتاً مقبلة كانت إحدى الأميرات استعذبتها . أنها فكاهة
حلوۃ يلتمع الذكاء في كل كلمة منها ، واطن انكم ستستملحونها كثيراً .
ارماند = لا اشك في ذلك .

فيلامنت = لنصنع جيداً في الحال .
بيليز « تقاطعه كلها اراد ان يقرأ » = اشعر بقلبي يخفق من الآن سروراً . احب
الشعر حباً جما ، ولا سبها حين يكون في آياته لفتات انيقة .
فيلامنت = اذا لم نكف عن الكلام فلن نستطيع القراءة .
تريسوتان = سو . . .

بيليز « الى هنريت » = السكوت يا ابنة اخي (٣) .
ارماند = واعجبا ! دعيه يقرأ .
تريسوتان = آيات الى الاميرة « اوراني » عن مرضها بالحمى :

لقد غفا رشذك

حين عاملت بالحسنى

اقسى اعدائك

وأوتيتها خير مأوى (٤) .

بيليز = آه ! يا المعطلع الجميل !

ارماند = وللفتة الانيقة !

فيلامنت = هو وحده يملك الموهبة في نظم السهل من الاشعار .

ارماند = يجب ان نلقي سلاحنا عند قوله : « لقد غفا رشذك »

بيليز = قوله « أوتيتها خير مأوى » من السحر بمكان .

فيلامنت = احب « بالحسنى » و « مأوى » ، ما اجمل ما يسجع هذان اللفظان !

بيليز = لشعر سمعنا ما تبقى .

تريسوتان : =

لقد غفا رشذك

حين عاملت بالحسنى

(١) شعر لا يتجاوز سعة آيات (٢) الشعر لا يدو بينين (٣) ما احراها هي ان تسكت

فان هنريت لم تتبس بحرف ! « المغرب » (٤) نصرنا قليلا في التعريب

اقسى اعدائك
وأوتيتها خير مأوى .

ارماند — « غفارشدك ! »

بيليز — « أوتيتها خير مأوى ! »

فيلامنت — « بالحسنى » و « خير مأوى ! »

تريسوتان : —

ألا فاطريها مها يقال ،
من مسكنك الفخيم
حيث نهاجم هذه الجاحدة
حياة جميلة بغير حياء .

بيليز — آه ! على هينتك ، دعني من فضلك اتنفس .

ارماند — امنحنا اذا تحب فرصة لظهار اعجابنا .

فيلامنت — أشعر تلقاء هذه الايات بشيء لا أعرف ما هو يجري في اعماق النفس .
ويحمل على الاغماء .

ارماند — « الا فاطريها مها يقال ،

من مسكنك الفخيم . »

ما أجمل قوله « من مسكنك الفخيم » ! كم استعملت الاستعارة بذكاء !

فيلامنت — « أطريها مها يقال . » آه ! ما اروع الذوق في قوله : « مها يقال ! » هذا
على ما ارى موضع لا يقدر بضمن .

ارماند — ان قلبي كذلك ليعشق قوله « مها يقال »

بيليز — انا على رأيك ، « مها يقال » موقفة .

ارماند — احب لو كنت نظمتها .

بيليز — هي بوزان قطعة كاملة .

فيلامنت — ولكن هل تقيمون جيداً موضع الدقة فيها مثلي ؟

ارماند وبيليز — اوه ! اوه !

فيلامنت — « أطريها مها يقال . » يجب ان نأخذ الحتمي هنا بعين الاعتبار ؛ ثم :
لا تكثرني شيء ، إلهزني بالاقاويل والباطيل ، هذا هو معنى قوله : « أطريها مها

يقال . ، « مها يقال ، مها يقال ! ، هذه الـ « مها يقال » تقول أكثر مما يخيّل إلينا
بكثير . أما أنا فلا أعلم ما إذا كنتم تشبهوني ، غير أنني أسمع تحت هذه الكلمة
مليون كلمة .

بيليز — الحق إنها تعني أشياء أضخم من لفظها .
فيلامنت « تريسوتان » — ولكن ، عندما نظمت هذه الـ « مها يقال » اللطيفة هل عرفت
أنت كل ما فيها من حياة وقوة ؟ هل كنت تفكر جيداً في كل ما تدل عليه ، وهل
كنت تفكر حين ذاك في شعنها بالذكاء ؟

تريسوتان — عجباً لك !
ارماند — إن هذه « الجاحدة » لتدوي في رأسي ، هذه الحمى الجاحدة ، الظالمية ،
الرديلة ، التي تسيء إلى الذين يجعلون لها مأوى من أنفسهم .
فيلامنت — وأخيراً ، إن كلتا هاتين الرباعيتين رائعتان . لننتقل مسرعين إلى القطعة
التالية ، أرجوك .

ارماند — آه ! إذا شئتم ، مرة أخرى : « مها يقال . »
تريسوتان — « أطردوها مها يقال »
فيلامنت ، ارماند ، بيليز — « مها يقال ! »
تريسوتان — « من مسكنك الفخيم »
فيلامنت ، ارماند ، بيليز — « مسكنك الفخيم ! »
تريسوتان = « حبّتهاجم هذه الجاحدة »
فيلامنت ، ارماند ، بيليز = « يا للحمى من « جاحدة ! »
تريسوتان = « حياة جميلة بغير حياة . »
فيلامنت = « حياة جميلة ! »
ارماند وبيليز = آه !

تريسوتان = عجباً لها ! ألا توقّر المنزلة التي أنت فيها ،
فتتطاول على دمك الزكي ،

فيلامنت ، ارماند ، بيليز = آه !
تريسوتان : = ونسيء إليك الليل والنهار !
فهاً توجهت بها إلى الحمام

وكففت عن مراعاتها ومحاباتها
وأغرقها انت يديك .

فيلامنت = لقد وهنت عزائمنا!

بيليز = وأغمي علينا.

ارماند = فنحن نموت من فرط السرور .

فيلامنت = الف رعشة حلوة تتمرينا .

ارماند = فهلا توجّهت بها الى الحمام

بيليز = وكففت عن مراعاتها ومحاباتها

فيلامنت = وأغرقها انت يديك .

بيليز = انت ، هناك ، أغرقها في الحمام .

ارماند = كل خطوة في اشعارك تطالعنا لفتة حلوة .

بيليز = أنزله الطرف فيها مأخوذة اللب اينما يمتد .

فيلامنت = لن نستطيع السير فيها الا على اشياء جميلة .

ارماند = انها مسالك دقيقة ملائى بالرياحين .

تريسوتان = تبدو لكم القطعة اذن . . .

فيلامنت = رائعة ، مبتكرة ، لم ينظم احد شيئاً جميلاً مثلها .

بيليز « الى هنريت ، كيف ! الا تهيج عاطفتك لدى هذه القراءة ! اما انك يا ابنة

اخى لغريبة الاطوار .

هنريت = كل انسان في هذه الدنيا يكون في المظهر الذي يستطيمه يا عمي ، وما كل

من توخى الذكاء بذكي .

تريسوتان = لعل اشعاري ازعجت الآنسة .

هنريت = ابدأ : لم اكن استمع .

فيلامنت = آه ! لند القطعة الأخرى .

تريسوتان = في عربة بلون القطيفة مهداة الى سيدة من صديقاتي (١) .

فيلامنت = هذه العناوين لا تخلو ابدأ من شيء طريف .

(١) هذه القطعة والتي قبلها مقتبستان من ديوان « الآثار الانيسة » لشاعر منمور اسمه كوتان

Cotin كان بينه وبين مولير خصومة ، وقد دعاه ، بريسوتان ومعناه : الرجل المثلث الحماقات .

ارماند = ان جدتها لتمهد الاذهان لمئة لغة ذكية .
 تريسوتان : لقد باعني الحب أغلاله بياض الثمن
 فيلامنت ، ارماند ، بيليز = آه !
 تريسوتان : حتى انه كلفني الى الآن نصف ثروتي ؛
 فاذا ما رأيت هذه العربية الجميلة ،
 حيث يرتفع الذهب الكثير كتلاً كتلاً
 فيدهش البلاد كلها
 ويذهي بالنصر سيدتي (١) . . .
 فيلامنت = « يذهي ! » هذا من العلم .
 بيليز = الصيغة جميلة تقدّر بمليون .
 تريسوتان : فاذا ما رأيت هذه العربية الجميلة ،
 حيث يرتفع الذهب الكثير كتلاً كتلاً
 فيدهش البلاد كلها
 ويذهي بالنصر سيدتي ،
 فلا تذكرني نوعها الخمي ابدًا ،
 ولكن اذكرني انها من مالي انا .
 ارماند = اوه ! اوه ! اوه ! هذا لم يكن منتظرًا ابدًا .
 فيلامنت = هو وحده يستطيع ان يكتب بهذا الدوق .
 بيليز = فلا تذكرني نوعها الخمي ابدًا
 ولكن اذكرني انها من مالي انا .
 هذه كلمة تقصرف : « مالي ، من مالي ، الى مالي »
 فيلامنت = لا اعرف اذا كنت مهينة الخاطو لموضوعك منذ الساعة التي عرفتك فيها ،
 ولكنني شديدة الاعجاب بشعرك وثرك .
 تريسوتان « الى فيلامنت » = لو كنت اردت ان تربنا شيئاً من عندك لظهرنا نحن
 كذلك بدورنا اعجابنا .

(١) تصرف بسيط

فيلامنت = لم اصنع شيئاً من الشعر ، غير ان لي ان أوصل التمكن عن قريب من اطلاعك ، كصديق ، على ثمانية مقاطع من مخطط مجعنا (١) . لقد اقتصر افلاطون على الفكرة وحدها عندما عالج موضوع « جمهوريته » ؛ ولكنني اريد ان ادفع الى التحقيق الفكرة التي سطرتها على الورق : ذلك لاتي احسن بكرة غريب لما يعزى الينا من نقص في عقولنا ؛ واريده ان انتقم لنا جميعاً مادمننا على قيد الحياة من هذه المنزلة الوضيعة التي يجعلنا الرجال فيها اذ يقصرن مواهبنا على صفائر الامور ويوصلون في وجوهنا باب المعارف العظيمة (٢) .

ارماند = انها لاهانة كبرى لبنات جنسنا ألا يوسموا جهود ذكائنا إلا الى الحكم على ثوب او معطف ، او على جمال العمل في ابرة او جمال قطعة مطرزة .

بيليز = يجب ان ننضو عنا عار هذه القسمة وان نحرر فكرنا بقوة من كل عبودية .
تريسونان = يعلمون في كل مكان شديد حرمتي للسيدات ؛ فان كنت ذا حفلة بسبريق اعينهن ، فانا أعظيم انوار عقولهن كذلك .

فيلامنت = ان بنات جنسنا لينصفنك ايضاً في هذه الامور ؛ بيد أننا نريد ان ندين بعض الاذهان التي يعاملنا عليها المحتال باحتقار : أن النساء مزودات كذلك بالعلم وأن في ميسورهن ان يؤلفن مجتمعات ثقافية تجري في ذلك على انظمة احسن ؛ وأننا نريد ان تجمع الشمل في مجعنا على حين انهم يفترون (٣) ، فنمزج اللغة الجميلة بالعلوم الرفيعة ، ونكتشف الطبيعة في الف تجربة ، وتأخذ بعين الاعتبار ، في كل قضية تعرض علينا ، اتجاه كل مذهب ، من دون ان نضيع فيه .

تريسونان = انا مرتبط من جهة النظام بمذهب « البير ياتيسم » (٤) .

فيلامنت — من ناحية المجرّدات انا احب الافلاطونية .

ارماند = يجبني « ابيقور » بمقائده القوية .

بيليز = اما انا فاراني انسجم مع مذهب الاجسام الصغيرة (٥) ، لكن تقبّل فكرة

(١) كانت الحلقات والمجامع العلمية الخاصة رائجة السوف في ذلك الزمن وقد سخر بها مولير في « المتحدثات السخيفات » ثم هنا في « النساء العالمات » (٢) را ظهر لنا هذا الاحتجاج معقولا ، لولا اننا نفهم ما تمنيه فيلامنت من المعارف المطيعة ، وهي لاتمدو في الحقيقة الاباطيل والحفائات . (٣) تستند انفصال المجمع اللنوي الذي انشأه ريشليو عن مجمع العلوم الذي انشأه كولير . (٤) نظرية لارسطو . (٥) التي تتألف منها على رأي ايسقور الاجسام والارواح .

الفراغ يصعب علي ، وافضل القول بوجود الجسم اللطيف ،
 تريسونان — ان ديكارت ، فيما يتعلق بالجاذبية ، يميل الى اتجاهي كثيراً .
 ارماند — يعجبني حديثه عن الزواج .
 فيلامنت — وانا حديثه عن العوالم المتساقطة .
 ارماند — انتظر بفارغ الصبر افتتاح مجمننا واشتهارنا باختراع ما .
 تريسونان — انا لرجو كثيراً من واسع معرفتك ، فالطبيعة قلما استغلت عليك .
 فيلامنت — اما انا فقد توصلت ، ولا فخر ، الى اكتشاف ، اذ رأيت بمجلاء رجلاً
 في القمر .
 بيليز — انا لم ار رجلاً على ما اعتقد ، ولكني رأيت اجراماً كما اراكم .
 ارماند — سنتبحر ، الى جانب العلوم الطبيعية ، في النحو والتاريخ والشعر والاخلاق
 والسياسة .
 فيلامنت — في علم الاخلاق امور كسبوبي ، وقد كان فيما مضى رغبة العقول الكبيرة ؛
 بيد اني افضل الرواقيين ، ولا اجد شيئاً يضارع جمال حكمتهم .
 ارماند — عما قليل يرى الناس ما سنضع للغة من قواعد ؛ ولنا لنأمل ان يحدث في
 هذا الباب ثورة . ان لدينا كراهية عقلية او غريزية تدفع كلاً منا لان يفض اشنع
 البغض عدداً من الكلمات ، ما بين افمال واسماء تبادلنا الرغبة في هجرها . سنعد
 احكاماً قاضية عليها ، اذ يجب ان نستهل محادثاتنا العلمية بالقضاء على مختلف هذه
 الالفاظ التي نريد ان نطهر النثر والشعر منها .
 فيلامنت — لكن اجمل نوايا مجمننا ، لكن المشروع النبيل الذي يملأ جوانحي غبطة ،
 الهدف الجيد الذي سنتني عليه العقول الذكية من الاجيال القادمة جميعاً : انما هو
 انهاء هذه المقاطع الكلامية القذرة التي تنزل الفضائح في اجمل الكلمات ، هذه
 الألاعيب الدائمة لحتى المصور كلها ، هذه التوافه الباردة يتندربها اشرار الناس ،
 هذه الموارد تراكم علينا الفاظاً متجاذبة المعاني منقطة بتمتهن بها كرامة النساء .
 تريسونان — تلك هي على التحقيق مقاصد تدعو الى الاعجاب ؛
 بيليز — ستري نظامنا الاساسي بعد ان نفرغ منه .
 تريسونان — لن يموزه الجمال والحكمة .
 ارماند — سنكون بقوانيننا الحاكمين على كل التأليف . لقواعدنا سيخضع النثر

والشعر جميعاً : لن يتمتع بالذكاء احد غيرنا وغير أحبائنا . سنبعث في كل مكان
عن شيء نعيه ، ولن نرى احداً سوانا يعرف الكتابة .

المنظر الثالث

ليين ، تريسوتان ، فيلامنت ، بيليز
ارماند ، هنريت ، فاديوس

ليين « الى تريسوتان ، سيدي ، هنالك رجل يريد التحدث اليك . انه يرتدي
السواد ويتكلم بصوت عذب .

تريسوتان — انه ذلك الصديق العالم الذي ألح علي ان امنحه شرف معرفتك .
فيلامنت — انت مفوض في استقامة . « الى ارماند وبيليز ، : لنظهر ذكاءنا جيداً علي
الاقبل . « هنريت الذاهبة » : — مكانك ! قلت لك بكلمات واضحة إن لي حاجة اليك .

هنريت — ولكن ما هي ؟

فيلامنت — تعالي ، ستحاطي علماً بذلك بمد هنية .

تريسوتان — هذا هو الرجل الذي يموت شوقاً اليك . انا اذ اظهره لكن لا اخشى
الذم علي اتي قبلت في بيتك رجل غريباً عن جماعتنا : فانه يستطيع ان يأخذ عمله
بين العقول النيرة .

فيلامنت — اليد التي تقدمه تذكر عظيم قدره .

تريسوتان — انه يفهم المؤلفين القدماء فهماً جيداً ، ويعرف اليونانية كما يعرف الفرنسية

فيلامنت — اليونانية ! يا للساء ! اليونانية ! انه يعرف اليونانية يا اخي !

بيليز = آه ! اليونانية يا ابنة اخي !

ارماند = اليونانية ! أعذب بها !

فيلامنت = ماذا ! السيد يعرف اليونانية ! آه ! تلتطف وأذن لنا يا سيدي ان نناقك
جداً باليونانية .

« يقبلن جميعاً ، حتى هنريت التي ترفضه ،

هنريت = اعذرني يا سيدي ، فانا لا أفهم اليونانية .

فيلامنت = للكتب اليونانية حرمة عجيبة عندي .



هنريت ترفض تقبيل فاديوس وتقول له :
اعذرني يا سيدي ، فانا لا أفهم اليونانية .

- فاديوس — أخشى ان اثقل عليك يا سيدتي بتقديم احترامي اليكن هذا النهار بدافع من رغبتي الشديدة ، فلملي كدّرت حديثاً علمياً .
- فيلامنت — مع اليونانية يا سيدي لن يُضار أحد .
- تريسوتان — وعلى الجملة فانه ينظم روائع الشعر كما يؤلف نفاكس النثر ، وهو يستطيع اذا اراد أن يظلمكن على شيء ما .
- فاديوس — تقيصة المؤلفين هي انهم يفرضون الحديث عن انتاجهم فرضاً ، انهم لا يكتفون ولا يملّون من قراءة اشعارهم المتعبة ، في القصر (١) والبلاط ، في المخادع وعلى الموايد . اما انا ، فلا اجد ، حسبما اشعر ، احق من مؤلف يستجدي النساء أني سار ، ويستوقف آذان اول القادمين ويجعلهم قرايين في الغالب لاشعاره . انا ابداً لا أبدي هذه الرغبة العنيدة الجمعاء ، بل أقندي في ذلك برأيي احد اليونان ، إذ منزع بصريح العبارة جميع الحكماء من الحاحهم الزري في قراءة آثارهم . هاكم بعض الاشعار القصيرة لأجل المحبين الشباب أريد ان اعرف رأيكم فيها .
- تريسوتان — لشعرك روعة ليست للآخرين .
- فاديوس — ان فينوس وآلهات الجمال لتسود اشعارك .
- تريسوتان — لديك اللفتة البارة وحسن اختيار الألفاظ .
- فاديوس — نرى في كل ما تكتب تصويراً للعادات والأهواء .
- تريسوتان — لقد رأينا عندك اسلوباً في نظم قصائد الرعاة يفوق بملاحته ثيو كريت وفرجيل (٢) .
- فاديوس — لمقطعاتك الغنائية معرض نبيل انيق لطيف أين منه الشاعر هوراس .
- تريسوتان — هل هناك ما يجاري غنائياتك في الحب ؟
- فاديوس — في الامكان ان نرى ما يساوي ما تصنع من قصيد ؟
- تريسوتان — هل هناك شيء في جمال مزدوجاتك الصغيرة ؟
- فاديوس — ام ما يعدل نتفك ذكاء وخفة روح .
- تريسوتان — لا سيما في الثلاثيات فأنت موضع الاعجاب .
- فاديوس — لقد بلغت حدّ الروعة في سجعك وتجنيسك .

(١) قصر الدالة . (٢) الشاعر اليوناني ثيو كريت (٣٠٠ - ٢٢٠) ق م والشاعر اللاتيني فرجيل (٧٠ - ١٩) ق م أجادا نظم قصائد الرعاة .

- تريسونان — لو استطاعت فرنسا ان تعرف مقامك . . .
- فاديوس — لو انصف مصر اصحاب العقول الثيرة . . .
- تريسونان — لطفت الشوارع في عربية مذهبة .
- فاديوس — ولنصب لك الجمهور التاميل . فيتابع خطابه لتريسونان : هذه ثلاثية ، وأريد ان تذكر في صراحة . . .
- تريسونان — هل رأيت قطعة شعرية صغيرة عن الحمى التي تعترى الاميرة اورانيا ؟
- فاديوس — نعم ، قرئت علي البارحة في ثلة من الاصحاب .
- تريسونان — أتعرف مؤلفها ؟
- فاديوس — كلا ؛ غير أنني اعرف جيداً ان قطعته غثمة نافهة ، اذا اردنا ان نتكلم من غير محاباة .
- تريسونان — كثيرون مع ذلك وجدوها مثار الاعجاب .
- فاديوس — هذا لا يدفع انها حقيرة ؛ ولو قرأتها لرأيت فيها رأيي .
- تريسونان — أعلم اني لست من ذوقك ابدًا ، وان قليلاً من الناس يستطيعون ان ينظمو امثالها .
- فاديوس — اعوذ بالله ان انظم مثلها ؛
- تريسونان — أوكد ان احداً لا يستطيع ان يذمها ؛ وحجتي الكبرى هي انني صاحبها .
- فاديوس — انت ؟
- تريسونان — انا .
- فاديوس — لم اكن على علم بالأمر اذن .
- تريسونان — ذلك اننا لم نحظ برضاك لسوء حظنا .
- فاديوس — يظهر انني حينما أصغيت اليها كنت شارداً الفكر ، او أن الذي قرأها علي قد شوهها . ولكن دعنا من هذا الحديث ، وانز ثلاثيتي .
- تريسونان — الثلاثيات في ذوقي شيء لا ماء فيه ولا حياة . انها لا تجاري الذوق الحديث انها تزخم بروائح القدم .
- فاديوس — الثلاثيات مع ذلك تسحر اناساً كثيرين .
- تريسونان — هذا لا يمنع انها لا تروقي .
- فاديوس — ما كانت لتسوء من اجل ذلك .

تريسونان = المتحذلقون بمحبون بها ويهللون لها .
 فاديوس = ومع ذلك (١) لا نراك بها من المعجبين .
 تريسونان = انك لتعزو في غباوة صفاتك الى الآخرين .
 فاديوس = بمنتهى الخبث ترمي بسيوبك الناس .
 تريستون = هيا ايها الشويمر ، يا مسود الاوراق .
 فاديوس = اخرج يا حائك التلاشيات ، يا خزي المهنة .
 تريسونان = اخرج يا بائع المتقيات ، يا سارق القدامى السفية .
 فاديوس = اخرج يا آذن المدارس . . .
 فيلامنت = على رسلكما ايها السيدان ، ماذا تريدان أن تصنعا ؟
 تريسونان = اذهب ، اذهب فأرجع المسروقات الخزية جميعها ، تلك التي يتقاضاك اياها
 اليونان والرومان .
 فاديوس = اذهب واعترف امام الاشهاد على جبل البرناس (٢) بانك قد شوهت اشعار
 هوراس في سبيل اشعارك .
 تريسونان = تذكر كتابك وقلة احتفال الجمهور به .
 فاديوس = تذكر كتبك وقد آل امره الى المستشفى .
 تريسونان = مجدي وطيد الاركان ، عبثاً تريد تمزيقه .
 فاديوس = اجل ، اجل ، سأبث بك الى ناظم الاهاجي (٣) .
 تريسونان = وسأبث بك انا كذلك .
 فاديوس = يسرني انه يعاملني بصورة مشرفة . لقد مسني بنقد خفيف عابر ، من بين
 عديد من المؤلفين (٤) الذين يحترمهم القصر (٥) ؛ ولكنه ابدأ لا يدعك في شعره
 بسلام ، وكيف التفتنا وجدناك عرضة لوخزاته .
 تريسونان = من هنا انما اصبحت في منزلة مشرفة . انه يضعك بين الجمهور كرجل لا
 شأن له ، ويعتقد انه يكفي لاخترايك ضربة واحدة ، فلا يشرفك ابداء بموالاة
 الضرب عليك ؛ اما انا فيهاجني على انفراد كخصم نبيل يبدو له انه في حاجة الى

(١) مع حذفك « المرب » . (٢) جبل الوحي الشعري عند اليونان . (٣) يوالو ، وقد
 حل بشدة على كوتان الذي يسميه مولير هنا تريسونان ، اي الرجل المثلث الحماقات .
 (٤) امتال : شابلان ، سكيديري ، كينو . (٥) قصر العدالة ، وهو يومئذ مآلف الشعراء .

قواه جميعاً لملافاته . ان طعناته التي لا يني يوالها عليّ لتبين انه لا يؤمن بنصره
عليّ ابدأ .

فاديوس = لتعلمتك ريشتي اي رجل استطع ان اكون .
تريسوتان = ولترينك ريشتي استاذك لك .
فاديوس = اتحدك في الشعر والنثر واليونانية واللاتينية .
تريسوتان = حسناً ! سنتقي على انفراد في حانوت « بارابان » (١)

المنظر الرابع

تريسوتان ، فيلامنت ، ارماند ، بيليز ، هنريت

تريسوتان = لا تؤاخذيني يا سيدتي بما غضبت ، فأنا انما اذفع عن رأيك في المقطوعة
التي تجرأ على مهاجتها .

فيلامنت = اريد اعادتك الى صفوك . لكن لتحدث في شأن آخر . اقتربي ياهنريت .
ان نفسي لني قلق منذ وقت طويل من انك لا تكشفين عن بادرة ذكاء ؛ بيد اني
وقعت على طريقة لتحصيلي منه على شيء .

هنريت = انك بذلك تعنين نفسك من اجلي بما لا ضرورة له . ليست احديث العلم مني
في شيء . احب ان اعيش في حرية ويسر ، ولا بد في كل ما تقولون من بذل جهد
كبير للتوصل الى الذكاء . ذلك مطمع لم يدُر في خلدي ابدأ . اناسعيدة كل السعادة
يا امي من اني غبية لا افقه شيئاً . ولأحب اليّ ألا اخوض الا في احديث مألوفة
من ان ارهق النفس للتفوه بالفاظ حسان .

فيلامنت — نعم ؛ ولكن ذلك يؤذيني ، وليس من مصلحتي ان اتحمل في ولدي عاراً
كهذا . ان جمال الوجه زينة تافهة او زهرة عابرة او بهجة هنية ، ليس منوطاً الا
بالبشرة البسيطة . لكن جمال الذهن دائم ثابت . لقد بحثت اذن طويلاً عن وسيلة
لمنحك الجمال الذي لا تعفي عليه السنون ، لبث الرغبة في العلوم في نفسك ، لادخال
المعارف الجميلة الى ذهنك ؛ واخيراً فان الفكرة التي حازت حسن قبولي هي ان اصلك

(١) طابع آثار مولير وبوالو .

برجل ثاقب الذكاء ؛ وهذا الرجل هو السيد ترسوتان الذي أفرض عليك ان
تعتبره الزوج الذي اختاره لك .
هنريت = انا يا امي ؟
فيلامنت = اجل ، انت . تباهي قليلاً .
بيليز « الى ترسوتان » = افهم ما ترمى اليه . عينك تطلبان موافقتي لتضع في مكان آخر قلباً
املكه . لا بأس ، انا اريد ذلك . اني متخيلة عنك لهذه الرابطة ؛ انه زواج يأخذ
بيدك الى الاستقرار .
ترسوتان « لهنريت » = لا اعرف ماذا اقول لك وانا في نشوة سروري ؛ ان هذا الزواج
الذي اراهم يشرفوتي به يا سيدتي لتيجعلني . . .
هنريت = مهلاً يا سيدي ! فانه لم يتم بعد ؛ لا لسرع كثيراً .
فيلامنت = يا له من جواب ! اتعلمين جيداً انه اذا . . . ؟ يكني ، فالت تفهميني .
« الى ترسوتان » ستكون عاقلة . هيا ، لنندعها وشأنها .

المنظر الخامس

هنريت ، ارماند

ارماند = نرى عناية امنا بك في ازدياد ؛ ليس في مكنتنا ان تختار احسن من هذا الزوج الفذ .
هنريت = اذا اعجبك اختياره فلم لا تأخذينه ؟
ارماند = أنت التي منحت يده لا انا .
هنريت = اتنازل لك عنه ، على اعتبار انك اختي الكبرى .
ارماند = لو ان الزواج يستهويني مثلك لتقبلت تقدمتك بمنتهى السرور .
هنريت = لو ان في رأسي مثلك محلا للمتحدثين لرأيتك جده لائق بي .
ارماند = مع ذلك ، على اختلاف اذواقنا في هذا الأمر ، فان علينا يا اختاه ان نطيع
والدينا ؛ لأمنا علينا كامل السلطة ؛ وعبثاً نظنين انك بمنتهىك . . .

المنظر السادس

كريزال ، آريست ، كليتاندر ، هنريت ارماند

كريزال « مخاطب هنريت ويقدم اليها كليتاندر » = هيا يا ابنتي ، يجب ان تقرمي خطتي .

اخلعي هذا القفاز . صافحي هذا السيد واعتبريه في نفسك منذ الآن ذلك الرجل
الذي اريد ان تكوني زوجه .
ارماند = ميلك الى هذه الناحية من القوة بمكان يا اختي .
هنريت = علينا يا اختاه ان نطيع والدينا ؛ فلاب كامل السلطة علينا .
ارماند = للام نصيب من طاعتنا .
كريزال = ما معنى هذا ؟
ارماند = اقول انني اخشى كثيراً ألا تكون على وفاق مع والدي في هذا الأمر ، وان
زوجاً آخر . . .
كريزال = اخبرني ياثرارة . اذهبي وتلفسي معها ما شئت ، ولا تدخليني في شيء من
اعمالها . أنبئني بفكرتي وحدريها جيداً ان تأتي وتطلب باقوالها أذني . هيا ، أسرع .
آريست = حسن جداً : لقد صنعت العجائب .
كليتاندر = يا لها فورة ! ما اشد غبطتي ! ما أطف حظي .
كريزال « الى كليتاندر » : « هيا ، خذ يديها واخطير اماننا . » الى آريست : « خذها
الى غرفتها . آه ! يا لحو الدلال ! يهيج فؤادي لمظاهر الحنان هذه ؛ ان هذا ليهيج ايام
شيوخوتي ، واني لأذكر صباتي وايام غرامي الأول .



الفصل الرابع

المنظر الاول

ارماند ، فيلامنت

ارماند — اجل ، ما من شيء استطاع ان يحملها (١) على التردد. انها تفاخر بطاعتها. كاد قلبها لا ينتظر الاذن ليلقي بنفسه بين ذراعي كليتاندر ؛ فلكنها أحرص على التهاون بأوامر أمها منها على الاحتفال بإرادة أبيها .

فيلامنت — لأريتها لأوامر من منا يأمر العقل ان تخضع ، لأعرفتها أننا يجب ان يحكم : أمها ام ابوها ، العقل ام الجسم ، الروح (٢) ام المادة .

ارماند — نستحقين على ذلك التهنئة في الأقل ؛ ان هذا السيد الصغير غريب التصرف اذ يريد ان يصبح صهراً لك بالرغم منك .

فيلامنت — لم يبلغ بعد حيث يطمح قلبه. كنت استحسنه، وكنت ارتاح لحبها (٣) ؛ لكنه في تصرفاته كان لا يرضيني ابداً . انه يعرف أنني بحمد الله آخذ من الكتابة بنصيب ، ومع ذلك فانه لم يطلب اليّ يوماً ان أقرأ عليه شيئاً .

المنظر الثاني

كليتاندر «داخلاً» برفق ومحاذراً ان يرى . ارماند . فيلامنت .

ارماند — ما كنت لاسمح لو كنت مكانك ان يصبح زوجاً لهزيت أبداً . لقد يمعنون في الاساءة اليّ إن دارت في اذهانهم فكرة أنني اتناول الموضوع بلهجة فتاة مغرضة ، وان الدور الدنيء الذي رأوه يمثله معي يجعل في صدري غلا خفياً له . أما إن النفس لتتحصن من امثال هذه الآفات بالعون القوي الذي تمدنا به الفلسفة ، فيها نستطيع ان نسمو على كل شيء ؛ بيد أن معاملتها إياك على هذا النحو معناها اكراهك على ما تريد إكراهها . فمعارضة رغباتها بتعلق بكرامتك ؛ وجملة

(١) الضمير يعود الى هنريت (٢) تصرفنا عند هذه الكلمة قليلا . (٣) كان كليتاندر يخطب ود ارماند ثم عدل عنها الى احتها .

القول أن هذا رجل يجب الا يفوز ابدًا برضاك . ابدًا لم ألمس عنده ، عندما كنت اناقله الحديث ، أنارة من احترام لك في اعماق قلبه (١) .

فيلامنت — يا للغي الحقيير !

ارماند — مهما يدوي في الآفاق مجدك فانه يقف من الثناء عليك موقف الجامد البارد .

فيلامنت — يا للجاني المتوحش !

ارماند — عشرين مرة قرأت عليه من آثارك المتجددة شعراً فلم يُسِغْهُ ولم يلتفت اليه .

فيلامنت — يا له من بليد !

ارماند — ما اكثر ما كنا نتخاصم في ذلك ؛ وقد لا تصديقين بكم من السخائف . . .

كليتاندر — زه ! على هيئتك يا سيدتي ، أجلي . قليلا من المعروف ، او على الاقل ،

قليلا من المروءة والصدق . بأي سوء أردتك ؟ ما هي اساءتي حتى تميدني كل ما

أوتيت من فصاحة لمقاومتي ؟ حتى تريدي التنكيل بي ، وتبذلي غاية الجهد لتبعضيني

الى الذين احتاج اليهم ؟ تكلمي ، قولي ، أنسى هذا الحقد الخفيف ؟ اريد ان

تكون السيدة في ذلك قاضية عدلا .

ارماند — لو كان في صدري الحقد الذي به أتتهم لوجدت ما اجوز به . لأنت اهل له ،

إذ ان للحب الاول حقوقاً من القداسة بحيث يجب ان نضحي له بمستقبلنا ونزهد

بمياتنا ، فذاك احري بنا من ان نكتوي بنار حب جديد (٢) . ما من قباحة

كفء للعدول عن محب ، وكل قلب خالس بعهد هو في عرف الاخلاق قلب

بغيض وضيع .

كليتاندر — ألسنين ياسيدتي نقضاً للهود العمل الذي اضطرني اليه زهوك وعتوك ؟

ما زدت على ان اطعت الأمر الذي فرضه علي ، فاذا انا اجتاحت سيئة نحوك فهما

وحدهما السبب . لقد امتلك جمالك بادي الأمر قلبي ؛ فاكثوى بسعير هواك

عامين اثنين ، ولم يعرض له شاغل ملح او واجب او حرمة او خدمة إلا قدمها على

مذبح الحب . هذا الغرام المستمر كله ، هذه العناية البالغة جميعها لم يستطيعا ان

يعطفاك شيئاً علي ؛ رأيتك حرباً على أماني العذاب : هذا الذي رفضته عرضته

(١) كثيراً ما تجتمع صفة الخبث والدناءة في ابطال مولير الى صفة الحمق والبلاهة «المرب» .

(٢) كانت ارماند تصد كليتاندر وتمالئ عليها ، فلما اجتواها ورعب عنها الى اختها هيريت ،

وجدت عليه وحاولت أذاه «المرب» .

على غيرك . أنظري ياسيديتي ، أعلي إثم هذا الأمرام عليك ؟ أقلي هو الذي
 بادر الى التغيير ام انت دفعته اليه ؟ انا الذي تركتك ام انت التي طردتي ؟
 ارماند — ادعوا حرباً على امانيك انتزاع ما فيها من وضاعة والرغبة في العدول بها
 الى تلك الطهارة التي يقوم عليها جمال الحب ؟ الا تستطيع ان تصرف تفكيرك في
 خالصاً بقياً من علاقات الحواس ؟ الا تستطيع اتحاد القلبين هذا في لطيف لذته
 حيث لا دخل للجسدين البتة ؟ اما انك عاجز عن ان تحب إلا حباً غليظاً تدعمه
 روابط المادة جميعاً ؟ فاذا اردت ان أبقى على حب انشأته فيك فلا بد من الزواج
 ومن كل ما يتبعه . آه ! ياله من حب عجيب ! وما ابد النفوس الراقية عن
 التحرق بهذا اللهب الأرضي ! ابدأ لا يكون للحواس نصيب من اشواقهم ،
 وجميل غرامهم لا ينبغي سوى تزواج القلوب ؛ فهو يهد فيما خلا ذلك زهده في
 شيء قبيح . انها لنار صافية جلواء كنار السماء ؛ معه لا ينفث المرء الازفرات
 شريفة ، ولا يتشهى قط دنس الرغائب . ما من رجس يشوب اهدافهم . يحبون
 للحب ، لا لشيء سواه . الى العقل وحده توجه عواطفهم ، وما كانوا ليلتفتوا
 ابدأ الى ان لهم اجساماً .

كليتاندر — اما انا فمن اسف اني ارى ياسيديتي ان لي جسماً ، كما ان لي روحاً ؛
 احس انه اكبر شأناً من ان اصرف عنه النظر . هذا الزهد والتجرد لم اتصنعهما
 قط ؛ لقد ابت علي السماء هذه الفلسفة ، فروحي وجسمي يسيران جنباً الى
 جنب . وكما قلت ، فانه ما من شيء اجمل من هذه الاماني المهدبة التي لا توجه
 لغير العقل ، من اتحاد القلوب ، من هذه الافكار الرقيقة المجردة من علاقات
 الحواس ؛ بيد ان هذه المودات هي اصنى وارقي من ان اناول اليها : انا على
 جانب من جفاء الطبع ، كما تهمني ؛ أحب بجماع نفسي ، واعترف ان حيي يقنأول
 المحبوب كله . ان ذلك لا يستدعي شديد العقاب ، وانا وان كنت لالومك على جميل
 عواطفك ، أرى الناس في هذا العالم ينهجون نهجي ، والزواج متعارفاً دارجاً ،
 يعتبره الجميع رابطة من العذوبة والشرف بحيث تسمح لي ان اشتهي الزواج بك ،
 من دون ان يفسح لك ما في هذه الفكرة من حرية مجالا للاستياء .
 ارماند — حسناً ياسيدي حسناً ، ما دامت عواطفك الجافية لا تصني الي وتريد
 ان تقضي لباتها . فما اتي اردت ان اعيدك الى حرارتك ووفائك فيجب ان التمس

روابط الاعم وقود الجسم ، فاناسأحمل النفس على تقبل ما يجب لاجلك اذا كانت امي توافق عليه (١) .

كليتاندر — لقد فات الوقت يا سيدي : فتاة اخرى اخذت المكان ؛ يمثل هذا المتقلب ساً كون مدخول النية فاسد المروءة إن انا اسأت الى الفتاة التي لذت بلطفها من غرورك واختياك .

فيلامنت — ولكن هل تعتمد يا سيدي على تأييدي ، عندما تمتي النفس بذلك الزواج الآخر (٢) ؛ ألا خبرني ، أتعلم وانت سادر في اوهاك ان لدي زوجاً آخر حاضراً لهزيت ؟

كليتاندر — هيه يا سيدي ؛ أنعمي النظر فيمن تختارين ، أرجوك ؛ عرضيني ، من فضلك ، لمار اقل وطأة ؛ لا تردني الى ذلك المصير الزري بان اراني منافساً للسيد تريسونان . ان حبك للأذكى الذي لا أتفق معك فيه لماجز عن ان يضع في طريقي خصماً اقل منه نبلا . كثيرون هم الذين خيل الى الناس ذوي الاذواق الرديئة انهم اهل فطنة وحذق فأعجبوا بهم وقدومهم ؛ غير ان السيد تريسونان لم يستطع ان يفر احداً ، فالكل يوقون كتاباته حقها . في كل مكان ما خلا هذا نرى الناس يقدرونه قدره الحق . وان ما اثار بالغ دهشتي عشرين مرة هو أنكن ترفن الى السماء ترهاته التي قد تستوخنها لو انكن نظمتها .

فيلامنت — اذا كنت تقضي فيه قضاء يختلف عنا فلا ننا ننظر اليه بغير المينين اللتين تنظر بهما اليه .

المنظر الثالث

تريسونان ، ارماند ، فيلامنت ، كليتاندر

تريسونان — جئكم بخبر عظيم . لقد نجونا لحسن الحظ يا سيدي (٣) من خطر اذ كنا نأمن . دنيا بالقرب منا مرت على نطاق واسع ، وسقطت خلال منظومتنا ؛

(١) ارماند . على اعجابها بتريسونان تفضل ان تزوج كليتاندر ! انها هنا تدير ولا شك بوحى النريزة السليمة «المرب» . (٢) زواجه من هنري . (٣) يخص فيلامنت بين حين وآخر بخطابه ، لأن في يدها دفة الامور . ان تريسونان ، الى ادعائه ، متفق يعرف من اين تؤكل الكتف «المرب» (٤) كليتاندر .

ولو انها صادفت في طريقها ارضنا لتحطمت إرباً إرباً كقطعة من زجاج .
 فيلامنت — لنؤجل هذا الحديث الى وقت آخر ، فلن نجد فيه السيد ذوقاً ولا معنى ؛
 انه يستطيع بحب "الجهالة" ، وينفض الذكاء والعلم .
 كليتاندر — هذه الحقيقة تتطلب بعض التلطيف . اني شارح قصدي يا سيدتي : فانا
 انما اكره العلم والذكاء اللذين يفسدان الناس فقط . هذه اشياء جميلة نافعة في
 حقيقتها ؛ بيد اني افضل ان اكون في صف الجاهل على ان اكون عالماً
 كبعض الناس .

تريسونان — اما انا فلست اري ان العلم قد يفسد الاشياء مهما يكن تأثيره .
 كليتاندر — واليك رأيي انا : ان العلم قد يخلق الحقى الكبار في الاعمال والأقوال .
 تريسونان — انه لزعم خطير .
 كليتاندر — برهان ذلك على ما اعتقد من السهولة بمكان ، فهو لا يستدعي ذكاء ولا حذقاً .
 واثن اعوزتي الأسباب ارد "اليها هذا الأمر فانا لا تموزي الامثلة المشهورة .
 تريسونان — تستطيع ان تذكر من هذه الامثلة من لا يدل "ذكرهم على شيء" .
 كليتاندر — لن اذهب بعيداً لأتمس المثل .
 تريسونان — اما انا فلا اجد هذه الامثلة الذائعة الصيت .
 كليتاندر — انا اراها وأراها حتى تكاد تفقأ عيني" .
 تريسونان — كنت اعتقد الى اليوم ان الجهالة هي التي تخلق الحقى ، لا المعرفة .
 كليتاندر — اخطأ ظنك كل الخطأ ، واما لك زعيم ان الاحق العالم هو اشد حماقة
 من الأحمق الجاهل .
 تريسونان — الرأي المتعارف بين الناس يناقض اقوالك ، لأن الجاهل والأحمق
 لفظان مترادفان .
 كليتاندر — اذا انت اردت ان تنقل المناقشة الى استعمال الكلمة فالعلاقة اقوى بين :
 متحدث وأحمق .

تريسونان — الغباوة في احد اللفظين اصرح واوضح .
 كليتاندر — والدراسة في اللفظ الآخر تزيد طبيعة الغباء تعقيداً .
 تريسونان — المعرفة تحتفظ في نفسها بقيمتها السامية .
 كليتاندر — المعرفة في النبي تصبح امرأ في غير محله المناسب .

تريسونان = يبدو ان للجهالة في نظرك جمالا عظيماً ، فما اكثر ما تدافع عنها .
كليتاندر = اذا كان للجهل ما يزيئنه في قلبى ويحببته الي فذلك منذ وقعت عيناى على
بعض العلماء (١) .

تريسونان = هؤلاء العلماء لو عرفتم لرأيتمهم في منزلة بعض الأفراد المتبينين .
كليتاندر = نعم ، ولكن اذا وثقنا بأقوالهم هم . بيد أننا لا نركن الى ما يدعون .
فيلامنت والى كليتاندر = يلوح لي يا سيدي...
كليتاندر = رحماك يا سيدي ، ان السيد لمن القوة ؛ كان من غير ان تهضي لمؤازرته ؛
لقد عانيت الكثير من هذا المهاجم القاسي ؛ وادا كنت ادافع عن نفسي فمتراجماً .
ارماند = لكن القساوة الجارحة في كل جواب ترد به...
كليتاندر = مؤازرة اخرى ؛ تنازلت عن موضوعي .

فيلامنت = امثال هذه الخصومات محتمل في الحادثات ، على ألا تتناول الاشخاص .
كليتاندر = زه يا آلهي ! ليس في كل هذا ما ينتقص من قدره ؛ انه يفهم التحكم
كما يفهم الفرنسية ، ولقد أحس بسهام اخرى كثيرة تخيظه فلم يبال بها وسخر منها .
تريسونان = ما كنت لأدهش ، في المعركة التي اخوضها ، لرؤية السيد يناصر هذه
القضية . لشد ما انغمس في البلاط ، هذا يكفي ؛ من مصلحة البلاط ان
يناصر الجهالة ، فالسيد يدافع عنها بحكم انتسابه اليه .

كليتاندر = اما انك لشديد الموجدة (٢) على هذا البلاط المسكين ، وان شقاءه
لعظيم اذ يراكم كل يوم ايها المتذاكون تحبون باللائمة عليه ، واذ تخاصمون ساخطين
ناقمين ، واذ تحملون على ذوقه الرديء ولا تهمون احداً سواء في إخفاقكم . الا
فلتسمح لي يا سيد تريسونان ان اقول لك ، على جزيل الاحترام الذي يوحى به
اسمك الي ، إنكم تحسون صنعاً ، انت وزملاؤك ، اذا تحدثتم عن البلاط على نحو
الطف ؛ وإنه اذا عرفنا كيف نتفهمه ليس من العباوة ، في حقيقته ، كما يدور في
خلدكم ايها السادة ؛ وإن لديه ما لدى الناس من رشدي تصدئ به للحكم على الاشياء ؛
وان من فيه لا يخلون من ذوق سليم ؛ وان الذكاء الاجتماعي يفضل عنده ، ولا
محابة ، علم الخدلة المظلم كله (٣) .

(١) امثالك ، الذين هم على شاكلتك . (٢) الحقد . (٣) كان المناقون والمتحدلقون اعداء
مولير ، فكان في حاجة الى تأييد القصر كحاجته الى تأييد النظارة .

تريسونان = نرى يا سيدي نتائج ذوقه الحسن .
 كليتاندر = في اي ناحية ترى هذه النتائج سيئة يا سيدي ؟
 تريسونان = الذي اراه يا سيدي هو ان «راسيوس» و «بالدوس» هما فخر فرنسا في العلم ، وان عظيم فضلها الظاهر في وضح النهار لم يجذب اليها قط انظار القصر وهباته (١) .

كليتاندر = ارى الشيء الذي يثير الملك وسخطك ، وارى انك تحتشم يا سيدي ان ان تنظم نفسك مع الجماعة . واجاريك فلا اضعك في الحديث ، ثم اسألك : ماذا صنع الدولة بطلاك الابيضان هذان ؟ ماذا اجدت عليها كتاباتها فيكون من حقها ان يتهاها بدمم الانصاف ويضججا بشكواها حينما كانا من انها لا توالي عطفها وهباتها على القابها العلمية ؟ اما ان معرفتها ضرورة لازمة لفرنسا ! والقصر ما احوجه لكتبتها ! يالوح لثلاثة صماليك (٢) في دماغهم الصغير انهم اذا طبعوا وُجِّلِدُوا فقد أصبحوا اشخاصاً ذوي مكانة في الدولة ؛ يخيل اليهم انهم بأقلامهم يرسمون مصائر التيجان ؛ وأن لهم ان يروا الروائب تطير اليهم لأقل ضجة يثرونها بانتاجهم وان عيون الناس شاخصة اليهم ؛ وان يجد اسمهم يتدفق في كل مكان ؛ وأنهم في العلم آيات بيّنات لانهم يملكون ما قال الآخرون قبلهم ، لأن كان لهم مدى ثلاثين عاماً عيون وآذان ، لانهم أمضوا تسعة آلاف سهرة او عشرة يخلطون في اليونانية واللاتينية ، ويحملون الذهب بسلاب قائمة من اشياء عتيقة تحتويها الكتب؛ قوم لا ينفكون سكارى بما عرفوا ؛ كل فضلهم أنهم اغنياء بنزعج الهذر ، قاصرون في كل شيء ، يمزجهم الشعور الطبيعي ، ويجمعون في انفسهم المضحك والخبيث بحيث يكرهون الى الناس الذكاء والعلم .
 فيلامنت :- أما إن حماسك لشديدة ، وهذا الاحتداد يشير الى اتجاه طبيعتك ؛ انه اسم المنافس الذي يشير في نفسك . . .

المنظر الرابع

جولييان ، تريسونان ، فيلامنت ، كليتاندر ، ارماند
 جولييان : - العالم الذي كان في زيارتكم منذ قليل ، والذي لي الشرف ان اكون خادمه ،

(٣) لا تنس ان الوزير كولير كان يوزع الملبات والرواتب حين ذاك على العلماء والكتاب الفرنسيين والابائ . بأمر لويس الرابع عشر وارشد الاديب شابلان . (٢) راسيوس ، بالدوس ، تريسونان .

يحشك يا سيدتي على قراءة هذه البطاقة .

فيلامنت = مهما يكن الذي تريد ان اقرأه هاماً ، فاعلم يا صديقي ان من الحماقة ان تأتي فنلقي بنفسك وسط حديث ما ، وان عليك ان تقابل الخدم حتى تستبني لك ان تدخل كخدام يعرف كيف يعيش .

جوليان = سأدوّن هذا يا سيدتي في كتابي .

فيلامنت «تقرأ» = «تفاخر تريسوتان يا سيدتي بان سيتزوج ابنتك. أعلمك بان فلسفته لا تطمح الى غير أموالكم ، وبانك تحسنين صنعا إن لم تبني في هذا الزواج ما لم تري القصيدة التي أولفها ضده . بانتظار هذه الصورة التي اريد ان أجلوها فيها عليك بجميع الروايات ، فانا ابث اليك بمؤلفات هوراس وفرجيل وتيرانس وكاتيل ، حيث ترين في الهوامش اشارات الى جميع المواضع التي سرقها .»

فيلامنت «تتابع» = هاتم ترون ، في هذا الزواج الذي أمتني النفس به ، رجلا فاضلا كفيًا ينوشه الاعداء من كل جانب ؛ هذه النعمة البالغة تدعوني اليوم الى القيام بعمل يُغزي الحساد ويربهم ان جهودهم لتعطيم المشروع سوف تعجل انجازها . أنقل هذا كله الى سيدك في الحال ، وقل له اني اريد ان اريه كبير احترامى لآرائه النبيلة وأنها جديرة بالاتباع ، ومن اجل ذلك فسأزوج ابنتي ليلتي هذه من السيد تريسوتان . وانت يا سيد كليتاندر ، تستطيع ان تشهد توقيع المقد صديقاً للأسرة ، فأنا ادعوك اليه . واث يا ارماند وجهي في طلب الكاتب العدل وامضي الى اختك فأخبرها بالأمر .

ارماند = لا حاجة الى اخبار اختي ، وسيأخذ السيد كليتاندر على عاتقه ان يسرع نحوها ليحمل اليها بعد هنية الخبر ، ولهميشها لمصيانك .

فيلامنت = سنرى أينما اكبر سلطانا عليها ، وما اذا كان في امكاني ان ألزمها الواجب . «تخرج»

ارماند = اسفي كبير يا سيدي من ان الأمور لا تجري تماماً وفق خططك .

كليتاندر = سأعمل بقوة يا سيدتي على الا اترك في قلبك هذا الاسف العظيم .

ارماند = أخشى الا يؤدي جهدك الى نتيجة مرضية .

كليتاندر = عسى ان تخيب خشيته .

ارماند = اتمنى ان يكون الأمر كذلك .

كليتاندر = انا متأكد من ذلك ، ومن انك ستعطيني عليه .
ارماند = اجل ، سأخدمك بكل قواي .
كليتاندر = انا شاكر لك خدمتك هذه جزيل الشكر .

المنظر الخامس

كريزال ، آريست ، هنريت ، كليتاندر .

كليتاندر = انا لمان لم تكن في عوني لأكون من الخاسرين : لقد رفضت السيدة زوجتك رغباتي ، انها تريد تريسوتان صهرًا لها .
كريزال = ولكن اية رغبة عابثة امتلكتها ؟ لماذا تريد هذا السيد تريسوتان ؟
آريست = انما تغلب على منافسه (١) بما له من شرف النظم باللاتينية .
كليتاندر = انها تريد ان تعقد الزواج ليلتها هذه .
كريزال = ليلتها هذه ؟
كليتاندر = ليلتها هذه .
كريزال = وهذه الليلة اريد ان اخالفها فأعقد قرانكما (٢) .
كليتاندر = بعثت طلب الكاتب العدل لتحرير الصك .
كريزال = وسأبعث في طلبه ليحرر ما يجب .
كليتاندر = وعلى السيدة ارماند ان تنبئ اختها بالزواج الذي يراود ان تهتئ قلبها له .
كريزال = وانا آمرها بقوة ان تهتئ يدها للزواج الآخر . لأريستهم هل من سيد غيري يأمر في بقي وينهى . سنعود ، انتظرينا يا هنريت . هيا ، اتبعني يا اخي ، وانت كذلك يا صهري .
هنريت «لأريست» = وا اسفاه ! ثبتت قلبه دوماً على هذه الحال .
آريست = لن ادّخر وسعا في خدمة حبكما .
كليتاندر = مهما يعيدوا حيي بقوي المعونة فان املي الوطيد معقود على قلبك يا سيدتي .
هنريت = اما قلبي فلك ان تتأكد منه .
كليتاندر = لا يسعني إلا ان اكون ناعم البال اذ يخف لنجدتي .

(١) يريد : كليتاندر . (٢) لاحظ شجاعة كريزال في غياب زوجها «المرب»

هنريت = انت ترى على اي* رابطة يرغبون ان يكرهوه .
كليتاندر = مادام هو لي ، فلست اجد ما اخشاه .
هنريت = سأحاول كل شيء لتحقيق امانينا العذاب ؛ فاذا لم أحظَ بك فهناك معتزل
فأوي اليه (١) وسيعصمني إن اكون لغيرك .
كليتاندر = فلتحفظني السماء العادلة من ان أتلقى منك على الحب هذا البرهان .



(١) تريد : الدير

الفصل الخامس

المنظر الاول

هنريت ، تريسوتان

هنريت — عن الزواج الذي تستعد له أمي انما اردت ياسيدي ان أسرّ اليك حديثاً ؛ فقد أحسب ، والبيت في القلق الذي اراه عليه ، أن في استطاعتي ان اردك الى الصواب . أعلم أنه يخجل اليك اني قادرة على ان احمل اليك مع رغباتي مالاً وفيراً على سبيل المهر ؛ غير أن المال الذي يقيم الناس له وزناً كبيراً لا شأن له في نظر الفيلسوف الحق ، ولا ينبغي لك ان تقتصر في احتقار المال والاجساد الباطلة على الكلام دون العمل .

تريسوتان — من اجل هذا فليس المال بالذي يسحرني فيك ؛ جاذبيتك ، عينك النافذتان الوديعتان ، ملاحظتك ، هيئتك : تلك هي الارزاق التي جذبت نحوك اماني ورفيقي عواطفي ؛ لهذه الكنوز وحدها انما انا عاشق .

هنريت — انا جده مدينة لكريم عاطفتك . في هذا الحب وإحسانه ما ينجلني ، اذ يؤسفني ياسيدي ألا استجيب له . انا اقدرك حق قدرك ، غير أنني أجد ما يمنع من حبك . لا يستطيع القلب ، كما تعلم ، أن يكون لثنين ، وانا اشعر بان كليتان درهوسيتد قلبي . أعلم أنه دونك في المزايا ، وأن عيني لم نحسنا اختيار زوجي ، وانك كنت حريصاً ان تنال اعجابي بمئة منقبة ؛ وارى جيداً اني على خطأ ، بيد أنه ليس في يدي ان اصنع غير هذا ؛ وكل ما يستطيعه العقل من التأثير عليّ هو أن يحملني على ان أبغض النفس لهذا العمى .

تريسوتان — إن منحهم اياي يدك التي جعلوني اتناول اليها سيسلمني هذا القلب الذي يملكه كليتاندر ؛ ان لي ان اثق كل الثقة بأنني استطيع بموالة عنايتي بك ان اجد الفن الضروري للتعجب اليك .

(١) تريد : الدير

هنريت — كلا؛ لقد ارتبطت نفسي بجمها الأول، ولن يكون لها ان تتأثر يا سيدي
بكبير عنايتك. في ميسوري ان أوضح هنا عن نفسي معك، وليس في اعترافي ما
يسوءك. ليست حرارة الحب المنبعث في القلوب بنتيجة للفضل والألمية، كما تعلم.
ان للهوى في ذلك دخلا، فاذا ما اعجبنا انسان صعب علينا في الغالب ان نذكر
لذلك من سبب. لو كان الحب يا سيدي بالاختيار والحكمة لحظيت بقلبي وبمجامع عاطفتي؛
بيد اننا نرى الحب يسير على نحو آخر. دعني، ارجوك، لهامي، ولا تعتمد الى هذه
الشدة التي يريدون بها حمل على طاعتك. عندما يكون الرجل شريفاً يأبى ان يكون
مديناً لشيء مما لا بآبنا من السلطة علينا؛ انه ليكره ان يضحي لنفسه بمن يحب، ولا
يريد ان يحصل على قلب إلا من نفسه. لا تدفع والدتي الى ان تمارس على رغباتي
حقوقها الصارمة بهذا الاختيار. أزعج حبك عني، واحمل الى فتاة اخرى تكريم
قلب نفيس كقلبك.

تريسونان — السبيل الى ان يفوز هذا القلب برضاك؟ افرضي عليه أحكاماً يطبق
تنفيذها. أفي يده ألا يحبك؟ الا اذا فارقت يا سيدتي ملاحظتك ورغبت عن عرض
جمالك السهاوي على الميون...

هنريت — بحسبك يا سيدي؛ لن دعه هذا الحديث الشائك. لديك الكثيرات من «ايريس»،
و «فيليس»، و «امارانت» (١)، اللواتي تصورن جمالهن في شعرك اينما كنت،
واللواتي طالما اقسمت لهن على حرارة حبك...

تريسونان — عقلي هو الذي يتكلم، لا قلبي. في الشعر انما أرى عاشقاً لهن؛ غير أنني
أحب في الحقيقة هنريت المعبودة.

هنريت — ايه! رحماك يا سيدي...

تريسونان — اذا كان في هذا ما يسوءك، فاني غير مستعد ان انتهي عن اساءتي. هذه
الحرارة التي تجلبها الى اليوم لتتندرك لك خالد المتى؛ لاشيء يستطيع ان يقف اندفاعها
الرغيب؛ ومع ان محاسنك تثبط جهودي (٢) فانه ليس في ميسوري ان ارفض نجدة
امك التي ترغب في مكافأة غرام جسد أثير؛ واني اذا فزت بلطيف السعادة

(١) بطلات القصائد الريفية، كان كوتان يمجده، تحت هذه الاسماء، المعبجات بشعره من النساء.

وكوتان هذا هو الذي يتكلم به مولير تحت اسم تريسونان.

(٢) لا تنس ان المتكلم احد المتحذلقين.

فامتلكتك فلا اهمية عندي للطريق التي اتوصل بها الى ذلك .
هنريت — ولكن هل تعلم أننا نخاطر أكثر مما يخيّل إلينا إذا أردنا ان نعد الى الشدة
للتأثير على القلب ، وأنه ليس من المستحسن ، إذا أردنا الصراحة ، ان تقترن بفتاة
على الرغم منها ، وأن في مكنها حين تكرر على امر كهذا ان تبلغ في النعمة حداً
يخشاه الزوج ؟

تريسوتان — ليس في هذا الحديث ما يقلقني ، فالعقل يستعد لكل حادث . لقد شفي
بالعد من اعراض الضعف العامة ، فهو يترفع عن امثال هذه الأمور ، ولا يعتريه
غمٌ لما ليس في يده رده .

هنريت — في الحق "ياسيدي" اتى جد معجبة بك ؛ ولم أكن اظن ان الفلسفة على هذا
الجمال الرائع ، اذ تعلم الناس هكذا ان يستمسكوا بامثال هذه الحوادث . هذه
الصلابة التي انفردت بها جديرة ان توسع لها المجال ، جديرة ان تجيد من تحبها
وتولي أمر اظهارها للوجود عناية خاصة ؛ ولما كنت لا اجرو في الحقيقة على
الاعتقاد بأن أهل لأن اعطيها كل مالها من روعة وبهاء ، فانا اتركها لأخرى
غيري وأقسم لك فيما بيننا على انني أصرف النظر عن سعادة الاقتران بك .
تريسوتان — عما قليل نرى كيف ستسير الأمور ، فقد جاءوا بالكاتب المدل .

المنظر الثاني

كريزال ، كليتاندر ، مارتين ، هنريت

كريزال — أه ، بنيتي ، انا مسرور لرؤيتك . هيتا ، تعالي قومي بواجبك وأنزلي
رغباتك على ارادة ابيك . اريد ، اريد ان أعلم امك كيف تعيش ؛ ولأمن في
احتقارها ، هأنذا قد جئت رغم أنها بمارتين ولتقيم في هذا الدار .
هنريت — عزيمتك تستحق الثناء . إعمل على ألا تغيّر هذا المزاج . كن حازماً في ارادة
ما تتمناه ؛ ولا ينبغي لك أن تؤثني من طيب قلبك . لا تلن قناتك ، واجتهد ألا
تكون الغلبة لأبي عليك .
كريزال — عجباً لك ! أنظنيني أبه ؟
هنريت — أعوذ بالله من ذلك !

- كريزال = أنا احق ، من فضلك ؟
هنريت = لم اقل هذا .
كريزال = ام يظنون اني عاجز عن اتخاذ موقف حازم كما ينبغي للرجل العاقل ؟
هنريت = كلا يا ابي .
كريزال = أأكون معنى ذلك أتى في سنّي هذه ليس لديّ الذكاء الكافي لأكون سيّداً في بيتي ؟
هنريت = على العكس .
كريزال = ام ان عندي هذا الضعف في النفس بحيث اترك زوجتي تقودني صاغراً ؟
هنريت = ايه ! كلا يا ابي .
كريزال = ماذا اذا ؟ اراك سخيّة بالتحدث هكذا اليّ .
هنريت = إن كنت ازعجتك فما تلك برغبتني .
كريزال = ارادتي يجب ان تتّبع في كل شيء هنا .
هنريت = حسن جداً يا ابي .
كريزال = ليس لأحد سواي الحق ان يحكم في هذه الدار .
هنريت = نعم ، انت على حق .
كريزال = انا الذي أشغل رئاسة الأسرة .
هنريت = متفقاً .
كريزال = انا الذي يجب ان التصرف ببيتني .
هنريت = نعم .
كريزال = اعطيتي السماء مطلق السلطة عليك .
هنريت = من يقول لك العكس .
كريزال = وسأريئك انك اذا اردت زوجاً فإليك ان تنقادي لايك لا لأملك .
هنريت = وا اسفاه ! أما انك لتداعب بهذا أعذب آمالي ؛ تقبل طاعتي ، هذا كل ما اريد .
كريزال = سنرى اذا كانت زوجتي المخالفة لرغباتي . . .
كليتاندر = ها هي ذي تقود الكاتب المدل .
كريزال = كونوا جميعاً في عروني (١) .

(١) ما أشجع حين تنيب زوجه وما اجبنه حين تحضر ! « العرب »

مارتين — دعني ، سأعني بتشجيعك ، اذا اقتضى الأمر .

المنظر الثالث

فيلامنت ، بيليز ، ارماند ، تريسونان
الكاتب العدل ، كيرزال ، كليتلندر ، هنريت ، مارتين

فيلامنت « الى الكاتب » — الا تستطيع ان تغيّر اسلوبك الجافي وان تكتب لنا عقداً بلغة جميلة ؟

الكاتب — اسلوبنا جيد جداً ، وسأكون أحق يا سيدتي إن اردت ان أغيّر فيه كلمة واحدة .

بيليز — آه ! يا لها بربرية وسط فرنسا ! تفضل يا سيدي على الأقل في سبيل العلم فعبّر عن المهر بالعملة اليونانية ، وأرّخ بالألفاظ الرومانية .

الكاتب — انا ؟ إن رحت استجيب يا سيداتي لطلبكن ، فسأجعل نفسي سخريّة بين رفاقي جميعاً .

فيلامنت — عبثاً تشككي من هذه الغثاثة . هيا يا سيدي . تقدّم من الطاولة للكتابة .

« ثم تلمح مارتين فتقول : « زه ! زه ! هذه السفينة ما زالت تجرؤ على الدخول ؟

لاذا ، من فضلك ، أعدها اذن الى بيتي ؟

كيرزال — بعد هنية ، حين تفرغ ، سأقول لك السبب . لدينا الآن امر آخر لننجزه .

الكاتب — لنشرع بالعقد . اين هي اذن العروس ؟

فيلامنت — التي ازوجها هي الصغرى .

الكاتب — جيد .

كيرزال — نعم . ها هي ذي يا سيدي ؛ اسمها هنريت .

الكاتب — حسن جداً . وأين هو العروس ؟

فيلامنت — « مشيرة الى تريسونان » — الزوج الذي امنحها هو السيد .

كيرزال « مشيراً الى كليتلندر » : — والذي اريد انا شخصياً ان تقترب به هو السيد .

الكاتب — أزوجان ؟ هذا اكثر مما تسمح به العادة .

- فيلامنت — لماذا تتوقف ؟ ضع تريسوتان صهراً لي يا سيدي ، ضمه (١) .
- كريزال — ضع كليتاندر ، يا سيدي ، ضمه صهراً لي .
- السكراب — تقاهما اذن ، وبحكم ناضج فلتتقفا فيما بينكما على الزوج .
- فيلامنت — اتبع ، اتبع يا سيدي ما اختاره .
- كريزال — أعمل ، أعمل ياسيدي حسبما اري .
- السكراب — ألا خبروني اي الاثنين اذن اطيع .
- فيلامنت «الى كريزال» — ماذا اذن ! أتقاوم الاشياء التي أريدها ؟
- كريزال — لا اطيق ألا يسعوا الى ابنتي إلا حباً للمال الذي يرون في اسرني .
- فيلامنت — حق ، انه يفكر في مالك جيداً ، وهنا شاغل لا ثقى جداً برجل الحكمة !
- كريزال — على كل حال لقد اخترت كليتاندر زوجاً لها .
- فيلامنت «مشيرة الى تريسوتان» — وانا هذا هو الذي أريده زوجاً لها : اختياري سيئ ، هذه قضية عتومة .
- كريزال — ماذا ؟ تتناولين الأمر بصورة جازمة حاسمة !
- مارتين — ليس للمرأة ابدأ ان تأمر ، ونحننا (٢) يجب ان نترك الكلمة العليا للرجال .
- كريزال — أحسنت القول .
- مارتين — تسريحي وإن تحقق مئة مرة فسأقول : لا ينبغي للدجاجة ابدأ ان تنغتنى قبل الديك (٣) .
- كريزال — من دون شك .
- مارتين — ونرى ان الرجل يصبح سخريه الناس اذا لبست امرأته لباس الرجال في بيته (٤) .
- كريزال — صحيح .
- مارتين — سأقول هذا : لو كان لي زوج لأردت ان يكون سيد البيت . ما كنت لاجبه ابدأ إن ذلّ وخضع ؟ فاذا بدا لي ان أجادله ذات يوم ، اذا رفعت صوتي في حديث ،

(١) ما أشق هذه الساعة على هنري و كليتاندر ، لاسميا وأن ظهريهما « آريست » ما يزال غائباً .
حقاً ان الجدة القاسي يمتزج في مسرح مولير بالمزحل الصاخف « المغرب » . (٢) تريد :
ونحن لا تنس مشكلة مارتين الكبرى ، أعني جعلها الحو « المغرب » . (٣) لا تنس
ان المتكلمة خادم . « المغرب » (٤) الاصل : اذا لبست امرأته السراويل في بيته .

فاقي أجد من المستحسن كثيراً ان يخفض صوتي ببعض صفعته .
كريزال — هذا هو التكلم كما ينبغي .

مارتين — سيدي عاقل اذ يريد لابنته زوجاً مناسباً .

كريزال — نعم .

مارتين — ، اذا ترفضون لها كليتاندر ، وهو ما هو من الشباب وحسن الهيئة . لماذا ،
من فضلكم ، تعطونها عالماً لا ينقطع عن الانتقاد والتصحيح ؟ هي في حاجة الى زوج ،
لا الى مربّي ؛ انها لا تريد ان تعرف اليوناني ولا اللاتيني ، فلا حاجة بها الى
السيد تريسونان .

كريزال — حسن جداً .

فيلامنت — يجب ان نتجملها تهذر كما لثشي .

مارتين — لا يصلح العلماء إلا للوعظ على المنابر ؛ وبخصوص زوجي ، انا ، فقد قلت
الف مرة : لا أريد ان اقترن برجل ابداء . ليس العلم ابداء بالذي ينبغي لشئون البيت ؛
الكتب لا تليق بالزواج ؛ اريد ، اذا طلبوا ذات يوم يدي ، زوجاً ليس له كتاب
سواي ، زوجاً لا يعرف الفأ ولا باء ، زوجاً ، ولتفكر سيدتي كما تشاء ، لا يكون
دكتوراً الا من اجل امرأته .

فيلامنت « الى كريزال » — هل انتهى هذا ؟ وهل يكفي ما استمعتُ بهدوء الى
مترجمتك الفاضلة !

كريزال — بالحق نطقت .

فيلامنت — وانا ، لأوجز هذه الحاجة ، يجب ان تُنفذ رغبتني بصورة جازمة . هنريت
وتريسونان سيقترنان في الحال ؛ قلت ذلك ، اريده ، لا تجاوبني ؛ واذا كنت قد
اعطيت كليتاندر كلمتك ، فاعرض عليه ان يتزوج الكبرى .

كريزال — هذا تدبير حسن في هذه القضية . انظري : هل توافقين على ذلك ؟
هنريت — هيه ! يا أبت !

كليتاندر — هيه ! يا سيدي !

بيليز — كان في المستطاع ولا شك ان تقدم له عرضاً يكون عنها أَرْضَى وبها أَسْعَدُ (١)

(١) ما رالت بيليز المسكينة تهدي بحبها الاثلاطوني « العرب » .

بيد أننا آقنا فيما بيننا ضرباً من الحب الذي يجب ان يكون نقياً مثل كوكب النهار؛
فيه يُقبل الجوهر العاقل ، واكتننا نطرد عنه المادة ذات الطول والعرض .

المنظر الرابع

آريست ، كريزال ، فيلامنت ، بيليز
هنريت ، ارماند ، تريسونان ، الكاتب
كليتاندر ، مارتين

آريست — يوسفني ان أعكّر احتفالاً بهيجاً بالحزن الذي عليّ ان احمله الى هذا المكان.
في هتين الرسالتين احمل خبرين اشعر بقساوة وقعها عليكم . « يخاطب فيلامنت :
احداهما لك ، جاءني بها وكيلك . « يخاطب كريزال : « والأخرى لك ، جاءني
من « ليون » .

فيلامنت — أي شقاء جدير بتكديرنا عسام ان يكتبوا الينا ؟
آريست — في هذه الرسالة شيء منه فاقريها .

فيلامنت « تقرأ : »

« سيدتي ؟ رجوت السيد أخاك (١) ان يسلمك هذه الرسالة ، وفيها ما لم
أجرؤ على مخاطبتك فيه . ان اهمالك الكبير لأعمالك كان سبباً لئلا يخبرني كاتب
محاميك للقيام بما يجب ، فحسرت دعواك لإطلاقاً ، وكان يجب ان ترجيها . »
كريزال « الى فيلامنت » - دعواك قد خسرت !

فيلامنت — لشدة ما تضطرب ! لم يهتز قلبي لهذه الضربة البتة . ألا فلتظهر نفساً ارقى
من نفوس الدهماء باهوانك سهام القدر مثلي . « تابع القراءة » :

« لقد كلفك اهمالك أربعين ألف دينار ؛ فقضت المحسكة عليك بدفع هذا

المبلغ مع النفقات . »

قضت عليّ ! آه ! هذه الكلمة جارحة ، لم توضع لنير المجرمين .

آريست — انه على خطأ ، حقاً ، وإن لك ان ترفعي صوتك بالدهشة . كان عليه ان

(١) آريست

يكتب انك مرجوة بقرار المحكمة ان تدفني عاجلاً اربعين الف ديناراً مع النفقات .

فيلامنت — انظر الأخرى .

كريزال « يقرأ » :

« سيدي ؛ الصداقة التي تربطني بالسيد أخيك تجعلني أهتم بكل ما يخصك . أعلم انك وضعت ثروتك بين أيدي « ارجانت » و « دامون » . وأحيطك علماً أنها اعلنا افلاسها في اليوم نفسه . »

يا للسماء ! أأفقد دفعة واحدة هكذا ثروتي كلها !

فيلامنت — عجباً ! يا للانفعال الخزي ! كل هذا ليس بشيء . ليس ثمّة مصيبة فاجعة في نظر الحكيم الحق ، فانه اذا خسر كل شيء فلت يحضر نفسه . لكنه عملنا ، ولنترك حزنك : « تشير الى تريسوتان » : ماله يكفينا ويكفيه .

تريسوتان — كلا يا سيدتي ، دعي عنك استعجال هذا الأمر . اري الناس كلهم يعترضون سبيل هذا الزواج ، وليس في نيّتي اكراههم على امر لا يحبونه .

فيلامنت — هذه فكرة طرأت عليك في وقت قصير ! لقد جاءت إثر محنتنا يا سيدي ! تريسوتان — ضجرت أخيراً من هذه المعارضة كلها ؛ أفضل ان أعدل عن هذه القضية الشائكة ، ولا أريد بحال قلباً لا يهب نفسه .

فيلامنت — ارى ، ارى منك ما رفضت ان اصدقة الى الآن عنك ، وهو مالا يشرفك . تريسوتان — نستطيع ان تري في كل ما تريدين ، فأنا لا اهتم بالطريقة التي ستفسر بها الأمر ؛ على اني لست بالرجل الذي يتحمل عار الرفض الذي علي ان اتحملة هنا مرة إثر أخرى : أستحق ولا شك ان أحظى منكم باحترام اوفر ، وأنا اودّع الذين لا يرغبون في . « يخرج »

فيلامنت — ما أوضح ما كشف نفسه النفعية الجشعة ! ما أبعد ما فعله عن الفلسفة ! كليتاندر — انا لا اتمدح بالفلسفة ؛ ولكنني على كل حال اربط مصيري بمصيركم على الملأ يا سيدتي ؛ وأجرؤ فأقدم لكم شخصي والمال الذي تعلمون ان الحظ قد جاءني به .

فيلامنت — بهرتي يا سيدي بهذه الخلال الكريمة، وأريد أن أتوج بالخير حبك. أجل،
أوافق ان يحظى غرامك اللاعج بهرتي، و . . .

هنريت — كلا يا اماء، غيرت الآن فكري. اسمحي لي ألا ألي طلبك.
كليتاندر — عجباً لك! أتحوين بيني وبين السعادة حين أرى الجميع يستجيبون لي؟
هنريت — أعرف المال القليل الذي في حوزتك يا كليتاندر، وقد تمنيت دوماً ان تكون
زوجاً لي عندما رأيت ان هذا الزواج يحقق أعذب آمالي ويصاح من أمرك؛ ولكنني
وقد نزلت بنا المصائب، احبك حباً لا يسمح لي، ونحن في هذا الضيق، ان
أحتلك انقاله.

كليتاندر — كل حظ يحلو معك لي؛ كل حظ بدونك لا يطاق.
هنريت — هكذا يتكلم الحب في سورته دائماً. لتجنب الامور التي تمعقنا ندماً وحسرة.
ما من شيء يبلي جدّة هذا الحب الذي يشدّ بعضنا الى بعض الا الحاجات المنفصة
الى أشياء الحياة؛ فكثيراً ما يؤدي الأمر الى ان يتبادل الطرفان التهم في الهدوم
والمصاعب التي تلي غرامها.

آريست — الى هنريت، — أليس ثمة ما يدعوك لمداومة الزواج من كليتاندر غير السبب
الذي ذكرت؟

هنريت — لولا ذلك لو جدت قلمي يسرع اليه؛ وما أترك يده إلا حباً له.
آريست — لتقترنا اذن بجميل الروابط. لم احمل اليكم إلا اخباراً باطلة؛ تلك حيلة،
نجدة لم تكن منتظرة، قت بها لخدمة حبكما، ولأوضح لأختي خطأها ولأبين لها
ماذا عسى ان يكون فيلسوفها عند التجربة.

كريزال — الحمد لله على ذلك!

فيلامنت — قلبي يفتح سروراً للغم الذي سيعتري هذا الهارب النذل؛ ذلك هو جزاء
طمعه اللذيذ، اذ يرى هذا الزواج يتم في روعة وبهاء.

كريزال — الى آريست، — انا كنت اعرف جيداً انك ستزوجها.

ارماند — الى فيلامنت، — وعلى هذا فأنت تضحّي بي لأجلها.

فيلامنت — أبداً ان تكوني انت الضحية، فالفلسفة تخفّ لنجدتك لتري بعين قريرة
حجها يكلل بالنجاح.

بيليز — خذوا بعين الاعتبار أنني في قلبه . طالما دفع اليأس الغضوب المفاجئ إلى
الزواج ، ثم تكون الندامة مدى الحياة .
كريزال « إلى الكاتب ، — هيا يا سيدي ، اتبع الأمر الذي أصدرته ، وسجل العقد
على النحو الذي ذكرته (١) .



(١) هذا الأمر الحازم من كريسال بعدما تراجع أمام زوجته يحمل على الانسحاب . هنا موضع
الفكاهة في شخصية هذا الرجل « العرب »

فهرس الجزء الثاني

صفحة	
٢١٧	الدور الثاني : دور التفتح والأزدهار .
٢٢١	بوالو .
٢٢٨	نماذج من شعره : حقوق الناقد ؛ فائدة الاعضاء ؛ شذور من كتاب « فن الشعر » .
٢٤٨	راسين .
٢٩٢	رينيس : لراسين .
٣٣٨	فيدر : لراسين .
٣٨٥	مولير .
٤٤٤	مذهب الفني .
٤٤٩	مذهب الاخلاقي .
٤٥١	اخلاقه وموته .
٤٥٣	طرطوف : لمولير .
٥١٥	النساء العالمات : لمولير .



